إِظهَـــارُ الحَـــــقِ البَلِيـــغِ

مِن لِسَانِ الدَّعوةِ وَالتَّبلِيغِ

فَضِيلَةِ الشَّيخِ العلاَّمَةِ / مُحَمَّدُ عُمَرَ البَالمَبُورِيِّ

رَحِمَهُ اللهُ

جَمعُ وَترتِيبُ

أَبُو إِليَاسِ

طَهَ بن إِبْرَاهِيـــــــــمُ القَلَمُوشِيِّ

المِصْرِيِّ

عاملَهُ الله تَعالَى بِعَفْوِهِ وَلُطْفِهِ

تَقْدِيمُ فَضِيلَةِ الشَّيخِ

مُحَمَّد يُونُس حَفِظَهُ الله بن مُحَمَّد عُمَر البَّالَمبُورِيّ رَحِمَهُ الله تَعالَى .

تَقْدِيمُ فَضِيلَةِ الشَّيخِ مُحَمَّد يُونُس حَفِظَهُ اللهُ بن الشَّيخِ مُحَمَّد عُمَر البَّالَمبُورِيّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَي .

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَي سَيِّدِ المُرسَلِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيّنَ وَإِمَامِ الأَوَّلِيينَ وَالآخِرِينَ وَشَفِيعِنَا يومَ الدِّينِ ، مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَليهِ وَعَلَي آلِهِ وَأَصحَابِهِ وَأَتبَاعِهِ إِلَي يومِ الدِّينِ ، وَبعدُ :

فَقَدْ أَسعَدَنِي جِداً مَا رَأَيتُ مِن إِخْرَاجِ سِفْرٍ جَدِيدٍ يَحْوِي ثُلَّةً مُبَارَكَةً مِن نَفَائِسِ وَالِدِي الشَّيخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ عُمَرَ بَالَمبُورِي رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَي عَلَيهِ ، قَامَ بِذَلِكَ العَمَلَ المُبَارَكَ الأَخُ المِصْرِيُّ أَبُو إِليَاس طَه بن إِبرَاهِيمَ القَلَمُوشِيّ وَفَّقَهُ اللهُ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ صَاغَ الكِتَاب بِطَرِيقَةٍ تُنَاسِبُ الوَاقِعَ وَتُظْهِرُ مِن بَيَانَاتِ أَبِي رَحِمَهُ اللهُ الهَدَفَ الرَّئِيسَ الذِي نَشَأَ الوَالِدُ وَعَاشَ وَرَحَلَ ثَابِتاً عَلَيْهِ غَيْرَ مُتقَاعِسٍ وَلَا مُتَخَاذِلٍ ، وَهُوَ دَلَالَةُ الخَلْقِ عَلَي الخَالِقِ وَهِدَايَةُ العِبَادِ إِلَي طَرِيقِ رَبِّ العِبَادِ بَاذِلًا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ مَالَهُ وَوَقْتَهُ وَنَفْسَهُ فَتَقَبَّلَ اللهُ عَمَلَهُ وَتَقَبَّلَهُ ، وَأَرْخَي عَلَي مَرْقَدِهِ سَحَائِبَ رَحْمَتِهِ وَرِضْوَانِهِ .

وَقَدْ أَخْبَرَنِي الأَخُ طَهَ القَلَمُوشِيّ وَفَّقَهُ اللهُ بِأَنَّهُ اقْتَبَسَ كِتَابَهُ وَانتَخَبَهُ مِنْ بَيَانَاتِ أَبِي رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَي عَلَيْهِ مِنْ كِتَابِ " لِسَانِ الدَّعْوَةِ وَالتَّبْلِيغِ " الذِي نَشَرَهُ الدُّكتُورُ مُحَمَّد عَلِي شَرْقَاوِيُّ وَفَّقَهُ اللهُ ، فَوَجَدْتُ عَمَلَهُ مُوَفَّقًا فَبَارَكَ اللهُ فِيهِ .

وَإِنِّي إِذْ أُقَدِّمُ لِهَذَا الكِتَابِ المُبَارَكِ المُسَمَّي " إِظْهَارَ الحَقِّ البَلِيغِ مِن لِسَانِ الدَّعْوَةِ وَالتَّبْلِيغِ فَضِيلَةِ الشَّيخِ العَلَّامَة مُحَمَّد عُمَر البَالَمبُورِي رَحِمَهُ اللهُ " أُقَدِّمُ لِلدُّعَاةِ فِي العَالَمِ دُرَّةً مِنْ ذَخَائِرِ وَالِدِي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيهِ أَرْجُوا مِنَ اللهِ تَعَالَي أَن يَنْفَعَ بِهَذَا الكِتَابِ عُمُومَ المُسْلِمِينَ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ العَالَمِ وَخَاصَةً أَهْلُ الدَّعْوَةِ وَالحَرَكَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ .

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَي المُرْسَلِينَ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ .

أَخُوكُم

مُحَمَّدُ يُونُس بنِ الشَّيخِ مُحَمَّدُ عُمَر بَالَمْبُورِيّ رَحِمَهُ اللهُ .

الأَربِعَاءُ

13 مِن شَهْرِ يُولِيُوا عَامَ 2016 م – 8 من شَهْرِ شَوَّالَ عَامَ 1437 هـ .

رَبِّ يَسِّــــــــــرْ وَأَعِنْ يَاكَرِيـــــــــــمُ ؛

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ تَعَالَى مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله تَعَالَى فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له

وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدا ً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ [1]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً [2]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ ورَسُوله فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً [3]

أما بعد : ـ

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ تَعَالى وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ مَنَّ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةَ بِمِنَنَ عَظِيمَةَ وَفَضَائِلَ جَسِيمَةَ ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهَا بِنِعَمَ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) [4] ، وَمِنْ أَعْظَمِ تِلكَ النِّعَمِ عَلَى الإِطْلاَقِ

---

[1] (102 آل عمران)
[2] (1 النساء)
[3] (70 ، 71 الأحزاب)
[4] (34 إبراهيم)

أَنْ أَرْسَلَ إِلَينَا خَاتَمَ رُسُلِهِ عَلَيهِمُ السَّلاَمُ مُحَمَّدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهدى ودين الحق بشيرا لمن اتبعه ونذيرا لمن عصاه ، فقال تعَالَى (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) [1] ، وَقَالَ تَعَالَى : (ما كَانَ مُحَمَّد أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُول اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) [2] ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام : (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ: هَلاَّ وُضِعَتْ هذِهِ اللَّبِنَةُ فَأَنَا اللَّبِنَةُ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ) [3]وقال (وَإِنِّي خَاتَمُ النَّبِيِّينَ , لَا نَبِيَّ بَعْدِي) [4]

وَمِن مَلاَمِحِ خَتْمِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ كَانَتْ تِلْكَ الرِّسَالَةَ تَامَّةً فِى ذَاتِهَا وَمُتَمِّمَةً لِمَا سَبَقَتْهَا مِنَ الرِّسَالاَتِ ، قَالَ تَعَالَى : (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) [5] ، وَجَعَلَ اللهُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ سَائِرَةً إِلَى أَن يَرِثَ اللهُ تَعَالَى الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ ، فَأُمَّةُ آخِرِ الزَّمَانِ مُنْذُ بَعْثَةِ النُّبُوَّة وَحَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ لَنْ يَأْتِيهَا إِلَّا رَسُولٌ وَاحِدٌ هُوَ النَّبِيُّ الخَاتَمُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

وَحِينَمَا يَنْزِلُ فِيهَا نَبِىُ اللهِ عِيسَى عَلَيهِ السَّلاَمُ سَوْفَ يَحْكُمُ بِشَرِيعَةِ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُصَلِّي صَلاَتَهَا وَيَسْتَقْبِلُ قِبْلَتَهَا ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام : (يَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، فيَقُولُ أَمِيرُهُمُ المَهْدِيُّ : تَعَالَ صَلِّ بِنَا ، فَيَقُولُ : لَا إِنَّ بَعْضَهُمْ أَمِيرَ بَعْضٍ ، تَكْرِمَةُ اللهِ لِهَذِهِ الأُمَّةِ) [6] وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ شَرِيعَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُهَيْمِنَةٌ عَلَى كُلِّ الشَّرَائِعَ السَّابِقَةِ ، وَاللهُ تَعَالَى قَدْ فَرَضَ تَبْلِيغَ هَذَا الدِّينِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْساً وَعَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أُمَّتِهِ تَبَعاً ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تعَالَى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُول بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) [7] ، ويَقُولُ تَعَالَى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي

---

[1] (24 فاطر)
[2] (40 الأحزاب)
[3] (البخارى 3342)
4 (مسند الإمام أحمد 23406)
[5] (المائدة 48)
6 (السلسلة الصحيحة 2236)
[7] (67 المائدة)

أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)[1] ، ويقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام : (لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ ، أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ ثُمَّ يَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ)[2] ويقُولُ : (كلاَّ واللهِ ، لتأمُرُنَّ بالمعروف ، ولَتَنْهَوُنَّ عن المنكر ، ولَتأخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالم ، ولَتَأْطِرُنَّهُ عَلَى الحق أَطْرًا ، أو لَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الحقِّ قصرًا أو ليَضْربنَّ اللهُ بقُلوب بعضكم بعضًا ، ثم لَيَلْعنَنَّكم كما لَعَنهم)[3] ويقُولُ : (لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ لَتَدْعُوُنَّهُ فَلاَ يَسْتَجِيبُ لَكُمْ)[4] وهذه الأوامر ليست للرَسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقط ، بل هى له وللأمة أيضا ، وليس معنى تلك الأحاديث أن يقوم الناس من أفراد الأمة عَلَى أمرٍ أمرَهم الله تَعَالَى به ثم لا يكون ذَلِكَ الأمر موجها للرَسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .فلذَلِكَ قام الرَّسُول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام بالأمر حق القيام وتعلم منه الصَّحَابَة ذَلِكَ الأمر وقاموا به بعده فكانوا نعم التلاميذ لأفضل المعلمين ، ومن ذَلِكَ ما روى عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وقف يَوْم النَّحْر بَين الجمرات فِي الْحجَّة الَّتِي حج فِيهَا فَقَالَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَي يَوْم هَذَا قَالُوا يَوْم النَّحْر قَالَ فَأَي بلد هَذَا قَالُوا هَذَا بلد الله الْحَرَام قَالَ فَأَي شهر هَذَا قَالُوا شهر الله الْحَرَام قَالَ هَذَا يَوْم الْحَج الْأَكْبَر ودماؤكم وَأَمْوَالكُمْ وَأَعْرَاضكُمْ عَلَيْكُم حرَام كَحُرْمَةِ هَذَا الْبَلَد فِي هَذَا الشَّهْر فِي هَذَا الْيَوْم ثمَّ قَالَ هَل بلغت قَالُوا نعم فَطَفِقَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثمَّ ودع النَّاس فَقَالُوا هَذِه حجَّة الْوَدَاع)[5] وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام : (إن الشمس و القمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد و لا لحياته فإذا رأيتم ذَلِكَ فادعوا الله و كبروا و صلوا و تصدقوا يا أمة مُحَمَّد ! و الله ما من أحد أغير مِنَ اللهِ أن يزني عبده أو تزني أمته يا أمة مُحَمَّد ! وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا اعْلَمْ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا اللهم هل بلغت)[6] وقوله : (إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَا يَكُونُ الْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرًا مِنَ الْجَالِسِ وَالْجَالِسُ خَيْرًا مِنَ الْقَائِمِ وَالْقَائِمُ خَيْرًا مِنَ الْمَاشِي وَالْمَاشِي خَيْرًا مِنَ السَّاعِي

---

1 (108 يوسف)

2 (ضعيف الجامع 4650)

3 (ضعيف ابن ماجه 4006)

4 (مسند أحمد 23349 , صَحِيح الْجَامِع 7070)

5 (صحيح أبى داود 1700 صحيح بن ماجه 3049)

6 (صحيح الجامع 1642)

إليها ألا فإذا نزلت أو وقعت فمَنْ كَانَتْ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ و مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَعْمِدْ إِلَى سَيْفِهِ فيدق عَلَى حده بحجر ثُمَّ لِيَنْجُ مَا اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت)[1] وقوله : (مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ ، أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِيكُمْ ، فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ ، فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ ، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيَمِينِ ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ ، أَلا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ ، وَأَمْوَالَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلاثًا ، وَيْلَكُمْ أَوْ وَيْحَكُمْ انْظُرُوا لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)[2] وقوله : (يا أيها الناس ! إن ربكم واحد و إن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي عَلَى عجمي ولا عجمي عَلَى عربي و لا أحمر عَلَى أسود و لا أسود عَلَى أحمر إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عِند الله أتقاكم ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : بلى يا رَسُول الله ! قَالَ : فيبلغ الشاهد الغائب)[3] وغير ذَلِكَ مما يدل عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام بحق تلك الرسالة حق القيام

وظهرت قيمة تلك المسئولية أَنَّهُ حينما حضرت رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوفاة حمَّل تلك المسئولية التى قد تحملها من ربه لأمته ، وحثهم عَلَى القيام بحقها فى غير موقف من مواقفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معهم رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (بلِّغُوا عني ولو آية ، وحَدِّثوا عن بني إسرائيل ، ولا حَرَجَ ، وَمَن كَذَبَ عليَّ مُتعمِّدا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ)[4] وقَالَ : (تَسْمَعُون وَيُسْمَع مِنْكُم ، وَيُسْمَعُ مِمَّن (يسمع) مِنْكُم)[5].

---

1 (صحيح مسلم 2887 ، مسند أحمد 20428 ، الجمع بين الصحيحين للحميدى 590 ، صحيح الجامع 2430)
2 (صحيح الجامع 5577)
3 (السلسلة الصحيحة 6 / 449)
4 (البخارى 3274 , الترمذى 2669 ، مسند أحمد 6486)
5 (صحيح الجامع 2947 , والصحيحة 1784)

وعنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: (كُنَّا نَجْلِسُ إِلَى أَبِي أُمَامَةَ فَيُحَدِّثُنَا حَدِيثًا كَثِيرًا عَنْ رَسُول اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَإِذَا سَكَتَ قَالَ: أَعَقَلْتُمْ؟ بَلِّغُوا كَمَا بُلِّغْتُمْ.) [1]

فلما تُوفى رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَحَمَّلَ أصحابه رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ الأمانة من بعده ، وقاموا بحقها كما أراد رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتفرقوا فى مشارق الأرض ومغاربها ليبلغوا دين الله تَعَالَى ، وقد استشعروا حقا قيمة هذه الأمانة ، واستمع إِلَى قول الفاروق عمر رَضِىَ اللهُ عَنْهُ وهو يقول: (نَحْنُ قومٌ أَعَزَّنَا اللهُ بِالإِسْلامِ وَمَهمَا ابْتَغينَا العِزة بِغَيْرِهِ أَذَلَّنَا اللهُ) . وَقَالَ مرة : (لَقَدْ كُنَّا - نَحْنُ العَرَبُ - أذلَّ النَّاسِ ، حَتَّى أَعَزَّنَا اللهُ بِالإِسْلاَمِ ، فَإِن ابْتَغَيْنَا العِزَّةَ فِي غَيْرِهِ؛ أَذَلَّنَا اللهُ.) [2]

والتاريخ يشهد عَلَى صدق وفائهم للعهد الذى أخذه عليهم رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وانظر بعين الإجلال والتقدير لأبى بكر الصديق - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ – حينما يقُولُ (أَيَنقُصُ الإِسْلَامُ وَأَنَا حَيٌ) [3] وَقَالَ (والله لو جرت الكلاب بأرجل أمهات المؤمنين ما حللت لواءً عقده رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) [4] ، وَقَالَ (قد انقطع الوحي وتم الدين ، أينقص وأنا حي) [5] ، (وَلَوْ خَالَفَتْنِي يَمِينِي لَجَاهَدْتُهَا بِشِمَالِي) [6]. وقبورهم تشهد عَلَى حركتهم ، فكل صحابى من أعلام الصَّحَابَة مات فى مصر من الأمصار ، وما ذاك إلا لأنهم تحملوا تلك الأمانة وساروا بها فى المشارق والمغارب حتى وافتهم مناياهم فى تلك البقاع .فلله درهم من رجال صادقين ، ووزراء صالحين ، وعلماء عاملين ،

وليَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ أفضل بقاع الأرض عَلَى الإطلاق هى بلد الله الحرام مكة المكرمة ، إذ هى أحب بلاد الله تَعَالَى إليه ، وهى أحب البلاد إِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما أخرج من مكة رَغْماً عَنْهُ (والله

[1] (الطبراني في معجمه الكبير 7673)
[2] (الصَّحِيحَة: 51 , صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: 2893)
[3] (المفصل فى فقه الدعوة 62/3 ، 68)
[4] (الآحاد والمثانى 2591 , كنز العمال 14066)
[5] (مشكاة المصابيح 6034 ، المرتضى لأبي الحسن الندوي 70 ، الحرب النفسية 162/2)
[6] (الجامع لأحكام القرآن 5/ 293 ، البحر المحيط 321/3)

إنك أحب بلاد الله إِلَى اللهِ وأحب بلاد الله إلي ... ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت)[1]. ووالله إنها لأحب البلاد إلينا حبا لله تَعَالَى ولرَسُول ه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

ولْيُعْلَم كذَلِكَ أن الصلاة فى المَسْجِد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه من المَسَاجِد ، كما قَالَ رَسُول اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيْمَا سِوَاهُ إِلاَّ المَسْجِدِ الْحَرَامَ ، وَصَلاَةٌ فِي المَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مَائَةِ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيْمَا سِوَاهُ)[2] وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام : (صَلاَةٌ فِي مَسْجِد قِبَاء كَعُمْرَة)[3] ، فانظر لعظيم الأجر وجسيم الفضل ومزية المكوث فى البقاع الطاهرة التى فضلها الله تَعَالَى ،

ولكن ! لما علم الصَّحَابَة الكِرَام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وجوب الحركة لتبليغ الدين ونشر الإسلام ، ما ركنوا إِلَى المَسْجِد الحرام – مع علمهم عظيم الأجر فيه – وما اعتكفوا فيه وما لزموه كما فعل من فعل من خلوفهم ، بأى دعوى كانت ، بل تحركوا فى بقاع الأرض التزاما بأمر رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد كان ابن المبارك رحمه الله طيلة حياته ، يحج عاماً ، ويغزو عاماً ، حتى توفي في (هيت) من نواحي العراق ، وهو منصرف من الغزو ، وحكى الطبري و غيره أن الرشيد كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافلة و كان يغزو عاما و يحج عاما وهو خليفة المُسْلِمِين ، إذا كان هذا هو حال قوم من السلف الصالحين من التابعين ، فما بالك بأجدادهم الصَّحَابَة الذين تربوا فى مدارسهم ونهلوا من معينهم ، لقد باعوا أنفسهم إِلَى لله تَعَالَى ، وليس عاما وعاما بل المال والنفس ، ولتبك علي حالنا البواكى فى زمان تغرب فيه الدين فى بلاده بل تغرب فى صدور كثير من حامليه والله المستعان ،

وقد أخبر رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الدين فى اغتراب كلما تقدم الزمان ، وأهل الإِيمَان فى قلة كلما قربت الساعة ، ومدح الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القابض عَلَى دينه المتمسك بتعاليمه فى تلك الظروف ، وذَلِكَ فى غير حديث من أحاديثه

---

[1] (مصنف عبد الرزاق 8868 ، مسند أبي يعَلَى 2662)

[2] (صحيح مسلم 3440 ، 3445)

[3] (صحيح الترغيب والترهيب 1180 ، الجامع الصغير 7319)

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن ذَلِكَ قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام : (بدأَ الإسلامُ غَريباً وسيعودُ كَمَا بدأً ، فطُوبى للغُرباءِ)[1] ، قيلَ: يا رَسُول اللهِ ، ومَن الغُرباءُ؟ قالَ: « نَاسٌ صَالِحُونَ قَلِيلٌ فِي نَاسٍ سُوءٍ كَثِيرٌ ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ)[2] (النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ)[3] . (الذين يُصْلِحونَ إذا فَسَدَ الناسُ)[4]. وعن عمرو بن عوف رضي الله عنه: أن رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « إن الدين بدأ غريبًا ويرجع غريبًا؛ فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي »[5].

ورواه إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ، ولفظه: قال: « إن هذا الدين بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ؛ فطوبى للغرباء . قيل: يا رَسُول الله ! ومن الغرباء ؟ قال: الذين يحيون سنتي من بعدي ، ويعلمونها عباد الله » .

وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام (لا يَأْتِي زَمَانٌ إلاَّ والَّذِي بَعدَهُ شَرٌّ مِنهُ حَتَّى تَلقَوا رَبَّكُمْ)[6]

وقد رأينا تلك الغربة عيانا فى زماننا هذا ، - وقد عاشها أسلافنا رحمهم الله تَعَالَى - ، فلا تكاد ترى الإسلامَ مطبقٌ فى بلد اسلامى كما كانت المدينة عَلَى عهده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل ولا فى شارع كامل من شوارع المُسْلِمِين ، بل ترى كثيرا من البيوت التى يقال عنها إنها إسلامية متدينة تعج بالمخالفات التى نهى عنها صراحة رب الأرض والسموات ، وانظر إِلَى عامة الملتزمين - اللهم إلا القليل الذى مدحه الله تَعَالَى فى قوله (وقليل ما هم) - ، كيف أفراحهم ؟ هل هى عَلَى الهدى النبوى أم عَلَى عهدى غيره ؟! وكيف إذا حلت بهم مصيبة ؟ إِلَى من يلجئون وعَلَى من يتكلون ؟! وانظر إِلَى سيرتهم الحياتية التى يخالطون بها المجتمع ؟ هل هذه سيرة يرضاها رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم يأباها ؟! فالله المستعان .

---

[1] (مسلم 232 ، 389)
[2] (مسند أحمد 6650 , انظر صَحِيح الْجَامِع: 3921 , والصحيحة: 1619)
[3] (سنن بن ماجه 3988 ، صحيح بن ماجه 3232)
[4] (مسند أحمد 16736 , انظر الصَّحِيحَة: 1273)
[5] رواه الترمذي وحسنه
[6] (البخارى 7068 ، صحيح بن حبان 5952)

ولم يكد يمر عَلَى تلك الأعوام النبوية المشرفة زمان طويل حتى انتكست الفطر وتنكب الكثير من المُسْلِمِين طريق رب العالمين ، وظهرت المخالفات الكثيرة فى بلاد المُسْلِمِين ، وتبدلت المفاهيم التى كانت من المسلَّمات منذ عهد قريب ، وكانت من بديهيات الإسلام فى فجر الدعوة وصدر الأمة ، وتجد علماء المُسْلِمِين من السلف الصالحين يشكون حال أهل زمانهم ، بدءاً من بعض الصَّحَابَة المعمّرين الذين طال بهم العمر فعاصروا شيئا مما أتى بعدهم ، ولم ينقضى القرن الأول من القرون الثلاثة المفضلة بعد ، فما بالك بما تلاه من قرون ! واستمع بتدبر إِلَى شيء من خبر أولئك القوم ، قَالَ أبو الدرداء - توفي سنة (32 هـ) - رضي الله عنه -: (لو خرج رَسُول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إليكم اليوم ما عرف شيئاً مما كان عليه هو وأصحابُه إلا الصلاة!)

قال الأوزاعي - توفي سنة (157 هـ) - رحمه الله -: (فكيف لو كان اليوم .. ؟!)

قال عيسى بن يونس- توفي سنة (187 هـ) - رحمه الله -: (فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان . ؟!) [1]

ودخل أبو الدرداء - رضي الله عنه - عَلَى أم الدرداء وهو مغضب: فقالت: (ما أغضبك؟) فقال: (والله ما أعرف من أمَّة مُحَمَّد شيئاً إلا أنهم يصلّون جميعًا.) قَالَ الحافظ ابن حجر - توفي سنة (852هـ) - رحمه الله -: (وكأنّ ذَلِكَ صَدَرَ من أبي الدرداء رضي الله عنه في أواخر خلافة عثمان ، فيا ليت شعري إذا كان ذَلِكَ العصر الفاضل بالصفة المذكورة عِند أبي الدرداء! فكيف بمن جاء بعدهم من الطبقات إِلَى هذا الزمان؟!.) [2]

وسأل رجل أبا الدرداء -رضي الله عنه-:فقال: (رحمك الله ، لو أن رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أظهرنا ، هل كان ينكر شيئاً مما نحن عليه ؟

فغضب أبو الدرداء رضي الله عنه واشتد غضبه ، وقال: وهل كان يعرف شيئاً مما أنتم عليه؟!.) [3]

[1] (البدع والنهي عنها 68 ، الإعتصام1/ 26)
[2] (فتح الباري 2/ 138 وأصله في صحيح البخاري 1/ 131)
[3] (إغاثة اللهفان 1/ 206)

فلك أن تتخيل أخى - بارك الله فيك – كم تكون الغربة التى أنكرها أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الصَّحابَة الكِرَام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قد بلغت فى تلك الأوقات ؟! هل كان يرى مانراه اليوم ؟! من استحلال صريح لكبائر الذنوب !؟ أو معاقرة للزنى فى الطرقات ؟! أو استحلال للغناء والمعازف والقينات ؟! أو انتشار للربى فى كل المصالح والأعمال والأشغال ؟! أو تبرج سافر للمسلمات ؟! أو موالاة عمياء صريحة للكفار ؟! أو معاداة صريحة لأولياء الملك الغفار ؟! أو محاربة للحجاب ، والنقاب ، والختان ، واللحية ، والجهاد ، وكل ما يمت للإسلام بصلة ؟! اللهم لا . إلا ما كان من تقصير فى جوانبَ من الدين لو رأيناه فى زماننا اليوم لعددناه قليلا ، وربما يعفى عنه ! أما هم فلا يُمِرُّوا هذه الأمور هكذا ، إنهم كانوا يقيسون حياتهم عَلَى حياة نبيهم رأسا ، وسيرتهم عَلَى سيرته رأسا ونواياهم عَلَى نيته رأسا ، أما نحن فى هذا الزمان قد تنكب كثير منا هذا الطريق وضل عن هذا السبيل واستحسنا كثيرا من طرق الأجانب ، ولسان حال الكثير منا عَلَى عظيم المفاسد والمعاصى (إن ربنا لغفور رحيم) !!!! وما دَرَيْنا أَنَّهُ (شديد العقاب) جَلَّ جَلَالُهُ !!

إن الدافع الذى دفع الصَّحابَة الكِرَام لقول مثل هذه الأقوال هى الغربة التى أخبر عنها رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وما كانوا يظنون أنهم لاحقوها ، ولكنهم عاصروها – فرأو بأم أعينهم هديا مخالفا تماما لهدى النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أو رأو فكر الناس وشغلهم الشاغل وهدفهم الأسمى يختلف اختلافا جذريا عما تربوا عليه فى مدرسة النُّبُوَّة ، إنهم تربوا عَلَى معالى الأمور ، وكان معلمهم فى تلك المدرسة طاهر القلب نقيه تقيه مُحَمَّد رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فماذا عساه سيعلمهم ؟! وماذا عساهم سيتعلمون منه ؟! وإنى أجزم أن الأمر الذى استنكره أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أفضل من حال أهل زماننا بمئات المرات ، ولست مهولا للأمر ولا مضخما له ، كيف لا وشاهدى فى ذَلِكَ هو حديث رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) [1] وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:

[1] (البخاري رقم 2509 ، مسلم رقم 6635)

" كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا طَغَتْ نِسَاؤُكُمْ ، وَفَسَقَ شُبَّانُكُمْ , وَتَرَكْتُمْ جِهَادَكُمْ " ، قَالُوا: وَإِنَّ ذَلِكَ لَكَائِنٌ يَا رَسُول اللَّهِ؟ , قَالَ: " نَعَمْ ، وَأَشَدُّ مِنْهُ سَيَكُونُ ، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَمْ تَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ " قَالُوا: وَكَائِنٌ ذَلِكَ يَا رَسُول اللَّهِ؟ , قَالَ: " نَعَمْ ، وَأَشَدُّ مِنْهُ يَكُونُ ، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا ، وَرَأَيْتُمُ الْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا؟ " قَالُوا: وَكَائِنٌ ذَلِكَ يَا رَسُول اللَّهِ؟ , قَالَ: " نَعَمْ ، وَأَشَدُّ مِنْهُ يَكُونُ ، قَالَ: " كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا أَمَرْتُمْ بِالْمُنْكَرِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ؟ " قَالُوا: وَكَائِنٌ ذَلِكَ يَا رَسُول اللَّهِ؟ , قَالَ: " نَعَمْ ، وَأَشَدُّ مِنْهُ يَكُونُ ، يَقُولُ اللَّهُ - عز وجل -: بِي حَلَفْتُ لَأُتِيحَنَّ لَهُمْ فِتْنَةً يَصِيرُ الْحَلِيمُ فِيهَا حَيْرَانَ "[1] فلك أن تتخيل إذا كان هذا حال كثير من أناس القرن الأول الذى فضله الله تَعَالَى عَلَى سائر القرون فما بالك بحال من تبعه من قرون ! وَاستمع لما رواه سمرة بن جندب رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : (« لا تقوم الساعة حتى تروا أمورا عظاما ، لم تكونوا ترونها ، ولا تحدثون بها أنفسكم » . قَالَ مُحَمَّد بن وضاح – وهو أحد رواة الحديث - : أنا أقول : لا تقوم الساعة حتى تعبد الأصنام في المحاريب)[2] وعن أَبِى هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ , قَالَ : قَالَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ قَالُوا : يَا رَسُول اللهِ ، وَمَا الْهَرْجُ ؟ قَالَ : الْقَتْلُ ، الْقَتْلُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ قَالُوا : إِنَّا لَنَقْتُلُ فِي الْعَامِ الأَلْفَ وَالأَلْفَيْنِ قَالَ : لاَ أَعْنِي ذَلِكَ ، وَلَكِنْ قَتْلَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَالُوا : يَا رَسُول اللهِ ، أَيَقْتُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَنَحْنُ أَحْيَاءُ نَعْقِلُ ؟ قَالَ : يُمِيتُ اللَّهُ قُلُوبَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ كَمَا يُمِيتُ أَبْدَانَهُمْ.)[3]. وقد وقعت الأمور العظام التى ما كان يظن الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ أنها قد تقع ، وتقاتل الناس حتى لأن قلوبهم ميتة كما أخبر بذَلِكَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فالله المستعان .

ولا يزال الزمان فى غربة منذ ذَلِكَ العهد الطاهر ، حتى انحدر الزمان إِلَى عصرنا ، فتغرب المسلمون ، وتنصر أكثرهم ، فبعدما كان ما يقارب أربعة أخماس العالم كله مسلم والخمس الباقى غير مسلم ومع ذَلِكَ يدفع الجزية للمسلمين عن يد وهم صاغرون ،

[1] (الجامع الصحيح للسنن والمسانيد وعزاه إِلَى رواه ابن أبي حاتم في العلل (2/ 417 - 418) ، والحافظ عبد الغني المقدسي في "كتاب الأمر بالمعروف " (91 - 92) , انظر الضعيفة تحت حديث: 5204)

[2] (البدع لابن وضاح 244)

[3] (إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة 7479)

تغير الحال وتبدل ، فأصبح الربع مسلما والباقى غير مسلم ويدفع المسلمون الجزية عن يد وهم صاغرون ، كيف ذَلِكَ أحبتى فى الله ؟؟!! ، إليكم البيان .

كان المسلمون قديما يأخذن الجزية – أموالا - من الكفار مقابل أن يعيشون فى بلاد المُسْلِمِين فى سلام وأمان ، فينعموا بالطمأنينة ورغد العيش ، أما فى هذا الزمان فقد استُضعف المسلمون – وماهم بضعافٍ ، لكنها الذلة التى كساها الله عليهم لما تخاذلوا عن نصرة دينه – وتكالبت عليهم أمم الأرض وفرضوا عليهم الجزية ، ولكن الجزية هذه المرة ليست مالا – وياليتها كانت كذَلِكَ ، أهون من أن تكون كما هى الحال الآن – بل هى أشد وأبشع فقد أذاقوهم مر العذاب ، وانتهكوا حرماتهم ودنسوا مقدساتهم وأذلوا شبابهم وقتلوا أطفالهم واستباحوا فروج نسائهم ومثلوا بشيوخهم ، كل ذَلِكَ عَلَى مرآى ومسمع من العالم كله ، ولا أذن تسمع ولا مجيب يجيب ،

أليست أشلاء الشباب التى تمزق فى بلاد المُسْلِمِين جزية ندفعها ، ونحن صامتون ؟

أليست استباحة فروج النساء جزية مفرضة علينا ، ونحن صامتون ؟!

أليست دماء الأبرياء من الأطفال والأرامل والعجزة والشيوخ جزية مفروضة علينا ندفعها من دمائنا ، ونحن صامتون ؟!

أليست ثرواتنا التى تنهب وتسرق من أيدينا فى وضح النهار بسبب العملاء الخونة والحكام الظلمة جزية ندفعها ، ونحن صامتون ؟!

بلى إنها جزية فى غير ثوبها .

بلى هى جزية ولكنها تسمت بغير اسمها ، فى خضم حرب المصطلحات التى أثرت فينا .

كما تسمى الربا بغير اسمه !!! فأسموه القرض والربح والفائدة ! ،

وكما تسمت الرشوة بغير اسمها !!! فأسموها الدخان والعرق والأتعاب والمواصلات ! ،

وكما تسمى الخمر بغير اسمه !!! فأسموه المشروبات الروحية والوسكى والشامبانيا والفودكا والبيرة وغيره ! ،

وكما تسمت الدِّياثة بغير اسمها !!! فأسموها تمدن وتحضر وتحرر!

وكما تسمت موالاة الكفار بغير اسمها !!! فأسموها معايشة ومواكبة للعصر !

وكما تسمت معاداة أولياء الله تَعَالَى بغير اسمها !!! فأسموها محاربة الإرهاب والقضاء عَلَى التطرف !

وكما تسمى الكفر بغير اسمه !!! فأسموه علمانية وليبرالية وحرية الفكر والآخر ! ، وغير ذَلِكَ الكثير .

بل قد غيروا – هداهم الله جميعا – المصطلحات الشرعية أيضا ، بهدف التشهير بها واللمز عليها ، مثل قولهم لمن يتمسك بدينه ويتدين بشرع ربه أَنَّهُ متأخر أو سنى – ذما – أو درويش أو غير ذَلِكَ ، وكتسميتهم لمن يدافع عن أرضه وعرضه ويذود عن حمى دينه أَنَّهُ إرهابى ، والله المستعان .

إنها حرب المصطلحات التى غزت أفكار كثير من المُسْلِمِين ولا حول ولا قوة إلا بِاللهِ العَلَى العظيم

إذن ما هو المرض الذى أدى بالأمة إِلَى هذا الحال ؟ ،

المرض القتال الذى أودى بحال الأمة إِلَى هذه المرحلة ، هو ترك المنهج الرَّبَّانِى الذى شرعه الله لرَسُول ه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى التَّوْحِيد والعقيدة والعبادة والدعوة والمعاملات والمعاشرات والأخلاق والسلوك . ولا تجد من المُسْلِمِين من يختلف فى ذَلِكَ العنوان جملة أبدا ، فكل منتسب للإسلام يدعى السير عَلَى ذَلِكَ المنهج ، أما التفصيل فتجدهم يختلفون ويتفرقون ويتناحرون ويتضاربون ويتشاجرون بل ويتقاتلون ، وقد قَالَ عبد الله بن عباس - رضي الله عنه – فى ذَلِكَ :

(قدِم رجل عَلَى عمر ، فجعل عمر يسأله عن الناس ، فقال: يا أمير المؤمنين ، قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا. فقال ابن عباس: فقلت: والله ما أحب أن يتسارعوا يومهم في القرآن هذه المسارعة. فزبرني - انتهره وزجره - عمر ، وقال: مه - كلمة زجر بمعنى كف واسكت وانته - . فانطلقت إِلَى منزلي كئيبا حزينا ، فبينا أنا كذلك ، إذ أتاني رجل ، فقال: أجب أمير المؤمنين. فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني ، فأخذ بيدي ، فخلا بي وَقَالَ : ما الذي كرهت ؟

قلت: يا أمير المؤمنين متى يتسارعوا هذه المسارعة يحتقوا [1]- يَقُولُ كل واحد منهم الحَقُّ بِيَدِي- ، ومتى ما يحتقوا يختصموا ، ومتى ما يختصموا يختلفوا ، ومتى ما يختلفوا يقتتلوا.

قال: لله أبوك! والله إن كنت لأكتمها الناس حتى جئت بها .أ.هـ.) [2]

وَعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُول اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا , وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا , وَإِنِّي أُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ - يَعْنِي الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ - وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي ثَلَاثًا: أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَى أُمَّتِي جُوعًا فَيُهْلِكَهُمْ بِهِ وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَأَنْ لَا يَلْبِسَهُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَقَالَ لِي رَبِّي: يَا مُحَمَّد , إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ جُوعًا فَأُهْلِكَهُمْ بِهِ وَلَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ , وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا , وَيَسْبِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَإِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إِلَّا الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) [3] وقد وقع والله ذَلِكَ ونسأل الله تَعَالَى السلامة والعافية ،

والمنهج الرَّبَّانِى الذى وضعه الله تَعَالَى لنبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام يندثر بعد فترة من الزمان فيبعث الله تَعَالَى رجلا من أبناء الأمة – لا رَسُول ا ولانبيا ، بل رجل من أتباع الرسل والأنبياء – عَلَى رأس كل مائة عام يجدد فى هذه الأمة هذا المنهج

[1] أى يقول الحقُّ بِيَدِى

[2] (مصنف عبد الرزاق 11/ 217 ، سير أعلام النبلاء 11/ 283 ، الإصابة في تمييز الصحابة 4/ 145)

[3] (صحيح بن حبان 4570 ، الصَّحِيحَة 1582)

النبوى والدستور الرَّبَّانِى ، فقد قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه و سلم : (إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَن يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)[1] ، قَالَ التويجرى رحمه الله : (قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تَعَالَى في كتاب "النهاية": "وقد ادعى كل قوم في إمامهم أَنَّهُ المراد بهذا الحديث ، والظاهر - والله اعْلَمْ - أَنَّهُ يعم حملة العلم من كل طائفة وكل صنف من أصناف العلماء؛ من مفسرين ، ومحدثين ، وفقهاء ، ونحاة ، ولغويين... إِلَى غير ذَلِكَ من الأصناف ، والله اعْلَمْ ". انتهى كلامه رحمه الله تَعَالى ، وما قاله حسن جدا.

وأما قصر الحديث عَلَى أشخاص معدودين ، في كل مائة سنة واحد منهم؛ فهو بعيد جدا ، والحديث لا يدل عَلَى ذلك؛ لأن لفظة (من) يراد بها الواحد ويراد بها الجماعة ، وعَلَى هذا فحمل الحديث عَلَى الجماعة القائمين بنشر العلم وتجديد الدين أولى من حمله عَلَى واحد بعد واحد منهم.) أ.هـ.[2] وقد أخرج الله تَعَالَى فى هذه الأمة الميمونة المباركة كثيرا من هؤلاء المجددين منهم القدامى والمحدثين رحمهم الله أجمعين ، ومن هؤلاء الأفذاذ فى عصرنا الحاضر - عَلَى سبيل المثال لا عَلَى سبيل الحصر إذ حصرهم من الصعوبة بمكان نظرا لكثرتهم ولله الحمد والمنة - الشيخ العلامة مُحَمَّد بن عبد الوهاب النجدى رحمه الله والشيخ الداعية الموفق مُحَمَّد إلياس الكاندهلوى الهندى رحمه الله والشيخ المفكِّر والداعية الإسلامي أبي الأعَلَى المودودى الهندى رحمه الله والأستاذُ النابِهُ المجاهد حسن البنا المصرى رحمه الله والشيخ العالم محمود بن مُحَمَّد بن أحمد خطاب السبكي المصري رحمه الله والشيخ العالم مُحَمَّد حامد الفقي رحمه الله .

فكل عالم من هؤلاء العلماء رحمهم الله تَعَالَى قد أحيا فى الأمة سنة وأمات بدعة وأظهر عَلَمًا من أعلام الدين ورفع منارا ، وكل واحد منهم كانت له قصة فى بيئة التى تربى فيها فدفعته إِلَى سلوك طريق يرنوا به إِلَى إحياء ما اندثر من الدين ونبذ ما يراه مخالفا لتعاليمه أو مناقضا لأصوله ، ولا نزعم أن أحدا منهم قد أحيا الدين كله وسمه ورسمه معا ، بل لكل منهم سهم فى نشر الدين

---

[1] (سنن أبي داود 4291 ، الصحيحة 599 ، صحيح الجامع الصغير 1874) ولا يشترط أن يكون واحدا فقط هو الذى يجدد للأمة دينها عَلَى رأس كل مائة عام بل يَجُوزُ أن يتعدد فى كل فن أو مصر من الأمصار أو ثغر من الثغور . فتنبه لِذَلِكَ رحمك الله ، والله المستعان .

[2] إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (1 / 336)

و تَحفِيزِ هِمَمِ المُسْلِمِين للتمسك به والسير عَلَى منهاجه ، وباجتماعهم يتكامل المنهج الإسلامى المنشود ، وترى ولله الحمد والمنة لكل منهم تابع فى كل بلاد العالم والحمد لله عَلَى ذَلِكَ ،

فترى أثر دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله المتمثلة فى الدعوة السلفية فى كل دول العالم ، وترى أثر دعوة الشيخ مُحَمَّد إلياس الكاندهلوى رحمه الله المتمثلة فى منهج التبليغ والدعوة منتشرة فى كل بقاع الأرض ، وترى أثر دعوة الشيخ أبى الأعَلَى المودودى رحمه الله المتمثلة فى الجماعة الإسلامية منتشرة فى شبه القارة الهندية ، وترى أثر دعوة الشيخ محمود خطاب السبكى رحمه الله المتمثلة فى الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المُحَمَّد ية منتشرة فى كثير من دول العالم ، وترى أثر دعوة الشيخ مُحَمَّد حامد الفقى رحمه الله المتمثلة فى جماعة أنصار السنة المُحَمَّد ية منتشرة فى كثير من دول العالم ، وترى أثر دعوة الأستاذ حسن البنا رحمه الله المتمثلة فى جماعة الإخوان المُسْلِمِين منتشرة فى أكثر دول العالم ، فكل جبل من أولئك الأعلام جعله الله تَعَالَى إماما لقطاع عريض من الأمة ، وأحيا الله تَعَالَى به كثير من السنن وأمات به كثير من البدع ، ولا نزعم العصمة لأى منهم ولا حتى الكمال ، وما زعم أحد منهم عن نفسه ذَلِكَ أو قَالَ أَنَّهُ أفضل من أحد من السلف ، أو أَنَّهُ أتى بما لم يستطعه الأوائل ، بل ولا حتى نوه بذَلِكَ ، بل كلهم من مشكاة النُّبُوَّة مستقى ، ومن معين علماء السلف مرتوى ،

وكلهم من رَسُول الله ملتمس ... غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم[1]

فليت تلك المناهج تلتقى على ما اتفقت عليه ، وتتناصح بالرفق واللين فيما اختلفت فيه ، وتتزاور فيما بينهما وتقوى أواصر الحب والود بين أبناء الأمة كلها ، فوالله لو حدث ذلك لعلت راية الإسلام وانتشرت شريعته ومُكِّنَ لأهله ، فنسأل الله ذلك . والحق أحق أن يتبع ، وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا ما جاء من مشكاة النُّبُوَّة ، والله المستعان .

وانظر رحمك الله بعين التدبر إِلَى قول حذيفة رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : (أَنَّهُ أخذ حصاة بيضاء ، فوضعها في كفه ، ثم قَالَ : إن هذا الدين قد استضاء استضاءة هذه الحصاة ، ثم أخذ كفا من تراب ، فجعل يذره عَلَى الحصاة حتى وارها ، ثم قَالَ : والذي نفسي

[1] (ديوان البوصيرى 240/1)

بيده ليجيئن أقوام يدفنون الدين ، كما دفنت هذه الحصاة) [1] .ووالله قد حدث ذَلِكَ عَلَى مر أربعة عشر قرنا ، ولكن الله تَعَالَى يقيض لكل صاحب فتنة صاحب سنة يبين عوره ويحذر المُسْلِمِين من شره ، ولكن أعوان الخير فى زماننا ندر ، قلما تجد منهم رهط فى مصر من الأمصار إلا من رحم الله ، وصدق الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام -رحمه الله تَعَالَى - توفي سنة 224 هـ- حينما قَالَ : (المتبع للسنة كالقابض عَلَى الجمر ، وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله - عز وجل-) [2] ، هذا في زمانه!! رحمه الله ... فكيف لو أدرك زماننا !؟ ولا شك أن الجهاد ذروة سنام الإسلام ولكن الفتنة حينما تعم فلن ينجوا منها إلا من سلمه الله وأراد به الخير ، فاللهم اجعلنا منهم .

ومن أولئك المجددين المخلصين والعلماء الورعين والدعاة المجتهدين ، بقية السلف فى الخلف ، فضيلة الشيخ مُحَمَّد إلياس الكاندهلوى رحمه الله ، سليل بيت الشرف والتدين والورع ، وإمام الدعوة وناشر السنة ورافع أعلامها فى زمانه رحمه الله ، احترق قلبه عَلَى حال أهل زمانه ، واقشعر جلده لما يراه من حال المُسْلِمِين المتنكبين لطريق رب العالمين ، ففهم حقا ما وصفه بن عمر رضى الله عنهما فى قوله : (لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمَان قبل القرآن ، وتنزل السورة عَلَى مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم ، ولقد رأينا اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمَان فيقرأ ما بين فاتحته إِلَى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه وينثره نثر الدقل .) [3] فقام رحمه الله يعلم الناس العلم فى المدارس ويخرج الطلبة الشرعيين لسنوات ، ثم لم ير أثرا لذَلِكَ لأن مفهوم العلم الشائع آنذاك هو نشر المعلومة النظرية – شبيهة بحال زماننا اليوم – فلم يقتنع بتلك الطريقة التى لم يجد لها أثرا بعد طول تعب ومشقه ، واختار الطريق الذى تعلمه من سيرة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهى تعليم العمل كما يُعَلَّمُ العلم وإحياء الإيمَان فى القلوب ، فراح يشحذ الهمم ويعَلَى القامات ، ويوقظ فى الناس عز الدين ومجد الإسلام ، والعمل لنشر الإسلام وفضائله بين الناس ، وتعليم الناس حياة الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعَلَى منهاج النُّبُوَّة ، فاستجاب له

[1] (من رسالة الكلام الندي في الاحتفال بميلاد النبي)
[2] (تاريخ بغداد للخطيب البغدادي 12/ 410)
[3] (مستدرك الحاكم 101 ، البيهقي في سننه 3/ 120)

قليل من فقراء الميوات – اسم قرية فى الهند - ، فاستعملهم الله تَعَالَى لإحياء التَّوْحِيد واليَقِين الكامل عَلَى رب العالمين فى جميع أرجاء شبه القارة الهندية – الهند وباكستان وبنجلاديش – فهدى الله بهؤلاء الفقراء المعوزين كثير من عصاة المُسْلِمِين ، وأسلم عَلَى أيديهم ألوف من غير المُسْلِمِين ، حتى صارت تلك البقاع عَلَى شدة فقرها مهوى أفئدة كثير من الدعاة المخلصين ليتعلموا اليَقِين العملى والإخلاص فى العبادة والأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة وفنون الدعوة والزهد فى الدنيا وغير ذَلِكَ من شعب الإيمَان الذى افترضه الله تَعَالَى عَلَى عباده ، ولعلك لو رأيت هؤلاء الضعفاء المساكين و الفقراء المجتهدين لنشر هذا الدين فى أحد اجتماعاتهم لتذكرت قول الْحَسَن البصرى رحمه الله عن الرعيل الأول : (أَدْرَكْتُ عَشَرَةَ آلَافٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَوْ رَأَوْكُمْ لَقَالُوا: مَا لِهَؤُلَاءِ؟!! مَجَانِينُ؟ [وَلَوْ رَأَيْتُمُوهُمْ لَقُلْتُمْ: هَؤُلَاءِ مَجَانِينُ] ، وَلَوْ رَأَوْا خِيَارَكُمْ لَقَالُوا: مَا لِهَؤُلَاءِ فِي الْآخِرَةِ مِنْ حَاجَةٍ ، وَلَوْ رَأَوْا شِرَارَكُمْ لَقَالُوا: مَا يُؤْمِنُ هَؤُلَاءِ بِيَوْمِ الْحِسَابِ.) [1] فلله درهم من قائمين لله تَعَالَى بحجة ، وداعين إليه عَلَى بصيرة ،

وكان من أبناء هذه المدرسة الدعوية الربانية ، رجل ذاع صيته وشاع واشتهر عَلَمُهُ فى الآفاق ، وجعله الله تَعَالَى سببا لفتح عظيم فى أرجاء المعمورة ، فدار فى دول كثيرة من دول العالم ، ولما بلغ هذه الرتبة البهية أسماه علماء الدعوة رحمهم الله (لسان الدعوة السلسال) نظرا لما يقوم به من جهد ومن تحمل مشقة فى نشر الدين فى العالم ، وهذا العَلَمُ هو الشيخ مُحَمَّد عمر البالمبورى رحمه الله .

وإنى متمثل قول الإمام مالك رحمه الله تَعَالَى (مَا فِي زَمَانِنَا شَيْءٌ أَقَل مِنَ الإِنصَاف) [2] وقول الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ أيضًا: (فَقَدْ صِرْنَا فِي وَقْتٍ لَا يَقْدِرُ الشَّخْصُ عَلَى النُّطقِ بِالإِنصَافِ) قد عزمت بفضل الله إنصاف قوم من المُسْلِمِين ، ونشر فضائلهم وما خفى عَلَى كثير من الناس من مآثرهم ، بل وما تعمد أقوام من إخواننا إخفاؤه من مناقبهم ومنارات جهدهم فى العالم كله ، وإظهار الحق الذى يخرج من أفواههم ثم يحاول المناوئيين لهم كتمه بل والتدليس عليهم بقلب الحقائق وتزيف الأخبار ، وصدق

[1] (البدع والنهي 157 ، حلية الأولياء 2/ 134)
[2] (جامع بيان العلم وفضله 1/ 531)

فيهم قول أبى مسلم الخولاني : (كَانَ النَّاسُ وَرَقاً لَاَ شَوْكَ فِيهِ ، فَإِنَّهُم اليَومَ شَوكٌ لا وَرَق فِيه ؛ إِن سَابَبْتَهُم سَابُّوكَ وإِن نَاقَدْتَهُم نَاقَدُوكَ وَإِن تَرَكتَهُم لَم يَتْرُكُوكَ وَ إِن فَررتَ مِنهُم أَدْرَكُوكَ ،

فقال رجل : كيف أصنع ؟ قَالَ : اعطِ مِن عِرضِكَ لِيَومِ فَقْرِكَ) [1].

وقول أبى الدرداء - رضي الله عنه- : (من يتفقد يفقد ومن لا يعد الصبر لفواجع الأمور يعجز ، إن قارضت الناس قارضوك وإن تركتهم لم يتركوك قَالَ فما تأمرني قَالَ اقرض من عرضك ليوم فقرك) [2]. فلم يسلم أهل الدعوة من قدح القادحين وسب السابين بحجة أو بغير حجة ، وما هى إلا نقولات لا تصح عنهم فتضخم وتعظم ، ويرمون بعظائم الأمور التى ربما استحيا إبليس من رميهم بها !

بل الأعظم من ذَلِكَ والأطم أنهم يكذبون عليهم ، كما قَالَ أحد الحكماء

إن يعلموا الخير أخفوه وإن علموا ... شرا أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا

والعجب العجاب أنك إن أظهرت لهم الحق وأبنت لهم عن الدليل ، سدوا آذانهم وما استمعوا منك كلمة ، والله المستعان .

وياليتهم يفهمون أصول علماء الدين والسنة من أمثال أقوالهم

وَمَنِ ذَا الذِي مَا سَاءَ قَطُّ ** وَمَن لَهُ الحُسْنَى فَقَط

وَلَوِ انتَقَدتَ بَنِى الزَمَانِ**وَجَدتَ أَكثَرَهُم سَقَط

ولكننى أعزى نفسى كلما أسمع ذَلِكَ القذف والسب والشتم ، وأسليها بقول القائل :

---

[1] (مصنف ابن أبي شيبة 35373 ، حلية الأولياء 123/2 و 3/ 162 ، تاريخ دمشق 27/ 228)

[2] (حلية الأولياء 1/ 218 ، مصنف ابن أبي شيبة 35739)

وَعَينُ الرِّضَا عَن كُلِّ عَيبٍ كَلِيلَةٌ ** وَلَكِنَّ عَينَ السُّوْءِ تُبْدِي المَسَاوِيَا

ومثل قول الآخر

تالله لو صحب المرء جبريلا ...لم يسلم من قَالَ ومن قيل

قد قيلَ في اللهِ أقوالٌ مسمّاة ...تتلى إذا رتّل القرآن ترتيلا

ولا حول ولا قوة إلا باللهِ العَلَى العظيم .

وإذ أننى تربيت فى بيت رجل منهم فوالله ما رأيت مطلقا شيئا من هذه الأمور التى يُرمى بها أهل التبليغ والدعوة من شرك فى الألوهية أوبغض للعلم الشرعى أو وحدة الوجود أوالحلول والإتحاد أوالاعتقاد فى المنامات أوبغض التَّوْحِيد أوالنفرة والتحذير من العلم ولا عشر معشاره - ولعل ما أكتبه فى تلك الرسالة يعبر عن بعض شىء مما فى صدرى ، فلعل منصف يقرأ ويحكم - ، ولا يعنى هذا تبرئة أهل المنهج فى العالم كله من شىء من هذه الأخطاء إن وجدت !! بل ربما يوجد بعض منها فى بعض البلدان ممن هم ليسوا عَلَى الجادة أو لم يتربوا التربية الكاملة أو بقى فى قلوبهم شىء من الران الذى نشئوا عليه قبل التزامهم بمنهج التبليغ ، ومع وجود تلك الأخطاء القليلة فى بعض الأفراد القليلين فإن أحدا منهم لم يدعوا لتلك المخالفة ، ومن ظهرت منه بدعة فهو أحق أن يُدعى ويُوعظ ، وقد بين ذَلِكَ علماء أهل الدعوة مرارا وتكرارا حتى تواتر الأمر عنهم ومن ذَلِكَ عَلَى سبيل المثال قول الشيخ إنعام الحسن الكاندهلوى رحمه الله فى رده عَلَى رسالة للشيخ سعد الحصين (كذَلِكَ لا ننكر أن كثيراً من الناس والشباب المنحرفين تابوا من المعاصي وعادوا إِلَى الصراط المستقيم, لكن بقي فيهم بعض آثار الانحرافات السابقة وهم بحاجة إِلَى تثقيف ووعي إسلامي أعمق فهذه الانحرافات لا ينبغي أن تنسب إِلَى الدعوة, فإننا أحياناً نضطر لغض النظر عنها للظروف القاهرة, بل يحتاج هذا إِلَى المشاركة من أمثالكم في هذا العمل الجليل لتثقيفهم وتربيتهم . أمّا أصول الدعوة فهي معروفة لديكم ولدى الجميع ولا خلاف فيها بين أحد من الناس, وهي التي نحرص عليها في هذا العمل وندعوا إليها كافة الناس عرباً وعجماً, أما المسائل

الدقيقة العلمية فعادةً نحيلها إِلَى العلماء المختصين ونقول لهم: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[1] ، هذه حقيقة معروفة بين العرب والعجم لا خفاء فيها, وكل ذَلِكَ حرصاً عَلَى جمع شمل الأمة .أ.هـ)[2] ونسأل الله الهداية للجميع والله عَلَى ما أقول شهيد وهو حسبى ونعم الوكيل - ولكنى لما سمعت من أولئك الناقمين خلاف ما رأيت بعينى رأسى ، وما تربيت عليه فى بيتى ، وما سمعت من أكابرهم وعوامهم قد عزمت أن أكتب شيئا أبين فيه شيئا من الحق الذى يتعمد كثير من الناس إخفاؤه ، فوقفت عَلَى كتاب قيم عن حياة الشيخ البالمبورى رحمه الله بعنوان (لسان الدعوة والتبليغ فضيلة الشيخ مُحَمَّد عمر البالمبورى رحمه الله) جمع وترتيب فضيلة الشيخ الدكتور مُحَمَّد عَلَى شرقاوى حفظه الله ، ويعرض الكتاب حياة جهبذ من جهابذة هذه الدعوة المباركة – وهم كثر ولله الحمد – وكيف أفنى حياته من قارة إِلَى قارة ناشرا لدين الله تَعَالَى مبلغا عن رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وسرد عدة بيانات للشيخ رحمه الله قد حوت نفائس ودرر قل نظيرها ، وذَلِكَ فى يوم الخميس الواقع فى 27 صفر 1431هـ ، الموافق 11 فبراير 2010 م فقرأته من أوله إِلَى آخره قراءة متأنية ، وانشرح صدرى حينما رأيت الحق البليغ يظهر من كلام الشيخ رحمه الله ، ورأيت التَّوْحِيد الخالص الذى كانوا يُرْمَوْنَ بضده هو رأس ماله وعنوان كلامه ، وأصل المنهج السلفى الحق فى منهجه ، ورأيت فهم القرون المفضلة الأولى ينبعث من قريحته رحمه الله ، وتعجبت حينما رأيت ذَلِكَ الكلام الذى لا يخرج إلا من مشكاة تربت فى رحاب المنهج النبوى الرَّبَّانِى الصحيح الصافى ، فبدأت أدون ملاحظاتى فى هامش الكتاب حتى انتهيت منه وذَلِكَ فى يوم الإثنين الواقع فى 15 ربيع الأول 1431هـ الموافق لغرة شهر مارس 2010م ، ثم أعدت قرائته كاملا – طبعة - عدة مرات لأتمعن فى كلام الشيخ رحمه الله ، واستنبطت من كلامه شيئا مما يريد إيصاله للسامعين ، وجعلت هذا الكتاب مصدرى فقط ومحل بحثى ودراستى ، - لندرة المصادر عندى عن الشيخ ولعَلَى أظفر بغيره فأزيد فى الرسالة شيئا يزيد الأمر وضوحا إن شاء الله - وجعلت عادتى فى الرسالة كلها قولى (قَالَ الشيخ رحمه الله) أَعْنِى الشيخ مُحَمَّد عمر البالمبورى رحمه الله عِند كل نقل بدون التصريح باسمه باعتبار الرسالةَ من كلامه فقط ومدارها عليه ،

[1] (الأنبياء 43)

[2] من رسالة من الشيخ إنعام الحسن رحمه الله جوابا عَلَى رسالة للشيخ سعد الحصين عفا الله عنه ، وهى رسالة جديرة بالقراءة والتمعن ، لمن أراد الانصاف . فانظرها بارك الله فيك .

ولكنَّ هناك بعض النقول عن غيره من المشايخ التى أخذتها من الكتاب أيضا فعزوتها إِلَى قائليها وهى قليلة جدا معدودة عَلَى الأصابع ، ولم أتصرف فى حرف واحد مما نقلته من الأصل ، بل نقلته بلفظه ولحظه ولم أتصرف إلا فى ترتيب أجزاءه عَلَى الفصول ونقلت تخاريج الأحاديث وعزو الآيات من أصل الكتاب لقناعتى أنها ليست من كلام الشيخ البالمبورى بل هى من صنع المؤلف جزاه الله خيرا ، ووضعتها فى الهوامش ووضحتها بزيادةِ عدةِ تخاريجَ عليها حتى تُيَسِرَ الوصول للمصادر أو المراجع ، وقدمت فى بداية كل فصل بمقدمة وجيزة تبين المراد من الفصل وتقرب مراد الشيخ ، وكتبت قليلا من التعليقات التى لابد منها لحل لفظ مشكل أو كلمة غامضة عقب عنوان كل فصل وربما كررت أمورا عن قصد أو شبه عمد لأقرر مسائل بتكرارى لها وما تكرَّرَ تقرَّرَ ، فأثمر ذَلِكَ رسالتى هذه إظهارا للحق البليغ من كلامه رحمه الله ، وأسميتها (إِظْهَارَ الحَقِّ البَلِيغِ مِنْ لِسَانِ الدَّعْوَةِ وَالتَّبْلِيغِ فَضِيلَةِ الشَّيخِ العَلاَّمَة مُحَمَّد عُمَرَ البَالَمْبُورِيِّ رَحِمَهُ اللهُ) التى أردتها كنظرة علمية شرعية تحليلية منصفة فى هذا الكتاب ، كمحاولة المُقِلِّ لِلذَّبِّ عن أعراض إخواننا من أهل الدعوة جزاهم الله خيرا . جزاءا وفاقا لما يقومون به من خدمة المنهج النبوى فى الدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى . والعبرة عندى بما يقوله الرجل رحمه الله ليل نهار ويسير به فى مشارق الأرض ومغاربها لا بما ينقل عنه من غير الثقات والله المستعان ، وكل فصل من فصول الكتاب يرد عَلَى شبهة عظيمة وفرية جسيمة رُمِىَ بها أهل التبليغ والدعوة فجاء الكتاب يُنْكِرُ مُنْكَرَ هذه الشبهات فى صورة الأمر بالمعروف وبالإشارة يفهم اللبيب ، ولم أصرح بالشبهة والجواب عليها حتى لا يدفن الكتاب بحجة أَنَّهُ دفاعا عن فصيل من الأمة الإسلامية ، بل هو بإذن الله تَعَالَى نافعا للأمة كلها بإذن الله تَعَالَى ، ولما كان الشيخ رحمه الله من كبار علماء أهل الدعوة ومشايخهم ومعاصر لشيخها الثانى العلامة مُحَمَّد يوسف الكاندهلوى رحمه الله كانت كل كلمة من كلماته جديرة بأن توزن بميزان الذهب الحساس ، ولذَلِكَ كانت تلك الاستنباطات غيض من فيض وقطر من بحر مما يقصده الشيخ رحمه الله ، وأرجوا أن لا يتوقف أحدا من العلماء من الصدع بالحق بعد طول توقف عَلَى أهل التبليغ العجم بعد قراءة هذا الكتاب ، والله المستعان وعليه التكلان .

ولا أُحِلُّ لأحد أن يفهم أننا ندعى العصمة للشيخ فى كل أقواله أو أننا لا نرد عَلَى أحد كائنا من كان إن تبينت لنا مخالفته ، كلا ! بل ما وافق الشرع الحنيف من قوله قبلناه منه أو من غيره وما خالف الشرع رددناه عليه أو عَلَى غيره ، - ولا كرامة للقول المخالف - مع حفظ مكانات العلماء والدعاة ، فمع حبنا للشيخ رحمه الله غير أن الحق أحب إلينا منه ، وكلٌّ يُؤخذُ من قوله ويُترك إلا صاحب السنة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام .

كذَلِكَ لا يَجُوزُ لأحد كائنا من كان أن يرد الحق الأبلج من أى إنسان كائنا من كان بحجة أن له أخطاء فى بعض مسائل ، وذَلِكَ لسقم هذا المنهج ومخالفته لصريح الكتاب ولصحيح سنة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ تَعَالَى : (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ) وقد قبل النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحق والصدق من الكذوب - اى من كان الكذب ديدنه - ورأس الشر فى الأرض والطاغوت الأكبر وأول من جهر بمعصية وهو إبليس عليه لعنه الله ! ولم يمنعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفر إبليس من قبول الحق منه ، ففى صحيح البخارى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ ، فَأَصْبَحْتُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ » ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُول اللَّهِ ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً ، وَعِيَالًا ، فَرَحِمْتُهُ ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ ، قَالَ: « أَمَا أَنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ ، وَسَيَعُودُ » ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ ، لِقَوْلِ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَيَعُودُ ، فَرَصَدْتُهُ ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ ، فَأَخَذْتُهُ ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ ، لاَ أَعُودُ ، فَرَحِمْتُهُ ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ ، فَأَصْبَحْتُ ، فَقَالَ لِي رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ » ، قُلْتُ: يَا رَسُول اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً ، وَعِيَالًا ، فَرَحِمْتُهُ ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ ، قَالَ : « أَمَا أَنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ » ، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ ، فَأَخَذْتُهُ ، فَقُلْتُ : لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُول اللَّهِ ، وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ

كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا ، قُلْتُ: مَا هُوَ ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: (اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ) < البقرة: 255 > ، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ » ، قُلْتُ: يَا رَسُول اللَّهِ ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ ، قَالَ: « مَا هِيَ » ، قُلْتُ : قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: (اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ) < البقرة: 255 > ، وَقَالَ لِي : لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَا أَنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ » ، قَالَ: لاَ ، قَالَ: « ذَاكَ شَيْطَانٌ » فانظر كيف قبل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحق من قول إبليس وبين باطله فى ذات الوقت ، ومن ذَلِكَ يتبين عور منهج من يكفر حسنات أقوام لسماعه لهفوات عنهم ، وكذا يتبين عور أقوام يرفعون مشايخهم وساداتهم فوق المراتب التى يستحقونها مع وقوعهم فى ضلالات وبدع ، أما المنهج الصحيح هو بين ذَلِكَ وذَلِكَ بأن تقبل الحق من الشخص إن قاله وتبين خطأه إن أخطأ ، ولا يمنعك حبك له من عدم تبين خطأه ولا بغضك له من عدم قبول الحق منه ، والله المستعان .

ولا أزعم أن هذا العمل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بل هو عمل بشرى يعتريه النقصان والخلل ، والخطأ والزلل ، وحسبى من ذَلِكَ أننى بشر و قولى : (اللهم إن هذا سهمى للذب عن أعراض المستضعفين ، فإن كنت تعلم فيه خيرا فيسر نشره ، وفهمه ، وتعلمه ، وقبوله ، وإن كنت تعلم أن لا خير فيه فعامله بما أنت أهله فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة ، وأنت علام الغيوب) ولا أزعم كذَلِكَ أن هذا البحث أتى بما لم يستطعه الأوائل بل هى لبنة فى صرح التبليغ والدعوة ، أظهرت شيئا هو من اليَقِين بمكان عِند أهلها – أعنى أهل الدعوة - لكنها منسية مدفونة عِند أعدائها ، وجزى الله مؤلف الأصل الشيخ الدكتور مُحَمَّد عَلَى شرقاوى حفظه الله خير الجزاء عَلَى ما قدم للإسلام والمسلمين ، ولا ينكر أحد ثمرة كتابه الجليل فى نفوس الأحباب فى كثير من البلدان ، فقد تلقوه بالقبول ولله الحمد والمنة ، وأتقدم بالشكر الجزيل لكل من رمقنى بنظرة

لطف أو نصحنى بنصيحة أو علمنى حرفا أو سدا خللا ، أو منحنى دعوة بظهر الغيب ، وأسأل الله تَعَالَى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه ، وأن لا يجعل لأحد من خلقه فيه شيء ، أَنَّهُ ولى ذَلِكَ والقادر عليه .

وَكَتَبَهُ

الرَّاجِى صَلَاحَ قَلْبِهِ وَعَفْوَ رَبِّهِ

أَبُو إِلْيَاسِ طَهَ بنُ إِبْرَاهِيمَ القَلَمُوشِيّ المِصْرِيّ

الأَرْبَعَاءَ

11 ربيع الآخر 1433 هـ الموافق 5/2 مايو /2012 مـ

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ دَعْوَةَ الأَنْبِيَاءِ – عَلَيهِمُ السَّلامُ - كُلِهِمْ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى التَّوْحِيد .

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ وَوَفَّقَكَ لِهُدَاهُ ، أَنَّ دَعْوَةَ الأَنبِيَاءِ كُلِّهِمْ وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَى ، فَمَا مِنْ نَبِيٍ أَرْسَلَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَّا وَقَدْ دَعَا قَوْمَهُ أَوَّلَ مَا دَعَاهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَى وَنَبْذِ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ، قَالَ تَعَالَى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُول إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [1] .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يرسل الوفود والسرايا ويوصيهم بثلاث وصايا :

الأولى : ادعوهم إِلَى كلمة التَّوْحِيد أى أسلم تسلم ، فكانوا يدعون النَّاس إِلَى التَّوْحِيد ، فإن أسلموا فدماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا ، لكن لو لم يقبلوا كلمة التَّوْحِيد فهنا ،

الوصية الثانية : أن يدفعوا الجزية ، ويكونوا رعايا لكم ، ثم بالمعايشة هم ينظرون للإسلام فعندهم الوقت حتى يشاهدوا المُسْلِمِين وحياتهم فيؤمنوا ، فهنا كأنها دعوة تفصيلية لأن المُسْلِمِين يقيمون بين أظهرهم ويفتحون الدكاكين ، ويعملون فى التجارة ويجعلون المَسَاجِد ، ولا يهدمون كنائسهم ولا يقتلون الرهبان ولا يأخذون النساء ، فهؤلاء النَّاس ينظرون لتلك الأخلاق العالية ، والمعاشرة الطيبة ، والمعاملة الحسنة فهم يتأثرون منهم ويدخلون الإسلام ، لكن لو ما قبلوا ذَلِكَ هنا ،

الوصية الثالثة : القتال ، وهنا دون تخريب أو تدمير أو إيذاء يقع بالضعفاء أو تحميل النَّاس فوق ما لا يطيقون) [2]

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (جميع الأنبياء قاموا بدعوة النَّاس دعوة واحدة : (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [1] ، كلام واحد وما كانوا يريدون بدعوتهم أى غرض من الدنيا والله يخبر بهذا عَلَى ألسنة رسلهم : (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ

---

[1] (25 الأنبياء)
[2] لسان الدعوة : (205)

إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)[2] ، وأسلوبهم واحد ، كانوا يخرجون للناس : (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ)[3]. (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ أَنَّهُ طَغَى)[4] كيفية الذهاب ؟ (وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي)[5] وكيفية الكلام ؟ (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا)[6] ، هذا تدريب الدعوة ، فما عندنا شرائط ومنشورات تأسيا بأسلوب الأنبياء ، فأول شيء مطلوب حرقة القلب)[7]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ .

اعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ خَالِقُ هَذَا الكَونَ بِمَا فِيهِ ، وَهُوَ بَارِئَهُ ، وَهُوَ المُتَصَرِّفُ الوَحِيدُ فِيهِ ، لَا يَسْتَطِيعُ مَخْلُوقٌ أَنْ يُحَرِّكَ سَاكِنَاً أَوْ يُسَكِّنَ مُتَحَرِّكَاً إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ تَعَالَى ، فَاللهُ هُوَ الرَّبُّ وَكُلُّ المَخْلُوقَاتِ مَرْبُوبَةٌ لَهُ مُسَخَّرَةٌ بِتَسْخِيرِهِ تَعَالَى مُدَبَّرَةٌ بِتَدْبِيرِهِ ، وَلِكُلٍ مِنْهَا رَسْمٌ يَقِفُ عَلَيْهِ وَحَدٌّ يَنْتَهِى إِلَيهِ ، لَا يُجَاوِزُهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ، قَالَ تَعَالَى : (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)[8]

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إِلَى آخر نفس فى الحياة نطبق أوامر الله وسنة الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هذا لا يتحقق إلا بعد الجهد والتضحية ، وما هو اليَقِين عَلَى هذه الكلمة ؟ يتيقن أَنَّهُ لا نافع ولا ضار إلا الله ، لا معز ولا مذل إلا الله ، النفع والضر بيد الله وحده ، وليست بهذه الأشياء والوسائل المنتشرة فى الأرض ، من أراد الله له الفلاح يفلحه فى الفقر والمرض ، ومن أراد أن يذله ، يذله فى أسبابه وقصره وماله مثلما حدث لقارون)[9]

---

[1] (56 الأعراف وكذا 73 ، 85 وغيرهم)
[2] (109 الشعراء وكذا 127 ، 145 ، 146 ، 180)
[3] (1 نوح)
[4] (43 طه)
[5] (42 طه)
[6] (44 طه)
[7] لسان الدعوة : (311)
[8] (102 الأنعام)
[9] لسان الدعوة : (193)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلق الكون الذى نراه حولنا من السموات وما فيها ، من شمس وقمر ونجوم ، والأرض وما فيها ، من جبال وبحار وثمار ، وخلق الجَنَّة والنار ، وخلق ما علمناه وأخبرنا عنه ، وما لم نعلمه وقد غاب عنا ، والله خلق كل هذا بقدرته سبحانه ، وخلق الإِنسَان)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله تَعَالَى قادر ، خلق السموت والأرض ، وما نرى وما لا نرى ، بأمره كن فيكون ، لا يحتاج إِلَى النظام ولا الترتيب ، الإِنسَان لا يستطيع أن يَقُولُ كونى سيارة ، بل يحتاج إِلَى ترتيب ، ولكن الله تَعَالَى لا يحتاج إِلَى شىء (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[2] ، فالله خلق بعض الأشياء تدريجيا هذه سنته ، كما خلق الإِنسَان فى بطن أمه تدريجيا ، وكما خلق الإِنسَان أولا نطفة ثم كان علقة ، فمضغة ، ... خلق الإِنسَان فى ظلمات ثلاث ، وفى هذا المكان الضيق الله أعطاه جميع الجوارح التى بها يكمل الإِنسَان ، وما أعطاه الإسنان فى بطن أمه ، لأنه لو أعطاه الأسنان عِند الرضاعة يقطع ثدى أمه ، والله تَعَالَى ما نسى أى إنسان من الجوارح (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا)[3] ، يوميا عشرات الملايين من البشر يولدون ، وكَذَلِكَ فى وقت واحد هو ينبت الزرع ويخلق الحيوانات والإنس والجن ، وفى وقت واحد يرزق كل واحد منهم ، فالإنسان ما يستطيع أن يفعل شيئين فى وقت واحد)[4]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ مَعنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهِ .

اعْلَمْ أَنَّ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ : هُوَ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍ إِلَّا اللهُ ، وَالعِبَادَةُ هِىَ كُلُّ مَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُصْرَفَ إِلَّا لِلهِ أَوْ فِعْلُ كُلُّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ وَالتُّرُوكِ ، وَثَمَرَةُ ذَلِكَ أَنْ تُطَبِّقَ ذَلِكَ فِى وَاقِعِ حَيَاتِكَ بِأَنَّ تُخْرِجَ اليَقِينِ البَاطِلَ عَلَى الأَسْبَابِ مِنْ قَلْبِكَ وَتَتَيَقَّنَ عَلَى اللهِ فِى كُلِّ شَيْءٍ ، وَلِلعِبَادَةِ أَنْوَاعٍ كَثِيرَةٌ وَمَعْلُومَةٌ مِنْهَا الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ وَالحَجُّ وَالصَّدَقَةُ وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ

---

[1] لسان الدعوة : (281)
[2] (82 يس)
[3] (64 مريم)
4 لسان الدعوة : (314)

وَالنَّهْى عَنِ المُنكَرِ وَ الدُّعَاءُ وَالنَّذْرُ وَالخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَالطَّلَبُ وَالذَّبْحُ وَالاسْتِغَاثَةُ وَالاسْتِعَانَةُ وَاليَقِين وَالتَّوَسُلُ وَالاخْلَاصُ وَالقَصْدُ وَغَيْرُ ذَلِكَ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فهنا (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [1] أى لا معبود بحق إلا انت ولا مستعان به سواك) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ومن يقر بالشهادة يخرج الإِنسَان اليَقِين بكل ما سوى الله ، وبإقرار الشهادتين هو عهد مع الله ، فإنه لايعبد إلا الله ، ولا يستعين إلا به) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله تَعَالَى له ترتيب أَنَّهُ من كان فى قلبه الإِيمَان بِاللهِ تَعَالَى وأعماله عَلَى طريق النَّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا يفلح وينجح ، نحن عاهدنا الله تَعَالَى ألا نعبد إلا إياه ولا نطيع إلا نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) [4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ولَا إِلَهَ إِلَّا الله معناه لا معبود بحق إلا الله ، إذا أراد العزة لإنسان لا يستطيع أى مخلوق أن يذل هذا الإِنسَان ، إذاً نحن نقوم بالأعمال فى المَسْجِد ، ونتذاكر فى فرعون وقارون وهامان فنعرف ماذا فعل الله لكل من تجبر وتكبر ورفض نداء الأنبياء ؟) [5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فالإِيمَان بذات الله ألا نعتمد عَلَى غير الله ، ولا رجاء بغير الله ، ولا استعانة بغير الله ، ولا نعبد إلا الله ، ولا نسجد إلا لله ، بعد ذَلِكَ تأتينا نصرة الله ، ونعلم أن نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ركزوا جهدهم عَلَى تعليم الأمة الإِيمَان ، وأخذوا أضعاف وقت تعليمهم الأعمال) [6]

---

1 (5 الفاتحة)
2 لسان الدعوة : (151)
3 لسان الدعوة : (185)
4 لسان الدعوة : (193)
5 لسان الدعوة : (326 – 327)
6 لسان الدعوة : (394)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَرْكَانِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

اعْلَمْ أَنَّ لِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رُكْنَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ هُمَا النَّفْيُ وَالإِثْبَاتُ ، نَفْيُ الأُلُوهِيَّةِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَى اللهِ تَعَالَى وَإِثْبَاتِهَا لَه سُبْحَانَهُ . وَتَتَضَمَّنُ حَصْرُ وَقَصْرُ العُبُودِيَّةِ عَلَى اللهِ تَعَالَى .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (لما قام رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدعوة النَّاس إِلَى اللهِ ، نفى كل ما سوى الله في قلوبهم) [1]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (فما هو الإيمان ؟ هو لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وهذا نفي وإثبات) [2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ التَّوْحِيد الكَامِلِ .

اعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ التَّوْحِيدَ مِنْ عَبْدِهِ مَشُوباً بِشَوَائِبِ الشِّرْكِ ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً لِلهِ أَشْرَكَ فِيهِ مَعَهُ غَيْرُهُ تَرَكَهُ وَشِرْكَهُ ، فَالتَّوحِيدُ الكَامِلُ هُوَ مَطْلُوبُ رَبِّ العَالَمِينَ مِنْ خَلْقِهِ ، وَهُوَ أَن يَصْرِفَ جَمِيعَ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ ، فَلَا يَنْذِرُ إِلَّا لِلهِ تَعَالَى وَلَا يَذْبَحُ إِلَّا لَهُ وَلَا يَخَافُ إِلَّا مِنْهُ وَلَا يَتَيَقَّنُ إِلَّا عَلَيْهِ وَلَا يَسْتَغِيثُ إِلَّا بِهِ وَلَا يَضْرَعُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَالتَّوْحِيدُ هُوَ الإِيمَان ، وَهُمَا مُتَرَادِفَانِ ، فَتَحْقِيقُ الإِيمَان هُوَ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ ، وَمَنْ نَقَضَ وَاحِداً مِنْهُمَا فَقَدْ نَقَضَ الآخَرَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (سيدنا إبراهيم كان عنده توحيد كامل ، وأبوه كان وزيرا ، ودعاه إِلَى التَّوْحِيد وكسرا الأصنام ودعا النمرود ، ومع هذا دعا الدعاء ، وكان خائفا فقال : (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ) [3] هذا موحد كبير ويطلب مِنَ اللهِ أن يثبته عَلَى هذا التَّوْحِيد ، فهكذا نحن نتضرع إِلَى اللهِ تَعَالَى ، وندعوه حتى يثبتنا) [4]

---

[1] لسان الدعوة : (185)

[2] لسان الدعوة : (394)

3 (35 إبراهيم)

4 لسان الدعوة : (285)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الإنسَان يَقُولُ لفظ الإيمَان ولكن القلب ليس فيه حقيقة الإيمَان ، فى زماننا عَلَى اللسان كلام التَّوْحِيد ، ولكن توحيد القلوب ضعيف جدا لأنه يعتمد عَلَى غير الله ، والذى يكون فى قلبه الإيمَان والتَّوْحِيد لا يكون عَلَى لسانه فقط بل فى قلوبهم ، وهذا لا يكون إلا بالدعوة والتضحية ، فيصبح الإنسَان لا يخاف من جميع القوات الهدامة ، جميع القوات أمام قدرة الله كنسيج العنكبوت ومثل جناح بعوضة قَالَ تَعَالَى (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا)[1])[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (وإذا أخرجنا من قلوبنا الخوف من غير الله والرجاء من غير الله ، بعد ذَلِكَ تأتينا نصرة الله ، الله يَقُولُ : (الم ، أَحَسِبَ النَّاس أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَ اللهِ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)[3]) وقَالَ (تقول إنك موحد ، يجب أن تخجل ، فقط توحيد باللسان لا يكفى ، لابد أن يرسخ فى قلوبنا)[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (من المؤمن ؟ الذى يؤمن بِاللهِ تَعَالَى وأنه صمد ، وأن النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسل مِنَ اللهِ تَعَالَى ، والذى ما آمن بِاللهِ تَعَالَى فهو كافر)[5]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ الدَّعْوَةَ لاَ تَكُونُ إلاَّ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ .

اعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْجَبَ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ أَنْ تَدْعُوَا النَّاسَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ (وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ)[6] ، فَالدَّعْوَةُ تَكُونُ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَالى تَوْحِيدِهِ دُونَ مَا سِوَاهُ وَ عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ وَإِخْلَاصِهَا لَهُ وَالى تَعْظِيمِ أَوَامِرِهِ

---

1 (41 العنكبوت)
2 لسان الدعوة : (304)
3 (1 – 3 العنكبوت)
4 لسان الدعوة : (305)
5 لسان الدعوة : (335)
6 (67 الحج)

وَتَقْدِيرِهِ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَالى كِتَابِهِ العَزِيزِ المَحْفُوظِ مِنَ التَّحْرِيفِ ، وَالى سُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَارَ عَلَى ذَلِكَ أَصْحَابُهُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، وَلَيْسَتِ الدَّعْوَةُ إِلَى جَمَاعَاتٍ أَوْ جَمْعِيَّاتٍ أَوْ أَحْزَابٍ أَوْ فِرَقٍ أَوْ أَشْخَاصٍ أَوْ أَفْكَارٍ أَوْ مَبَادِىءَ أَوْ أَلْوَانٍ أَوْ عِرْقِيَّاتٍ أَوْ نَسَبٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ كَثِيْرٌ فِى زَمَانِنَا عَافَانَا اللهُ مِنْ ذَلِكَ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كما أن أهل الهند ضحوا فى الأول وتحملوا المشقة ، الله أيد بهم الدين بهذه الدعوة المباركة ، فهكذا نحن وأنتم نجتهد ونخرج للناس وندعوهم إِلَى اللهِ ، ليكون عندهم المجاهدة والإنابة فالله يهديهم)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله تَعَالَى جعل يحتاج لقضاء شهواته وحاجاته ، وقاضى الحاجات هو الله تَعَالَى ، ولا بد للإنسان أن يقضى حاجاته حسب أوامر الله وعَلَى طريق الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فالمطلوب من واحد ألا يدعوا النَّاس إِلَى طريق قومه وعشيرته ، بل يدعوا النَّاس إِلَى طريق الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى أى بلد كان ، مثل سيدنا صهيب رضى الله عنه ، وسيدنا سلمان الفارسى رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، وسيدنا بلال رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، هم من بلاد مختلفه ، ولكن اجتمعوا عَلَى طريق واحد هو طريق النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو طريق منزه عن العيوب)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الحمد لله الذى أخرج لنا هذه الدعوة لندعوا إِلَى كتاب الله وسنة رَسُولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونرجع إليها ، الحمد لله الذى أخرج هذا العمل لنا لتوحيد الألوهية والربوبية وأسماء الله وصفاته ، الله عز وجل علم نبيه أن يركز عَلَى الإِيمَان ، والنَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ الإِيمَان واليَقِين الصحيح وبه تميز الأشياء ، التَّوْحِيد عن الشرك ، إِذن نصرف أنفسنالله ولا نتوجه لغير الله . فقد ركز النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هذا اليَقِين والتَّوْحِيد الخالص ، حتى أن الله أ راد ربط الإِنسَان بالتَّوْحِيد عن طريق الصلاة ، فعِند الدخول فى الصلاة التكبير ، وهكذا عِند الركوع ، كل هذا لتوحيد الألوهية ، وإِذا أتى توحيد الربوبية ، وكل جهد مثل الحلقات وغيرها هو لهذا اليَقِين . ولذا

---

[1] لسان الدعوة : (277)
[2] لسان الدعوة : (324)

الدعوة إِلَى أى شيء ؟ إِلَى اللهِ وحده لا شريك له ، وأن نعبد الله وحده ، ولذا لو تقابل أهل الشرك الحقيقى مع أهل الشرك المجازى فيغلب أهل الشرك الحقيقى ، ومعنى الشرك الحقيقى هو عبادة الأصنام ، والمجازى هو الإعتماد عَلَى غير الله ، وهذا لا يخرج من كلية الإِيمَان ، ولكن يعذب صاحبه بقدر ما أشرك مع الله) [1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ولذا فالرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجتهد عَلَى النَّاس للإيمان ، فبدأ بالدعوة إلى (لَا إِلَهَ إِلَّا الله مُحَمَّد رَسُول اللهِ) ، الإِيمَان بِاللهِ كما هو بأسمائه وصفاته ، فعلم الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ الإِيمَان فعرفوا كبرياء الله وقدرته وخزائنه ، وأنه هو السميع يسمع كل النَّاس لو دعوا الله فى وقت واحد ، هو يسمع كلامهم ودعائهم ، والله بصير يرى النملة السوداء فى الليلة لظلماء عَلَى الصخرة الصماء ، وهو عليم يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، الله قدرته عظيمة ، قطرتان من الماء يخلق الإِنسَان ، ونواة صغيرة يخلق نخلة كبيرة) [2]

فَصْلٌ فِي شُرُوطِ قَبُولِ شَهَادَةِ التَّوْحِيد .

اعْلَمْ أَنَّهُ لَابُدَّ لِقَبُولِ شَهَادَةِ التَّوْحِيدِ مِنْ شُرُوطٍ يَقُومُ بِهَا العَبْدُ حَتَّى تَكُونَ مَقْبُولَةً عِندَ اللهِ تَعَالَى لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ) [3] ، فَإِذَا قَامَ بِهَا نَفَعَتْهُ بِمَا يَرتَجِى وَإِلَّا فَلَا يُؤَمِّلُ كَثِيراً غَيْرَ نَفْعَةٍ فِى يَوْمٍ مِنْ دَهْرِهِ ، وَقَدْ جَمَعَ العُلَمَاءُ عِدَّةَ شُرُوطٍ هِىَ العِلْمُ بِمَعْنَاهَا نَفْياً وَإِثْبَاتَا ، وَاسْتِيقَانِ القَلْبِ بِهَا ، وَالإِنقِيَادِ لَهَا ، وَالقَبُولُ لِكُلِّ حُقُوقِهَا ، وَالمَحَبَّةُ لَهَا وَلِأَهْلِهَا وَالمُوَلَاةُ وَالمُعَادَةُ مِنْ أَجْلِهَا ، وَالصِّدْقُ فِيهَا ، وَالكُفْرُ بِكُلِّ مَعْبُودٍ بَاطِلٍ . وَلَيْسَ كُلُّ عَبْدٍ مُطَالَبٌ بِمَعْرِفَةِ تِلْكَ الشُّرُوطِ إِلَّا حَسْبَ عِلْمِهِ وَطَاقَتِهِ وَلَكِنْ يَلْزَمُهُ أَن لَا يَقَعَ فِى ضِدِّهَا .

---

1 لسان الدعوة : (393 - 394)
2 لسان الدعوة : (404)
3 (مسلم 2405)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، مؤاخاة بقطع حبال الجاهلية القائمة عَلَى التعصب القبلى ، أصبح لَا إِلَهَ إِلَّا الله مُحَمَّد رَسُول اللهِ ، فمن قَالَ الشهادة فله عِند الله المقام) [1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قَالَ تَعَالَى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ ورَسُوله ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [2] فهذه هى حقيقة الإيمان ، (آمَنُوا بِاللهِ ورَسُوله) فلا يكون شك فى أمر الله ورَسُوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع صدقنا فى أقوالنا وأعمالنا ، فهكذا بعد الإيمان لا ريبة (ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) بعد ذَلِكَ (وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فكل الأمة تكون فى المجاهدة ، هنا الله تَعَالَى يوفى لنا موعوداته وذَلِكَ حينما يكون عندنا حقيقة الإيمان . ومتى تكون حقيقة الإيمان ؟ يقُولُ تَعَالَى (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) [3] فهنا إما فى أعمال الخروج والهجرة ، أو أعمال النصرة ، أو الشغل فى المقام .) [4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إذا انتقل العبد من الدنيا مع الإيمان ، فكرم الله تَعَالَى أن يدخله الجَنَّة بسبب كلمة التَّوحِيد والعمل بها ، لأن فى هذه الكلمة قوة عظيمة تمنعه من النار فيَقُولُ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنِّي رَسُول اللَّهِ فَيَدْخُلَ النَّارَ أَوْ تَطْعَمَهُ) 5 ويقُولُ أيضا (أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله خَالِصًا مِنْ قَبل نَفْسِهِ) 6) 7

---

1 لسان الدعوة : (189)
2 (15 الحجرات)
3 (74 الأنفال)
4 لسان الدعوة : (209)
5 (مسلم 158 ، المسند 12407)
6 (البخارى 4999 , 6201)
7 لسان الدعوة : (265)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (1 – ما معنى اليَقِين الصحيح ؟ أن يكون يقينه عَلَى الله ، لا يكون يقينه عَلَى الأشياء فبهذا يكون إيمانه قويا . 2 – أن تكون أشواقه صحيحة . أن يعمل هذا العمل بالشوق ، يعنى أن يتيقن عَلَى وعد الله ووعد رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأن الله وعد عَلَى الأعمال)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (5 – أن تكون أعمالنا لله تَعَالى ، لا لأى غرض من الدنيا أو لأى مخلوق)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قَالَ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبى ذر رَضِىَ اللهُ عَنْهُ (إن جبريل عرض لى فى جانب الحارة فقال : بشر أمتك من مات لا يشرك بِاللهِ شيئا دخل الجَنَّة . فقلت : ياجبريل وإن زنى وإن سرق ؟ قَالَ : نعم ! فتعجب أبو ذر فقال : يارَسُول الله وإن زنى وإن سرق ؟ فقال الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبى ذر)[3] ، وليس معنى هذا الحديث دليلى عَلَى ترخيص الزنا ، بل يتوب من الزنا والسرقة بتقديم نفسه للحدود ، كما وقع للمرأة فى زمان الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (هل أنت صادق أم كاذب ؟ فكيف لنا نحن أن نعرف هذا ؟ يَقُولُ الله تَعَالَى (الم ، أَحَسِبَ النَّاس أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهِ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)[5] ، فالله تَعَالَى يختبر عباده ، ولا بد أن تكون النتيجة كما وصفها الله فى عباده المؤمنين فقال سبحانه (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ

1 لسان الدعوة : (339)
2 لسان الدعوة : (340)
3 (الصحيحين ، البخارى 6078 ، مسلم 282 ، 283)
4 لسان الدعوة : (354)
5 (1 – 3 العنكبوت)

ورَسُوله ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [1] ، فهناك لابد بعد الإِيمَان ألا نرتاب فى وعد الله ، وأن نجاهد بأموالنا وأنفسنا .) [2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ الأُصُولِ الثَّلاثَةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الأُصُولَ الثَّلَاثَةُ مُصْطَلَحٌ أَطْلَقَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَهَّابِ النَّجْدِيّ رَحِمَهُ اللهُ لِتَقْرِيبِ مَعْرِفَةِ الأَسْئِلَةِ الثَّلَاثَةِ التِى يُسْأَلُهَا العَبْدُ فِى قَبْرِهِ ، وَهِىَ تُلَخِّصُ مَقْصُودَ حَيَاةِ الإِنسَان ، وَهِىَ عِبَادَةُ اللهِ تَعَالَى وَتَوْحِيدُهُ – مَنْ رَبُّكَ – وَاتِّبَاعُ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَنْ نَبِيُّكَ – وَإِقَامَةُ دِينِهِ وَتَبْلِيغِهِ لِلنَّاسِ – مَا دِينُكَ - ، فَإِذَا عَاشَ عَلَيْهَا الإِنسَان فِى حَيَاتِهِ وُفِّقَ فِى القَبْرِ لِلجَوَابِ عَلَيْهَا بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فهناك مراحل بعد الموت ، وفى البرزخ يسأل عن عن ثلاثة أسئلة : من ربك ؟ وما دينك ؟ وماذا تقول فى الرجل الذى بعث فيكم ؟) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (وإذا مات العبد تأتى الملائكة فى قبره ، ويسألونه فإذا أجاب فتحوا له طاقة من الجَنَّة ، ويوقظونه مرتين فى اليوم فى الصباح وفى المساء ، ليرى مقعده من الجَنَّة ، فيَقُولُ رب أقم الساعة) [4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ولِذَلِكَ كان من تمام الإعتقاد أن تعلم من ربك ؟ ما أمرك به ونهاك عنه ؟ كما حكى ابن عباس رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : كنت خلف النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوما فقال: ياغلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك , احفظ الله تجده تجاهك , إذا سألت فاسأل الله , وإذا استعنت فاستعن بِاللهِ , وَاعْلَمْ أن الأمة

---

1 (15 الحجرات)
2 لسان الدعوة : (442)
3 لسان الدعوة : (185)
4 لسان الدعوة : (264)

لو اجتمعت عَلَى أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك , ولو اجتمعوا عَلَى أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك , رُفعت الأقلام وجفت الصحف .) [1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ مَفْهُومِ التَّوْحِيد .

اعْلَمْ أَنَّ مَفْهُومَ التَّوْحِيدِ هُوَ أَنْ لَا تُشْرِكْ مَعَ اللهِ تَعَالَى غَيْرُهُ فِى نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ وَلَوْ صَغِيرٍ . وَأَنْ تَتَّبِعَ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسَكَنَةٍ ، اتِّبَاعَ مُحِبٍ لَهُ وَلِسُنَّتِهِ ، وَأَنْ تَنْشُرَ ذَلِكَ فِى مُحِيطِكَ الذِى تَعِيشُ فِيهِ وَتَنْوِى نَشْرَهُ فِى العَالَمِ كُلِّهِ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلَا . فَالتَّوْحِيدُ شَامِلٌ لِكُلِّ أُصُولِ وَفُرُوعِ الشَّرِيعَةِ ، فَهُوَ اسْمٌ جَامِعٌ لَهَا . قَالَ تَعَالَى : (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِين) [2] وَقَالَ : (وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) [3]

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما ابتعثه الله عز وجل وأمره أن يدعوهم إِلَى اللهِ تَعَالَى ، فقام النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعوة ، فمن أقر بلسانه ودخل الإسلام ، الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام واهتم بتعليم الإِيمَان ، فرباه عَلَى الصفات الإيمانية وعلمهم الأخلاق ، ومن يقر بالشهادتين يخرج الإِنسَان اليَقِين بكل ما سوى الله تَعَالَى ، وبإقرار الشهادتين هو عهد مع الله تَعَالَى ، فإنه لا يعبد إلا الله تَعَالَى ، ولا يستعين إلا به ، ولَا إِلَهَ إِلَّا الله ، الفاعل الحقيقى والمدبر الحقيقى هو الله تَعَالَى ، فهو يقين بأسماء الله تَعَالَى وصفاته ، وله نصرته الغيبية ، فلما قام رَسُول الله بدعوة النَّاس إِلَى اللهِ ، نفى كل ما سوى الله فى قلوبهم ، وكان ذَلِكَ غريبا عليهم فحكى الله ذَلِكَ عنهم حيث قالوا متعجبين : (أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) [4] ، وأخبرهم أن الحياة وقتية عرضية زائلة فقال : (وَإِنَّ الدَّارَ الْآَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) [1].) [2]

---

1 لسان الدعوة : (394)
2 (162 – 163 الأنعام)
3 (61 الزخرف)
4 (5 ص)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ تَعَلُّمَ التَّوْحِيد مُقَدَّمٌ عَلَى سَائِرِ العِلمِ وَالعَمَلِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى المَرْءِ أَن يَتَعَلَّمَ حَقَّ اللهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ قَبْلَ أَيِّ عِلْمٍ فِي دُنْيَاهُ ، وَهَذَا هُوَ الذِى بَدَأَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَصْحَابِهِ ، فَقَدْ عَلَّمَهُمُ التَّوْحِيدَ وَاليَقِين وَالإِيمَان لِمُدَّةِ ثَلَاثِ عَشْرَةَ سَنَةً فِي مَكَّةَ ، وَرُبَّمَا كَانَ العِلْمُ فِي بَاقِي المَسَائِل قَلِيلٌ وَالعَمَلُ قَلِيلٌ . وَلِأَنَّ صَلَاحَ كُلِّ عِلْمٍ وَعَمَلٍ مُنْبَنٍ عَلَى صَلَاحِ القَلْبِ وَإِيمَانِهِ وَيَقِينِهِ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَتَعَلُّقَهُ بِهِ ، فَإِذَا انصَلَحَ هَذَا انْصَلَحَ هَذَا .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ورَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإنبات شجرة الدين بدأها فى مكة المكرمة ، وأول شىء بدأ به النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلمة التَّوْحِيد لَا إِلَهَ إِلَّا الله مُحَمَّد رَسُول اللهِ فصده أهل مكة لأنهم عباد أصنام ، ثم أنزل الله القرآن فبدأت حلقات التعليم ، وكانت حلقات التعليم سرا فى بعض البيوت ، كما كان فى بيت سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب ، وكانا يجلسان أمام خباب بن الأرت رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ يستمعون القرآن) [3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ نَوْعٍ مِنَ الشِّرْكِ – الخَفِيّ - فِي هَذِهِ الأُمَّةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ النِّدَّ الذِى يَتَّخِذُهُ أَقْوَامٌ مِن دُونِ اللهِ تَعَالَى رُبَّمَا يَكُونُ شَيْئًا مَحْسُوساً وَرُبَّمَا يَكُونُ شَيْئًا مَعْنَوِياً ، وَقَدْ ضَرَبَ اللهُ تَعَالَى لَنَا أَمْثِلَةَ ذَلِكَ كَثِيراً لِنَتَعَلَّمَ وَنَتَّعِظَ وَلَا نَقَعُ فِي تِلْكَ الأَخْطَاءِ ، فَبَنُوا إِسْرَائِيل عَبَدُوا العِجْلَ وَقَوْمَ نُوحٍ وَمَنْ بَعْدَهُمْ عَبَدُوا خَمْسَتَهُمُ الصَّالِحِينَ وَقُرَيْش عَبَدَتْ أَصْنَاماً إلخ . فَكُلُّهَا أَنْدَادٌ مَحْسُوسَةٌ ، وَعِبَادَتِهَا كُفْرٌ صَرِيحٌ ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ كَفَرَ لِصَرْفِهِ حَقُّ اللهِ الأَعْظَم لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى . وَهُنَاكَ مَنْ يَتَّخِذُ زَوْجَتَهُ إِلَهَهُ وَوَلَدَهُ إِلَهَهُ وَمَالَهُ إِلَهَهُ وَعَمَلَهُ إِلَهَهُ وَجَاهَهُ إِلَهَهُ ، بِمَعْنَى يُقَدِّمُهُ عَلَى أَوَامِرِ اللهِ تَعَالَى - فِي غَيرِ ضَرُورَةٍ - وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، وَالدِّرْهَمِ ، وَالقَطِيفَةِ ، وَالخَمِيصَةِ ،

---

1 (64 العنكبوت)

2 لسان الدعوة : (185)

3 لسان الدعوة : (442)

إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ)[1] وَلَيْسَ هَذَا كُفْرَاً صَرِيحَاً ابْتِدَاءَاً ، بَلْ بِحَسَبِ الْمُخَالَفَة التِى يَقَعُ فِيهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ الْمَأْلُوهُ مِنْ دُونِ اللهِ ، فَمَثَلاً مَنْ تيَقَّنَ عَلَى دُكَّانِهِ أَنَّهُ لَن يَعِيشَ إِلَّا بِهِ فَقَدِ اعْتَمَدَ عَلَى غَيْرِ اللهِ وَأَشْرَكَ مَعَ اللهِ الدُّكَانَ ، وَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ لَوْلَا الفَدَّانُ الذِى يَزْرَعُهُ لَجَاعَ وَجَاعَتِ العِيَالُ فَقَدْ أَشْرَكَ مَعَ اللهِ الفَدَّان ، وَمَعَ صَرَاحَةِ هَذَا الشِّرْكِ تَحَفَّظْنَا عَلَيهِ وَلَمْ نَجْزِمْ بِشِرْكِهِ بَلْ قُلْنَا (الشِّرْكُ الخَفِيُّ – وَذَلِكَ لِتعَلُّقِهِ بِشَيءٍ فِى القَلْبِ) وَرُبَّمَا فِى بَعْضِ الأَحْوَالِ يَكُونُ شِرْكَاً جَلِيَّاً ، فَكُلٌّ بِحَسَبِهِ فَتَنَبَّهْ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (النَّاس يغترون بهذه الدنيا ، فالتاجر مخافة الشارى[2] يترك الصلاة)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إن حقيقة الإِيمَان ألا تجعل لله ندا ولا صنما ولا شريكا ، فالصنم كان امتحانا للمشركين ، أما فى زماننا هذا فالصنم هى مشاغل الدنيا وأسبابها التى ابتلينا بها فهى الإمتحان ، لأن ذَلِكَ لا يعبد فيه المسلمون صنما ، ولكن أسبابا يعتمدون عليها ، ومشاغل قدموها عَلَى أمر الله فشاركوا الله مع غيره ، أو اتخذوا أسبابهم ندا ، واليَقِين لا يرسخ فى القلب إلا بالدوام عَلَى المذاكرة ، بأن نذكر الله بألسنتنا وفى قلوبنا ومع النَّاس ، أما أن نذكر الله بألسنتنا ثم نكبر المادة بقلوبنا فهذا هو الشرك ، لكن الصَّحابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ صغروا المادة وعظموا الله فهابتهم الأسود)[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كانت النَّاس تعبد الأصنام قبل البعثه ، فلو عملنا صنما من ذهب وقلنا للمسلم اعبده ، فالمسلم يَقُولُ أعوذ بِاللهِ من ذَلِكَ ويغضب جدا ، فلو قمنا بفك الصنم وأعطيناه للناس ، فالمسلم يَقُولُ :إذاجاءت الأموال حلت المشاكل وقضت الحاجات ، إذن هناك شرك حقيقى بالصنم ، وهناك شرك مجازى بالأموال والأسباب الماديه ، الأول خلود فى النار والثانى وهوالمجازى يؤدى إِلَى ترك أوامر الله بسبب العمل فى الدكان أوالمصنع أوالمدرسه أوالحقل أوالورشه ... ، وهذايوصله

1 (6435 البخارى)

2 أى المشترى

3 لسان الدعوة : (271)

4 لسان الدعوة : (369)

للنار ثم إِلَى الجنه بعد التصفيه من الذنوب والمعاصى ، وليس العمل فى الأسباب الظاهريه ممنوع ، فسيدنا داود وسليمان ويوسف ونوح حتى رسلنا وكل الأنبياء فى الأسباب ، وبعضهم الملك والمال معهم ، فسيدنا داود: (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ) 1 ، والرَّسُول صنع له درعا فى غزوة أحد ، الله قَالَ : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) [2] ، ولنوح (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ) [3] نعمل بها ولا نتكل عليها إطلاقا ، فالذى يعمل فى الدكان لايرى إلا الدكان يأتى بالفلوس ، وبالفلوس تقضى الحاجات ، ولا يرى الله وقدرته تعمل ، إذن المربى الدكان ، باللسان رب العالمين ، ولذا عِند التجارة الكذب حتى أكسب ، أما بالإِيمَان بالصدق لإرضاء الله ، فعِند العمل لا إله إلا المال ، وباللسان لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، والإتكال عَلَى الأسباب يؤدى إِلَى ترك مرضاة الله وأوامره ، فتكون الرشوة والربا ، لأنه يؤمن بالفائدة الظاهرية ، ولكن بالإِيمَان تكون الصدقة لأن فيه النجاة عِند الله) [4]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ الثِّقَةِ بِاللهِ تَعَالَى وَالاعْتِمَادِ عَلَيهِ وَحْدَهُ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ الثِّقَةُ بِاللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ وَالاعْتِمَادُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ ، فَلَا تُشْرِكْ مَعَ اللهِ أَحَداً فِى أَمْرٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ تَجُوزُ الثِّقَةُ وَالاعْتِمَادُ عَلَى غَيْرِ اللهِ فِى حُدُودِ مَا أَقْدَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فَقَطْ ، وَلَا تَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى مَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَيهِ ، كَمَنْ يَعْتَمِدُ عَلَى مَيِّتٍ ! أَوْ يَثِقُ بِقُدْرَتِهِ ! أَوْ عَلَى عَاجِزٍ فِى أَمْرٍ لَن يَسْتَطِيعَ فِعْلَهُ ! فَهُنَا لَا يَجُوزُ الاعتِمَادُ عَلَيهِم . بَلْ رُبَّمَا يُدخُلُ ذَلِكَ الفِعْلُ فِى الشِّرْكِ . فَاحْذَرْهُ بَارَكَ اللهُ فِيكَ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الصَّحابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ ما كانوا يخشون أحدا ، أو يتهيبون أحدا ، لأنهم يعرفون قدرة الله وعظمته ، ويعرفون أن أى قوة فى الأرض أو عددا أو عدة كل هذا ليس له قوة أمام أمر الله ، بل قوتهم مثل بيت العنكبوت ضعيف وهش ولين ، ودائما فى كل زمان أهل الباطل يخوفون أهل الحق بمدمراتهم الإنسانية ويشوقونهم بزخرفاتهم الفانية ، ولكن لابد

1 (80 الأنبياء)
2 (60 الأنفال)
[3] (37 هود)
[4] لسان الدعوة : (400 – 401)

لأهل الحق أن يخوفوا أهل الباطل بمدمراتهم الإلهية ، كما قَالَ تَعَالَى (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ، فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ، وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ، فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ)[1] لذَلِكَ فالصَّحَابَة لم يتأثروا من أهل الباطل ، ونحن لابد ألا نتأثر من أهل الباطل ، لأننا نتذاكر فر الأخرة وما فيها من نعيم مقيم لأهل الجَنَّة ، وحساب عسير ونيران لأهل النار ، ونحن نتذاكر هذا مرة بعد مرة ، فى حلقات التعليم ، ونحن عرفنا الأمم التى أطاعت وكيف نصر الله أنبياءه ؟ وعرفنا الأمم التى تجبرت وكيف الله أهلكهم ؟ وعرفنا قدر نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكيف عرج به إِلَى السماوات السبع ؟)[2]

فَصْلٌ فِى بَيَانِ وُجُوبِ اليَقِين بِالخَبَرِ وَإِنْ خَالَفَ النَّظَرَ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ شُرُوطِ قَبُولِ شَهَادَةِ التَّوْحِيدِ التَّصْدِيقِ ، وَالتَّصْدِيقُ مَعْنَاهُ أَنْ تُصَدِّقْ كُلَّ خَبَرٍ جَاءَكَ عَنِ اللهِ تَعَالَى وَعَنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمِنْ شُرُوطِ قَبُولِ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُولُ اللهُ أَنْ تُصَدِّقْ مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ أُمُورِ الأَقْوَامِ السَّابِقَةِ وَالأَحْوَالِ النَّازِلَةَ وَالنُّبُوءَاتِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ . حَتَّى وَإِنْ تَعَارَضَ هَذَا الخَبَرُ مَعَ مَا تَرَاهُ بِعَيْنِكَ ! فَالحَقُّ وَالصِّدْقُ فِيمَا جَاءَكَ عَنِ اللهِ تَعَالَى وَلَيْسَ فِيمَا تَرَاهُ بِعَيْنِكَ ، فَالنَّاسُ يَرَونَ بِأَعْيُنِهِمْ النَّارُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ تَحْرِقُ الطَّيْرَ فِى عَنَانِ السَّمَاءِ وَهُوَ بِدَاخِلِهَا مَا مَسَّتْ جِلْدَهُ ! بَلْ حَدَثَ فِى ذَلِكَ الوَقْتِ الجَمْعُ بَيْنَ النَّقِيضَينِ ! فَالنَّارُ تَحْرِقُ وَلَا تَحْرِقُ فِى وَقْتٍ وَاحِدٍ ! تَحْرِقُ قُيُودَ إِبْرَاهِيمَ وَلَا تَمَسُّ جِلْدَهُ ! فَاللهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى إِمْكَانِ الْمُحَالِ وَاسْتِحَالَةِ الْمُمْكِنِ ! فَنَحْنُ نُصَدِّقُ القُرْآنُ فِى أَنَّ النَّارَ كَانَتْ بَرْدَاً وَسَلَاماً حَتَّى وَإِنْ رَآهَا العَالَمُ كُلُّهُ مُلْتَهِبَةً تَلَظَّى ، وَشَبَابُ قُرَيشٍ يَقِفُونَ عَلَى بَابِ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْتَظِرُونَهُ يَخْرُجُ لِصَلَاةِ الفَجْرِ لِيَقْتُلُوهُ وَهُمْ مُسْتَيْقِظِينَ فَاتِحِينَ أَعْيُنَهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)[3] فَنَحْنُ نُصَدِّقُ أَنَّهُم مَا أَبْصَرُوهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصْدِيقاً بِالخَبَرِ وَإِنْ خَالَفَ النَّظَرَ ، وَالهَدَفُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ لَا تَتَيَقَّنَ إِلَّا

---

[1] (الحاقة 4 – 8)

[2] لسان الدعوة : (421)

[3] (يس 9)

عَلَى اللهِ تَعَالَى وَأَنْ تَعْتَقِدْ أَنَّهُ لَا ضَارَّ وَلَا نَافِعَ إِلَّا اللهُ تَعَالَى فَلَا تَخَافُ فِى اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ وَإِنْ خُيِّلَ إِلَيْكَ أَنَّهُ سَيُفْعَلُ بِكَ كَذَا وَكَذَا فَاللهُ يَقُولُ (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) [1] .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله تَعَالَى يَقُولُ : (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) [2] ،

فى الظاهر نرى الربا فيه زيادة والصدقة فيها نقصان ، ولكن هنا يوجد أمران : النظر والخبر ، فعلينا أن نختار طريق الخبر الذى نصدق فيه بكل ما يخبرنا به الله ورَسُوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا نختار طريق النظر ، لأن النظر لا يعطى نتيجة إلا فى الماديات ، أما الغيبيات فمحلها الخبر اليقينى عن رب العالمين) [3]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (نحن نشتغل فى الأسباب المادية بموافقة الأسباب الغيبية ، ولكن إذا خالفنا الأسباب الغيبية ، تكون فى الأسباب الظاهرية الضرر والهلاك ، مثل المال الذى عِند قارون ، والملك الذى عِند فرعون والنمرود ، والوزارة التى عِند هامان لكن لو وافق الأمر الأسباب الغيبية ولو كانت مخالفة للأسباب الظاهرية ، ولو رأينا فيها الضر فنحن ننفذ الأمر ففيه نصرة ، فسيدنا موسى عليه السلام الله تَعَالَى أعطاه العصا وهى سبب ظاهرى ، وجاء أمر الله : (قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى) [4] ، ورغم المنافع التى هددها سيدنا موسى ، ورغم النفع الظاهرى الله تَعَالَى أمره بإلقائها ، فعنا تقابل بين المنافع التى فيها وبين فقدها بعد الأمر بتركها ، فنفذ موسى عليه السلام الأمر بتركها ، فهنا انقلبت حية ، وليست حية عادية بل قَالَ الله تَعَالَى فيها : (فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى) [5] ، وَقَالَ تَعَالَى : (فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ) [6] ، فهنا هرب سيدنا موسى ولم ينظر خلفه (وَلَمْ يُعَقِّبْ) فهنا جاء أمر آخر مِنَ اللهِ تَعَالَى : (قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ) [7] ، والنتيجة ، (سَنُعِيدُهَا

---

[1] (40 الحج)
[2] (276 البقرة)
[3] لسان الدعوة : (338)
[4] (19 طه)
[5] (20 طه)
[6] (31 القصص)
[7] (21 طه)

سِيرَتَهَا الْأُولَى)[1] ، فالإنسان إذا قام بأمر الله تَعَالَى بخلاف المشاهد فهنا الإيمَان ، لذَلِكَ أمر آخر (وَاضْمُمْ يَدَكَ) وأمر ثالث (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ أَنَّهُ طَغَى)[2] وكل هذا خلاف النفس والطبيعة الإنسانية ، لكن إذا قام الإنسَان بامتثال أوامر الله تَعَالَى بخلاف المشاهد ، فالله تَعَالَى يوفى له وعده خلاف المشاهد وخلاف الظاهر)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (يقين المشاهدات بالنظر ونحن يقيننا بالخبر ، المشاهدة تقول : الأرض تنبت ، والحقيقة أن الله هو الذى ينبت ، وهو الرزاق والأرض تنبت بأمره وقدرته تَعَالَى)[4]

فَصْلٌ فِي وُجُوبِ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى وَالسَيْرِ عَلَى نَهْجِ رَسُولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ خَالَفَ المَأْلُوف أَوْ خَرَجَ عَنْ طَبِيْعَةِ البَشَرِ ، وبَيَانِ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ سُنَّةِ الأَنبِيَاءِ عَلَيهِمُ السَّلامُ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُطِيعَ اللهَ تَعَالَى وَتُطِيعَ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى كُلِّ مَا وَصَلَكَ عَنْهُمَا ، سَوَاءً فِى ذَلِكَ اقْتَنَعْتَ بِعَقْلِكَ أَمْ لَمْ تَقْتَنِع ! ، فَالعَبْدُ لَا يَصِحُّ لَهُ أَنْ يُرَاجِعَ سَيِّدَهُ فِى أَمْرِهِ ، وَاعْلَمْ كَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَأْمُرْكَ بِأَمْرٍ فِيهِ مَضَرَّةٌ لَكَ أَبَدَاً ، وَلَمْ يَنْهَكَ عَنْ أَمْرٍ فِيهِ مَنْفَعَةٌ لَكَ أَبَداً – وَإِنْ كَانَ فَالغَايَةُ تَعَبُّدِيَّةٌ مَحْضَةٌ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا وَالقَبُولُ وَالانقِيَادُ – فَإِذَا لَمْ تَقْتَنِعْ بِالأَمْرِ فَامْتَثِلْهُ وَاتَّهِمْ عَقْلَكَ ، فَالعَقْلُ قَاصِرٌ فِى جَنْبِ الوَحْيِ المُنَّزَلِ مِنَ السَّمَاءِ ، فَاللهُ تَعَالَى يَأْمُرُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِضَرْبِ البَّحْرِ بِعَصَاهُ ! وَمَاذَا سَتَفْعَلُ العَصَا حِينَئِذٍ ؟! لَكِنَّ يَقِينَهُ عَلَى اللهِ تَعَالَى (إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)[5] ، وَأَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُلْقِىَ عَصَاهُ الَتِى فِيهَا النَّفْعُ لَهُ بِالهَشِّ بِهَا عَلَى غَنَمِهِ وَلَهُ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ! فَاسْتَجَابَ لِلأَمْرِ فَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ فِيهَا الضَّرَ إِذْ هِىَ حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ تَسْعَى ، فَالنَّفْعُ وَالضُّرُّ لَيْسَ فِيمَا تَرَاهُ الأَعْيُنُ البَشَرِيَّةُ المُجَرَّدَةُ ، بَلْ فِيمَا يَرَاهُ الشَّرْعُ نَفْعَاً أَو ضَرَّاً ، وَهَذَا هُوَ هَيْكَلُ العُبُودِيَّةِ فِى العَبْدِ المُعبَّدِ للهِ تَعَالَى .

---

[1] (21 طه)
[2] (24 طه)
[3] لسان الدعوة : (378 – 379)
[4] لسان الدعوة : (398)
[5] (62 الشعراء)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إن من طبيعة الإنسان الإبتعاد عن الضار ، لكن لو أن أى ضار طرف فى الصراع مع أوامر الله تَعَالَى ، فلابد من ترك مقتضيات الأشياء ونضحى بها لأمر الله تَعَالَى ومراده ، فالنار نحن نبتعد عنها ونتجنبها مخافة الإحراق ، ولكن لو وجد صراع بين أمر الله تَعَالَى وبين مقتضيات الطبيعة وهو الإحراق بالنار ، فلابد من التضحية بالموروث وبالشيء المجرب ، والإعتماد عَلَى أمر الله تَعَالَى ، فهذا هو الذى فعله سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ما ترك أمر الله تَعَالَى بسبب أمر النار ، بل صمم عَلَى أمر الله تَعَالَى حتى ألقاه النمرود فى النار ، وكان له النصر فى النهاية .

وسيدنا موسى عليه السلام ، الله تَعَالَى أمره بإلقاء عصاه ، مع أنها ذات نفع له فقال : (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ، قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ، قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ، فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى) [1] ، فهنا سيدنا موسى عليه السلام : (وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ) [2] ، فهنا هرب لما عاين الحية ، ولكن جاء أمر أشد من الأول وهو (قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى) [3] .... فهنا صراع بين مقتضيات البشرية وبين أمر الله تَعَالَى ، فقد موسى عليه السلام أمر الله تَعَالَى فبشره الله تَعَالَى : (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى) [4] ، فرأى أن السعادة فى امتثال أمر الله تَعَالَى ببصيرة نور النُّبُوَّة ، ولذَلِكَ سيدنا موسى عليه السلام ، الله تَعَالَى أراد أن يرينا امتثال أمره فأمره أن يأخذها من فيها – عَلَى ما ورد فى التفسير – عَلَى خطرها المعلوم ، فأخذها سيدنا موسى عليه السلام ، وهكذا كل أمر بين أخذ المنافع أو المضار وتركها ، وبين أمر الله تَعَالَى ، يقدم أمر الله تَعَالَى ، فالزكاة أخذ من المال ، وهو نقص فى الظاهر ، ولكن الله تَعَالَى أمر بذَلِكَ فهى نفع . ولذَلِكَ لما أخذ سيدنا موسى عليه السلام العصا كانت فيها نصرة الله خلاف المشاهد ، ولكن بأمر مِنَ اللهِ

---

[1] (17 -20 طه)
[2] (31 القصص)
[3] (21 طه)
[4] (21 طه)

تَعَالَى يأخذها فيأتى منافع تنفيذ الأمر ، والله تَعَالَى ينصر الإنسان إذا نفذ أوامر الله تَعَالَى وامتثل للأمر خلاف المشاهد ، بل باليَقِين عَلَى وعد الله تَعَالَى الذى يأتى خلاف الطبيعة)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لا نترك الأسباب بالكلية ولا نعتمد عليها بحيث تمنعنا عن أداء واجبنا نحو الدين ، ولا نرتاب فى رزق الله تَعَالَى لنا أو نصرتنا ، فهذا شرط من شروط الإيمَان ، قَالَ الله تَعَالَى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ ورَسُوله ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)[2] ،

وهذا هو الفرق الذى بيننا وبين الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ ، كانوا مستعدين لتنفيذ أمر الله تَعَالَى ولو خالف ذَلِكَ أمورهم الحياتية وأسباب معيشتهم ، مثلما حدث لهم فى غزوة بدر ، وتبوك ، وذَلِكَ الإمتثال للأمر والنظر إِلَى موعود الله تَعَالَى ولو خالف الأسباب والأحوال سماه الله تَعَالَى فى قرآنه بالتجارة المنجية فقَالَ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللهِ ورَسُوله وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[3])[4]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ ثَمَرَاتِ الإِيمَان بِاللهِ تَعَالَى وَاليَقِين عَلَيهِ جَلَّ جَلَالُهُ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ بِالإِيمَان وَاليَقِين تُنَالُ الهِدَايَةُ وَالإِمَامَةُ فِى الدِّينِ ، فَمَنْ آمَنَ بِاللهِ تَعَالَى وَتَيَقَّنَ عَلَيهِ جَلَّ جَلَالُهُ هَدَاهُ اللهُ تَعَالَى سَبِيلَهُ وَبَلَّغَهُ مَا يَتَمَنَّاهُ مِنَ المَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَة وَجعْلِهِ لِلمُتَّقِينَ إِمَاماً وَنَصَرَهُ بِالنُّصْرَةِ الغَيْبِيَّةِ وَمَكَّنَهُ فِى دُنْيَاهُ وَمَنَّ عَلَيْهِ بِالنَّجَاةِ مِنَ النِّيرَانِ بِدُخُولِ الجِنَانِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فبالإيمَان والجهد ، الله يظهر للمؤمنين نصرات كثيرة منها :

---

1 لسان الدعوة : (164)
[2] (15 الحجرات)
[3] (10 – 13 الصف)
[4] لسان الدعوة : (215)

الأولى : الهداية ، والهداية مشروطة بالجهد حيث يَقُولُ سبحانه : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)[1] ، فبأى حجم للمجاهدة ؟ ومن يزيد الله يزيد ، ففى قوله تَعَالَى : (لَنَهْدِيَنَّهُمْ) أسلوب مؤكد بالام والنون الثقيلة لتأكيد حتمية وقوع الفعل (لَنَهْدِيَنَّهُمْ) .

الثانية : النصرة ، (نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ)[2] ، والذين يتحملون المشقة الله ينجيهم من المصائب ويبعدهم عن العذاب ، فكل شيء صعب وفيه مشكلة ، وذَلِكَ باعتبار المجاهده ، و كل هذه الصعاب والمشاكل تحملها الأنبياء والصَّحَابَة والصالحون ، أم ما جاء لفرعون والنمرود وقرون وغيرهم مثل قبائل عاد وثمود من مشاكل ومصائب فهو بطريق العذاب ، لأنهم ما تحملوها لله عز وجل ، فالله أعطاهم مشقة بطريق العذاب ، كذَلِكَ أبو جهل وأبو لهب وأبى بن خلف لعنهم الله جميعا .

الثالثة : نجاة من العذاب ، من يجاهد الله ويتحمل يعطيه الله ويصطفيه وهذا وعد مِنَ اللهِ بالنجاة من العذاب فيَقُولُ ربنا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللهِ ورَسُوله وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[3].

الرابعة : يعطيهم الله الدنيا ، مثل بنى إسرائيل ، (كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ)[4] ، والصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ حينما ورثوا خزائن كسرى وقيصر ، فهم تحملوا لمدة خمسة وعشرين عاما ، ثم أعطاهم الله أضعاف ما أنفقوا ، كذَلِكَ فى آخر الزمان حينما يأتى يأجوج ومأجوج ، فتكون هناك نصرة للمؤمنين ، وهذه النصرة الغيبية فى أمرين

الأمر الأول : فى الطعام ، فليس هناك طعام وهناك مجاعة ، فهنا طعامهم التسبيح .

---

[1] (69 العنكبوت)
[2] (13 الصف)
[3] (10-11 الصف)
[4] (28 الدخان)

الأمر الثانى :عِند لقاء الأعداء ، المسلمون ضعاف ، و ليس لهم شيء ، ولكن تكون هناك نصرة غيبية ، فالله يرسل جنودا من عنده تهلك يأجوج ومأجوج دون تدخل من البشر إلا التوجه والعمل الصالح .) [1]

فَصْلٌ فِي وجوب تحقيق التَّوْحِيد أَوَلاً يَادُعاةَ الإِسْلاَمِ وبيَانِ أَنَّ الجُهْدَ لإِصْلاَحِ العَقِيدَةِ مُقَدَّمٌ عَلَى الجُهدِ لِإِصْلاَحِ العِبَادَةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ لِرَبِّ العَبِيدِ بِالجُهْدِ عَلَى النَّفْسِ وَعَلَى النَّاسِ لِنُقِيمَ مُقْتَضَيَاتِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَشُرُوطِهَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَعَلَى النَّاسِ وَبِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ تَتَحَقَّقُ العِبَادَةُ الصَّحِيحَةُ القَوِيَّةُ وَبِتَحَقُّقِ العِبَادَةِ نَتَحَصَّلُ عَلَى مَرْضَاةِ اللهِ تَعَالَى وَرِضْوَانِهِ وَنَتَمَتَّعُ بِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ جُهْدٍ يَجِبُ صَرْفُ الجُهُودِ إِلَيْهِ هُوَ الجُهْدُ لِإِصْلَاحِ الإِيمَانِ فِي القَلْبِ وَتَرْسِيخِ العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَتَقْرِيرِ اليَقِينِ عَلَى اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي الجُهْدُ عَلَى إِصْلَاحِ العِبَادَةِ مِنَ الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ ، فَمَنْ يَقْلِبُ الطَّرِيقَةَ النَّبَوِيَّةَ وَيُقَدِّمُ إِصْلَاحَ العِبَادَةِ عَلَى إِصْلَاحِ العَقِيدَةِ فَلَيْسَ عَلَى مَنْهَجِ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَهْمِهِ ، قَالَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ ، فَتَعَلَّمْنَا الإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا .) [2] .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يرسل الوفود والسرايا ويوصيهم بثلاث وصايا :

الأولى : ادعوهم إِلَى كلمة التَّوحِيد أى أسلم تسلم ، فكانوا يدعون النَّاس إِلَى التَّوْحِيد ، فإن أسلموا فدماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا ، لكن لو لم يقبلوا كلمة التَّوْحِيد فهنا ،

الوصية الثانية : أن يدفعوا الجزية ، ويكونوا رعايا لكم ، ثم بالمعايشة هم ينظرون للإسلام فعندهم الوقت حتى يشاهدوا المُسْلِمِين وحياتهم فيؤمنوا ، فهنا كأنها دعوة تفصيلية لأن المُسْلِمِين يقيمون بين أظهرهم ويفتحون الدكاكين ، ويعملون فى التجارة

[1] لسان الدعوة : (166 - 167)
[2] (صحيح سنن بن ماجة 61)

ويجعلون المَسَاجِد ، ولا يهدمون كنائسهم ولا يقتلون الرهبان ولا يأخذون النساء ، فهؤلاء النَّاس ينظرون لتلك الأخلاق العالية ، والمعاشرة الطيبة ، والمعاملة الحسنة فهم يتأثرون منهم ويدخلون الإسلام ، لكن لو ما قبلوا ذَلِكَ هنا ،

الوصية الثالثة : القتال ، وهنا دون تخريب أو تدمير أو إيذاء يقع بالضعفاء أو تحميل النَّاس فوق ما لا يطيقون) [1]

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (المطلوب قوة الإيمَان وقوة العبادة حتى تأتى استجابة للدعاء ، فهنا جاء الأمر بالجهد عليهم فقَالَ تَعَالَى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) [2] ، إذن الجهد عَلَى العبادة ، وقبلها الجهد عَلَى كلمة التَّوْحِيد) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ورَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإنبات شجرة الدين بدأها فى مكة المكرمة ، وأول شىء بدأ به النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلمة التَّوْحِيد لَا إِلَهَ إِلَّا الله مُحَمَّد رَسُول اللهِ فصده أهل مكة لأنهم عباد أصنام ، ثم أنزل الله القرآن فبدأت حلقات التعليم ، وكانت حلقات التعليم سرا فى بعض البيوت ، كما كان فى بيت سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب ، وكانا يجلسان أمام خباب بن الأرت رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ يستمعون القرآن) [4]

فَصْلٌ فِي الاسْتِدْلَالِ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ عَلَى تَوْحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ وبَيَانِ أَنَّ ذَلِكَ مَسْلَكُ أَنبِياءِ اللهِ تَعَالَى وَأَتْبَاعِهِم .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجُوزُ الاسْتِدْلَالُ عَلَى اسْتِحْقَاقِ اللهِ تَعَالَى لِلعِبَادَةِ دُونَ مَا سِوَاهِ بِمَا فِى هَذَا الكَوْنِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ ، وَهَذَا مَسْلَكُ القُرْآنُ الكَرِيمِ فِى دَعْوَةِ الكَافِرِينَ ، وَتِلْكَ هِىَ أَصْدَقُ طَرِيقٍ فِى دَعْوَةِ النَّاسِ كُلِّهِمْ مُسْلِمِهِمْ وَكَافِرِهِمْ لِأَنَّهَا لَا تَدَعُ مَجَالاً لِلمُجَادَلَةِ وَلَا المُمَارَاةِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى (قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ) [5] وَقَوْلُهُ

---

[1] لسان الدعوة : (205)
[2] (87 يونس)
[3] لسان الدعوة : (379 - 380)
[4] لسان الدعوة : (442)
[5] (101 يونس)

تَعَالَى (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَالى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَالى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ، وَالى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)[1] وَغَيرِ ذَلِكَ كَثِير ، وَاللهُ تَعَالَى قَدْ تَعَرَّفَ إِلَى عِبَادِهِ بِمَخْلُوقَاتِهِ وَنِعَمِهِ عَلَيْهِمْ ، وَتِلْكَ هِىَ طَرِيقَةُ النَّبِيِّينَ فِى دَعْوَةِ أَقْوَامِهِمْ ، فَقَدْ حَاجَّ إِبْرَاهِيمُ طَاغِيَةَ زَمَانِهِ بِآيَةٍ كَوْنِيَّةٍ قَالَ تَعَالَى (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ)[2]

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (واللهُ تَعَالَى له نعم عظيمة عَلَى الإنسا لا تعد ولا تحصى ، وأكبر نعمة هو إيجاد الخلق من العدم ثم معرفتهم بربهم ، وهذا الإِنسَان ضعيف خلقه الله من أديم الأرض فى أطوار ، وكَذَلِكَ فى رحم أمه فى مراحل ، ثم أخرجه إِلَى هذا العالم الفسيح ، فالداعى إِلَى اللهِ هو من يعرف المخلوق بخالقه ، من خلال النعم والمنح التى وهبها الله لخلقه ، فيحب النَّاس ربهم ويرتبطون ويطيعون أوامره لينالوا جنته)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قارون وفرعون وهامان كان عندهم أسباب الراحة ، ولكن الله تَعَالَى أهلكهم فى أسبابهم ، سيدنا يونس عليه السلام فى بطن الحوت ، ولكن الله تَعَالَى بقدرته حفظه من الهلاك ، وسيدنا يوسف عليه السلام فى البئر وقد حفظه الله ، فالله تَعَالَى يريد هذا اليَقِين من عباده ، إن العزة والذلة بيد الله ، والموت والحياة بيد الله ، والفلاح والنجاح بيد الله ، ولكن الإِنسَان يرى كل هذا فى الأشياء ، فعَلَى الإِنسَان أن يخرج اليَقِين عَلَى الأشياء ، ويثبت اليَقِين عَلَى الله تَعَالَى ، هذا هو الإِيمَان المطلوب ، وإذا حصل هذا نستطيع أن نثبت عَلَى أوامر الله .)[4]

---

[1] (17 – 20 الغاشيه)
[2] (258 البقرة)
[3] لسان الدعوة : (217)
[4] لسان الدعوة : (331)

فَصْلٌ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ جَمِيعِ الأَنْدَادِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ التَّحْذِيرُ مِنْ جَمِيعِ الأَنْدَادِ التِى تُتَّخَذُ مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَى بِالطَّرِيقَةِ المُتَاحَةِ وَالمَشْرُوعَةِ ، وَمَنْ قَدَرَ عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ وَتَرْكِهِ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى الشِّرْكِ بِاللهِ تَعَالَى ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأَنْدَادَ لَهَا صُوَرٌ كَثِيرَةٌ ، تَخْتَلِفُ مِنْ زَمَنٍ لِآخَرَ وَمِنْ مَكَانٍ لِأَخَرَ ، فَبَعْضُهُمْ يَتَّخِذُ حِجَارَةً وَأَوْثَاناً نِدَاً مِنْ دُونِ اللهِ ، وَبَعْضُهُمْ يَتَّخِذُ مَالَهُ وَتِجَارَتَهُ نِدَّاً مِنْ دُونِ اللهِ ، وَبَعْضُهُمْ يَتَّخِذُ جَاهَاً وَسُلْطَاناً نِدَّاً مِنْ دُونِ اللهِ ، فَكُلُّهُمْ سَوَاءٌ مَا تَحَقَّقَتْ العِلَّةُ وَهِيَ اتِّخَاذُ الشَّرِيكُ مَعَ اللهِ تَعَالَى فِي حَقِّهِ الخَالِصِ الذِى لَا يَجُوزُ أَنْ يُصْرَفَ لِغَيْرِهِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فلما قام رَسُول الله بدعوة النَّاس إِلَى اللهِ ، نفى كل ما سوى الله فى قلوبهم ، وكان ذَلِكَ غريبا عليهم فحكى الله ذَلِكَ عنهم حيث قالوا متعجبين : (أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) [1] ، وأخبرهم أن الحياة وقتية عرضية زائلة فقال : (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) [2].) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إن حقيقة الإِيمَان ألا تجعل لله ندا ولا صنما ولا شريكا ، فالصنم كان امتحانا للمشركين ، أما فى زماننا هذا فالصنم هى مشاغل الدنيا وأسبابها التى ابتلينا بها فهى الإمتحان ، لأن ذَلِكَ لا يعبد فيه المسلمون صنما ، ولكن أسبابا يعتمدون عليها ، ومشاغل قدموها عَلَى أمر الله فشاركوا الله مع غيره ، أو اتخذوا أسبابهم ندا ، واليَقِين لا يرسخ فى القلب إلا بالدوام عَلَى المذاكرة ، بأن نذكر الله بألسنتنا وفى قلوبنا ومع النَّاس ، أما أن نذكر الله بألسنتنا ثم نكبر المادة بقلوبنا فهذا هو الشرك ، لكن الصَّحَابَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ صغروا المادة وعظموا الله فهابتهم الأسود) [4]

---

[1] (5 ص)
[2] (64 العنكبوت)
[3] لسان الدعوة : (185)
[4] لسان الدعوة : (369)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ الخَوفَ يَكُونُ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الخَوْفَ عِبَادَةٌ ، لَا يَجُوزُ أَنْ تُصْرَفَ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى ، فَمَنْ عَرَفَ اللهَ تَعَالَى خَافَهُ ، قَالَ تَعَالَى (فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [1] وَمَا عَرَفَ اللهَ تَعَالَى مَنْ لَمْ يَخَفْهُ ، وَالخَوفُ المُحَرَّمُ قَطْعَاً كَمَنْ يَخَافُ مِنْ سَخَطِ الوَلِيِّ الفُلَانِيِّ المَقْبُورِ ، أَوْ مَا إِلَى ذَلِكَ ، وَالخَوفُ مِنْهُ مَا يَكُونُ جِبِلِّيٌ فِي فِطْرَةِ الإنسَانِ لَا يَنْفَكُّ عَنْهُ وَهَذَا لَا سُلْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَلَى دَفْعِهِ بَلْ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ فِي الثِّقَةِ بِاللهِ تَعَالَى .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (بنوا إسرائيل نظروا للمخلوق فجاء الخوف فى القلب رغم التربية التى تلقوها من موسى عليه السلام ، لذَلِكَ قالوا : (إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) [2] ، وهنا لو خاف المُسْلِم من المخلوق ترتفع النصرة ، لهذا زجرهم موسى عليه السلام وَقَالَ : (قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) [3] ، والقصد من هذا الزجر التذكير بِاللهِ تَعَالَى ، وإخراج اليَقِين الفاسد من القلب عَلَى المخلوق وقوته .) [4]

فَصْلٌ فِي أَنَّ التَّوَكُّلَ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ وَتَكْبِيرَهُ وَحْدَهُ وَتَعْظِيمَهُ وَحْدَهُ ، سَبَبُ العِزَّةِ وَالفَلَاحِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ العِزَّةَ وَالفَلَاحَ لِلْمُسْلِمِ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ لَنْ يَكُونَ إِلَّا بِالسَّيْرِ عَلَى المَنْهَجِ الذِى رَسَمَهُ اللهُ تَعَالَى لَنَا وَدَعَانَا إِلَيْهِ رَسُولُنَا المُجْتَبَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمِنْهُ التَّوَكُّلُ الكَامِلُ عَلَى اللهِ تَعَالَى فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ بِحَيْثُ لَا يَنْصَرِفُ قَلْبُ الإِنْسَانِ لِمَخْلُوقٍ وَقْتَ الشِّدَّةِ بَلْ يَكُونُ تَعَلُّقُهُ بِاللهِ تَعَالَى فِي كُلِّ حَالٍ جِبِلَّةً وَغَرِيزَةً تَنْطَلِقُ كَالقَذِيفَةِ دُونَ وَعْيٍ مِنْ الإِنسَانِ ابْتِدَاءَاً قَالَ تَعَالَى : (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) [5] وَقَالَ : (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا) [6] . وَمَنْ حَقَّقَ ذَلِكَ فَقَدْ بَلَغَ ذِرْوَةَ التَّوْحِيدِ

---

[1] (175 آل عمران)
[2] (61 الشعراء)
[3] (62 الشعراء)
[4] لسان الدعوة : (370)
[5] (3 الطلاق)
[6] (23 المائدة)

وَالإِيمَانِ ، وَكَذَلِكَ تَعْظِيمُ اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ وَتَكْبِيرِهِ وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ قَالَ تَعَالَى : (وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا)[1] ، وَقَالَ : (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)[2] وَنَفْى الشَّرِيكِ عَنْهُ فِى كُلِّ مَا هُوَ مِنْ صِفَاتِهِ تَعَالَى مِنْ أَسْبَابِ تَرْسِيخِ التَّوْحِيد فِى القُلُوبِ ، الذِى يَكُونُ سَبَبٌ لِلْعِزَّةِ وَالنُّصْرَةِ وَالفَلَاحِ الدُّنْيَوِىِّ وَالأُخْرَوِىِّ . قَالَ تَعَالَى : (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ)[3] .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (الصَّحَابَة كانوا أقل منا عددا وعدة ، ولكنهم كانوا مؤيدين بِنُصرَةِ الله تَعَالَى ، والله تَعَالَى أعطاهم العزة والفلاح أمام كسرى وقيصر ، ولكن نحن اليوم أكثر من الصَّحَابَة ، وعندنا الطائرات والقنابل ، ولكننا فى الذلة والخسارة ، فما السبب فى عزهم وفلاحهم مع قلتهم ؟ وأسباب ذلتنا مع كثرتنا ؟ هم كانوا يتوكلون عَلَى الله تَعَالَى ، وليس عَلَى الأسباب المادية ، ويكبرون الله تَعَالَى ويصغرون ما سوى الله ، ولكننا نعتمد عَلَى الأسباب المادية ، ونتوكل عَلَى الله بلساننا ، ونحن نكبر الله أيضا باللسان ونعظم ما سوى الله بالقلوب ، فهم لما كبروا الله ، وصغروا ما سوى ما سوى الله ، فالله سخر لهم كل شىء ، صغروا البحار فالله سخرها لهم ، وصغروا النيران والأسود فالله سخرها لهم ، وصغروا طواغيت زمانهم فوضع الله كنوز كسرى وقيص تحت أقدامهم . ونحن نصغر كل ذَلِكَ بألسنتنا)[4]

فَصْلٌ فِى بَيَانِ وُجُوبِ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى وَتَعبِيدِ النَّاسِ لَهُ وَحدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ عِبَادَةُ اللهِ تَعَالَى بِالقَدْرِ الذِى يَسْتَطِيعُ ، بِأَنْ يُطِيعَ اللهَ تَعَالَى فِى كُلِّ أَمْرٍ فَيَأْتَمِرَ بِهِ وَفِى كُلِّ نَهْىٍ فَيَنْتَهِى عَنْهُ ، وَيَتَّبِعُ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أَرَادَ وَبِفَهْمِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَيَجِبُ كَذَلِكَ تَعْبِيدُ النَّاسِ فِى مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا لِلهِ تَعَالَى بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَإِقَامَتِهِمْ عَلَى دِينِهِ ، وذَلِكَ بِالقَدْرِ المُسْتَطَاعُ ، وَلَنْ نُعْدَمَ حِيلَةً أَوْ وَسِيلَةً أَوْ قُدْرَةً فِى نَشْرِ هَذَا الدِّينِ إِنْ عَلَتْ هِمَمُنَا وَخَلُصَتْ لِلهِ نِيَّاتُنَا وَأَخَذْنَا بِالأَسْبَابِ المَشْرُوعَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

---

[1] (111 الإسراء)
[2] (3 المدثر)
[3] (74 النحل)
[4] لسان الدعوة : (257)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله اشترانا ليس أربعة أشهر ولا لشهرين ولكن اشترانا لطول العمر حيث يَقُولُ سبحانه : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّة يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[1] . الله تَعَالَى اشترانا لأى شىء ؟ لصالح النَّاس ولإقامة عبوديته وذَلِكَ بدعوة النَّاس إِلَى اللهِ تَعَالَى)[2]

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ (لذَلِكَ علينا أن نتذاكر فى قدرة الله وعظمته وخزائنه حتى نعرف ربنا ، فإذا عرفنا ربنا نحن نعبده ولا نعصيه)[3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ وُجُوبِ إِمْتِثَالِ أَوَامِرِ اللهِ تَعَالَى وَذِكْرِ ثَمَرَتِهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ الإِمْتِثَالُ الكَامِلُ لِلهِ تَعَالَى فِى كُلِّ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ ، وَيَتَفَرَّعُ عَنْهُ الامْتِثَالُ الكَامِلُ لِكُلِّ أَوَامِرِ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَوَاهِيهِ ، وَاتِّبَاعِهِ فِى كُلِّ شُئُونِهِ ، فَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُول فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ)[4] ويَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام (إِنَّمَا انَا مُبَلِّغٌ وَاللهُ يَهْدِي)[5] .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (وَيَجِبُ من مواصلة الجهد حتى الموت ، فنصل إِلَى منزلة : (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)[6] وقوله : (فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)[7] ، واللهُ سُبحَانَهُ بين لنا الحلال والحرام ، والدين سهل ولين ويسير ، والإنسان فيه يحتاج إِلَى التربية وذَلِكَ بالترتيب والتدريج)[8]

---

[1] (111 التوبة)
[2] لسان الدعوة : (205)
[3] لسان الدعوة : (315)
[4] (7 الحشر)
[5] (مسند أحمد 16978)
[6] (99 الحجر)
[7] (132 البقرة)
[8] لسان الدعوة : (139)

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (إِلَى آخر نفس لنا فى الحياة نطبق أوامر الله وسنة الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هذا لا يتحقق إلا بعد الجهد والتضحية)[1]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (ففى الإمتثال لأمر الله تَعَالَى قوة عجيبة ، فالعين طوال أربع وعشرين ساعة إِلَى أى شيء تنظر ؟ والى أى شيء لا تنظر ؟ فإذا امتثل الإِنسَان أمر الله فى بصره ، تكون معية الله معه ، وكذَلِكَ خزائنه تكون معه ، والله يحميه)[2]

وَقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (نحن إذا نمتثل أمر الله فى هذه الأشياء ، الله تَعَالَى يرزقنا الفلاح ، وإِذا نحن ما امتثلنا أمر الله فيها مع وجودها ، الله تَعَالَى يجعلنا فى الخسران)[3]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (إذا الإِنسَان يمتثل أوامر الله فى تجارته وأشغاله الله تَعَالَى يهديه ، يَقُولُ تَعَالَى (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[4] ، فالذى يستقبل نور الله وكتابه ويمتثل أمر الله فى تجارته وفى حياته عَلَى جميع الأحوال ، الله يهديهم ويخرجهم من العداوة والضلالة ، ويكونوا عَلَى الصراط المستقيم ، ولكن يظل من اتخذ إلهه هواه فى الضلال . فالذين لا يقومون عَلَى أمر الله هم فى الغفلة)[5]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (من المعروف أن أغنى الأغنياء فى الأرض لا يمكن أن يحدد لنفسه مقدار السعادة التى يمكن أن يتحصل عليها اليوم ، والله جعل كمال النعم فى الجَنَّة ، وللحصول عَلَى كمال النعم لابد من كمال الإِيمَان والأعمال ، وللحصول عَلَى كمال الإِيمَان لابد من كمال الإمتثال لأوامر الله عزوجل وهدى رَسُولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولذا قيل : ليس اليتيم من

---

[1] لسان الدعوة : (193)
[2] لسان الدعوة : (223)
[3] لسان الدعوة : (291)
[4] (15 – 16 المائدة)
[5] لسان الدعوة : (311)

فقد الأب ولكن اليتيم من فقد رحمة الرب ، ولذا من نقصان العقل أن تجعل الدنيا صديقة لك ، فإذا امتثل الإنسَان لأوامر الله ، جميع ما في الدنيا يمتثل لهذا الإنسَان) [1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ حَقِيقَةَ التَّوْحِيد والإِيمَان بِالأَفعَالِ لاَ بِالأَقْوَالِ فَقَط .

وَاعْلَمْ أَنَّ التَّوْحِيدَ اعْتِقَادٌ وَقَوْلٌ وَعَمَلٌ ، فَيَجِبُ الاعْتِقَادُ الصَّحِيحُ وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ وَالعَمَلُ بِهِ ، وَلَيْسَ وَاحِداً دُونَ الآخَرِ ، فَمَنْ قَصَّرَ فِي أَحَدِهِمْ فَهُوَ مَلُومٌ بَلْ ومُحَاسَبٌ وَمُعَاقَبٌ بِقَدْرِ تَقْصِيرِهِ ، وَقَدْ يُعْفَى عَنْ بَعْضِ التَّقْصِيرِ الخَارِجِ عَنِ الإِرَادَةِ وَالاسْتِطَاعَةِ ، مَا بَذَلَ المُسْلِمُ وُسْعَهُ ، وَلاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا . وَالعَمَلُ هُوَ الثَّمَرَةُ الأُولَى وَالحَقِيقِيَّةُ لِلإِعْتِقَادِ ، فَمَنْ اعْتَقَدَ اعْتِقَاداً صَحِيحاً وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَكَأَنَّمَا لَمْ يَجْنِ ثَمَرَةَ اعْتِقَادِهِ بِخِلَافِ مَنِ اعْتَقَدَ اعْتِقَاداً غَيْرَ صَحِيحٍ وَعَمِلَ بِهِ فَقَدْ جَنَى ثَمَرَتَهُ - أَعْنِي الوَخِيمَةَ – فَلِذَلِكَ يَجِبُ عَلَى المُسْلِمِ الحِرْصُ عَلَى تَطْبِيقِ مَا يَعْتَقِدُ لِيُحَقِّقَ اعْتِقَادَهُ تَحْقِيقاً .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قَالَ تَعَالَى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ ورَسُوله ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [2] فهذه هي حقيقة الإيمَان ، (آمَنُوا بِاللهِ ورَسُوله) فلا يكون شك في أمر الله ورَسُوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع صدقنا في أقوالنا وأعمالنا ، فهكذا بعد الإيمَان لا ريبة (ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) بعد ذَلِكَ (وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فكل الأمة تكون في المجاهدة ، هنا الله تَعَالَى يوفي لنا موعوداته وذَلِكَ حينما يكون عندنا حقيقة الإيمَان . ومتى تكون حقيقة الإيمَان ؟ يَقُولُ تعَالَى (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) [3] فهنا إما في أعمال الخروج والهجرة ، أو أعمال النصرة ، أو الشغل في المقام .) [4]

---

[1] لسان الدعوة : (406)
[2] (15 الحجرات)
[3] (74 الأنفال)
[4] لسان الدعوة : (209)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نحن لو نتبع الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى كل شىء ، مثلما فعل النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد علم الصَّحَابَة ، وكل الأنبياء علموا الكبار ،

كما فعل الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمهم عمليا قولا وفعلا)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الصَّحَابَة كانوا أقل منا عددا وعدة ، ولكنهم كانوا مؤيدين بِنُصرَةِ الله تَعَالَى ، والله تَعَالَى أعطاهم العزة والفلاح أمام كسرى وقيصر ، ولكن نحن اليوم أكثر من الصَّحَابَة ، وعندنا الطائرات والقنابل ، ولكننا فى الذلة والخسارة ، فما السبب فى عزهم وفلاحهم مع قلتهم ؟ وأسباب ذلتنا مع كثرتنا ؟ هم كانوا يتوكلون عَلَى الله تَعَالَى ، وليس عَلَى الأسباب المادية ، ويكبرون الله تَعَالَى ويصغرون ما سوى الله ، ولكننا نعتمد عَلَى الأسباب المادية ، ونتوكل عَلَى الله بلساننا ، ونحن نكبر الله أيضا باللسان ونعظم ما سوى الله بالقلوب ، فهم لما كبروا الله ، وصغروا ما سوى ما سوى الله ، فالله سخر لهم كل شىء ، صغروا البحار فالله سخرها لهم ، وصغروا النيران والأسود فالله سخرها لهم ، وصغروا طواغيت زمانهم فوضع الله كنوز كسرى وقيص تحت أقدامهم . ونحن نصغر كل ذَلِكَ بألسنتنا)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قد بحثت فى القرآن وبكيت إِلَى اللهِ تَعَالَى ، يارب أخبرنا عن حقيقة الإِيمَان ، الله فتح عَلَى هذه الأية قَالَ تَعَالَى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ ورَسُوله ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)[3] ، فحينما نكون صادقين ، الله تَعَالَى يعطينا جميع الموعودات ، ثم اللهُ سُبحَانَهُ يبين لنا ما هى حقيقة الإِيمَان فيَقُولُ اللهُ سُبحَانَهُ : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)[4] ونحن لما نقطع من وقتنا ونوقفه لله تَعَالَى ونرتب أعمال الإِيمَان ، الله يحقق فينا هذه الأشياء ، الإِيمَان والحركة والإِنتقال)

[1] لسان الدعوة : (249)
[2] لسان الدعوة : (257)
[3] (15 الحجرات)
[4] (74 الأنفال)

وَهَاجَرُوا) ، وبالجهد والمشقة والتحمل (وَجَاهَدُوا) ، ثم يقابلنا أحبابنا فى مقامه (آَوَوْا) ويكونون فى نصرتنا والحركة معنا (وَنَصَرُوا) بذَلِكَ الله يجتبينا ويجعلنا من المؤمنين (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) .)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فى كل زمان كان الله تَعَالَى يجعل النصرة والعلو لأهل العلوم الإلهية عَلَى أهل العلوم المادية الإنسانية ، كما نصر موسى عليه السلام بالعلم الإلهى عَلَى فرعون صاحب العلم المادى ، وكما نصر إبراهيم عليه السلام عَلَى النمرود ، ونصر أصحاب مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى كسرى وقيصر أصحاب العلوم المادية الإنسنية ، ولكن اليوم مع إيماننا بعلومنا الإلهية إلا أننا مهزومون أمام أهل العلوم المادية الإنسانية ، مع أن القرآن الذى بين أيدينا هو نفس الكتاب الذى كان عِند أسلافنا ، لم ينقص منه حرف ولم يزد فيه حرف ، وربنا وربهم واحد ، ونبينا ونبيهم واحد ، وقبلتنا وقبلتهم واحدة ، ولكن لماذا كانوا منصورين ونحن مهزومون ؟ ولماذا كانوا فى العزة ونحن فى الذلة ؟ السبب فى ذَلِكَ أنهم كان عندهم حقيقة العلوم الإلهية ، ونحن عندنا اللفظ والصورة فقط ، وأهل المادة فى زمانهم كان عندهم حقيقة العلوم المادية وهم كان عندهم حقيقة العلوم الإلهية ، فالحقيقة مع الحقيقة كانت نصرة الله تَعَالَى للحقيقة التى ارتضى لعباده ، ونحن اليوم نقف بلفظ العلوم وصورتها أمام حقيقة العلوم المادية ، فمن ينتصر إذن ؟! فالحقيقة دائما تغلب الصورة .فأسلافنا الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ كانوا مثل الأسد الحقيقى ، وأهل العلوم المادية كانوا مثل الفأر لحقيقى ، فماذا يفعل الفأر الحقيقى أمام الأسد الحقيقى ؟ إذن ليس هناك مقارنة بين الأسد والفأر ! ولكننا نحن اليوم مثل الأسد مصورا عَلَى الورق أمام الفأر الحقيقى ، فالفأر فى هذه الحالة يخرق صورة الأسد ، ولو كان شكله فى الصورة مهيبا)[2]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد علينا أن نخجل ، لأن الله تَعَالَى وعد بالنصر للإيمان ، الله نصر الصَّحَابَة وكذَلِكَ فى زماننا ينصرنا إذا قوة الإيمَان فى حياتنا ، وما هى قوة الإيمَان ؟ نعظم الله ونكبره باللسان والقلب ، هم كانوا يكبرون الله ويصغرون غيره ، فأذل الله لهم طواغيت زمانهم ، فى زمن الصَّحَابَة كانوا يكبرون الله بألسنتهم وقلوبهم ، وفى زماننا نكبر الله بألسنتنا

---

[1] لسان الدعوة : (261)

[2] لسان الدعوة : (301)

ونعظم المادة فى قلوبنا ، جميع القوات الهدامة كبيت العنكبوت ، والإنسان يَقُولُ لفظ الإيمَان ولكن القلب ليس فيه حقيقة الإِيمَان ، فى زماننا عَلَى اللسان كلام التَّوْحِيد ولكن توحيد القلوب ضعيف جدا لأنه يعتمد عَلَى غير الله ، والذى يكون فى قلبه الإِيمَان والتَّوْحِيد لا يكون عَلَى لسانه فقط بل فى قلوبهم ، وهذا لا يكون إلا بالدعوة والتضحية)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إن حقيقة الإِيمَان وحقيقة الدين فى حياة الأمة أعظم ثروة يجب أن يحرص عليها الإِنسَان ، لأن بها معية الله)[2]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فالإِيمَان الصحيح ليس ادعاءاً أجوف ، ولا كلمة تردد عَلَى اللسان ، فبنوا إسرائيل قالوا بألسنتهم : (عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)[3] فهنا هم طلبوا النجاة فقط ، وما طلبوا العزو والنصرة ، لم تكن لهم همم عالية)[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إن حقيقة الإِيمَان ألا تجعل لله ندا ولا صنما ولا شريكا ، فالصنم كان امتحانا للمشركين ، أما فى زماننا هذا فالصنم هى مشاغل الدنيا وأسبابها التى ابتلينا بها فهى الإمتحان ، لأن ذَلِكَ لا يعبد فيه المسلمون صنما ، ولكن أسبابا يعتمدون عليها ، ومشاغل قدموها عَلَى أمر الله فشاركوا الله مع غيره ، أو اتخذوا أسبابهم ندا ، واليَقِين لا يرسخ فى القلب إلا بالدوام عَلَى المذاكرة ، بأن نذكر الله بألسنتنا وفى قلوبنا ومع النَّاس ، أما أن نذكر الله بألسنتنا ثم نكبر المادة بقلوبنا فهذا هو الشرك ، لكن الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ صغروا المادة وعظموا الله فهابتهم الأسود)[5]

---

[1] لسان الدعوة : (304)
[2] لسان الدعوة : (367)
[3] (85 – 86 يونس)
[4] لسان الدعوة : (368)
[5] لسان الدعوة : (369)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قَالَ تَعَالَى (وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ)[1] فهنا موسى وجههم لله ، وهم هنا توكلوا ولكن باللفظ (فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا)[2] ووعد الله ليس بالإيمان اللفظى ، لكن لابد من الإيمان الحقيقى)[3]

فَصْلٌ فِي عَدَمِ الشَّكِّ فِى اللهِ تَعَالَى وَاليَقِينِ الكَامِلِ بِمَوعُودَاتِهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ اليَقِينُ عَلَى اللهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ الرَّبُّ الخَالِقُ لِهَذَا الكَوْنِ وَأَنَّهُ المَأْلُوهُ المَعْبُودُ المُطَاعُ . لِأَنَّ هَذَا يُحَقِّقُ فِي قُلُوبِنَا التَّعَلُّقَ بِهِ وَاللُّجُوءَ إِلَى بَابِهِ تَعَالَى ، فَمَنْ شَكَّ فِي ذَلِكَ فَقَدْ نَقَضَ تَوْحِيدَهُ ، وَمِنَ اليَقِينِ عَلَى اللهِ تَعَالَى أَنْ تَتَيَقَّنَ بِكُلِّ مَوْعُودَاتِ اللهِ تَعَالَى الغَيْبِيَّةِ وَكَأَنَّكَ تَرَاهَا رَأْىَ العَيْنِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (... فهنا لابد لبنى إسرائيل من المجاهدة وترك المألوف وهجرة الوطن ، فخرجوا ولكن لما رأو فرعون قالوا : (إِنَّا لَمُدْرَكُونَ)[4] ، لماذا ؟ لأن فرعون جمع النَّاس وخطب فيهم وَقَالَ : (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ، وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ) فهنا أخرج بنوا إسرئيل خبيئة أنفسهم فى الإعتماد عَلَى غير الله ، لذَلِكَ قَالَ سيدنا موسى مباشرة : (كَلاَّ) ثم أكدها بقوله : (إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) فهنا (كَلاَّ) تنفى ما سبق وتثبت ما بعد وهى معية الله لهدايته ، وهذا لينظف قلوبهم من أدران الشك ويثبت اليَقِين عليه سبحانه ، فهنا لما ذهب غبار قلوبهم وتوكلوا عَلَى الله جاءت النصرة بقوله : (أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ)[5] .)[6]

---

[1] (84 يونس)
[2] (85 يونس)
[3] لسان الدعوة : (379)
[4] (61 الشعراء)
[5] (63 الشعراء)
[6] لسان الدعوة : (380)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (حقيقة الإِيمَان أن نتيقن عَلَى ذات الله ولا نتأثر إلا به)[1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنْوَاعِ تَوْحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ المُتَنَوِعَةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ تَوْحِيدَ اللهِ تَعَالَى العَمَلِيَّ لَهُ صُوَرٌ عَدِيدَةٌ مِنْهَا الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصَّوْمُ وَالحَجُّ وَالخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَالاسْتِعَانَةُ وَالاسْتِغَاثَةُ وَالدُّعَاءُ وَالخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَاليَقِينُ وَالمُرَاقَبَةُ وَالإِخْلَاصُ وَالذَّبْحُ وَالنَّذْرُ وَالاعْتِمَادُ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَهُوَ إِجْمَالاً كُلُّ مَا أَوْجَبَهُ - لَا أَعْنِى حُكْمَ الوُجُوبِ بَلْ أَعْنِى مَا شَرَعَهُ اللهُ تَعَالَى حَتَّى وَلَوْ كَانَ سُنَّةً - اللهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ لَا يَجُوزُ أَنْ يُصْرَفَ لِغَيْرِهِ أَوْ أَنْ يُشْرَكَ مَعَ اللهِ تَعَالَى غَيْرُهُ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نحن نجد فى القرآن الأصول التى اتفقت عليها الأنبياء وهى ثابتة ، مثل : التَّوْحِيد ، والبعث ، والحساب إِلَى غير ذَلِكَ ، ثم هناك فروع ، فالأنبياء اتفقوا فى الأصول كلها ، لكن التغير فى الفروع حيث يَقُولُ تَعَالَى : (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)[2])[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (وإِذا أخرجنا من قلوبنا الخوف من غير الله والرجاء من غير الله ، بعد ذَلِكَ تأتينا نصرة الله)[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الإستفادة من خزائن الله تَعَالَى بالعبادة وبالأخلاق وبالإنفاق عَلَى النَّاس ، نتقرب إِلَى اللهِ تَعَالَى بالعبادة ونتقرب من النَّاس بالأخلاق ، بالعبادة والإستعانة بِاللهِ نكون محبوبين عِند الله ، وبالإنفاق نكون محبوبين عِند النَّاس)[5]

---

[1] لسان الدعوة : (394)
[2] (48 المائدة)
[3] لسان الدعوة : (112)
[4] لسان الدعوة : (305)
[5] لسان الدعوة : (346)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فاللهُ سُبحَانَهُ يمتحننا بأعمالنا وبتجاربنا وبأسبابنا ، فهل اعتمادنا وتجارتنا ؟ أم أن اعتمادنا عَلَى ربنا ؟ فإذا يكون الإعتماد عَلَى الله فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينصرنا ،

وإذا كان الإعتماد عَلَى غير الله هزمنا)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الحمد لله الذى أخرج لنا هذه الدعوة لندعوا إِلَى كتاب الله وسنة رَسُولِهِ ونرجع إليها ، الحمد لله الذى أخرج هذا العمل لنا لتوحيد الألوهية والربوبية وأسماء الله وصفاته ، الله عز وجل علم نبيه أن يركز عَلَى الإِيمَان ، والنَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ الإِيمَان واليَقِين الصحيح وبه تميز الأشياء ، التَّوْحِيد عن الشرك ، إذن نصرف أنفسنا لله ولا نتوجه لغير الله . فقد ركز النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هذا اليَقِين والتَّوْحِيد الخالص ، حتى أن الله عزوجل أراد ربط الإِنسَان بالتَّوْحِيد عن طريق الصلاة ، فعِند الدخول فى الصلاة التكبير ، وهكذا عند الركوع ، كل هذا لتوحيد الألوهية ، وإذا أتى توحيد الألوهية يأتى توحيد الربوبية ، وكل جهد مثل الحلقات وغيرها هو لهذا اليقين)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فالإِيمَان بذات الله ألا نعتمد عَلَى غير الله ، ولا رجاء بغير الله ، ولا استعانة بغير الله ، ولا نعبد إلا الله ، ولا نسجد إلا لله ، بعد ذَلِكَ تأتينا نصرة الله ، ونعلم أن نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ركزوا جهدهم عَلَى تعليم الأمة الإِيمَان ، وأخذوا أضعاف وقت تعليمهم الأعمال)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (اللهُ سُبحَانَهُ أخذ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه فى السماء وأراه خزائنه ، ثم دله عَلَى مفاتيح تلك الخزائن وهى فى الصلاة والاستعانة والطلب مِنَ اللهِ فيَقُولُ تَعَالَى : (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)[4] ، وحتى تكون الصلاة مثمرة لابد من أن تكون الصلاة قوية وهذا بالإخلاص ، فيجب أن تكون النية هى رضاء اللهُ سُبحَانَهُ)[1]

---

[1] لسان الدعوة : (391)

[2] لسان الدعوة : (393)

[3] لسان الدعوة : (394)

[4] (45 البقرة)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ عَلاَمَةَ حُبِّ اللهِ تَعَالَى تَكُونُ بِطَاعَتِهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ العَلَامَةَ الكُبْرَى لِحُبِّ اللهِ تَعَالَى وَالتَعْبِيرِ عَنْهُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ فِي كُلِّ أَوَامِرِهِ ، إِذْ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ ، وَمَنْ ادَّعَى المَحَبَّةَ أُلْزِمَ الطَّاعَةَ ، وَمَنْ عَصَى اللهَ تَعَالَى فَلَيْسَ بِمُحِبٍ أَبَداً وَإِنْ قَالَ مَا قَالَ وَتَسَمَّى بِمَا تَسَمَّى قَالَ تَعَالَى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) [2] ، وَمَنْ قَدَّمَ أَمْرَ اللهِ تَعَالَى عَلَى أُمُورِهِ فَقَدْ تُرْجِمَ لِحُبِّهِ لِلهِ تَعَالَى ، وَمَنْ أَخَّرَ أَمْرَ اللهِ تَعَالَى عَنْ أَوَامِرِهِ فَقَدْ بَاءَ بِالفُسُوقِ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَعَالَى .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قَالَ تَعَالَى : (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ ورَسُوله وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [3] ،

ولكن ما هى علامة تقديم حب الثمانية أشياء عَلَى الثلاثة ؟ أن الإنسَان لو ترك أمر الله وعبادته بسبب واحد من الثمانية علم أن هذه الثمانية أحب إليه مِنَ اللهِ ، ولو ترك سنة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإقتداء به بسبب واحد من الثمانية علم أن هذه الثمانية أحب إليه من الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولو جاءت مقتضيات الدعوة والجهد للدين والمشقة لإعلاء كلمة الله ، فترك الجهد لهذه المقتضيات بسبب واحد من هذه الثمانية فهنا علم أن هذه الثمانية أحب إليه من نصرة دين الله والجهاد له) [4]

فَصْلٌ فِي التَّحذِيرِ مِنَ عِبَادَةِ القُبُورِ وَالتَّوَسُلِ بِهَا وَالتَّوَكُلِ عَلَيهَا وبَيَانِ أَنْوَاعٍ خَفِيَّةٍ أُخْرَى مِنَ الشِّرْكِ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لا يَجُوزُ لِعَبْدٍ أَنْ يَتَوَجَّهُ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ إِلَى صَاحِبِ قَبْرٍ وَإِنْ كَانَ المَقْبُورُ هُوَ أَشْرَفُ الخَلْقِ وَأَطْهَرُهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُتَوَسَّلُ بِالمَقْبُورِ وَلَا يُتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَلَا يُطْلَبُ مِنْهُ الدُّعَاءُ وَلَا يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى حَاجَةٍ أَبَداً لِأَنَّ ذَلِكَ

---

[1] لسان الدعوة : (421 – 422)
[2] (31 آل عمران)
[3] (24 التوبة)
[4] لسان الدعوة : (431)

شِرْكٌ صَرِيحٌ بِاللهِ تَعَالَى ، وَقَدْ تَعَجَّبَ اللهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ مُسْتَنكِرًا فِعْلَهُمْ فَقَالَ تَعَالَى : (قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [1] وَقَالَ : (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ) [2] ، وَخُلَاصَةُ القَوْلِ فِى ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ مَحَبَّةَ اللهِ تَعَالَى قَبْلَ كُلِّ مَحَبَّةٍ وَتَرْجَمَةُ الحُبِّ أَنْ تَكُونَ طَاعَةَ اللهِ تَعَالَى قَبْلَ كُلِّ طَاعَةٍ وَأَمْرَهُ قَبْلَ كُلِّ أَمْرٍ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لِذَلِكَ كل الأمم من لدن نوح لما نسوا أمر الله وأشركوا به وتوجهوا إِلَى الأصنام ، فالله تَعَالَى كان يقضى حوائجهم مع توجههم إِلَى الأصنام ، حتى أشربوا فى قلوبهم حبها ، واليَقِين عليها وظنوا أنها هى التى تقضى حوائجهم ، عِند ذَلِكَ الله تَعَالَى يبعث لهم الأنبياء يدعونهم إِلَى أن قاضى الحاجات هو الله ، والفاعل الحقيقى هو الله ، وأن ما تدعون من دونه لا يملكون لكم نفعا ولا ضرا ، وهذا كان شيئا غريبا عليهم بعدما قضوا حياتهم فى عبادتها ، والتوسل إِليها ، وكم من الحاجات قضى لهم وهم متمسكون بها ؟! بهذا صعب عليهم تكذيب التجربة وتصديق الأنبياء ، الله تَعَالَى ابتلى العباد بهذه الأسباب المشاهدة ، لكى ينظر إِلَى العباد هل يتوكلون عليه بهذه الأسباب المشاهدة ؟ أو يتوكلون عليها ويتخذونها من دون الله أربابا ؟ فهناك فتن الله يختبر بها العباد ، فعن كعب بن عيض رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ :سمعت رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ (إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتى المال) [3] وعن عَلَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (من رضى مِنَ اللهِ باليسير من الرزق رضى الله منه بالقليل من العمل) [4] وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعث به إِلَى اليمن قَالَ (إِياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين) [5] وَقَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (

[1] (76 المائدة)
[2] (73 النحل)
[3] (الترمذى وأحمد)
[4] (البيهقى فى الشعب)
[5] (أحمد)

إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إِلَى دينكم) [1]) [2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ كَيْفِيَّةِ نُمُوِ الإِيمَان فِى القُلُوبِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الإِيْمَانَ بِاللهِ تَعَالَى وَالْيَقِينُ عَلَيْهِ وَالثِّقَةُ بِهِ يَنْمُوا فِى قَلْبِ الْمُؤْمِنِ بِعِدَّةِ أَسْبَابٍ مِنْهَا كَثْرَةُ الكَلَامِ وَالْمُذَاكَرَةُ عَنِ اللهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَكِبْرِيَائِهِ ، وكَذَلِكَ بِالتَّدَبُّرِ فِى كَلَامِ اللهِ تَعَالَى وَفِى سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمُذَاكَرَةِ حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَيَاةِ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ اللَّتَيْنِ هُمَا النَّمُوذَجُ المِثَالِيُّ الذِى يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مُطَابَقَةُ حَيَاتِهِ عَلَيْهِ . بِذَلِكَ يَنْمُوا الإِيمَانُ فِى القُلُوبِ وَيَتَرَسَّخُ وَتَظْهَرُ آثَارُهُ عَلَى الجَوَارِحِ وَفِى الحَيَاةِ العَامَّةِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إن الإِيمَان بهذه السنن الإلهية التى تمثل أهم عنصر من عقيدتنا ، ينموا فينا بكثرة حلقات التعليم والمذاكرات ، ويزيد هذا الإِيمَان رسوخا كلما تدبرنا فى كلام الله ، وتركنا الإعتماد عَلَى المشاهدات والتجارب ، ثم بتربية أنفسنا يوميا بالعتماد عَلَى الله فى كل أحوالنا مع وجود الأسباب وعدمها ، ونكون مستعدين لترك هذه الأسباب إذا تحتم الأمر ، أو جاءت ضرورة من ضروريات الدين) [3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ وُجُوبِ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ ، وَالاسْتِعَانَةِ بِهِ وَحْدَهُ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ إِفْرَادُ اللهِ تَعَالَى بِكُلِّ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ المَذْكُورَةِ آنِفاً ، وَلَا يَجُوزُ إِشْرَاكُ مَعَ اللهِ تَعَالَى أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ فِى حَقٍّ مِنْ حُقُوقِهِ .

---

[1] (أبو داود)

[2] لسان الدعوة : (241)

[3] لسان الدعوة : (214)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كيف نستفيد بالعبادات ؟ قَالَ تَعَالَى : (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) [1] ، فالعبادات لله والإستعانة به : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [2] ، فالعبادات تقوى صلة العبد بربه ، وبالإنفاق تجتمع القلوب وتتعاون ، ولكن متى الإستعانة بالعبادات ؟ حينما تكون العبادات فى ذاتها حقيقة ، وليس صورة للعمل ، فتزيد حقيقة العمل ، وهذه الأعمال نتائجها فى الآخرة ، ولكن بركتها فى الدنيا) [3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ طَرَفٍ مِنَ مَعْنَى المُجَاهَدَةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَصْلَ المُجَاهَدَةِ مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي اللهِ) [4] ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الرَّسُول الأَكْرَمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّقَيُّدِ بِقُيُودِ الشَّرْعِ الحَنِيفِ وَالالْتِزَامِ بِحُدُودِهِ ، وَتَحَمُّلِ المَشَقَّةِ وَالعَنَتِ التى تَحِلُّ بِالإِنْسَانِ جَرَّاءَ تَمَسُّكِهِ بِذَلِكَ ، وَمَعَ ذَلِكَ التَّضَرُّعُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِالثَّبَاتِ عَلَى الحَقِّ حَتَّى المَمَاتِ ، وَهُنَا يَهْدِينَا اللهُ تَعَالَى إِلَى أَرْشَدِ السُّبُلِ وَأَقْوَمِ الطُّرُقِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (النية فى اتباع النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحدود الشرع وقيوده ، من يجاهد عَلَى خلاف مقتضيات أمر الله ، فهى ليست مجاهدة ، بل مجاهله) [5]

وَقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نصرة الله تَعَالَى مع الذى يكون عنده حقيقة الدين ، والحقيقة لا تكون إلا بالمجاهدة ، ما هى المجاهدة ؟ تحمل التكليف والمشقة التى تأتى عَلَى الإنسَان فى امتثاله أمر الله ، وهذه مجاهدة ، وبالمجاهدة الله يهدى ، مثلا فى الصباح

---

[1] (45 البقرة)
[2] (5 الفاتحة)
[3] لسان الدعوة : (184)
[4] (الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلَى الجامع الصغير 12534)
[5] لسان الدعوة : (179)

يأتى الآذان للصلاة ، فالإنسان يترك الفراش للصلاة فهى مجاهدة ، والصوم كذَلِكَ والحج ، ولكن لإحياء هذه الأوامر هناك أمر مهم به تجىء جميع الأوامر وهو أمر الدعوة ، لأن الله أمرنا بالدعوة)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فالمجاهدة هى الجهد عَلَى طريق الأنبياء ، وهى التبتل إِلَى اللهِ بالبكاء والتضرع ، فلهذا نحن نجتهد عَلَى النَّاس حتى يقوموا عَلَى جهد الأنبياء ، أى المجاهدة ، وحتى يرجعوا إِلَى اللهِ بالإنابة فيَقُولُ الله تَعَالَى : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)[2] ،

ويَقُولُ الله تَعَالَى : (اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ)[3] .)[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (وما هى المجاهدة ؟ هى تحمل المشقة فى امتثال أمر الله ورَسُوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهنا الله ينجينا مشقة العذاب ، والعذاب بسبب مخالفة أمر الله ، وهو الذى جاء عَلَى فرعون وهامان وقارون والنمرود ، فالمجاهدة هى مشقة تحمل الطاعات ، والعذاب مشقة نتيجة المعصية ، وكل الأنبياء تحملوا المشقة فى سبيل القيام عَلَى أمر الله تَعَالَى)[5]

فَصْلٌ فِى بَيَانِ أَسْبَابِ قَبُولِ الدُّعَاءِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَعْظَمَ سَبَبٍ لِقَبُولِ الدُّعَاءِ هُوَ تَقْوِيَةُ الإِيمَانِ وَتَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ ، وَلَا يَتَقَوَّى الإِيمَانُ فِى الْقُلُوبِ إِلَّا بِالقِيَامِ عَلَى الْمَنْهَجِ الرَّبَّانِيِّ مِثْلَ مُرَاعَاةِ الحَلَالِ وَالحَرَامِ فِى كُلِّ شُئُونِنا ، وَبِالقِيَامِ بِالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْى عَنِ الْمُنْكَرِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، وَالْمُسَارَعَةِ فِى الخَيْرَاتِ مَعَ الرَّغْبَةِ فِى اللهِ تَعَالَى وَالرَّهْبَةِ مِنْهُ تَعَالَى وَالخُشُوعِ إِلَيْهِ .

---

[1] لسان الدعوة : (318)
[2] (69 العنكبوت)
[3] (13 الشورى)
[4] لسان الدعوة : (275)
[5] لسان الدعوة : (429)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (عندما نتكلم مع النَّاس فى قدرة الله تَعَالَى وفى بطشه ، وكَذَلِكَ فى رحمته ، وما أعد للمؤمنين فى الجَنَّة إذا أطاعوه فى الدنيا ، فهذه دعوة إِلَى اللهِ ، وبهذا يتقوى الإِيمَان ، وإِذا تقوى الإِيمَان يتقوى الدعاء ، وإِذا تقوى الدعاء تقضى الحاجات)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (أهل الدعوة يجتهدون علي المُسْلِمِين ، ضروري أن يتخلقوا بأخلاق الله تعالي[2] ، فهذه الصفات لو تأتي فينا يأتي الدين ، والدعاء يكون مقبولا ، ولكن بعض الأحيان ، لماذا لا يكون مقبولا ؟ نراعي الحلال والحرام في أكلنا وملبسنا ، وكَذَلِكَ لا تكون قلوبنا لاهية ، وكَذَلِكَ إذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الله لا يستجيب الدعاء ، وبعض الأحيان فالله تعالي لا يستجيب الدعاء لأنه حكيم عليم ، فواحد يطلب المال مِنَ اللهِ ، فالله لا يعطيه لأنه يعلم أن لو أعطاه المال يكون مثل قارون ، وأحيانا بهذا الدعاء يرفع عنه المصيبة والبلاء ، وأحيانا يجمع بينهما فنحن نطلب مِنَ اللهِ تعالي ولو ما أعطانا فلا نيأس ، فأحيانا الله تعالي يؤخر الإِجابة وأحيانا يدخر له الدعاء ، وأحيانا يرفع عنه البلايا بهذا الدعاء ، وأحيانا يجمع له ، فإِذا أردنا أن يكون دعاؤنا مقبولا عِند الله تَعَالَى ، فعلينا أن نقوم بهذه الصفات الخمسة ، وهذه الصفات لا تأتى إِلا بجهد)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قَالَ تَعَالَى (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ)[4] ، وسبب هذا الصلاح لزوجه وبيته (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا

---

[1] لسان الدعوة : (340)

2 (أى يتصفوا بالصفات التى يجوز الاتصاف بها من صفاته تبارك وتعإِلَى مثل الحلم والرحمه ، وفى المفصل فى الرد عَلَى شبهات أعداء الإِسلام (خلقه من أجل أن يتصف بصفات الله الربانية فيكون إِنسانا ربانيا ، ليس بمعنى أن الله تعإِلَى يحل فيه والعياذ بالله ، = وإِنما بمعنى أن تتجلى وتظهر فيه الصفات الربانية ، في حدود بشريته الإِنسانية. فتتجلى عَلَى الإِنسَان الصفات الإِلهية) وفى أعلام السنة المنشورة 88 (س : ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الأسماء الحسنى « من أحصاها دخل الجَنَّة » ؟ قد فسر ذَلِكَ بمعاني منها : حفظها ودعاء الله بها والثناء عليه بجميعها ، ومنها أن ما كان يسوغ الاقتداء به كالرحيم والكريم فيمرن العبد نفسه عَلَى أن يصح له الاتصاف بها فيما يليق به وما كان يختص به نفسه تعإِلَى كالجبار والعظيم والمتكبر ، فعَلَى العبد الإِقرار بها والخضوع لها وعدم التحلي بصفة منها ، وما كان فيه معنى الوعد كالغفور الشكور العفو الرؤوف الحليم الجواد الكريم ، فليقف منه عِند الطمع والرغبة ، وما كان فيه معنى الوعيد كعزيز ذي انتقام شديد العقاب سريع الحساب ، فليقف منه عِند الخشية والرهبة ...) أ. هـ. وهناك حديث لا أصل له يقول (تخلقوا بأخلاق الله) ومعناه صحيح ، سلسلة الأحاديث الضعيفة2822 . والله اعْلَمْ)

[3] لسان الدعوة : (344)

[4] (89 – 90 الأنبياء)

خَاشِعِينَ)[1] إذن من يريد استجابة دعائه وإصلاح زوجته وبيه ، هو شخصيا يسارع فى الخيرات بالهمة والنشاط والفرحة فالله يستعمل جوارحه وفكره وماله لهذا الدين العظيم ، الذى هو أغلى ما فى السماوات والأرض)[2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ الإِنسَان مُخَيَّرٌ بِتَخْيِيرِ اللهِ تَعَالَى لَهُ .

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ مَنَحَ الإِنسَانَ الإِخْتِيَارَ فِى بَعْضِ الأُمُورِ مِثْلَ تَخْيِيرِ اللهِ تَعَالَى لِلعَبْدِ فِى سُلُوكِ أَحَدِ الطَّرِيقَيْنِ إِمَّا طَرِيقُ الخَيْرِ وَإِمَّا طَرِيقُ الشَّرِّ ، ، فَقَالَ تَعَالَى : (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)[3] وَقَالَ تَعَالَى : (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)[4] وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُرِيدُ الشَّرَّ ! بَلْ يُرِيدُ اللهُ الخَيْرَ لَكِنَّهُ يَمْتَحِنُ عَبْدَهُ بِهَذَا التَّخْيِيرِ فَقَالَ : (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا)[5]. وَإِرَادَةُ العَبْدِ هَذِهِ لَا تَخْرُجُ عَنْ إِرَادَةِ اللهِ تَعَالَى وَلَا تُخَالِفُهَا مُطْلَقَاً سَوَاءً كَانَتْ فِى أُمُورٍ مِنَ المَحْبُوبَاتِ لِلهِ تَعَالَى أَمْ مِنَ المَكْرُوهَاتِ ، فَمَثَلاً ، اللهُ تَعَالَى يُحِبُّ الخَيْرَ وَيَكْرَهُ الشَّرَّ ، فَمَنْ أَرَادَ الخَيْرَ فَقَدْ وَافَقَتْ إِرَادَتُهُ إِرَادَةُ اللهِ تَعَالَى وَمَحَابِّهِ ، وَمَنْ أَرَادَ الشَّرَّ فَقَدْ وَافَقَتْ إِرَادَتُهُ عِلْمُ اللهِ تَعَالَى وَإِذْنِهِ بِوُقُوعِ الشَّرِّ وَخَالَفَتْ مَحَابِّهِ ، فَلَيْسَ الإِنسَانُ مُخَيَّرٌ تَخْيِيراً مُطْلَقَاً بِحَيْثُ لَوْ أَرَادَ أَمْرَاً مَا فَسَيَفْعَلُهُ حَتَّى لَوْ لَمْ يُرِدِ اللهُ ذَلِكَ ! ، وَقَدْ صَيَّرَ اللهُ تَعَالَى الإِنسَانَ فِى أُمُورٍ لَيْسَ عَلَى مَدَارِهَا الحِسَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا يَتَحَدَّدُ مَصِيرُ الإِنسَانِ فِى الآخِرَةِ عَلَيْهَا ، فَالإِنْسَانُ فِيهَا كَالرِّيشَةِ فِى مَهَبِّ الرِّيحِ وَهِىَ وَاقِعَةٌ عَلَيْهِ لَا مَحَالَةَ شَاءَ أَمْ أَبَى وَمِنْ ذَلِكَ خِلْقَةُ الإِنسَانِ مِنْ طُولٍ وَقِصَرٍ وَجَمَالٍ وَقُبْحٍ وَدَقَّاتِ قَلْبِهِ وَقُوَّةِ بَدَنِهِ وَحَرَكَاتِ رِمْشِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (والله تَعَالَى أعطى لهذا الإنسَان الإختيار ، وهذا الإختيار إذا استعمله لطاعة الله تَعَالَى ينجح ، وإذا استعمله للمعصية يخسر ، ولكن بعض الأشياء ما أعطى فيها الإختيار للإنسان مثل اللون وذكر أم أنثى والوالدين ... ، ولكن

[1] (90 الأنبياء)
[2] لسان الدعوة : (403)
[3] (29 الكهف)
[4] (10 البلد)
[5] (29 الكهف)

اللسان أعطاه الإختيار أن يكون صادقا أو كاذبا ، الصلاة أم لا ، ولكن الاختيار ليس كاملا ، هذا الإختيار زمانه حتى الموت ، بعد الموت لا يكون له اختيار ، هذا الإختيار وقتيا ، لأنه ليس مختارا كليا ، لأنه بعض الأحيان يريد شيئا والله لا يتمه له ، لأن المختار للكل هو الله تَعَالَى يفعل ما يريد ، وإذا أراد هداية النَّاس يكون ذَلِكَ ، لأنه الكامل وهو مالك الملك ، حيث يَقُولُ : (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا) [1].) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (متى يجعل الله تَعَالَى الهداية للإنسان ؟ عندما يستعمل الإنسَان هذا الإختيار فى طاعة الله تَعَالَى ، فالله تَعَالَى يهديه) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (للاستعداد لما بعد الموت العمل قبل الموت ، الإستعداد للإنفاق والأعمال الصالحة موجود قبل الموت ، الله تَعَالَى أعطى الإنسَان الاختيار أن يعمل الخير أو الشر ، ولكن هذا قبل الموت) [4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إن الله تَعَالَى هو الرب الذى يعلم أين منفعة الإنسَان وأين خيره ؟ لذَلِكَ يَقُولُ سبحانه : (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا) [5] ، ولكن اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما جعل الإنسَان فى الدنيا مجبورا محضا ، فإن اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لو جبرالإنسان لما جعله مشركا ، ولكن الله تَعَالَى أعطى للإنسان بعض الحرية ، متى يطيع الله تَعَالَى رضاء ، لذَلِكَ يَقُولُ : (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا) [6] ، والله يرسل الأنبياء لتذكير عباده ولكنه لا يجبرهم عَلَى الهداية ، لأن الإنسَان عِند

---

[1] (13 السجدة)
[2] لسان الدعوة : (274)
[3] لسان الدعوة : (275)
[4] لسان الدعوة : (323)
[5] (107 الأنعام)
[6] (13 السجده)

الموت يؤمن بِاللهِ ، ولكن هذا الإيمَان لا يكون مقبولا ، والله تَعَالَى أرسل الأنبياء واجتهدوا ، وفى هذا الزمان أيضا الله جعل لنا الدعوة إِلَى اللهِ ، لماذا ؟ لأن الله تَعَالَى يحب للإنسان الهداية ولكنه لا يجبره عليها) [1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ مَعنَى الإِيمَان .

وَاعْلَمْ أَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ ، قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَاعْتِقَادٌ بِالجَنَانِ وَعَمَلٌ بِالجَوَارِحِ وَالأَرْكَانِ ، وَبِمَجْمُوعِ الثَّلَاثَةِ يَتَحَقَّقُ الإِيمَانُ فِي العَبْدِ ، وَإِذَا اخْتَلَّ أَحَدُهُمَا فَقَدِ انْتَقَصَ إِيمَانُ العَبْدِ بِقَدْرِ الخَلَلِ الوَاقِعِ مِنْهُ ، وَإِذَا تَحَقَّقَ الإِيمَانُ ثَبَتَ العَبْدُ فِي الإِمْتِحَانِ الذِى يَمْتَحِنُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ بِعَرْضِ الفِتَنِ عَلَيْهِم لِيَعْلَمَ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الصَّادِقَ مِنَ الكَاذِبِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (أول أمر للحصول عَلَى الفضل والرحمة هو الإعتصام بعد الإيمَان ، وهذا الإِيمَان وهذا الإعتصام لا يكون أبدا باللسان ، بل لابد من الصدق فى القلب ، ويوافق هذا عمل الجوارح فيكون عندنا حقيقة الإِيمَان وقوة الإِيمَان ، لماذا ؟ لأن الله يخبرنا أَنَّهُ بالإِيمَان الحقيقى القوى يمتحن العبد فيَقُولُ تَعَالَى : (الم ، أَحَسِبَ النَّاس أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) [2]) [3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ الإِيمَان يَزِيدُ وَيَنقُصُ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ ، وَيَظَلُّ يَزِيدُ بِالإِنْسَانِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى لِدَرَجَةِ الصِّدِّيقِيَّةِ وَالصَّلَاحِ وَالوِلَايَةِ الكُبْرَى – أَىْ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِ اللهِ تَعَالَى – وَيَظَلُّ يَنْقُصُ بِالإِنْسَانِ حَتَّى يُخْرِجَهُ مِنَ الإِسْلَامِ مُرْتَدًّا عَلَى عَقِبِهِ ، وَلِزِيَادَةِ الإِيمَانِ عَلَامَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا العُزُوفُ عَنِ الدُّنْيَا وَتَرْكُ زِينَتِهَا وَالتَّنَعُّمِ بِزُخْرُفِهَا وَالرَّغْبَةِ فِي الآخِرَةِ وَالبَحْثِ عَنْ طُرُقِهَا وَسُلُوكِ المُمْكِنِ مِنْهَا .

---

[1] لسان الدعوة : (384)
[2] (العنكبوت 3 – 1)
[3] لسان الدعوة : (208)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لو تفكرنا قليلا ، يَقُولُ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَان وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ. وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) 1 أى شيء للغنى أو للسلطان أو الملك لو أنفقه يملآ السماء والأرض ؟ لا يستطيع ، وهذا قد أعطاه الله تَعَالَى لجميع النَّاس ، فهنا ننظر كم قصرنا ؟ وكم فرطنا فى هذا ؟ وهذا الأمر ليس فيه جهد كبير ، بل حركة اللسان مع خضوع الجوارح وخشوع القلب يجعل الله تَعَالَى تلك الكلمات تملآ ميزان الآخرة)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (علامة زيادة الإيمَان عندما يكون الإنسَان زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة ، وإذا كان العكس فالعكس ، وليس عنده إيمان يحميه من عذاب الله يوم القيامة)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فالله تَعَالَى ينصر المؤمنين بقدرته الغيبية لشيئين ، أولا : ليزداد المؤمنون إيمانا ، وثانيا : وحتى الكفار يرون قدرة الله تَعَالَى أن الله تَعَالَى ينصرهم بغير الأسباب)[4]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ الفَرقِ بَينَ نُورِ العَينِ وَنُورِ الإِيمَانِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ مِنْ حَيْثُ النَّفْعِ أَوِ الضُّرِّ وَالخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ لَا تُعْلَمُ بِكُلِّ جَوَانِبِهَا بِنَوَاظِرِ البَشَرِ وَلَا بِحَوَاسِّهِم ، بَلْ هُنَاكَ مَا هُوَ أَصْدَقُ مِنْ ذَلِكَ وَأَدَقُّ وَأَشْمَلُ وَهُوَ نَظَرُ الشَّرْعِ وَدَلَالَتِهِ ، فَنُورُ العَيْنِ مَقْصُورٌ عَلَى قُدُرَاتِ النَّاظِرِ – وَهِىَ لَا شَكَّ قَاصِرَةٌ بَلْ وَتَخْتَلِفُ ، بَلْ وَتَتَضَارَبُ ، وَقَلِيلٌ مِنْهَا مَا يُوَافِقُ الوَاقِعَ – وَحَالُهُ ، أَمَّا نُورُ الإِيمَانِ فَيَنْبَعِثُ مِنْ مِشْكَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ التِى لَا تُخَالِفُ الوَاقِعَ وَالحَالَ فِى شَيْءٍ مُطْلَقَاً بَلْ صَلَاحُ الزَّمَانِ وَالمَكَانِ فِيهَا دُونَ مَا سِوَاهَا ، فَقَدِيماً كَانُوا يَتَأَنَّفُونَ مِنْ غَمْسِ الذُّبَابِ فِى الشَّرَابِ إِذَا وَقَعَ لِمَا يَرَوْنَهُ بِأَعْيُنِهِمْ مِنْ أَنَّ ذَلِكَ زِيَادَةُ ضَرَرٍ وَمَفْسَدَةٍ ، لَكِنَّ نُورَ الإِيمَانِ يَقُولُ كَمَا يَقُولُ الشَّرْعُ بِغَمْسِ الذُّبَابِ فِى الشَّرَابِ

---

[1] (مسلم 556)
[2] لسان الدعوة : (221 - 222)
[3] لسان الدعوة : (280)
[4] لسان الدعوة : (317)

إِذَا وَقَعَ ، وَهُنَا خَالَفَ نَظَرُ العَيْنِ الوَاقِعِ وَوَافَقَهُ نَظَرُ الشَّرْعِ ، فَبَعْدَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمَائَةِ عَامٍ يُثْبِتُ العِلْمُ الحَدِيثُ مِصْدَاقِيَّةَ الشَّرْعِ – وَلَا يَحْتَاجُ لِمُثْبِتٍ بَعْدَ اللهِ تَعَالَى وَءَايَاتِهِ – وَظَهَرَ قِصَرُ النَّظَرِ البَشَرِيِّ ، وَعَلَى هَذَا فَقِسْ أَمْثِلَةً كَثِيرَةً مِثْلَ النَّوْمِ عَلَى الجَانِبِ الأَيْمَنِ وَكَذَا الشُّرْبُ جَالِسَاً وَالتَّنَفُّسُ خَارِجَ الإِنَاءِ وَعَلَى مَرَّاتٍ عَدِيدَةٍ وَكَذَا عَدَمُ النَّفْخِ فِى الشَّرَابِ وَكَذَا تَرْكُ أَكْلُ الخَنَازِيرِ وَالَمَيْتَةِ وَشُرْبِ الخُمُورِ وَشُرْبُ الدَّمِ وَعِدَّةُ المَرْأَةِ إِلَى آخِرِهِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الفرق بين نور العين ونور الإيمان ، أن نور العين نرى به ظاهر الأشياء ، فنعرف المنفعة الظاهرة أو الضر الظاهر ، مع أن الأشياء بنفسها لا تضر ولا تنفع إلا إذا شاءت إرادة الله ، أما بنور الإيمان فيعرف الإنسان حقيقة الضر وحقيقة النفع فى الأشياء ، لأن المنافع ليست فى كثرة المال ولا زيادة الأولاد ، وهكذا قَالَ تَعَالَى : (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى)[1] ، ثم ذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن القربى بالإيمان والعمل الصالح ، فقال سبحانه فى نفس الأية (إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) ، كذَلِكَ الدنيا قَالَ تَعَالَى فيها : (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)[2] .)[3]

فَصْلٌ فِى بَيَانِ الرَّابِطِ بَينَ نُورِ الإِيمَانِ وَنُورِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ نُورَ الإِيمَانِ هُوَ نُورُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَهُمَا مُتَرَادِفَانِ ، غَيْرَ أَنَّ نُورَ الإِيمَانِ يَنْبَعِثُ مِنْ دَاخِلِ الإِنْسَانِ فَيُسَيْطِرُ عَلَى حَوَاسِّهِ وَجَوَارِحِهِ فَيُوَجِّهُهُ إِلَى الطَّرِيقِ الذِى يَرْتَضِيهِ اللهُ تَعَالَى ، وَنُورُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ نُورٌ خَارِجِىٌّ يُضِىءُ الطَّرِيقَ لِلإِنْسَانِ حَتَّى يَسِيرَ عَلَى الطَّرِيقِ الذِى يَرْتَضِيهِ اللهُ تَعَالَى .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فمثلا النور ، شمس وقمر ونجوم ، فهذا النور مخلوق لله ، والله عنده خزائن السماوات والأرض من النور حيث يَقُولُ : (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[4] . والإنسان مع هذا النور المخلوق ينظر بالعين ، كذَلِكَ يرى الأشياء

[1] (37 سبأ)
[2] (185 آل عمران)
[3] لسان الدعوة : (161)
[4] (35 النور)

المخلوقة لله عز وجل ، والإنسان إذا كان فى الظلمة لا يستطيع أن يعرف ما ينفعه ولا ما يضره لأنه فى ظلمة ، فلو أمسك حية لا يعرف هل هى حية أم حبل ؟ !

ولو أن الضوء موجود والعين مفقودة ، فإن الإنسَان لا يرى الأشياء أمامه ، ولايميزبينها وبين ما ينفعه وما يضره ، إذن لابد من النورين ، نور العين ونورالشمس ، حتى يرى الإنسَان الأشياء ، ويعرف ما فيه النفع وما فيه الضر ، كذَلِكَ هناك نور الإيمَان فى الداخل ، وهومثل العين ، وهناك نور الكتاب والسنه وهو النور الخارجى ، والإنسان يهتدى لسواء السبيل بهذين النورين .

فهنا يتبين للإنسان المنافع فى أمر الله ، فيرى منفعة الأعمال الصالحة ، وأن فيها الخير للدنيا والآخرة ، ويتبين له أيضا المضار فى مخالفة أمر الله ، فيرى المضار فى الأعمال السيئة ، وأن فيها الشقاء فى الدنيا والآخرة ، وبهذا النور العبد يعرف قدرة الله ، فيبصر الأشياء حوله ويعرف مضارها ومنافعها كأنها رأى عين ، مثل سيدنا حارث رَضِىَ اللهُ عَنْهُ لما سأله النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كيف أصبحت يا حارث) قَالَ : أصبحت مؤمنا حقا يارَسُول الله ، قَالَ : (إن لكل حق حقيقة ، فما حقيقة إيمانك؟) ، قَالَ حارث : عزفت عن الدنيا ، وأظمأت نهارى ، وأسهرت ليلى ، وكأنى أنظر إِلَى عرش ربى ، وكأنى أنظر إِلَى أهل الجَنَّة يتزاورون ، والى أهل النار يتعاوون ، فقال النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أنت امرؤ نور الله قلبك ، عرفتَ فالزم) .[1] [2]

فَصْلٌ فِى الإيمَان بِالقَدَرِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الإِيمَانَ بِالقَدَرِ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ الإِيمَانِ وَهُوَ الرُّكْنُ السَّادِسُ مِنْ أَرْكَانِهِ ، وَعَلَيْهِ مَدَارُ قِسْمٍ كَبِيرٍ مِنْ حَيَاةِ البَشَرْ ، فَيَجِبُ الإِيمَانُ بِقَدَرِ اللهِ تَعَالَى وَالرِّضَا بِقَضَاءِهِ وَالتَّسْلِيمِ الكَامِلِ لَهُ ، وَالحَمْدُ للهِ عَلَى ذَلِكَ ، سَوَاءاً فِى ذَلِكَ الخَيْرَ أَوِ الشَّرَّ ، مَعَ

---

1 (مصنف بن أبى شيبة 31064 ، مجمع الزوائد 189)
2 لسان الدعوة : (160)

الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ وَسُلُوكِ الطُّرُقِ المُصْطَفَوِيَّةِ . وَالتَّضَرُّعِ إِلَي اللهِ تَعَالَى وَعَدَمِ القُنُوطِ مِنْ رَحْمَتِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الأَحْوَال مِنَ الخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ لِلإِخْتِبَارِ وَالإِمْتِحَانِ وَلَيْسَ لِلتَّمَتُّعِ أَوْ لِلتَّقْدِيرِ ، حَتَّى لَا نَأْسَى عَلَى مَا فَاتَنَا وَلاَ نَفْرَحُ بِمَا أُوتِينَا .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (الإِنسَان يريد أشياء والله أحيانا يرزقه ما أراد ، وأحيانا يحرمه من مراده ، والمؤمن فى كل حاله يؤمن بقضاء الله وقدره) [1]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (ثانيا : القناعة ، كَذَلِكَ الله تَعَالَى يعطيه الرضا بمر القضاء ، والله يصلح باطنه ويجعله يرضى بقضاء الله ، فالنَّاس يرونه فى المشقة ولكن هو مطمئن)

وقال (وهناك التقدير مِنَ اللهِ تَعَالَى ، فإذا الله قدر للإنسان أن يكون فقيرا ، يكون فقيرا ، عاصيا كان أم صالحا) [2]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (كل أحوال الإِنسَان من راحة وعزة وذلة مِنَ اللهِ تَعَالَى : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [3] ، كل هذه الأحوال التى تأتى عَلَى الإِنسَان الله كتبها لأن الله عليم ، لأن الله تَعَالَى عنده علم عمر الإِنسَان حالاته قبل أن يولد ، كم مصيبة ؟ هذا فى علم الله ، لماذا خبر الله هذا ؟ (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) [4] حتى لا ييأس الإِنسَان من الحالات الصعبة ، ولا يفرح بالحالات الطيبة) [5]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (تأتى علينا أحوال صعبة ، كيف نتعلم الرضا بقضاء الله تَعَالَى ؟ ولا نفزع أو تأتى الجهد لدين الله ، فإن العبد إذا جاءت عليه الأحوال فرضى فهنا يَرضِىَ اللهُ عَنْهُ ، وهو هنا فى المجاهدة والله وعد عليها الهداية ، أما إذا لم يرض بهذا

---

[1] لسان الدعوة : (185)
[2] لسان الدعوة : (269)
[3] (22 الحديد)
[4] (23 الحديد)
[5] لسان الدعوة : (282)

فيصدق فيه قول الله تَعَالَى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)[1])[2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ الإِيمَانِ بِالْقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ الغَيبِيَّةِ .

وَيَجِبُ الإِيمَانُ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى الْمُطْلَقَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَاللهُ تَعَالَى قَادِرٌ مُقْتَدِرٌ ، يَخْلُقُ مِنَ العَدَمِ وَيُعِيدُ بَعْدِ البِّلَى فَهُوَ يَخْلُقُ بِالسَّبَبِ وَبِغَيْرِ السَّبَبِ وَبِضِدِّ السَّبَبِ ، وَيَجْعَلُ الْمُسْتَحِيلَ مُمْكِناً وَالْمُمْكِنَ مُسْتَحِيلاً ، وَيَنْصُرُ الْمَظْلُومَ بَعْدَمَا ضَاقَتْ بِهِ السُّبُلُ وَيُغِيثُ الْمَلْهُوفَ بَعْدَمَا انْسَدَّتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ الأَبْوَابِ ، كُلُّ ذَلِكَ تَحْتَ قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَمَشِيئَتِهِ ، فَمَنْ يَتَقَرَّرُ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ لَا يَرْجُوا إِلَّا رَبَّهُ وَلَا يَسْتَغِيثُ إِلَّا بِهِ وَلَا يَضْرَعُ إِلَّا إِلَيْهِ وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الإِنسَان عاجز ضعيف فيرى النفع فى الأشياء وتقر عينه بها دائما ،

لأن الإِنسَان ضعيف وكل ما فيه ضعيف ، فبصره محدود ، فلا يستطيع ، أن يتلذذ بالنظر إِلَى كل ما يملك مرة واحدة ، بل يتلذذ فقط بالشيء الذى تستطيع عينه أن تنظر إليه ، ونظره قصير ، فهو يرى أن الفرخ من البيضة ، وأخرجه منها بعد أجل معلوم ، بعد ما كانت البيضة ميتة يَقُولُ سبحانه : (وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ)[3] .

والإِنسان مسحور بالمشاهدات والمعلومات ، فبسببها يصعب عليه أن يؤمن بالغيب بدون ما يراه ، فكثير من الأشياء فى الدنيا لا ترى بالعين ، ولكن الإِنسَان يؤمن بوجودها بدون أن يراها أو يلمسها ، مثل الروح التى الجسد وبواسطتها يتحرك ، فالإنسان يؤمن بوجودها ، كَذَلِكَ هذه السماوات والأرض وهذه الأكوان كلها تتحرك بقوة القدرة الإِلهية الغيبية ، والإِستفادة من

[1] (11الحج)
[2] لسان الدعوة : (359)
[3] (27 آل عمران)

هذه الأشياء التى فى الكون مرتبطة بمشيئة الله وقدرته الغيبية ، فبأمره تَعَالَى يجعل الفلاح والفوز فيها ، وبأمره تَعَالَى يجعل فيها الخسران المبين)[1]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (فمن يكون يقينه عَلَى الله تَعَالَى ، فهو يمشى عَلَى طريق النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وما رأى الله والملائكة ولكن هو يؤمن بِاللهِ ويتيقن عَلَى الغيبيات بخبر النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هذا هو اليَقِين بالغيب ولكن هذا مطلوب قبل الموت ، أما بعد الموت فهذا اليَقِين لا ينفعه ، لأنه ما آمن وما صدق الخبر الذى أتى به الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فما صدق النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل صدق بصره ، النَّاس عميان والرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو البصير ، فضعيف البصر يكذب قوى البصر ، وقوى البصر يَقُولُ : أنت أعمى ، هكذا النَّاس يكذبون النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ)[2] . معنى (صُمٌّ) ؟ كلام الإِيمَان لا يسمعون ، وكل من يتكلم بكلام خلاف كلام الأنبياء هم (بُكْمٌ) والذين لا يسمعون كلام الأنبياء وكلام الإِيمَان هم صم يَقُولُ تَعَالَى : (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا)[3] . ولكن الأعمى يحتاج للبصير حتى يوصله إِلَى بيته ، بالنسبة للغيب كل النَّاس عميان والبصير الوحيد هو النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[4]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ الإِيمَان بِالجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا وَمَا أَعَدَّ اللهُ تَعَالَى لِلْمُتَّقِينَ فِيهَا .

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَعَدَّ لِلْمُتَّقِينَ جَنَّةً فِى الآخِرَةِ ، يُثِيبهَمْ فِيهَا جَزَاءَ مَا أَطَاعُوهُ وَاتَّبَعُوا أَوَامِرَهُ ، وَيُدْخِلُهُمْ اللهُ تَعَالَى الجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ لَا بِقِيمَةِ أَعْمَالِهِم ، وَهِىَ لَيْسَتْ ثَمَناً لِمَا فَعَلُوهُ فَأَنَّى لِمَخْلُوقٍ حَقِيرٍ أَنْ يُكَافِىءَ خَالِقَهُ العَظِيمُ الكَبِيرُ العَزِيزُ ؟! وَهَذِهِ الجَنَّةُ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ وَلَهُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَلَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ مَا

---

[1] لسان الدعوة : (240)
[2] (18 البقرة)
[3] (72 الإسراء)
[4] لسان الدعوة : (332)

يَتَمَنَّونَ وَفَوْقَ مَا يَتَمَنُّونَ حَتَّى يَرَوْا وَجْهَ اللهِ تَعَالَى وَيَسْمَعُوا مِنْهُ الْقُرْآنَ وَيُحِلُّ عَلَيْهِمْ رِضْوَانَهُ فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ أَبَداً ، وَهِى مَخْلُوقَةٌ الأَنِ وَلَنْ تَفْنَى أَبَدَاً لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) [1] . وَقَالَ تَعَالَى : (سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا) [2].

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (فحال المؤمن كما يصف ربنا سبحانه : (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) [3] ، فهنا إذا انصلحنا أدخلنا الله الجَنَّة ، وكل النعم فى الجَنَّة ، والإنسان فى الجَنَّة ستون ذراعا ، وتراب الجَنَّة زعفران ، ولبنة فضة ولبنة ذهب ، والأشجار عالية وكثيرة ، يسير الجواد المدمر فى ظلها مائة عام لا يقطعها) [4]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (ففى الجَنَّة يخبرنا الله تَعَالَى أَنَّهُ (يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكواب وأباريق وكأس من معين) [5] ، ثم : (وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ، وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ، وَحُورٌ عِينٌ ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) [6] ، كل هذا بأى سبب ؟ يخبر الله تَعَالَى : (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [7] ، وكذَلِكَ الملائكة يسلمون عليهم فيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ : (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ، إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا) [8] ، كذَلِكَ الملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، ويسلمون عليهم ويهنئونهم ، وأهل الجَنَّة

---

[1] (136 آل عمران)
[2] (122 النساء)
[3] (21 – 24 الحاقة)
[4] لسان الدعوة : (165)
[5] (17 – 18 الواقعه)
[6] (20 – 23 الواقعه)
[7] (24 الواقعه)
[8] (25 – 26 الواقعة)

يزورون بعضهم البعض والله يسلم عَلَى أهل الجَنَّة ويحييهم : (سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ) [1] ، والرجل وزوجته وأولاده فى النعيم ، وزوجته من أهل الدنيا هى سيدة زوجاته من حور العين .) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فى الجَنَّة يعطى الله الراحة فلا مشقة معها ، وفى الدنيا الليل والنهار والظل والحر والراحة والمشقة ، ولكن فى الجَنَّة راحة بدون مشقة ، ظل بدون حرور ، وحتى الإنسَان يكون أمرد ، شباب بدون شيب ، فرح بدون حزن) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله يمدح القدماء فيَقُولُ (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) [4] حالهم (عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ، مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ) [5] ، سرر من ذهب وفضة ، اللهم اجعلنا منهم يارب العالمين) [6]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (العبد المؤمن – اللهم اجعلنا منهم – بَحْثُ فعلاقته مع خزائن نعم الله ، فى الدنيا عليه محبة الله ، والله يرضى عنه ويلقى محبته فى كل قلب ، وله مبشرات فى الدنيا ، ومع ذَلِكَ هو يسير بالخوف مِنَ اللهِ ، وعِند الموت الملائكة تبشره بقوله تعَالَى : (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [7] ، وفى الآخرة يكون مع الآمنين فهو كما أخبر سبحانه : (فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ، وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ، وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ) [8] ، ويقال آنذاك : (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ

---

[1] (58 يس)
[2] لسان الدعوة : (231)
[3] لسان الدعوة : (293)
[4] (10 – 11 الواقعة)
[5] (15 – 16 الواقعة)
[6] لسان الدعوة : (294)
[7] (31 فصلت)
[8] (28 – 32 الواقعة)

فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ)[1] ، ثم نعيم دائم وحور عين ، وأزواج مطهرة ، أعمار واحدة ، شباب أبدى ، وسعادة أبدية ، وغنى دائم ، وإقامة خالدة ، حتى العرق ريحه ريح المسك)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الملائكة يضربون المجرمين ، ويسلمون عَلَى أهل الجَنَّة ، فى الجَنَّة الأَكل الطيب والشراب واللباس ولكن أكبر من ذَلِكَ كله ، رضاء الله ، ولقاء الله تَعَالَى يَقُولُ الله تَعَالَى لأهل الجَنَّة بعد دخولهم كما فى الحديث القدسى : (إذا دخل أهل الجَنَّة الجنة ، قَالَ : يَقُولُ الله تبارك وتَعَالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : (ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجَنَّة وتنجنا من النار ؟) قَالَ فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إِلَى ربهم)[3].)[4]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ الإِيمَان بِالنَّارِ وَعَذَابِهَا وَمَا أَعَدَّ اللّٰهُ تَعَالَى لِلعَاصِين فِيهَا .

وَيَجِبُ الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ النَّارَ وَجَعَلَ لَهَا أَهْلاً ، يُعَاقَبُونَ فِيهَا عَلَى مَا اقْتَرَفُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ سَيِّئَاتٍ وَعَصَوْا رَبَّ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ، وَإِنْ عَاقَبَهُمْ فَبِعَدْلِهِ تَعَالَى وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً . وَاعْلَمْ أَنَّ النَّارَ مَخْلُوقَةٌ مَوْجُودَةٌ الآنَ وَبَاقِيَةٌ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا)[5]. وَقَالَ : (فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ)[6] .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كل مصيبة قبل الموت هينة ، لأن هناك فرصة للرجوع إِلَى اللهِ تَعَالَى ، أما بعد الموت فعذاب لا يحتمله مخلوق ، والله يصيب عبده بمصائب الدنيا حتى ينجه من عذاب الآخرة لما يتضرع ويرجع إليه سبحانه ، قَالَ تَعَالَى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ)[7] ، أما فى الآخرة فأمر آخر وهو فى قوله تَعَالَى : (

---

[1] (24 الحاقة)
[2] لسان الدعوة : (308)
[3] (مسلم 297 ، 467)
[4] لسان الدعوة : (336)
[5] (169 النساء)
[6] (29 النحل)
[7] (42 الأنعام)

زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ)[1] ، فالعبد العاصى تكون علاقته مع خزائن نقم الله ، فى الدنيا غضب عليه ، فهو فى غم وضنك وهموم لا تنتهى وضيق صدر وكوابيس ، وهذا ليتفكر ويرجع ، فقبل الموت عنده فرصة ، لكنه لاه فى أسبابه ، وبعد الموت فى القبر الحيات والعقارب ونيران القبر ، وفى الآخرة العذاب المضاعف)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نحن نجتهد عَلَى أنفسنا ونعلم الإِيمَان لعيالنا ونجتهد عَلَى كل النَّاس حتى يحفظوا من نار جهنم (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ، يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ)[3] ، مرة يلقون فى النار ومرة يلقون فى الحميم ، فعلينا أن نرحم عليهم)[4]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ الإِيمَان بِمَا بَعدَ المَوتِ مِنَ أَحْوَالِ وَأَهْوَالِ يَومِ القِيَامَةِ .

وَيَجِبُ الإِيمَانُ بِأَنَّ المَوْتَ حَقِيقَةٌ ، وَهُوَ بَوَّابَةُ الآخِرَةِ ، وَيَجِبُ الإِيمَانُ بِمَا بَعْدَ المَوْتِ مِنْ بَرْزَخِ القَبْرِ وَمَا فِيهِ وَيَوْمِ القِيَامَةِ وَأَهْوَالِهِ وَعَرَصَاتِهَا . فَهَذَا كُلُّهُ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ الإِيمَانِ بِاليَوْمِ الآخِرِ الذِى هُوَ أَصْلٌ كَبِيرٌ مِنْ أُصُولِ الإِيمَانِ وَالرُّكْنُ الخَامِسُ مِنْهُ ، وَكَذَا هُوَ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ تَصْدِيقِ اللهِ تَعَالَى فِي قُرْآنِهِ ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فِيهِ خَبَرُ مَنْ قَبْلَكُمْ ، وَنَبَأُ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ)[5] ، وَكَذَلِكَ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ تَصْدِيقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَمَّا سَيَقَعُ بَعْدَهُ حَيْثُ قَالَ اللهُ تَعَالَى (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)[6] .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد أن نخاف من تحذيره وإنذاره ، ونكبر الله فى أنفسنا ونمتثل أمر حتى لا يأتى علينا العذاب يوم القيامة ، فكل عمل يعلمه الإِنسَان يكون طوقا فى رقبته يَقُولُ تَعَالَى : (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

[1] (88 النحل)
[2] لسان الدعوة : (308)
[3] (43 – 44 الرحمن)
[4] لسان الدعوة : (334)
[5] (الفتح الكبير 4499)
[6] (3- 4 النجم)

كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ، اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) [1] وكل شخص يقرأ كتابه ويتعجب ويدهش ويتحسر : (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) [2] فجميع ما عمل الإِنسَان مكتوب فيَقُولُ تَعَالَى (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) [3].) [4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قرآن مكة كان فيه ثلاثة أشياء ؛

الأول : توحيد الله تَعَالَى وصفاته ، وكيف أرسل الله تَعَالَى رسله لأقوامهم؟ ، ونتيجة ذَلِكَ ،

الثانى:أحوال القيامة والبعث والميزان والصراط والجنة والنار ،

الثالث : آيات الله فى كونه والتفكر فيها ، لأن الله تَعَالَى غيب ولا نستطيع أن نرى قدرته سبحانه ، لذَلِكَ كان هناك دعوة الإِيمَان فى الصَّحابَة ، وحلقات التعليم ، ثم الذكر والتلاوة والدعاء والبكاء) [5]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ الإِيمَان بِاللهِ تَعَالَى وَالاعْتِصَامَ بِحَبلِهِ سَبَبٌ لِلفَضلِ وَالرَّحمَةِ مِنَ اللهِ تَعَالَى .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ الإِيمَانُ بِاللهِ تَعَالَى خَالِقاً وَبَارِئاً وَإِلَهاً وَمَعْبُوداً وَمُطَاعاً ، وَيَجِبُ إِفْرَادِهِ بِالأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ التِى سَمَّى بِهَا نَفْسَهُ وَوَصَفَ ، وَيَجِبُ تَنْزِيهُهُ عَنِ الشَّبِيهِ وَالمَثِيلِ وَالعَدِيلِ وَالنَّظِيرِ وَالكُفُؤِ وَالنِّدِّ ، وَكَذَلِكَ الإِعْتِصَامُ بِحَبْلِهِ وَشَرِيعَتِهِ وَدِينِهِ ، وَمَنْ يُحَقِّقُ ذَلِكَ يُرْجَى مِنَ اللهِ تَعَالَى أَنْ يُعَامِلَهُ بِالفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ ، شَرِيطَةَ الصِّدْقِ وَالإِخلَاصِ . قَالَ تَعَالَى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) [6] وَقَالَ تَعَالَى : (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [7].

---

[1] (13 – 14 الإسراء)
[2] (49 الكهف)
[3] (46 فصلت)
[4] لسان الدعوة : (231)
[5] لسان الدعوة : (442)
[6] (103 آل عمران)
[7] (63 البقرة ، 171 الأعراف)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (العطاء مِنَ اللهِ تَعَالَى ، والمعاملة بشيئين ، بالفضل أو بالعدل ، ونحن لا نعرف كيف يعاملنا الله بالفضل والرحمة ، ففتح الله عَلَى هذه لآية ، يَقُولُ الله تَعَالَى : (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) [1] . فأنا فرحت وقلت : يارب لك الحمد أنك أخبرتنا بأسباب الرحمة والفضل . فأول شىء تحقيق الإِيمَان بِاللهِ تَعَالَى ، وثانيا الإعتصام بالدين ، فالله تَعَالَى يدخلنا فى رحمة منه وفضل ، ولكن لابد أن نكون صادقين فى الايمَان ، قائمين بالأعمال ، وأقسم بِاللهِ ، لو نوفى أعمالنا بالإِيمَان ، فالله يوفى لنا كل موعوداته) [2]

فَصْلٌ فِي الإِيمَان بِمَا بَعدَ المَوتِ وَاليَومِ الآخِرِ وَالبَعْثِ وَالنُشُورِ .

وَيَجِبُ الإِيمَانُ بِمَا بَعْدَ المَوْتِ مِنَ القَبْرِ وَمَا فِيهِ وَالقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا وَالبَعْثِ وَأَحْوَالِهِ وَالمِيزَانِ وَالصِّرَاطِ وَالحِسَابِ ، كُلُّ ذَلِكَ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالوَحْيِ المُنَزَّهِ عَنِ التَّكْذِيبِ . وَمَنْ أَنْكَرَ شَيْئَاً مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ أَنْكَرَ مَعْلُوماً مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (يتعجب النَّاس ويقولون : (وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ، أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ) [3] فيردالحق عَلَى الجميع فيَقُولُ : (قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ معلوم) [4]) .[5]

وقال رحمه الله (حتى الآخرة جعلها الله تَعَالَى مراحل : القبر فالبعث ، فالحشر ، فالعرض ، فالحساب ، فالميزان ، فالصراط ، ثم جنة أو نار فكل هذه مراحل حتى خلق الإِنسَان الأول فيَقُولُ سبحانه : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ

---

[1] (175 النساء)
[2] لسان الدعوة : (261)
[3] (47 -48الواقعه)
[4] (49-50الواقعه)
[5] لسان الدعوة : (174)

عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [1] .) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كثير من النَّاس يقولون : إن الإنسَان يعيش ثم يموت ويكون ترابا ويفنولا قيامة له ، هذا عبث ، ولو كان الأمر كذَلِكَ لما خلق الله هذا الكون وأنزل الرسل والكتب ، والأمطار والزلازل والملائكة ، فعلينا أن نتقى الله تَعَالَى ، ونؤمن به ونصدق بالبعث والحشر ، وأخبار الآخرة) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الإنسَان الذى طوله يقارب المترين ، قبل هذا كان شبرا فى بطن أمه ، وقبل هذا كان نطفة فى الرحم ، وقبل النطفة الغذاء ذرات ، كيف قدرة الله تَعَالَى ؟ فالإنسان لا يؤمن بالبعث ، فالذى جمع الذرات حتى صار منيا ؟ وحتى صار إنسانا وأرسل له ملكا ، ونفخ فيه الروح ، الذى فعل كل هذا أليس ذَلِكَ بقادر عَلَى أن يبعثه مرة أخرى ؟ بلى .) [4]

فَصْلٌ فِي الخَوفِ والرَّجَاءِ .

وَيَجِبُ عِبَادَةُ اللهِ تَعَالَى عِبَادَةً كَامِلَةً كَمَا أَرَادَ سُبْحَانَهُ عَلَى مِنْهَاجِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الخَوْفِ مِنْ عِقَابِهِ وَرَجَاءِ رَحْمَتِهِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ بِقَبُولِ ذَلِكَ ، فَالرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ لِلمُسْلِمِ كَالجَنَاحَانِ لِلطَّائِرِ ، لَا يَسْلَمُ قَلْبُ مُسْلِمٍ بِأَحَدِهِمَا دُونَ الآخَرِ . قَالَ تَعَالَى : (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) [5] . وَقَالَ تَعَالَى : (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ) [6] .

---

[1] (67 غافر)
[2] لسان الدعوة : (174)
[3] لسان الدعوة : (334)
[4] لسان الدعوة : (349)
[5] (46 الرحمن)
[6] (7 يونس)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نقوم بالجهد بكل طاقتنا ، ومع هذا نخاف مِنَ اللهِ ، وندعوا الله أن يتقبلنا)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فالمؤمن فى هذه الحياة يعيش بين الخوف والرجاء طول حياته ، هكذا كان طريق النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه طول حياتهم رغبا ورهبا لِقَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)[2] ، وكذَلِكَ قَالَ تَعَالَى : (فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)[3].)[4]

فَصْلٌ فِي ذَمِّ غُلاَةِ الصُّوفِيَّةِ وَالأَقْطَابِ وَمُدَّعِى تَدْبِيرَ شُئُونِ الكَونِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الوَلِيَّ هُوَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ تَعَالَى وَخَافَهُ وَاتَّقَاهُ وَاتَّبَعَ مَحَابَّهُ وَمَوَاطِنَ رِضَاهُ قَالَ تَعَالَى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)[5] فَكُلُّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍ فَهُوَ لِلهِ وَلِى ، وَلِكُلِ مُسْلِمٍ قِسْطٌ مِنَ الوِلَايَةِ بِقَدْرِ الإِيمَانِ فِى قَلْبِهِ ، أَمَّا مَنْ تَطَاوَلَ عَلَى خَالِقِهِ وَمَعْبُودِهِ وَتَكَبَّرَ وَنَازَعَ رَبَّهُ فِى صِفَاتِهِ وَادَّعَى أَنَّ لَهُ قِسْطَاً مِنَ التَّحَكُّمِ فِى جُزْءٍ مِنَ العَالَمِ فَهُوَ مُأَلِّهٌ نَفْسَهُ وَوَالِجٌ بَابَ جَهَنَّمَ ، هَذَا فِيمَنِ ادَّعَى لِنَفْسِهِ ذَلِكَ ، أَمَّا مَنْ وَصَفَ وَلِيَّاً أَوْ نَبِيَّاً بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى وَادَّعَى فِيهِ القُدْرَةَ عَلَى الخَلْقِ وَالإِبَادَةِ وَالإِحْيَاءِ وَالإِمَاتَةِ وَالنَّفْعِ وَالضَّرِّ فَهُوَ ضَالٌّ مُغَالٍ وَرُبَّمَا خَرَجُوا مِنَ الدِّينِ بِحَسَبِ مُصِيبَتِهِم .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فى أول الجماعات خروجا كانوا يطردونهم ، لأن الجهل كان متفشيا ، والنَّاس تعتقد فى الأولياء ، فكم حدث من معارضات ؟! وكانت الجماعة فى أعمالهم المحبة والإكرام ، فالنَّاس يسمعون كلامهم ، بعد ذَلِكَ جاءهم حب الله وحب رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبقصص الأنبياء والصَّحابَة والصالحين ، تغير حالهم ، فهى قصص تختلف عما ألفوه ، فتأثروا ورجعوا دعاة لأقوامهم)[6]

---

[1] لسان الدعوة : (224)
[2] (87 يوسف)
[3] (99 الأعراف)
[4] لسان الدعوة : (352)
[5] (63 يونس)
[6] لسان الدعوة : (186)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الخلاصة أن أى شيء فى هذا الكون ، لا يكون بالتدبير الإنسانى ، لأن الله هو الذى يدبر هذا الكون ، وأن من يدبرون لأنفسهم غير فالحين ،

بل إنهم مخدوعون ، إن القوة عِند الله وحده ، والتدبير عِند الله وحده ، وليس للإنسان أى حول ولا قوة .) [1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ الوِلاَيَةِ .

وَحقِيقَةُ الوِلاَيَةِ الإِيمَانُ بِاللهِ تَعَالَى وَبِأَسْمَاءِهِ وَصِفَاتِهِ ، وَالتَّقْوَى وَالوَرَع وَالخَوْف مِنَ اللهِ تَعَالَى وَمُرَاقَبَتِهِ وَالبُعْدِ عَنْ مَوَاطِنِ الشُّبَهِ فَضْلاً عَنْ مَوَاطِنِ المَعَاصِى وَالكَبَائِرِ وَالمُسَارَعَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَلُزُومِ بَابِهِ وَالانطِرَاحِ عَلَيْهِ وَرَجَاءِ ثَوَابِهِ وَمَخَافَةِ عِقَابِهِ ، وَاتِّبَاعِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحُبهِّ وَالدَّعْوَةِ إِلَى طَرِيقِهِ ، وَمَنْ خَالَفَ ذَلِكَ فَقَدْ حَادَ عَنْ طَرِيقِ الأَوْلِيَاءِ . قَالَ تَعَالَى : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) [2] .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كثير من أولياء الله تَعَالَى كانوا أغنياء ، وكثير منهم كانوا فقراء ، فالإنسان حتى يكون وليا لله تَعَالَى ليس من الضرورى أن يكون غنيا ، بل غنى أو فقير كل واحد يستطيع أن يكون وليا لله تَعَالَى ، مثل أبى حنيفة كان غنيا ، كان تاجرا ، هؤلاء العارفون بِاللهِ تَعَالَى كانوا يجتهدون فى النَّاس حتى يتوجهوا إِلَى اللهِ تَعَالَى) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (علينا أن نبكى عَلَى أنفسنا ، لأننا ما عندنا الإحساس والشعور بالرحمة عَلَى الأمة ، لا نزكى أنفسنا ولا نحتقر المُسْلِمِين ، لأننا لا نعلم من هو ولى الله ، لعل العاصى يتوب ويصير وليا من أولياء الله) [4]

---

[1] لسان الدعوة : (385)
[2] (62 – 63 يونس)
[3] لسان الدعوة : (327)
[4] لسان الدعوة : (328)

فَصْلٌ فِي الإِيمَان بِأَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ .

وَيَجِبُ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا وَصَفَ اللهُ تَعَالَى بِهِ نَفْسَهُ فِى كِتَابِهِ أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ وَلَا تَشْبِيهٍ وَمِنْ غَيْرِ تَعْطِيلٍ وَلَا تَحْرِيفٍ . فَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمَقْصُودِهِ ، فَنُؤْمِنُ بِمَا وَصَلَنَا كَمَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى ، فَاللهُ تَعَالَى أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ الصِّفَاتِ وَنَفَى عَنْ نَفْسِهِ الشَّبَهَ وَالْمَثَلَ فَقَالَ : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [1] ، وَالوَصْفُ يَعْنِى إِثْبَاتَ الْمُثْبَتِ وَنَفْيِ الْمَنْفِى وَالسُّكُوتِ عَنِ الْمَسْكُوتِ عَنْهُ . فَكُلُّ مَا دَارَ بِبَالِكَ فَاللهُ تَعَالَى بِخِلَافِ ذَلِكَ ، وَلَمْ يُرِدِ اللهُ تَعَالَى تَعْنِيتَنَا بَلْ أَرَادَ رَحْمَتَنَا .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله يجزينا عَلَى العمل لأنه سبحانه يَقُولُ : (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا[2] ، فاللهُ سُبحَانَهُ يسمعنا ويرانا وينصرنا) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فالنَّاس لا يعلمون ما فعلنا ، ولكن الله يعلم السر وأخفى (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [4] .) [5]

وقال (والعبد إذا يبكى الله يحب بكاء العبد ، وهو سبحانه يأتى بالأحوال عَلَى عبده حتى يسأله ويتضرع إليه ويبكى) [6]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فالله هو الحاكم والمالك فهو حاكم وحكيم ، كل شيء يفعله بحكمته تعَالَى) [7]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ولذا فالرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجتهد عَلَى النَّاس للإيمان ، فبدأ بالدعوة إلى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّد رَسُول اللهِ) ، الإِيمَان بِاللهِ كما هو بأسمائه وصفاته ، فعلم الصَّحابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ الإِيمَان فعرفوا كبرياء الله وقدرته وخزائنه ، وأنه هو السميع يسمع كل النَّاس لو دعوا الله فى وقت واحد ، هو يسمع كلامهم ودعاءهم ، والله بصير يرى النملة

---

[1] (11 الشورى)
[2]) (30 الكهف)
[3] لسان الدعوة : (224)
[4] (17 ق)
[5] لسان الدعوة : (279)
[6] لسان الدعوة : (279)
[7] لسان الدعوة : (292)

السوداء فى الليلة لظلماء عَلَى الصخرة الصماء ، وهو عليم يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، الله قدرته عظيمة ، قطرتان من الماء يخلق الإنسان ، ونواة صغيرة يخلق نخلة كبيرة)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (والله أخبر نبيه بمعيته وأنها مع أهل الصفات ، والصفات فى القرآن)[2]

فَصْلٌ فِي إثبَاتِ أَسماءِ اللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ والإيمَان بِهِمَا عَلَى مَا يَلِيقُ بجلالِ رَبنَا تبارك تَعَالَى وَجَمَالِهِ .

وَيَجِبُ الإِيمَانُ بِالأَسْمَاءِ الحُسْنَى وَالصِّفَاتِ العَلَى وَهِىَ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى وَلَا يَعْلَمُ عَدَدُهَا إِلَّا اللهُ تَعَالَى ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أسألك بكل اسْمٍ سَمَّيْت بِهِ نَفْسَك ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِك, أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِك, أَوْ اسْتَأْثَرْت بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَك)[3] وَمَنْ حَفِظَ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ اسْمَاً مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَأَطَاقَهَا – أَىْ أَطَاقَ مَعْنَاهَا وَلَمْ يَضِقْ صَدْرُهُ ذَرْعَاً بِهِ وَلَمْ يُحَرِّفْهُ أَوْ يَنْفِيهِ – وَتَعَبَّدَ لَهُ بِمُقْتَضَاهَا عَامَلَهُ اللهُ تَعَالَى بِفَضْلِهِ وَأَدْخَلَهُ جَنَّتَهُ ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ للهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِئَةً غَيْرَ وَاحِدٍ ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)[4] . وَمِنَ الأَدَبِ مَعَ اللهِ تَعَالَى عَدَمُ التَّقَوُّلِ عَلَيْهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَا أُخْبِرْنَا بِهِ نُؤْمِنُ بِهِ بِالقَدْرِ الذِى وَصَلَنَا بِفَهْمِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ ، وَمَا لَمْ يَتَكَلَّمْ عَنْهُ اللهُ تَعَالَى أَوْ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ مِنَ النَّوَازِلِ التِى نَزَلَتْ بِنَا ، فَنُعْرِضُ صَفْحَاً عَنْهَا فِى هَذَا البَابِ مُطْلَقَاً إِذْ هُوَ مِنْ بَابِ العِلْمِ بِالغَيْبِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِلَّا الوَحْىَّ فِى القُرْآنِ الكَرِيمِ وَالصَّحِيحِ فِى سُنَّةِ رَسُولِ رَبِّ العَالَمِينَ . قَالَ تَعَالَى : (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[5]. وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يعْنِيهِ)[6] .

---

[1] لسان الدعوة : (404)
[2] لسان الدعوة : (422)
[3] (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 17130)
[4] (مسلم 6908 ، أحمد 10696)
[5] (74 النحل)
[6] (1) (ت) 2317 , (جة) 3976 , (حم) 1737 , انظر صحيح الجامع: 5911 , وصحيح الترغيب والترهيب: 2881

[1] لسان الدعوة : (156)
[2] لسان الدعوة : (179)
[3] لسان الدعوة : (212)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كامل بجميع صفاته وأسمائه ، وهو أكبر من كل شيء ، وعنده خزائن كل شيء) [1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ولكن من يفكر فى الأخرة تسترح الروح من مشاحنة أهل الدنيا فى دنياهم ، وتزكية الجسد والنفس فى : أعمال مَسْجِدِ النَّبى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام ، دعوة ، تعليم وتعلم ، عبادات وذكر ، خدمة ، طاعة ، أداء الحقوق ، تربية وتهذيب ، معاملات ، معاشرات ، أخلاقيات ، تواضع ، هذه الصفات فى النوم واليقظة ، ونتكلم عن كبرياء الله تَعَالَى كثيرا حتى تأتى هذه الصفات فينا) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (من كان مع الله كان الله معه ولو كان وحيدا فريدا طريدا ، ومن كان الله معه كان فى العزة والنصرة والفلاح) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لكن لابد أن يعلم المُسْلِم أن كل ما نراه بأعيننا فى هذا الكون ، من أسباب وأنواع للأشياء ، إنما هو مظهر من مظاهر قدرة الله تَعَالَى وإبداعه ، وفى علمه سبحانه ويتصرف فيه بحكمته) [4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الذى يمتثل أمر الله ، الله تَعَالَى يجعله يرى أَنَّهُ أحيط به وأنه أتى من كل جانب ، فهنا يدعون الله مع الإخلاص واليَقِين ، فالله ينصرهم ، وأحيانا الله يؤخر النصرة لحكمة عنده سبحانه ، منها أن الله يحب سماع صوت أوليائه ، ويحب أن يرى بكائهم فى الليل ، وتضرعهم فى الشدة ، لِذَلِكَ الله تَعَالَى أظهر قدرته مع سيدنا عمر رضى الله تَعَالَى عنه حينما كان عَلَى المنبر وَقَالَ ياسارية الجبل فالله بلغ سارية صوته ، فالله تَعَالَى ليس فى حاجة لأحد من خلقه فهو صمد) [5]

[1] لسان الدعوة : (156)
[2] لسان الدعوة : (179)
[3] لسان الدعوة : (212)
[4] لسان الدعوة : (213)
[5] لسان الدعوة : (226)

وقال الشيخ مُحَمَّد شرقاوى حفظه الله (إن أول ما يجب عَلَى المؤمن أن يعتقد تنزيه الله تَعَالَى عن مشابهة خلقه ، قَالَ تَعَالَى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [1] ، واتفق أئمة المُسْلِمِين عَلَى أن ما ورد من الكتاب والسنة مما ظاهره يوهم تشبيه الله تَعَالَى ببعض خلقه ، يجب الإيمَان بأن ظاهره غير مراد ، بل يسميه العلماء بالمتشابه ، ولعلماء الأمة فى هذا مذهبان : الأول : مذهب السلف ، ويعتقدون أن ظاهره غير مراد ويفوضون علمه إِلَى اللهِ تَعَالَى مع إيمانهم بأن الله تَعَالَى منزه عن مشابهة خلقه ، ومذهب الخلف – مع اعتقادهم تنزيه الله تَعَالَى عن مشابهة خلقه – يؤولون اللفظ المتشابه بمعنى ليس من المستحيل إطلاقه عَلَى الله تَعَالَى ، فيؤولون الصورة المذكورة فى الحديث : أن المراد بها صفات الجمال والكمال التى تليق به ، كما أنهم يقولون : إن وضع الكف بين كتفيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو كناية عما أفاض ربه عَلَى قلبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (حتى وجدتُ بردها بين ثديي) [2] والمقصود من ذَلِكَ امتلاء قلبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعلوم التى تطمئن قلبه ، فإن اليَقِين يثلج الصدر ، ويطمئن القلب ، كما قَالَ الخليل عليه السلام (وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) [3] والذى يقوى ذَلِكَ أيضا قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ذَلِكَ : (فعلمت ما فى السماوات وما فى الأرض [4]) [5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فإذا تأتى صفات الإيمَان فى قلوب النَّاس تصير حياتهم فى هذه الدنيا – المعاملة والمعاشرة – بالمحبة فيما بينهم ، ولذَلِكَ ورد فى الحديث : (إذا أحب الله عبدا نادى : ياجبريل ، إنى أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادى جبريل فى الملائكة : إن الله يحب فلانا فيحبه الملائكة ، ثم يوضع له القبول فى الأرض) [6]) [7]

---

[1] (11 الشورى)
[2] (مسند البزار 5385 ، الترمذى 3233)
[3] (260 البقرة)
[4] (الترمذى 3233)
[5] لسان الدعوة : (230)
[6] (متفق عليه)
[7] لسان الدعوة : (246)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (والإنسان حينما يرتقى فى الصفات الايمانية القلبيه ، الله يكون معه ، وكثير من الآيات تدل عَلَى ذَلِكَ ، يَقُولُ تعَالَى . (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)[1] ، (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)[2] ، (وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)[3] ، (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)[4] ، فالمعية مِنَ اللهِ تَعَالَى بقدر صفات الإِيمَان ، من الإحسان واليَقِين والتقوى والصبر وغيرها ، وليست المعية بقدر أعمال الإِيمَان ، لأن أعمال الإِيمَان ترتبط بالقلب وصفاته الايمانية ، وعندما تصلح فالله يكون معنا وينصرنا نصرة غيبية ، والدعاة المخلصون يتحصلون عَلَى مَعِيَّةِ الله تَعَالَى)[5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله تَعَالَى كريم بعباده ، إذا انتقل العبد من الدنيا مع الإِيمَان ، فكرم الله تَعَالَى أن يدخله الجَنَّة بسبب كلمة التَّوْحِيد والعمل بها)[6]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يَدُ اللهِ مَلأَى ، لاَ تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّموَاتِ وَالأَرْضَ)[7])[8]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كل ما يراه الإِنسَان فى يده ، هو ليس فى يده بل فى يد الله تَعَالَى)[9]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ومن حكمة الله تَعَالَى أَنَّهُ ما جعل الأسنان تخرج فى بطن أم الجنين ، حتى لا يقطع ثدى أمه ، وربنا جعل مواضع للشعر فى جسد الإِنسَان بحكمته)[10]

---

[1] (البقرة 153)
[2] (البقرة 194)
[3] (العنكبوت 69)
[4] (النحل 28)
[5] لسان الدعوة : (256)
[6] لسان الدعوة : (265)
[7] (البخارى 4407 ، 6983)
[8] لسان الدعوة : (271)
[9] لسان الدعوة : (272)
[10] لسان الدعوة : (278)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (النَّاس لا يعلمون ما فعلنا ، ولكن الله تَعَالَى يعلم السر وأخفى

(مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)[1])[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كثير من النَّاس يستعملون الأشياء ولكن لا يتحصلون عَلَى النتيجه ، هذا دليل عَلَى أن كل شىء بيد الله تَعَالَى وأنه هو المعطى)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (بالدعوة والزيارات والجولات وكلام الإِيمَان وعن كبرياء الله تَعَالَى ، بهذا تدخل عظمة الله تَعَالَى وكبرياءه فى قلوبنا ، ويكون كل الأوامر سهلة عندنا)[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إن حقيقة الإِيمَان وحقيقة الدين فى حياة الأمة أعظم ثروة يجب أن يحرص عليها الإِنسَان ، لأن بها معية الله)[5]

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فبنوا إسرائيل قالوا لموسى كما حكى عنهم القرآن (قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا)[6] ، أى كنا فى الأذية من قبل الإِيمَان ومن بعده ، فحرضهم عَلَى اليَقِين عَلَى الله تَعَالَى وأن قوة الله تَعَالَى فوق قوة فرعون ، لكن معية الله تَعَالَى مشروطة بتوكلنا عليه سبحانه ، فقال لهم موسى : (يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ)[7] ، وهذه الحقيقة مصدرها القلب ، وهو أن نتيقن أن كل المخلوقات محتاجة فى وجودها وتأثيرها إِلَى اللهِ تَعَالَى ، لهذا فالعزة بالإِيمَان ، يَقُولُ تَعَالَى : (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُول هِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)[8] ، وكذَلِكَ من أراد النصرة فبالإِيمَان ، يَقُولُ تَعَالَى :

---

[1] (18 ق)
[2] لسان الدعوة : (279)
[3] لسان الدعوة : (282)
[4] لسان الدعوة : (283)
[5] لسان الدعوة : (367)
[6] (129 الأعراف)
[7] (84 يونس)
[8] (8 المنافقون)

(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) [1] ، ومعية الله تَعَالَى مع الإيمَان والمؤمنين وأهل الصفات ، فيَقُولُ : (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [2] ، وقوله : (اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [3] ، ويَقُولُ أيضا : (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) [4] ، والخلاصة أن الله تَعَالَى بإرادته وقدرته يجعل فلاحة المؤمن) [5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الخلاصة أن أى شىء فى هذا الكون ، لا يكون بالتدبير الإنسانى ، لأن الله هو الذى يدبر هذا الكون ، وأن من يدبرون لأنفسهم غير فالحين ، بل إنهم مخدوعون ، إن القوة عِند الله وحده ، والتدبير عِند الله وحده ، وليس للإنسان أى حول ولا قوة .) [6]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (والله تَعَالَى بذاته وصفاته كاملا ، يسمع ويرى ويجيب دعوة الداعين ، يسمع كلامهم فى مشارق الأرض ومغاربها ، كما أن صفاته كاملة كذَلِكَ قدرته كاملة وخزائنه كاملة ، والله تَعَالَى يعطى عباده ويمنح عباده لحكمة يعلمها ولمصلحة عباده) [7]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (من المؤمن ؟ الذى يؤمن بِاللهِ تَعَالَى وأنه صمد ، وأن النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسل مِنَ اللهِ تَعَالَى ، والذى ما آمن بِاللهِ تَعَالَى فهو كافر) [8]

---

[1] (51 غافر)
[2] (153 البقرة)
[3] (149 البقرة)
[4] (128 النحل)
[5] لسان الدعوة : (368)
[6] لسان الدعوة : (385)
[7] لسان الدعوة : (323)
[8] لسان الدعوة : (335)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (تفكروا فى بنى إسرائيل عندما اجتهدوا عَلَى حقيقة الدين وجاء فيهم ، ففرعون وهامان ما استطاعوا أن يقفوا أمامهم ، وكذَلِكَ قبل القيامة الدجال لا يستطيع أن ينتصر عَلَى المؤمنين ، لأن حقيقة الدين معناه معية الله تَعَالَى ، ولا يستطيع أى واحد أن يقف أمام الله تَعَالَى) [1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الإِنسَان ، الله تَعَالَى جعله خليفة فى الأرض ، يتخلق بأخلاق الله [2] ، الله تَعَالَى رحيم ، ستير ، عفو ، فنحن نمتثل تلك الصفات فى حياتنا نرحم عَلَى بعضنا ونستر ونعفوا) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الحمد لله الذى اخرج لنا هذه الدعوة لندعوا إِلَى كتاب الله وسنة رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونرجع إِليها ، الحمد لله الذى أخرج هذا العمل لنا لتوحيد الألوهية والربوبية وأسماء الله وصفاته) [4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (عَلَى الإِنسَان أن يجتهد حتى يخرج من قلبه هذه الشركيات ، ويصفى قلبه ولا يتعلق ولا يتأثر ولا يطلب إِلا مِنَ اللهِ الواحد الأحد الفرد الصمد) [5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إذا امتثل العبد لأوامر الله وقام عليها تكون قدرة الله معه ، وفى صالحه ، وبداية ذَلِكَ يخرج اليَقِين عَلَى ما سوى الله من قلبه ، فيكون فقط يقينه بِاللهِ تَعَالَى وقدرته وعظمته ، ويأتى ذَلِكَ بمذاكرة الغيبيات وصفات الله الجليلة فيدخل الإِيمَان فى قلبه بالغيب ، بالإِيمَان القوى تصعد الأعمال طيبة إِلَى اللهِ تَعَالَى وتنزل النصرة والبركات ، وإِذا كان الإِيمَان واليَقِين ضعيفا فالأعمال ضعيفة ، فإِنها لا تصعد إِلَى السماء ، ولا تنزل النصرة كما فى حنين ، بسبب قصور قليل وفساد فى اليَقِين لم تنزل النصرة) [6]

---

[1] لسان الدعوة : (338)
[2] سبق بيانها فى صفحة 64 فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَسْبَابِ قَبُولِ الدُّعَاءِ
[3] لسان الدعوة : (347)
[4] لسان الدعوة : (393)
[5] لسان الدعوة : (394)
[6] لسان الدعوة : (396)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لذا فالرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجتهد عَلَى النَّاس للإيمان ، فبدأ بالدعوة إلَى (لَا إلَهَ إلَّا اللهُ مُحَمَّد رَسُول اللهِ) الإِيمَان بِاللهِ تَعَالَى كما هو بأسمائه وصفاته ، فعلم الصَّحَابَة رضى الله تَعَالَى عنهم ، فعرفوا كبرياء الله تَعَالَى وقدرته وخزائنه ، وأنه هو السميع يسمع كل النَّاس لو دعوا الله فى وقت واحد ، والله تَعَالَى بصير يرى النملة السوداء فى الليلة الظلماء عَلَى الصخرة الصماء ، وهو عليم يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) [1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (والله تَعَالَى أخبر نبيه بمعيته وانها مع أهل الصفات ، والصفات فى القرآن) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله تَعَالَى حينما يعد وعدا فالله يشترط شرطا ، فإنفاذ الوعد عَلَى الله بقدرته وكرمه ، ولكن بشرط القيام عَلَى تنفيذ الشرط وهذا عَلَى العباد) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قرآن مكة كان فيه ثلاثة أشياء ؛

الأول : توحيد الله تَعَالَى وصفاته ، وكيف أرسل الله تَعَالَى رسله لأقوامهم ؟ ، ونتيجة ذَلِكَ ،

الثانى : أحوال القيامة والبعث والميزان والصراط والجنة والنار ،

الثالث: آيات الله فى كونه والتفكر فيها ، لأن الله تَعَالَى غيب ولا نستطيع أن نرى قدرته سبحانه ، لذَلِكَ كان هناك دعوة الإِيمَان فى الصَّحَابَة ، وحلقات التعليم ، ثم الذكر والتلاوة والدعاء والبكاء) [4]

وقال الشيخ عبد الوهاب حفظه الله (إن الله تبارك وتَعَالى أودع فى الإِنسَان استعدادا كاملا وصلاحية تامة لمعرفة ذاته وصفاته) [1]

---

[1] لسان الدعوة : (404)
[2] لسان الدعوة : (422)
[3] لسان الدعوة : (428)
[4] لسان الدعوة : (442)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ التَّخْلِيَةَ قَبْلَ التَّحْلِيَهِ وَالتَّرْبِيَةَ قَبْلَ التَّعْلِيمِ هِىَ مِنْهَاجُ رَسُول رَبَّ العَالَمِينَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ التَّرْبِيَةَ الإِيمَانِيَّةَ مُقَدَّمَةٌ عَلَى العُلُومِ الشَّرْعِيَّةَ ، فَمَنْ حَصَّلَ الأَوَّلَ بُورِكَ لَهُ فِى الثَّانِى وَمَنْ ضَيَّعَهُ كَانَ الثَّانِى وَبَالاً عَلَيْهِ ، وَقَدْ عَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ التَّرْبِيَةَ الإِيمَانِيَّةَ وَمَحَّصَهُمْ بِهَا حَتَّى يَكُونُوا عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَمْرِهِمْ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ الأَحْكَامُ فَبُورِكَ لَهُمْ فِيهَا وَقَامُوا عَلَيْهَا . وَمَنْ خَالَفَ ذَلِكَ المَنْهَجَ فَقَدْ خَالَفَ نَهْجَ السَّلَفِ الأَوَّلِ مِنَ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ رَضِىَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ . وَيُسْتَحَبُّ التَّدَرُّجُ فِى التَّرْبِيَةِ الإِيمَانِيَّةِ كَمَا كَانَ الحَالُ مَعَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا : (إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُوَرٌ مِنْ الْمُفَصَّلِ ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ ، حَتَّى إِذَا ثَابَ ، النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا ، وَلَوْ نَزَلَ: لَا تَزْنُوا ، لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا) [2].

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فحياة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تنقسم إِلَى قسمين ، مكية ومدنية ، الحياة المكية مرحلة التربية والترقى ، والمدنية للأحكام والشرائع ، فحياة مكة كانت لفرس هذه الكلمة العظيمة فى القلوب فقط ، قولوا : (لَا إِلَهَ إِلَّا الله تفلحوا) [3] ، فأوامر النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعوة الجهرية لما طلع عَلَى الصفا ، وَقَالَ كلماته المشهورة : (يأيها النَّاس إِن أخبرتكم أن خيلا بجانب الوادى تريد أن تغير عليكم هل أنتم مصدقى ؟) قالوا : ما عهدنا عليك كذبا قط ، فقال لهم ، فإنى رَسُول الله إليكم . كلهم فروا منه ونفروا كأنهم حمر وحشية) [4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (هذه الدعوة الإسلامية عَلَى رأس كل مكلف من أمة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكن حتى يتحمل الإِنسَان هذا الجهد فلابد من التربية والتدرج ، ولابد من التعاهد والملاحظة ، حتى تأتى الثمرة) [5]

---

[1] لسان الدعوة : (446)
[2] (البخارى 4707)
[3] (المستدرك 39 ، 4219)
[4] لسان الدعوة : (246)
[5] لسان الدعوة : (441)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ طَاعَةَ اللهِ عَزَّ وَجلَّ سَبَبٌ لِمَعِيَّتِهِ وَكَيْفِيَّةِ الاسْتِفَادَةِ مِنَ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى .

وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَطَاعَ اللهَ تَعَالَى وَاتَّقَاهُ وَاتَّبَعَ رِضَاهُ وَعَبَدَهُ تَعَالَى بِمُقْتَضَى صِفَاتِهِ الحُسْنَى كَانَ اللهُ تَعَالَى مَعَهُ بِعِلْمِهِ وَنُصْرَتِهِ وَمَعِيَّتِهِ وَرَحْمَتِهِ ، فَيَجِدُ الإنسَانُ النُّصُرَاتِ الغَيْبِيَّةَ مِنَ اللهِ تَعَالَى مَعَهُ حِينَ الشَّدَائِدِ وَالمِحَنِ ، فَيَسْتَيْقِنُ قَلْبُهُ بِاللهِ وَيَطْمَئِنُ إِلَى جَنَابِهِ وَيُوَكِّلُ أَمْرَهُ كُلَّهُ إِلَيْهِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إذا امتثل العبد لأوامر الله وقام عليها تكون قدرة الله معه ، وفى صالحه ، وبداية ذَلِكَ يخرج اليَقِين عَلَى ما سوى الله من قلبه ، فيكون فقط يقينه بِاللهِ تَعَالَى وقدرته وعظمته ، ويأتى ذَلِكَ بمذاكرة الغيبيات وصفات الله الجليلة فيدخل الإِيمَان فى قلبه بالغيب ، بالإِيمَان القوى تصعد الأعمال طيبة إِلَى اللهِ تَعَالَى وتنزل النصرة والبركات ، وإذا كان الإِيمَان واليَقِين ضعيفا فالأعمال ضعيفة ، فإنها لا تصعد إِلَى السماء ، ولا تنزل النصرة كما فى حنين ، بسبب قصور قليل وفساد فى اليَقِين لم تنزل النصرة)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (والله أخبر نبيه بمعيته ، وأنها مع أهل الصفات ، والصفات فى القرآن)[2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ دَرَجَةِ الإِحْسَانِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَعَلَى دَرَجَاتِ الإِسْلَامِ هِىَ الإِحْسَانُ ، فَلَيْسَ كُلُّ مُسْلِمٍ مُؤْمِنٍ وَلَيْسَ كُلُّ مُسْلِمٍ مُحْسِنٍ وَلَيْسَ كُلُّ مُؤْمِنٍ مُحْسِنٍ ، وَلَكِنَّ كُلُّ مُحْسِنٍ مُؤْمِنٍ وَكُلُّ مُحْسِنٍ مُسْلِمٍ ، فَدَرَجَةُ الإِحْسَانِ أَنْ تُرَاقِبَ اللهَ أَوْ تُشَاهِدْهُ وَالأُولَى دُونَ الثَّانِيَةَ فِى الفَضْلِ . وَالإِسْلَامُ وَالإِيمَانُ إِذَا اجْتَمَعَا فِى اللفْظِ أَىْ فِى حَدِيثٍ أَوْ آيَةٍ افْتَرَقَا فِى المَعْنَى وَهُوَ إِرَادَةُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَعْنَىً مُخْتَلِفٌ وَإِذَا افْتَرَقَا فِى اللفْظِ اجْتَمَعَا فِى المَعْنَى وَهُوَ شُمُولِيَّةُ الدِّين .

---

[1] لسان الدعوة : (396)

[2] لسان الدعوة : (422)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللّهُ (والعمل يكون بصفة الإحسان ، (نْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَراهُ فإن لم تَكُنْ تَرَاهُ فإنهُ يَراكَ) [1] فصفة الإحسان تأتى بكثرة ذكر الله تَعَالَى ، والإستحضار يمنعنا من ارتكاب المعاصى ، وسبب جميع المعاصى هو عدم استحضار عظمة الله تَعَالَى) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللّهُ (4- أن نعمل كل عمل بالإحسان واستحضار فضيلته ، ولا نعمل بالغفلة ، مثلا فى الدعاء لا يكون المرء غافلا ، بل يستحضر عظمة الله ، وأن الله يتقبل منه) [3]

فَصْلٌ فِى وُجُوبِ الاتِّبَاعِ وَالقَصْدِ فِى العِبَادَةِ ، وَالنَّهْى عَنِ الابْتِدَاعِ .

وَيَجِبُ اتِّبَاعِ الرَّسُول صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ وَمَا نَهَى عَنْهُ ، بِفَهْمِهِ وَاقْتِصَادِهِ وَمُرَادِهِ وَطَرِيقَتِهِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ أَحْرَصُ عَلَى تَحْقِيقِ رِضَا اللهِ عَزَّ وَجلَّ مِنْهُ ، فَمَنْ اقْتَصَدَ بَلَغَ ، فَيَجِبُ اتِّبَاعِهِ فِى سُنَّتِهِ كُلِّهَا ، وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَتِهِ فَلَيْسَ مِنْهُ . وَيَحْرُمُ الابْتِدَاعُ فِى الدِّينِ أَىْ تَشْرِيعُ شَىْءٍ فِى دِينِ اللهِ تَعَالَى يَقْصُدُ بِهِ التَّعَبُّدُ عَلَى سَبِيلِ أَنَّهُ فَاتَ الرَّسُول صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ الصَّحَابَةَ الكِرَام رَضِىَ اللّهُ عَنْهُم ! أَوْ عَلَى قَصْدِ زِيَادَةِ التَّعَبُّدِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ تَعَالَى ! أَوْ بِقَصْدِ الاسْتِدْرَاكِ عَلَى صَاحِبِ الشَّرْعِ بِزَعْمِ تَغَيُّرِ الوَاقِعِ وَالأَحْوَالِ ! بَلْ مَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَافٍ وَصَالِحٌ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ، بَلْ لَا يَصْلُحُ أَىُّ زَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ إِلَّا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ النَّبَوِيَةِ . وَيَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ مَا قُلْنَاهُ مِنْ حُرْمَةِ البِدْعَةِ وَبَيْنَ المَصَالِحِ المُرْسَلَةِ أَوفِقْهِ النَّوَازِلِ أَوْ مَا يَصِحُّ فِعْلُهُ بِدَلِيلِ القِيَاسِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللّهُ (أما سير الإنسَان عَلَى منهج الله تَعَالَى وسنة النَّبِى صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو الصراط المستقيم ، فيكون بالقصد والإعتدال فى الحاجات البشرية ، وهناك سبل كثيرة ليست عَلَى مراد الله تَعَالَى ولا هدى نبه صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ

[1] (البخارى 50 ، 4499 ، مسلمَ 102 ، 106)
[2] لسان الدعوة : (195)
[3] لسان الدعوة : (340)

وَسَلَّمَ ، ولكن الله عز وجل اختار لنبيه وأمته سبيلا فقَالَ تَعَالَى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)[1] ([2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (عبد الله بن عمر عندما تزوج ، وفى النهار صائما وفى الليل قائما ، فقال له النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إن لزوجك عليك حقا ، وإن لجسك عليك حقا)[3] ، ولكن هذا لعبد الله فقط هو كان يتلذذ بالدعاء والبكاء ، ولكن الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ له (إن لزوجك عليك حقا) بعض الأحيان يكون الذهاب للزوجة هذا مجاهدة ، النفر الذين كلموا السيدة عائشة عن عمل النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واحد قَالَ : أنا أصوم ولا أفطر ، والثانى قَالَ وأنا أصلى ولا أرقد ، والثالث قال: وأنا أعتزل النساء ، فقال لهم النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكنى أصوم وأفطر ، وأصلى و أرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى)[4] ، لأن هذا الجهد للعمر كله ، فنحن نرتب حياتنا حتى نقوم عَلَى المجاهدة ، ولكن لابد من مدة نرتب فيها ونتدرب فيها ، أولا : حتى نقوم عَلَى المجاهده ، ليمتحن من فى قلبه اليَقِين عَلَى الأخرة ، ومن فى قلبه الشكر عَلَى الآخرة ، ممن استجاب لدعوة الشيطان التى أوردها الله فى قرءانه حجة عَلَى عباده ، فقال : (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي)[5] ، ثانيا : لنظل عليها إِلَى أن نلقى الله تَعَالَى ، فنستعد للبذل والجهد وإنفاق النفس والنفيس لنشر دين الله تَعَالَى فى العالم كله ، لهذا نرتب حياتنا كلها لهذا الأمر ، ونستعين بِاللهِ تَعَالَى فى ذَلِكَ ، عسى الله أن يتقبلنا)[6]

---

[1] (108 يوسف)
[2] لسان الدعوة : (137)
[3] (معناه فى البخارى 1874 ، مسلم 2787)
[4] (البخارى 4776 ، 5063 ، مسلم 3469)
[5] (22 إبراهيم)
[6] لسان الدعوة : (322)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ حَقِيقَةَ حُبِ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكُونُ فِى اتِّبَاعِهِ اتِّبَاعَاً كَامِلاً .

وَحَقِيقَةُ حُبُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَكُونُ أَبَداً إِلَّا بِاتِّبَاعِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى كُلِّ شُئُونِهِ ، فِى صُورَتِهِ وَسِيرَتِهِ وَسَرِيرَتِهِ ، فَمَنْ أَحَبَّهُ أَطَاعَهُ وَمَنْ عَصَاهُ أَبْغَضَهُ وَإِنْ زَعَمَ مَا زَعَمَ . فَاللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حُبَّهُ وَآلَ بَيْتِهِ وَأَتْبَاعِهِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قَالَ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (الدُّنْيا سِجْنُ المُؤمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ)[1] ، ومعنى سجن المؤمن وجنة الكافر ، أن المؤمن لا يتحرك بهواه وحريته ، بل هو مقيد بأوامر وبنظام يتبعه ، لأنه مثل المسجون ، لا ينظر لما لا يحل له ، ولا يأكل إلا الحلال ، ولا يسير إلا تحت راية الأوامر والنواهى)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فى زماننا هذا ندعى أننا نحب النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الذى يحب الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يخاف من الفقر والفاقة ومن البلايا والشدائد ، كما جاء فى الحديث . رجل قَالَ للنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أنا أحبك ، فقال : (تفكر فيما تقول) ، فقال نعم أنا أحبك ، فقال ، فقال : (إذا أَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافاً)[3] ، لأن الإيمان الحقيقى صعب وفيه المشقة ، فتمشى مع الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قَالَ : (والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)[4] ، هل هذا الحديث مطبق فى حياتنا)[5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (اللهُ سُبْحَانَهُ وَتعَالَى جعل يَقُولُ : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)[6] ، ولكننا ما فهمنا حقيقة اتباع الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى الأكل وفى الشرب وفى اللباس وفى الكلام وفى المشى وفى كل أعماله طوال أربع وعشرين ساعة ، ولكن هذا ليس باتباع كامل للرَسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إذن فما هو الإتباع الكامل ؟ الإتباع الكامل يكون فيما يلى :

[1] (مسلم 7606 ، صحيح بن حبان 687)
[2] لسان الدعوة : (245)
[3] (سنن الترمذى 2350 ، شعب الإيمان 1471)
[4] (شرح السنة 98/1)
[5] لسان الدعوة : (253)
[6] (31 آل عمران)

الأول : الإتباع فى الهمة .

الثانى : الإتباع فى المقصد .

الثالث : الإتباع فى الأعمال .

الخامس : الإتباع فى الهجرة .) [1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ وُجُوبِ اتِّبَاعِ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَيَجِبُ اتِّبَاعُ سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى كُلِّ وَقْتٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ، بِاتِّبَاعِهِ فِى حَيَاتِهِ مَعَ أَهْلِهِ وَمَعَ أَصْحَابِهِ وَمَعَ أَتْبَاعِهِ وَمَعَ أَعْدَائِهِ ، وَالقِيَامُ بِمُهِمَّتِهِ التِّى قَامَ عَلَيْهَا ثُمَّ حَمَّلَهَا مَنْ تَبِعَهُ ، وَمَنْ فَرَّطَ أَوْ قَصَّرَ فِى ذَلِكَ فَهُوَ مَلُومٌ عَلَى تَقْصِيرِهِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (أما سير الإنسان عَلَى منهج الله تَعَالَى وسنة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو الصراط المستقيم ، فيكون بالقصد والإعتدال فى الحاجات البشرية ، وهناك سبل كثيرة ليست عَلَى مراد الله تَعَالَى ولا هدى نبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكن الله عز وجل اختار لنبيه وأمته سبيلا فقالَ تعَالَى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) [2] ، وقوله : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) [3] ، وهذا الصراط لا يكون إلا بمراعاة حياة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وجعلها تحكم حياتنا ، فتشربها أنفسنا ، ونحيا بها فى خمسة أمور : (الإيمانيات ، والعبادات ، والمعاشرات ، والمعاملات ، والأخلاق) .) [4]

---

[1] لسان الدعوة : (417 – 418)
[2] (108 يوسف)
[3] (153 الأنعام)
[4] لسان الدعوة : (137)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فى عمل الدين نراقب نياتنا ، ونجعلها لله سبحانه ، وليس مجرد الجهد يكفى ، بل النية فى اتباع النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحدود الشرع وقيوده ، فمن يجاهد عَلَى خلاف مقتضيات أمر الله ، فهى ليست مجاهدة ، بل مجاهله ، مثل من يَقُولُ : أذكر الله تَعَالَى قائما عَلَى ساق واحدة ، فهنا عَلَى خلاف المطلوب ، ولكن لو قام بأمر الله تَعَالَى نصف ساعة ولو عَلَى خلاف النفس ، أحسن من ليلة عَلَى هواه ، وإذا جاهد نفسه عَلَى خلاف مطلوبه ، الله تَعَالَى يجعل نفسه مطمئنة ، والله يكرمها قبل الموت)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فلابد من قوة الإيمان وصفة الإحتساب ، وصفة الإحسان مع الإخلاص ، فيكون العمل عَلَى نهج النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)[2] ، ويَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (خُذُوا عَنِّى مَنَاسِكَكُمْ)[3] ، فجميع الأعمال عَلَى نهج النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإذا تحققت فى صلواتنا وأعمالنا تكون الأعمال حقيقية ، وتقبل عِند الله عز وجل)[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الكفار كانوا يؤذون الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويدفعونه ويطردونه ، ونحن اليوم من أمته وأتباعه ، فعلينا اليوم أن نتوب إِلَى اللهِ تَعَالَى ونرجع إِلَى سنة الحبيب مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا نترك سنته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الإنسان إذا ترك الصلاة فى الشغل يكون عاصيا ، فالمقصود هنا امتثال أمر الله عز وجل عَلَى طريق الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[6]

---

[1] لسان الدعوة : (179)
[2] (البخارى 5970)
[3] (الترمذى ، السنن الكبرى للبيهقى 9796 ، صحيح الجامع 7882 ، ولم أقف عليه فى الترمذى)
[4] لسان الدعوة : (186)
[5] لسان الدعوة : (280)
[6] لسان الدعوة : (286)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الإنسَان الذى يريد الحفظ يتبع الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ماذا عمل الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ هو يعمل وما طريق النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ الله يخبر : (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)[1] ، السبل الشهوات والهوى ، فإذا اتبع هواه معناه خرج من الصراط المستقيم ودخل فى السبل)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كل عمل بغير الروح لا يقبل ، ومتى يكون العمل فيه الروح ؟ أى عمل يكون فيه الروح إذا كان عَلَى طريق النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسنته ، ففى هذا العمل الله عز وجل وعد النصرة بقوله : (إن تنصروا الله ينصركم)[3])[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (3 – أن تكون أعمالنا عَلَى طريق الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، صلاتنا عَلَى طريق صلاة الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزواج لا يكون عَلَى طريق العوام بل عَلَى طريق الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (أوامر اللهُ سُبْحَانَهُ وَتعَالَى منتشرة فى القرآن والأحاديث ، مثلا أمر الزكاة ، وأمر الصلاة والحج ، وأمر الإنسَان للزوجة وأمر السكنى للزوجة ، وأمر الصدقات ، وهكذا الأوامر منتشرة ولكن ما هو الترتيب لامتثال أوامر اللهُ سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ؟ أى أمر تقدم وأى أمر تؤخر ؟ ليس من قبلنا نبين أن هذا الأمر مقدم وأن هذا الأمر مؤخر ، بل نفرق بامتثال أوامر الله تَعَالَى وفقا لما جاء فى حياة الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

ترتيب أوامر الله تَعَالَى ، ننظر كيف فعلها النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فإذا صلى العبد حسب لفظ القرآن هذا الأمر : (أقيموا الصلاة) ، فإقامة الصلاة فقط من هذا الأمر ، فلذالك أولا يسجد ثم يركع ثم يقوم ، وهكذا لا تصح صلاته ، ولو امتثل أمر الله تَعَالَى (أقيموا الصلاة) ولكنه خالف ترتيب الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن صلاته لا تقبل ، إذا كان الواحد

[1] (153 الأنعام)
[2] لسان الدعوة : (295)
[3] (7 محمد)
[4] لسان الدعوة : (338)
[5] لسان الدعوة : (340)

يَقُولُ إن الله تَعَالَى أمرنا بالصيام والصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع ، لِذَلِكَ أنا لا آكل ولا أشرب ليلا ، وهذا لا يصح صومه لأنه لو صام وأقام أمر الله فقد خالف ترتيب الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فالإمتثال لأوامر الله تَعَالَى يجب أن يكون باتباع ترتيب الرَّسُول صلى الله عليه وأى أمر مؤخر ...) [1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد من اتباع الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى الجهد للدين) [2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ فَلاَحَ الإنسان فِي امْتِثَالِ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى وَأَمْرِ رَسُولِه فَقَط

وَلَا فَلَاحَ لِهَذَا الإِنسَانِ إِلَّا بِامْتِثَالِ أَوَامِرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى طَرِيقَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُرَادِهِ ، فهَذَا هُوَ مَحَلُّ الرَّحْمَةِ وَالفَلَاحِ وَالهِدَايَةِ وَالمَغْفِرَةِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ونداء المَسْجِد هو (الله أكبر) و (أشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وأشهد أن مُحَمَّد ا رَسُول الله) ، فصاحب نداء المَسْجِد الذى يأتى للصلاة امتثالا لأمر الله عز وجل ، واتباعا لرَسُول ه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ينال رضا الله تَعَالَى وخيرى الدنيا والآخرة ، والعكس بالعكس ، فصاحب نداء السوق لا قرار له فى حياته ، ولا راحة ، لاعتقاده فى الأشياء المادية ، وأن راحته فى المال والأسباب ، فأعماله دائما متذبذبة قلقة لا يهدأ له بال) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (متى يكون النظام الغيبى موافقا أو مخالفا ؟ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أخبرنا بهذه الحقيقة بواسطة الرسل ، وآخرهم سيدنا مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهى قوله تعَالَى : (ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللهِ ورَسُوله وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [4] .

---

[1] لسان الدعوة : (409– 410)
[2] لسان الدعوة : (427)
[3] لسان الدعوة : (146)
[4] (10 – 12 الصف)

إذن فلاح العباد ونجاحم بالقيام عَلَى مرضاة الله تَعَالَى وسنة نبية صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والله تَعَالَى لم يربط فلاح الإنسَان ولم يجعله فى الأشياء ، بل ربطه بالأعمال ، فمن كانت أعماله صالحة حقق الفلاح فى الدنيا والآخرة ـ والعكس ، الله يغضب عليهم فى الدنيا والآخرة ، والله تَعَالَى مع كل قوم بعث الأنبياء والمرسلين ، فأخبروهم عن أمر الله تَعَالَى ، حتى بعث الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرنا أن فلاح الإنسَان ونجاحه فى الإِيمَان بِاللهِ عزوجل واتباع نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (مرة مر النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قبرين فقال : (إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان لا يستبرىء من البول ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة)[2] ، فهو كان يرى والصَّحَابَة لا يرون ، والرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى الجَنَّة والخيرات والقصور والحور ، فالذى يريد النجاح والفلاح فعليه أن يمشى وراء الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[3]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أرسلنا فى هذه الدنيا كى نقضى حياتنا حسب الدين ، والدين ينقسم إِلَى قسمين : الأول ؛ هو أوامر الله عز وجل ، والثانى ؛ هو سنن الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إذا قضينا حياتنا بامتثال أوامر الله عز وجل واتباع سنة الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الله يرضى عنا وإِذا رضى الله تَعَالَى فنتحصل عَلَى فلاح الدنيا والآخرة)[4]

فَصْلٌ فِي اتِّبَاعِ سَبِيلِ الْمُؤمِنِينَ وَسَلَفِ الأُمَّةِ الصَّالِحِينَ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ حُبُّ كُلُّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى إِسْلَامِهِمْ وَبِقَدْرِ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ إِيمَانٍ ، وَيَجِبُ مُوَالَاتُهُمْ وَنُصْرَتُهُمْ وَدَعْوَتُهُمْ وَنَصِيحَتُهُمْ ، وَيَجِبُ اتِّبَاعِ الصَّحَابَةِ الكِرَام عَلَى فَهْمِهِمْ الذِى فَهِمُوا بِهِ الإِسْلَامَ وَطَبَّقُوهُ ، فَهُمْ أَقْرَبُ عَهْدٍ بِهَذَا الأَمْرِ وَأَعْلَمُ بِهِ مِنَّا ، وَتُؤْمَنُ عَلَى

---

[1] لسان الدعوة : (172)
[2] (متفق عليه ، البخارى 216 ، مسلم 292)
[3] لسان الدعوة : (332)
[4] لسان الدعوة : (409)

صَالِحِيهِمُ الفِتْنَةُ فَقَدْ أَفْضَوْا إِلَى رَبِهِمْ جَلَّ وَعَلَا ، وَقَدْ مَدَحَهُمُ اللهُ تَعَالَى فَقَالَ : (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)[1] وَالسَّلَفُ الصَّالِحُ هُمُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ كَالعُلَمَاءِ العَامِلِينَ وَالدُّعَاةِ الرَّبَّانِيينَ إِلَى يومِ الدِّينِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ونصرة الله تَعَالَى التى كانت مع السلف الصالح لازالت موجودة إِلَى الأن ، ولو نحن نختار طريقهم القديم ، فالله تَعَالَى يغير حياتنا وينصرنا كما نصرهم ، فسنة الله تَعَالَى أن يعز الإِنسَان بالدين إذا تمسك به ، ويذله إذا تمسك بغير الدين ونحن نعرف قصة الرجل الذى انسلخ من ءايات الله مع أن معه اسم الله الأعظم ، لما نظر للدنيا وفتن ، الله أذله فى الدنيا ، وله فى الآخرة عذاب عظيم ، وكذَلِكَ فكل القصص التى فى القرآن لم تأت إلا للعبرة ، كيف أفلح أقوامهم بتمسكهم بالدين ؟ وكيف خسر أقوام ببعدهم عن الدين ؟ كيف أعز الله تَعَالَى يوسف رغم أَنَّهُ فى البئر ؟ وبيع فى السوق بثمن بخس وتغري وسجن ؟ ولكن الله تَعَالَى أعزه بهذه الأحوال وإِخوانه الذين فعلوا به هذا الفعل جاؤا يطلبون منه الصدقة)[2]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (رجل غنى زوج ابنته عَلَى طريق السنة ، وحضر غير المُسْلِمِين فى الحفل ، فتأثروا ، كيف الرجل غنى لكن الزواج بسيط ؟ فقالوا له : ماذا تفعل بالمال لماذا ما أنفقته فى الحفل ؟ فقال : هكذا زاوج المُسْلِمِين بسيط ، وكثير من أولاد المُسْلِمِين الفقراء هم يتزوجون بهذا المال ، ننفقه عليهم ، فتأثروا من معاملاته)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ما هو الترتيب الصحيح ؟ أن نجعل حياة الصَّحَابَة أمام أعيننا حتى لا نمشى فى الدنيا بالهوى ، لأن الآخرة هى المقصد والدنيا ضرورة ، فلا تشغلنا الضرورة عن المقصد)[4]

---

[1] (115 النساء)
[2] لسان الدعوة : (243 – 244)
[3] لسان الدعوة : (344)
[4] لسان الدعوة : (355)

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فلابد أن تكون عندنا النية أن نكون مثل الصَّحَابَة رضى الله تَعَالَى عنهم قبورهم فى كل مكان فى العالم فى غير مولدهم ، فنرتب أعمالنا عَلَى ترتيب الصَّحَابَة بتقديم طلبات الدين عَلَى كل طلبات ، وتقديم كل نفس ونفيس حتى لا يكون شأننا الآن يصدق فيه قول القائل :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا الدين يبقى ولا ما نرقع [1]) [2]

فَصْلٌ فِى وُجُوبِ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى بِاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ .

وَيَجِبُ طَاعَةُ اللهِ تَعَالَى بِاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ وَالبُعْدِ عَنْ زَوَاجِرِهِ وَكَذَا رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَحَمُّلِ المَشَقَّةِ فِى ذَلِكَ وَالجُهْدِ مِنْ أَجْلِهِ وَبَذْلُ الغَالِى وَالنَّفِيسِ دُونَهُ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الروح والجسد حياة ، والجسد بلا روح يكون جثة ، والجثة يكون منها العفن ، كذَلِكَ حياة الروح فى أمر الله ورَسُوله ، وكل كافر فليس فيه حياة ، إذن كم من الجثث الآن فى العالم بدون روح ؟ لأن الكفار لا حياة فيهم فهم مثل البهائم ، لذَلِكَ يدعونا ربنا إِلَى الحياة الحقيقية حيث يقُولُ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَسُول إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) [3]) [4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كانت الغلبة لأهل الإيمَان فى بدر ، لأنهم فى بدر كان عندهم :

1 – امتثال لأوامر الله تَعَالَى ،

2 – الاجتناب عما نهى الله تَعَالَى عنه ،

---

[1]

[2] لسان الدعوة : (382)

[3] (24 الأنفال)

[4] لسان الدعوة : (400)

3 – تحمل المشقة فى الأحوال لله تَعَالَى ، إيمان ويقين صحيح ،

4 – بذل النفس عَلَى طريق صحيح ،

5 – وإنفاق المال عَلَى طريق صحيح .) [1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ومن المعروف أن أغنى الأغنياء فى الأرض لا يستطيع أن يجدد لنفسه مقدار السعادة التى يمكن أن يتحصل عليها اليوم ، والله تَعَالَى جعل كمال النعم فى الجَنَّة ، وللحصول عَلَى كمال النعم لابد من كمال الإِيمَان والأعمال ، وللحصول عَلَى كمال الإِيمَان لابد من كمال الإمتثال لأوامر الله عزوجل وهدى رَسُولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، .... ، فإذا امتثل الإِنسَان لأوامر الله تَعَالَى جميع مافى الدنيا يمتثل لهذا الإِنسَان) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لو نظرنا إِلَى المُسْلِمِ ، النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) [3] ، فهنا المسجون يتقيد بأوامر السجن وأعماله ، فعَلَى المُسْلِمِ أن يتقيد – كالمسجون – بأوامر الله تَعَالَى وأعماله) [4]

فَصْلٌ جَامِعٌ فِى بَيَانِ شُرُوطِ قَبُولِ العَمَلِ .

وَلِقَبُولِ العَمَلِ الصَّالِحِ شُرُوطٌ مِنْهَا : الاتِّبَاعِ وَالإِخْلَاصِ للهِ تَعَالَى وَيَنْدَرِجُ تَحْتَهُمَا كَثِيرٌ مِنَ الشُّرُوطِ مِثْلَ اليَقِينُ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَالإِحْتِسَابِ وَالافْتِقَارِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ لِقَبُولِهِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لذَلِكَ يجب أن نعمل الأعمال بنية :

أولا : اليَقِين : عَلَى وعد الله وموعوده ، لمرضاة الله تَعَالَى .

---

[1] لسان الدعوة : (401)
[2] لسان الدعوة : (406)
[3] (مسلم **7606**)
[4] لسان الدعوة : (430)

ثانيا : الإتباع : أى تعمل العمل عَلَى هدى النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثالثا : الإحسان : أن تعمل العمل كأنك ترى الله تَعَالى ، فإن مل تكن تراه فإنه يراك .

رابعا : الإحتساب : فإن ذَلِكَ العمل لن يكافئنى عليه إلا الله تَعَالَى فى الآخرة ، ونعلم هذا بعلم الفضائل .

خامسا : الإخلاص : فلا عمل إلا لوجه الله تَعَالَى .

سادسا : الإفتقار : أى نحن الذين نحتاج إِلَى اللهِ عز وجل ، والله تَعَالَى هو الغنى ، ونحن أحوج ما نكون إِلَى قبول أعمالنا لذَلِكَ يقُولُ سبحانه : (يَا أَيُّهَا النَّاس أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) .[1]

سابعا : الإستغفار : وذَلِكَ لجبر العمل إذا شابه شائبة .

فلو تمرنا عَلَى ذَلِكَ تكون كل أعمالنا عَلَى صفة الصلاة ، فتكون مقبولة عِند الله تَعَالَى ، وبعد هذه الأعمال المقبولة تأتى المعاملات الحسنة بين النَّاس)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (بخمسة أشياء فى أعمالنا تكون أعمالنا قوية ، نجتهد حتى فى صلاتنا ، فإن شاء الله تَعَالَى تكون صلاتنا حقيقية ، وبها تقضى حاجاتنا :

1 – أن يكون اليَقِين صحيحا ،

2 – أن تكون أشواقه حقيقية ،

3 – أن تكون الطريقة صحيحة وهى طريقة الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

---

[1] (15 فاطر)

[2] لسان الدعوة : (151)

4 – يعمل العمل بالإحسان ،

5 – إخلاص النية .

وبشيء من التفصيل :

1 – ما معنى اليَقِين الصحيح ؟

أن يكون يقينه عَلَى الله ، لا يكون يقينه عَلَى الأشياء ، فبهذا يكون إيمنه قويا .

2 – أن تكون أشواقه صحيحة ؟

أن يعمل هذا العمل بالشوق ، يعنى أن يتيقن عَلَى وعد الله ووعد رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأن الله تَعَالَى وعد عَلَى الأعمال ، .... ،

3 – أن تكون أعمالنا عَلَى طريقة الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، صلاتنا عَلَى طريق الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الزواج لا يكون عَلَى طريق العوام ، بل عَلَى طريق الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

4 – أن نعمل كل عمل بالإحسان واستحضار فضيلته ، ولا نعمل بالغفلة ، مثلا فى الدعاء لا يكون المرء غافلا ، بل يستحضر عظمة الله ، وأن الله يتقبل منه ،

5 – أن تكون أعمالنا لله تَعَالَى ، لا لأى غرض من الدنيا أو لأى مخلوق) [1]

[1] لسان الدعوة : (339- 340)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ وُجُوبِ اتِّبَاعِ فَهْمِ صَالِحِ سَلَفِ الأُمَّةِ الأَوَّلِ لِلقُرآنِ وَالسُّنَّةِ .

وَيَجِبُ اتِّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِى فَهْمِهِمْ لِنُصُوصِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، فَمَا فَهِمُوهُ إِجْمَالًا نَفْهَمُهُ إِجْمَالًا وَمَا فَصَّلُوهُ نُفَصِّلُهُ وَمَا سَكَتُوا عَنْهُ نَسْكُتُ عَنْهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الإِيمَانَ قَبْلَ القُرْآنِ وَالأَحْكَامَ ، وَأَنْ نَتَحَرَّكَ فِى العَالَمِ لِنَشْرِ هَذَا الدِّينِ ، وَأَنْ يَقُومَ كُلُّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الأُمَّةِ بِوَاجِبِهِ تِجَاهَ هَذَا الدِّينِ ، فَمَنْ تَبِعَهُمْ عَلَى فَهْمِهِمْ فَهُوَ السَّلَفِيُّ حَقًّا وَإِنْ رُمِىَ بِمَا رُمِىَ ! وَمَنْ خَالَفَهُمْ عَلَى فَهْمِهِمْ فَلَيْسَ بِسَلَفِي وَإِنْ ادَّعَى مَا ادَّعَى ! .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الفرق الذى بيننا وبين الصَّحَابَة رضى الله تَعَالَى عنهم فى تحصيل العلم ، خمسة فروق :

الأول: كان عندهم اليَقِين عَلَى العلوم الإلهية ، ونحن ليس عندنا اليقيت الكامل عليها ،

الثانى : كانوا يجتهدون عَلَى ثلاثة أشياء ، الإِيمَان والعلم والعمل ، وجهدنا اليوم عَلَى العلم ، وقليل من النَّاس من يهتم بالعمل ، أما الإِيمَان فالكل مطمئن عَلَى إيمانه ! إلا من رحم الله ،

الثالث : كان عندهم العلم فى كل شعب الحياة ، وفى كل النَّاس ، ونحن عندنا العلم فى طائفة خاصة ، وبقية المُسْلِمِين لا يشعرون باحتياجهم إِلَى العلم ، وأهل العلم لا يشعرون بالإحتياج إِلَى الذهاب إليهم ليعلموهم أو يشعروهم بضرورة العلم ،

الرابع : كان مفهوم القرآن والحديث عندهم صحيحا ، ومفهومنا خاطىء ، مثلا هم كانوا يفهمون أن كل من تعلم آية واحدة فهو مسئول عن الدعوة لقول النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى حجة الوداع : (بلغوا عنى ولو ءاية)[1] ، ونحن نفهم أن الدعوة لا تكون إلا بعد تعلم الحقائق والدقائق ، كَذَلِكَ فى الحديث الشريف حيث يَقُولُ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)[2] ، كانوا بفهمون أن الحديث يدل ولو عَلَى ءاية واحدة ، ونحن نفهم أننا نحفظ القرآن كله ثم بعد ذَلِكَ نعلمه ، كَذَلِكَ مفهوم الجهاد عندهم كان هو الدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى وإخراج النَّاس من الظلمات إِلَى النور ، وكانوا يعتقدون بأن الجهاد

---

[1] (البخارى 3461)
[2] (البخارى 4739)

من غير الدعوة مثل الصلاة بغير وضوء ، لأن الجهاد كانوا يعتبرونه ضرورة ، وآخر حل لتثبيت الدين فى أى بلد ، وما قاتلوا قوما أبدا بغير دعوتهم إِلَى اللهِ تَعَالَى ثلاثة أيام ، يعرضون عليهم فيها الإسلام ، فإذا أبوا صالحوهم عَلَى الجزية ، وإن أبوا قاتلوهم حتى يفتح الله تَعَالَى عليهم البلاد ، وهم بعد الفتح يركزون الدين ويثبتون أركانه فى هذه البلاد ، ويدرسونه لهم ، وهذا بعد إيجاد البيئة التى فيها الإسلام الحقيقى ، كل من يدخل فيها يتأثر بها عمليا ، ونحن اليوم نفهم أن الجهاد فقط قتال وسلاح ، والإسلام ليس فينا ولا فى بيوتنا ولا فى نسائنا ، ولا فى معاملاتنا ولا فى تجاراتنا ، ومع ذَلِكَ نريد القتال مع العدو بدون أن ندعوهم إِلَى اللهِ تَعَالَى عَلَى ترتيب الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

الخامس : تحصيل العلم ونية تعليمه وميدانه ، العلم كان عندهم فى الكبار أى فى كبار السن لأن فى أيديهم التغير ، إذا عرف أن هذا أمر الله تَعَالَى استطاع أن يطبقه ، لأنه رب البيت ، ونحن عندنا فى الأطفال فقط ، والآباء لا يهتمون بتحصيل العلم والولد لا يستطيع أن يغير ترتيب البيت وأبوه لا يفهم فيقف أمامه ، والعلم كان يعلم لوجه الله تَعَالَى فى زمانهم ، وفى زماننا يعلم بالمقابل ، ويتسابق العلماء عَلَى تسجيل الشرائط وإخراج الكتب ، لركوب السيارات الفارهة والشقق الفخمة ، وميدان العلم كان فى المَسْجِد وينقل إِلَى البيوت ، ونحن عندنا العلم فقط فى المدارس ، والمَسَاجِد خالية من حلقات العلم والبيوت كذَلِكَ خالية إلا من رحم الله تَعَالَى .) [1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ مَنهَجِ عُلَمَاءِ وَمَشَايِخِ التَّبليغِ قَائِمٌ عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ صَالِحِ سَلَفِ الأُمَّةِ .

وَيَجِبُ السَّيْرُ عَلَى المَنْهَجِ الرَّبَّانِيّ الذِى ارْتَضَاهُ لَنَا نَبِيُّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهُوَ تَطْبِيقُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ وَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةُ الكِرَامُ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ وَصَالِحُ التَّابِعِينَ وَالعُلَمَاءُ العَامِلِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَهَذَا مَا يَسِيرُ عَلَيْهِ إِخْوَانُنَا مِنْ أَهْلِ التَّبْلِيغِ وَالدَّعْوَةِ ، - وَهُمْ مَنْ يُطْلِقُ النَّاسُ عَلَيْهِمْ جَمَاعَةُ التَّبلِيغِ وَلَيْسُوا بِجَمَاعَةٍ وَلَيْسَ

---

[1] لسان الدعوة : (250)

هَذَا كَلَامُهُمْ وَلَا كَلَامُ عُلَمَاءِهِمْ وَمَشَايِخِهِمْ فَيَجِبُ التَّثَبُّتُ عَنْهُمْ – وَالْمَنْهَجُ الرَّبَّانِىُّ شَامِلٌ لِكُلِّ حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ الكِرَامِ فِى حِلِّهِمْ وَتِرْحَالِهِمْ وَصُورَتِهِمْ وَسِيرَتِهِمْ وَسَرِيرَتِهِمْ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كيفية اتباع الكتاب والسنة ؟

جعل الله عز وجل لنا نموذجا فى حياة الصَّحَابَة الكِرَام رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ ، لأنهم أطاعوا الله ورَسُوله كما أراد الله تَعَالَى أن يطاع ، إذن بكتاب الله عزوجل ، وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وحياة الصَّحَابَة الكِرَام رضى الله تَعَالَى عنهم ، يكون الإتباع الكامل الذى فيه الصلاح والنجاح .) [1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ما هو الترتيب الصحيح ؟ أن نجعل حياة الصَّحَابَة أمام أعيننا حتى لا نمشى فى الدنيا بالهوى ، لأن الآخرة هى المقصد والدنيا ضرورة ، فلا تشغلنا الضرورة عن المقصد) [2]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الحمد لله الذى اخرج لنا هذه الدعوة لندعوا إِلَى كتاب الله وسنة رَسُولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونرجع إليها ، الحمد لله الذى أخرج هذا العمل لنا لتوحيد الألوهية والربوبية وأسماء الله وصفاته ، الله عز وجل علم نبيه أن يركز عَلَى الإِيمَان ، والنَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ الإِيمَان واليَقِين الصحيح وبه تتميز الأشياء ، التَّوْحِيد عن الشرك ، إذن نصرف أنفسنالله ولا نتوجه لغير الله . فقد ركز النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هذا اليَقِين والتَّوْحِيد الخالص) [3]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (علينا أن نتبع حياة الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ حتى نستفيد ونتعلم كيفية إقامة الدين ، وكل ما حدث للصحابة رضى الله تَعَالَى عنهم مثال ونموذج لنا فى كل شىء ، ولهذا أعداء الدين يقدحون

---

[1] لسان الدعوة : (173)

[2] لسان الدعوة : (355)

[3] لسان الدعوة : (393)

فى الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ حتى نقطع الصله بهم ونضل عنهم ونفسر القرآن والحديث رأسا من عندنا ، والله أمرنا باتباع الصَّحَابَة وهذا الإتباع سبب الرضوان والجنة)[1]

و قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (بالجهد فقط لا تأتى الهداية ، إلا إذا كان الجهد صحيحا والرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الأسوة الحسنة ، وكذَلِكَ الصَّحَابَة هم أسوة أيضا ، لأنهم تحصلوا التربية من الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والله تَعَالَى يَقُولُ : (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)[2] ، اتبعوهم بإحسان أى بإخلاص ، فهم اتبعوا المهاجرين والأنصار ، فالله تَعَالَى يرضى عنهم ، فنحن لا نستغنى عن الصَّحَابَة أبدا ،

ولكن أعداء الله تَعَالَى أذكياء ، يشعرون أن هذه الأمة المسلمة لو تأتى حسب القرآن وحسب الدين وحسب أقوال الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهم قادرون عَلَى أن يحكموا ويسيروا أرض الله الممدودة ، وأعداء الله يشهدون للمسلمين بهذا ، فإن هذه الأمة عندما تسير عَلَى طريق الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعَلَى القرآن ، فإن جميع قوات الباطل الإنسانية الظالمة تكون غير قادرة عَلَى فعل شىء حيالها .

فأعداء الله تَعَالَى يريدون إبعادنا عن القرآن باسم القرآن ، وعن الإسلام باسم الإسلام ، وهم يريدون من الْمُسْلِمِين أن يفهموا القرآن بغير ما فهمه الصَّحَابَة حتى لا يفهم القرآن فهما سليما ، فباسم القرآن هم يريدون ألا يصل القرآن كما فهم النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكما فهم الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ ، وهم يريدون أن يجعلونا نرى فى القرآن أن هذا أصفر وهذا أحمر وهذا أخضر ويأتون بالأدلة ، ولكن الأصفر ليس فى الحقيقة أصفر والأحمر ليس فى الحقيقة أحمر وهكذا . ولكن حتى يوجد فينا الدين ، فلابد أن ننظر بأى مقياس يوجد فينا ؟ وعَلَى أى ترتيب جعله الله ؟ وكيف عاش النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكِرَام رضى الله تَعَالَى عنهم ؟

[1] لسان الدعوة : (398)
[2] (100 التوبة)

اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أرسلنا فى هذه الدنيا كى نقضى حياتنا حسب الدين ، والدين ينقسم إِلَى قسمين : الأول هو ، أوامر الله عز وجل ، والثانى هو ، سنن الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإذا قضينا حياتنا بامتثال أوامر الله تَعَالَى واتباع سنة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الله يرضى عنا وإِذا رضى الله فنتحصل عَلَى فلاح الدنيا والأخرة)[1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ النُّصْرَةَ فِى اتِبَّاعِ مَنْهَجِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيهِمُ السَّلاَمُ وَلَيستْ فِى حَيَاتِهِم أَو وُجُودِهِم .

وَاعْلَمْ أَنَّ النُّصْرَةُ مِنَ اللهِ تَعَالَى لَنْ تَكُونَ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى كُلِّ شُئُونِهِ ، قَالَ تَعَالَى : (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)[2] . وَلَيْسَتِ النُّصْرَةُ تَنْزِلُ عَلَى أَشْخَاصِ الأَنْبِيَاءِ بَلْ عَلَى مَنَاهِجِهِمْ ، فَتَرَى بَنِى إِسْرَائِيلَ يَتِيهُونَ سِنَيْنَ مَعَ وُجُودِ الأَنْبِيَاءِ مَعَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسِيرُوا عَلَى مِنْهَاجِ الأَنْبِيَاءِ ، وَكَذَلِكَ يَنْهَزِمُ الْمُسْلِمُونَ فِى مَعْرَكَةٍ كَبِيرَةٍ مَعَ قُرَيْشٍ وَيَمُوتُ فِيهَا سَبْعِينَ مِنْ خِيرَةِ أَبْطَالِهِمْ وَمِنْهُمْ أَسَدُ اللهِ تَعَالَى وَأَسَدُ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ لِمَخَالَفَتِهِمْ مَنْهَجَ الأَنْبِيَاءِ – بِالطَّبْعِ لَيْسَ كُلُّهُمْ مُخَالِفٌ ، وَلَكِنَّ مُخَالَفَةَ مَنْ خَالَفَ كَانَتْ سَبَبُ الهَزِيمَةِ - ، وَتَرَى قَوْمَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَصْرِفُ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمُ العَذَابُ فِى عَدَمِ وُجُودِ نَبِيِّهِمْ مَعَهُمْ وذَلِكَ لِأَنَّهُمْ سَارُوا عَلَى المَنْهَجِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فنحن لا نفهم أن الأمم السابقة الله تَعَالَى نصرهم بأنبيائهم ، نحن نبينا ليس موجود ، ولكن الله تَعَالَى أظهر نظامه ، نصر الصَّحابَة بعد النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مشوا فوق نهر دجلة بدون سفينة ، فهؤلاء المؤمنون الذين يرضون الله تَعَالَى ، الله تَعَالَى ينصرهم مهما كانت العدة والعدد عِند الكفار ، مثل غزوة بدر ، العدة والعدد عِند الكفار ، والمسلمون ما عندهم الأسباب ، فالله تَعَالَى نصرهم حتى أن الكفار تحيروا كيف تغلبوا علينا وهم ما عندهم أسباب وهم قليلون ؟ إذا نريد الأسباب يحتاج هذا إِلَى ترتيب ووقت ، ولكن المؤمنين المخلصين بركعتين تنزل النصرة ، فالله تَعَالَى ينصر المؤمنين

---

[1] لسان الدعوة : (408 – 409)
[2] (محمد 7)

بقدرته الغيبية لشيئين ، أولا : ليزداد المؤمنون إيمانا ، وثانيا : وحتى الكفار يرون قدرة الله تَعَالَى أن الله تَعَالَى ينصرهم بغير الأسباب)[1]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الأنبياء وأتباعهم كانوا ينصرون باختيارهم الطريقة التى يرضى الله تَعَالَى بها ، ولكن الله تَعَالَى جعل سنته أن من يأتى بعدهم ويسلك طريقهم الله تَعَالَى ينصرهم ، فالكفار قالوا : قبل كان النَّبِى معهم لهذا ينصرون ، ولكن الآن مات نبيهم ، فالآن نقاتلهم وننتصر عليهم ، لهذا كثير من النَّاس ادعوا النُّبُوَّة مثل مسيلمة ، بل عِند الفتح كثير من القبائل دخلوا فى الإسلام ، ولكن إسلامهم بغير مجاهدة ، فمن يتحصل الدين بغير مجاهدة لا يثبت وعِند الفتنة يرتد ، بل نصرة الله تَعَالَى مع الذى يكون عنده حقيقة الدين ، والحقيقة لا تكون إلا بالمجاهدة)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (أسباب النصرة وأسباب الهزيمة ، وهى سنن قائمة إِلَى يوم القيامة لا تتغير ولا تتبدل ، والله ما قَالَ أنا أنصر الأنبياء فقط بل قَالَ سبحانه : (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)[3])[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فأسباب النصرة من عِند الله تَعَالَى لا تشترط وجود النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فالله تَعَالَى سخر البحر لموسى عليه السلام وقومه ، ولكن صحابة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغير نبيهم مشوا فوق الماء ، بل ودوابهم أيضا ، وذَلِكَ حتى يخبرنا الله تَعَالَى أن (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ)[5] ، وذَلِكَ مرتبط بمن يريد أن ينصر دين الله تَعَالَى فيَقُولُ تَعَالَى : (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)[6] ، وأمر هام جدا وهو أن جميع الفتوحات الإسلامية تمت كلها بعد وفاة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذَلِكَ لأن امتثال أمر الله عَلَى سنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان فى الأمة فجاء النصر ، ففى سنة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النصرة ولو كان شخصه غائبا ، ولذَلِكَ فى أحد كان النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

[1] لسان الدعوة : (317)
[2] لسان الدعوة : (318)
[3] (51 غافر)
[4] لسان الدعوة : (373)
[5] (10 الأنفال)
[6] (7 محمد)

موجودا ولكن جاءت مخالفته فهنا ارتفعت النصرة ، وفى هذا درس كبير للأمة إِلَى قيام الساعة ، وهو أن النصرة فى اتباع أمر الله مع سنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأن الهزيمة والخيبة فى مخالفتها)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إن المُسْلِمين اليوم عددهم كبير جدا ، ولكنهم مظلومون ، وإذا قمنا عَلَى جهد الدين حقيقة ، فإن الله تَعَالَى يرسل نصرته علينا ، كما نصر المُسْلِمين فى حياة الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأى الأمور راجح عَلَى غيره نفعل !

فحياة الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليست شرطا للنصرة ، إن الله تَعَالَى أظهر قوته فى نصرة دينه فى أيام الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفى حياة الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذَلِكَ ، لأن الدين فيه طاقة وبركة ،

واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بذا الدين ينصرنا ويصلح أحوالنا ويحل مشاكلنا (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)[2] ، والتقوى هى حفظ النفس من المعصية ، والصَّحَابَة الكِرَام رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ ، عندما اجتهدوا ، حتى جاء فى حياتهم الدين الحقيقى ، والإِيمَان الحقيقى ، هنا الله عز وجل نصرهم ، ورب الكعبة هو ربنا ، وزمان الصَّحَابَة لا يختلف عن زماننا ، ولكن أحوالنا هى التى تختلف عن أحوالهم ، ولكن لا نقول : هم كانوا فى زمن الجمل ، ونحن فى زمن القنبلة الذرية والطائرة ، لأن الله تَعَالَى لم يتغير بتغير الزمان من الجمل إِلَى الطائرة ، فهو هو ونصرته مع طاعته ولو اختلف الزمان)[3]

فَصْلٌ فِى بَيَانِ قَدْرِ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ وَحُرْمَةِ القَدْحِ فِى أَحَدٍ مِنْهُم .

وَاعْلَمْ أَنَّ قُلُوبَ الصَّحَابَةِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ أَفْضَلُ قُلُوبٍ فِى هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ، اخْتَارَهُمُ اللهُ تَعَالَى لِصُحْبَتِهِ وَانْتَقَاهُمْ لِحَمْلِ أَمَانَتِهِ فَجَعَلَهُمْ أَبَرَّ هَذِهِ الأُمَّةِ قُلُوبَا وَأَعْمَقَهَاعِلْمَاً وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفَاً وَأَكْثَرَهَا جُهْدَاً وَأَصْدَقَهَا جِهَاداً ، فَلْنَعْرِفُ لَهُمْ قَدْرَهُمْ وَلِنَتَّبِعْهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ

---

[1] لسان الدعوة : (374)

[2] (الطلاق 2-3)

[3] لسان الدعوة : (388)

فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الهُدَى المُسْتَقِيمِ . وَلَا يَقْدَحُ فِيهِمْ إِلَّا مَنْ فَسَدَ قَلْبُهُ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَبَاءَ بِسَخَطِ اللهِ تَعَالَى . قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا تسُبُّوا أَصْحَابِي)[1] . وَقَالَ (أَكْرِمُوا أَصْحَابِي فَإِنَّهُمْ خِيَارُكُمْ)[2] ، وَقَالَ (احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي)[3] .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (أعداء الدين يقدحون فى الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ حتى نقطع الصله بهم ونضل عنهم ونفسر القرآن والحديث رأسا من عندنا ، والله أمرنا باتباع الصَّحَابَة وهذا الإتباع سبب الرضوان والجنة ، يَقُولُ تَعَالَى : (مُحَمَّد رَسُول اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)[4] ، هذه الآية تشهد بكمال الإيمَان ، وقد أظهر الله عظمتهم وشرفهم وذَلِكَ من عهد الرَّسُول الأول ، وعندما ذكر الله تقصيرهم عندما تولوا يوم التقى الجمعان ، ما ترك الفرصة لأحد ينقص شأنهم فذكر العفو عنهم فقَالَ تَعَالَى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ)[5] ، حتى التى زنت فى عهد النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورجمت لم يقبل فيها كلاما بل بين فضيلة توبتها ، ومعروف أن النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورث العلم للصحابة ، والوراثة تنتقل من جيل إِلَى جيل او من قلب إِلَى قلب ، فكيف نستغنى عن الصَّحَابَة لفهم الدين ؟)[6]

---

[1] (متفق عليه ، التعليقات الحسان عَلَى صحيح ابن حبان 7211)

[2] (مشكاة المصابيح بتحقيق الألبانى 6003)

[3] (صحيح وضعيف سنن ابن ماجة 2363)

[4] (29 الفتح)

[5] (155 آ عمران)

[6] لسان الدعوة : (398 – 399)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَهَمِّيَّةِ طَلَبِ العِلمِ الدِّينِيِّ وَالحَثِّ عَلَيهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ العِلْمَ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ هَذَا الدِّينِ ، فَكَيْفَ يُعْبَدُ اللهُ تَعَالَى إِلَّا بِالعِلْمِ ؟! وَحَسْبُنَا مِنَ العِلْمِ شَرَفَاً أَنْ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي أَهْلِهِ : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ)[1] فَبِالعِلْمِ نَعْرِفُ الحَلَالَ مِنَ الحَرَامِ ، وَنَعْرِفُ الوَاجِبَ مِنَ المَمْنُوعِ ، وَالعِلْمُ الصَّحِيحُ يُورِثُ الإِنسَانَ الخَشْيَةَ مِنَ اللهِ تَعَالَى . قَالَ تَعَالَى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[2] .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ولما ننصرف لبيوتنا لا نتصرف بهوانا ، بل حلقات التعليم فى البيوت)[3]

وقال رحمه الله (واجلسوا فى حلقات التعليم واذكروا آداب السفر)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ونحن – أحبابنا الكِرَام لا نتدخل فى الفتوى بل نحول السائل إِلَى أهل العلم فى بلده ، ولا نتكلم فى المسائل الخلافية فهى للعلماء فقط ، ومع ذَلِكَ فمن الضرورى أن ننبه عَلَى تحصيل العلم وطلبه للخارجين فى سبيل الله تعَالَى ، ونصحح القرآن عَلَى علماء القراءات ، ونلتزم بالأذكار التى ثبتت عن النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى الأحاديث الصحيحة ، وندعوا النَّاس إليها ، ونفعلها بنفس كيفية النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى نفس أوقاتها)[4]

فَصْلٌ فِي التَّحَرّى - بِقَدْرِ الإِمْكَانِ - مِنَ صِحَّةِ الحَدِيثِ النَّبَوِيّ قَبْلَ قَولِهِ أَو تَطْبِيقِهِ .

وَاحْرِصْ عَلَى التَثَبُّتِ فِي نَقْلِ الأَخْبَارِ ، لَا سِيَّمَا أَحَادِيثُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا تَتَسَاهَل وَتَنْقِل كُلَّ مَا تَسْمَعَهُ ، وَفِي الصَّحِيحِ غُنْيَةٌ عَنِ الضَّعِيفِ وَالمَوْضُوعِ وَالمَكْذُوبِ ، وَحَسْبُنَا زَاجِراً فِي هَذَا البَابِ قَوْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (

---

[1] (18 آل عمران)
[2] (28 الزمر)
[3] لسان الدعوة : (209)
[4] لسان الدعوة : (299)

إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحدٍ , مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ)[1] وَكَذَلِكَ مَنْ نَقَلَ الكَذِبَ عَالِمَاً بِهِ مُتَعَمِّدَاً فَهُوَ مِثْلُهُ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ونلتزم بالأذكار التى ثبتت عن النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى الأحاديث الصحيحة ، وندعوا النَّاس إليها ، ونفعلها بنفس كيفية النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى نفس أوقاتها)[2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ وُجُوبِ تَعْلِيمِ الأَوْلاَدِ عِلْمَ الدِّين .

وَاحْرِصْ عَلَى تَعْلِيمِ أَوْلاَدِكَ عِلْمَ الدِّينِ حَتَّى يَكُونُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ وَحَتَّى يَقُومُوا بِهَذِهِ الأَمَانَةِ بِيُسْرٍ وَسُهُولَةٍ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَجَهِّزْهُمْ لِغَزْوِ بِلَادِ العَالَمِ بِهَذَا العِلْمِ لِنَشْرِهِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ قَصَّرَ فِي ذَلِكَ فَهُوَ مَلُومٌ مُعَاقَبٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى ، لِأَنَّهُ مُضَيِّعٌ لِرَعِيَّتِهِ التِى اسْتَرْعَاهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهَا . وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَرْحَلَةٍ مِنْ تَعْلِيمِ العِلْمِ تَعْلِيمُ العَمَلِ . فَفِى الحَدِيثِ : (أَكَلَ رَجُلٌ عِند رَسُول اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِشِمَالِهِ , فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "كُلْ بِيَمِينِكَ " , قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ - مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ - قَالَ: " لَا اسْتَطَعْتَ)[3] . وَقَالَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : (خَدَمْتُ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا ولِم تَفْعَلْ كَذَا)[4]

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نحن نجتهد عَلَى أنفسنا ونعلم الإِيمَان لعيالنا[5] ونجتهد عَلَى كل النَّاس حتى يحفظوا من نار جهنم : (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ، يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ)[1] ، مرة يلقون فى النار ومرة يلقون فى الحميم فعلينا أن نرحم عليهم)[2]

---

[1] (البخرى 1229)
[2] لسان الدعوة : (299)
[3] (مسلم 1974)
[4] (التعليقات الحسان 2882)
[5] أى لأولادنا ومنه حديث أَنَسِ بِنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -:" أَحَبُّ الْعبادِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ " الطبرانى 10033 , صَحِيح الْجَامِع: 172

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (يوم المشورة نأخذ الطلبات حتى نتجول طوال الأسبوع ، نرجع من المشورة بفكر ألا يبقى بيت قريب من المَسْجِد إلا وهو قائم بحلقة التعليم ، كل ما فيه يحافظون عَلَى الصلاة وذكر الله ، ونجلس نتفكر فى العالم ، وكذَلِكَ فى البيت نجلس مع الزوجة لحلقة التعليم ويكون فكرنا العالم ، فتأتى يوم الشورى بهذا الفكر ، نأخذ الطلبات حتى ما يكون عندنا فكر آخر)[3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ قَدْرِ العُلَمَاءِ وَاحْتِرَامِهِم .

وَاعْلَمْ أَنَّ العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وَحَمَلَةُ دِينِ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَكَفَاهُمْ فَخْرَاً وَشَرَفَاً وَتِيهَاً أَنْ قَرَنَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِاسْمِهِ وَمَلَائِكَتِهِ ، وَهُمْ أَخْشَى النَّاسِ لِلهِ وَأَتْقَاهُمْ لَهُ وَاعْلَمَ النَّاسِ بِهِ ، وَحَثَّ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى اتِّبَاعِ آثَارِهِمْ وَحَزِنَ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَوْتِهِمْ فَبِقَبْضِهِمْ يُقْبَضُ العِلْمُ ، وَلَعَالِمٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ ، فَلْنَعْرِفْ لَهُمْ قَدْرَهُمْ ، وَنَعْتَذِرُ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِمَّا قَدْ يَقَعُوا فِيهِ مِنْ عَثَرَاتٍ ، فَهُمْ بَشَرٌ وَحَسْبُكَ مِنْ هَذَا العَالِمِ قَوْلَهُ وَعَلَيْهِ نَكَدُهُ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (يكون عدنا الإحترام لأساتذتنا فى ديارنا ، إذا رجعتم أنتم العرب فقولوا للعلماء العرب عندكم : (نحن ذهبنا للهند والباكستان ، وهناك يحترمونكم جدا ، بسببكم أنتم العرب وبسبب أجدادكم اللهُ من علينا بالإسلام) واجلسوا فى حلقات التعليم واذكروا آداب السفر ، واحكوا للعلماء عن أحوال بلادنا والدعوة والتشكيلات الطويلة ، وكيف فتح الله تَعَالَى عَلَى النَّاس هنا بكم ؟ ، وباللين والمحبة والإخلاص فى المحبة ، الله يؤلف بينكم وبينهم)[4]

[1] (43 – 44 الرحمن)
[2] لسان الدعوة : (334)
[3] لسان الدعوة : (351)
[4] لسان الدعوة : (209)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ العِلمَ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ أَوْ تَعْمَلَ شَيْئًا إِلَّا بِعِلْمٍ مِنَ القُرْآنِ أَوِ السُّنَّةِ وَلَوْ قَلَّ هَذَا الشَّيْءُ ، وَالعِلْمُ لَهُ طُرُقٌ كَثِيرَةٌ تَخْتَلِفُ مِنْ شَيْخٍ لِأَخَرِ وَمِنْ مَنْهَجٍ لِأَخَرَ وَتَجْتَمِعُ فِى النِّهَايَةِ إِلَى تَطْبِيقِ الشَّرْعِ وَاتِّبَاعِ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَعْضُ العُلَمَاءِ يُعَلِّمُ عَمَلِيًّا وَبَعْضُهُمْ يُعَلِّمُ نَظَرِيًّا وَبَعْضُهُمْ يَقْرِنُ بَيْنَهُمَا وَبَعْضُهُمْ يَشْرَحُ كُتُباً وَبَعْضُهُمْ يُنَظِّمُ رَحَلَاتٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، وَكُلُّهُمْ عَلَى طَرِيقِ الهُدَى سَائِرٌ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (واجب الإنسَان أن يتعلم الأحكام قبل أن يعمل فى أى شغل ، كما أن علم الأحكام فرض عليه قبل أن يشتغل ، فالإيمَان فرض عليه قبل الإمتثال لأمر الله تعَالَى ، لأن الإنسَان إذا كان يقينه ضعيفا فهو لا يمتثل للأحكام)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد أن نعلم أن ثلاثة أشياء مهمة مقدمة عَلَى الأهل وعَلَى الشغل :

الأول : العبادة ؛ عَلَى أية حال وفى أية وقت ،

الثانى : علم الحلال والحرام ؛ قبل الشغل فى كل شىء ،

الثالث : تعلم وتقوية الإيمَان الذى به يمتثل أمر الله .)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله تعَالَى يجتبى من يشاء ويهدى إليه من ينيب ، فعلينا أن نتعلم طريق الدعوة لأننا نسافر فى العالم)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نتعلم طريق النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل كل شىء ، جاء الزواج نتعلم ماهى سنة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ إذا جاء المال نتعلم كيفية استعماله ؟)[1]

---

[1] لسان الدعوة : (286)

[2] لسان الدعوة : (287)

[3] لسان الدعوة : (333)

فَصْلٌ فِى بَيَانِ تَقْسِيمِ فَرْضِيَةِ العِلمِ عَلَى ثَلاَثَةِ أَقْسَامٍ .

وَاعْلَمْ أَنَّ وُجُوبَ العِلْمِ يَخْتَلِفُ مِنْ شَخْصٍ لِأَخَرَ ، فَقَدْ يَجِبُ عَلَيَّ مَا لَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِى وَقَدْ يُسْتَحَبُّ فِى حَقِّى مَا يُمْنَعُ مِنْهُ أَخَرُ ، وَمِنْهُ مَا يَجِبُ عَلَى جَمِيعِ الأُمَّةِ وَمِنْهُ مَا يُسْتَحَبُّ لِلجَمِيعِ . فَكُلٌّ بِحَسَبِهِ ، فَتَنَبَّهْ لِذَلِكَ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (وفرضية العلم عَلَى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : فرض عين عَلَى جميع الأمة ، وهو معرفة الفرائض من صلوات وصيام وحج .

القسم الثانى : فرض عين عَلَى بعض طبقات الأمة ، مثل : علم الزكاة عَلَى الأغنياء الذين بلغ عندهم النصاب ، وكذَلِكَ التجارة ومعرفة علم البيوع ، وأحكام الحج لمن أراد الحج ، إِلَى غير ذَلِكَ .

القسم الثالث : فرض كفاية إذا قام به أفراد الأمة سقط عن الباقين ، مثل ، صلاة الجنازة وتجهيز وحفر القبور ، فإذا مات شخص واحد أقل القليل أربعة أشخاص لسد فرض الكفاية ، وإِذا كثرت حالات الموت ، فهل يكفى أربعة أشخاص لسد فرض الكفاية ؟ وإِذا لم تحصل فالأمة كلها آثمة .)[2]

فَصْلٌ جَامِعٌ فِى بَيَانِ خَمْسَةِ فُرُوقٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ فِى تَحصِيلِ العِلمِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ اتِّبَاعُ الصَّحَابَةِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ فِى كُلِّ شَيْءٍ وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ نَتَعَلَّمَ العَمَلَ وَأَنْ يَكُونَ عِنْدَنَا يَقِينٌ عَلَى العِلْمِ الذِى نَحْمِلُهُ – أَىْ أَنَّهُ سَبَبٌ - وَنَعْمَلَ بِمَا نَعْلَمُ وَنَجْعَلُ العِلْمَ فِى كُلِّ شُئُونِ حَيَاتِنَا وَفِى كِبَارِنَا وَصِغَارِنَا وَأَنْ نَتَّبِعْهُمْ فِى فَهْمِهِمْ لِنُصُوصِ الشَّرْعِ وَمَوَاقِفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ بنُ مَسْعُودٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : (مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ ، فَإِنَّ الحيَّ لَا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ الفِتْنَةُ ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانُوا أَفْضَلَ هَذِهِ الأُمَّةِ : أَبَرَّهَا قُلُوباً ، وَأَعْمَقَهَا

---

[1] لسان الدعوة : (343)

[2] لسان الدعوة : (252)

عِلْمَاً ، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفَاً ، اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَلِإِقَامَةِ دِينِهِ ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ ، وَاتَّبِعُوهُمْ عَلَى أَثَرِهِم ، وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ بِهِ مِنْ أَخْلَاقِهِم وَسِيَرِهِم ، فَإِنَّهُم كَانُوا عَلَى الهُدَى المُسْتَقِيمِ)[1].

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (الفرق الذى بيننا وبين الصَّحَابَة رضى الله تَعَالَى عنهم فى تحصيل العلم ، خمسة فروق :

الأول : كان عندهم اليَقِين عَلَى العلوم الإلهية ، ونحن ليس عندنا اليَقِين الكامل عليها

الثانى : كانوا يجتهدون عَلَى ثلاثة أشياء ، الإِيمَان والعلم والعمل ، وجهدنا اليوم عَلَى العلم ، وقليل من النَّاس من يهتم بالعمل ، أما الإِيمَان فالكل مطمئن عَلَى إيمانه ! إلا من رحم الله ،

الثالث : كان عندهم العلم فى كل شعب الحياة ، وفى كل النَّاس ، ونحن عندنا العلم فى طائفة خاصة ، وبقية المُسْلِمِين لا يشعرون باحتياجهم إِلَى العلم ، وأهل العلم لا يشعرون بالإحتياج إِلَى الذهاب إِليهم ليعلموهم أو يشعروهم بضرورة العلم ،

الرابع : كان مفهوم القرآن والحديث عندهم صحيحا ، ومفهومنا خاطىء ، مثلا هم كانوا يفهمون أن كل من تعلم آية واحدة فهو مسئول عن الدعوة لقول النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى حجة الوداع : (بلغوا عنى ولو ءاية)[2] ، ونحن نفهم أن الدعوة لا تكون إلا بعد تعلم الحقائق والدقائق ، كَذَلِكَ فى الحديث الشريف حيث يَقُولُ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآن وَعَلَّمَهُ)[3] ، كانوا يفهمون أن الحديث يدل ولو عَلَى ءاية واحدة ، ونحن نفهم أننا نحفظ القرآن كله ثم بعد ذَلِكَ نعلمه ، كَذَلِكَ مفهوم الجهاد عندهم كان هو الدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى وإخراج النَّاس من الظلمات إِلَى النور ، وكانوا يعتقدون بأن الجهاد من غير الدعوة مثل الصلاة بغير وضوء ، لأن الجهاد كانوا يعتبرونه ضرورة ، وآخر حل لتثبيت الدين فى أى بلد ، وما قاتلوا قوما أبدا بغير دعوتهم إِلَى اللهِ تَعَالَى ثلاثة أيام ، يعرضون عليهم فيها الإسلام ، فإذا أبوا صالحوهم عَلَى الجزية ، وإن أبوا قاتلوهم

---

[1] (ذكره القرطبي في « تفسيره » 1/ 52 ، مشكاة المصابيح 193 ، وضعفه الألباني في ضعيف المشكاة (54))

[2] (البخارى3461)

[3] (البخارى 4739)

حتى يفتح الله تَعَالَى عليهم البلاد ، وهم بعد الفتح يركزون الدين ويثبتون أركانه فى هذه البلاد ، ويدرسونه لهم ، وهذا بعد إيجاد البيئة التى فيها الإسلام الحقيقى ، كل من يدخل فيها يتأثر بها عمليا ، ونحن اليوم نفهم أن الجهاد فقط قتال وسلاح ، والإسلام ليس فينا ولا فى بيوتنا ولا فى نسائنا ، ولا فى معاملاتنا ولا فى تجاراتنا ، ومع ذَلِكَ نريد القتال مع العدو بدون أن ندعوهم إِلَى اللهِ تَعَالَى عَلَى ترتيب الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

الخامس : تحصيل العلم ونية تعليمه وميدانه ، العلم كان عندهم فى الكبار أى فى كبار السن لأن فى أيديهم التغير ، إذا عرف أن هذا أمر الله تَعَالَى استطاع أن يطبقه ، لأنه رب البيت ، ونحن عندنا فى الأطفال فقط ، والآباء لا يهتمون بتحصيل العلم والولد لا يستطيع أن يغير ترتيب البيت وأبوه لا يفهم فيقف أمامه ، والعلم كان يعلم لوجه الله تَعَالَى فى زمانهم ، وفى زماننا يعلم بالمقابل ، ويتسابق العلماء عَلَى تسجيل الشرائط وإخراج الكتب ، لركوب السيارات الفارهة والشقق الفخمة ، وميدان العلم كان فى المَسْجِد وينقل إِلَى البيوت ، ونحن عندنا العلم فقط فى المدارس ، والمَسَاجِد خالية من حلقات العلم والبيوت كذَلِكَ خالية إلا من رحم الله تَعَالَى .) [1]

فَصْلٌ فِي عَدَمِ جَوَازِ الفَتْوَى بِغَيرِ عِلمٍ أَوِ اسْتِفْتَاءِ غَيرِ العَالِمِ ، وبَيَانِ عَدَمِ الخَوضِ فِى المَسَائِلِ الخِلاَفِيَّةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لا يَجُوزُ أَنْ يَتَجَرَّأَ أَحَدٌ عَلَى فَتْوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَكَأَنَّهُ يَتَجَرَّأُ عَلَى النَّارِ ، قَالَ تَعَالَى : (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [2] وَقَالَ : (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) [3] وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام : (قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ! أَلا سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا ؟ ! فَإِنَّمَا

---

[1] لسان الدعوة : (250)
[2] (33 الأعراف)
[3] (43 النحل ، 7 الأنبياء)

شِفَاءُ العِيِّ السُّؤَالُ) [1] . وَلَا يَصِحُّ لِلإِنْسَانِ أَنْ يُفْتِىَ إِلَّا إِذَا حَصَّلَ إِيمَاناً رَاسِخاً لِيُرَاقِبَ اللَّهَ تَعَالَى فِى فَتْوَاهُ ، وَاحْرِصْ عَلَى عَدَمِ وُلُوجِ بَابِ الخِلَافِيَّاتِ إِنْ كُنْتَ لَا تُحْسِنُهَا ، فَقَدْ يَتَغَيَّرُ قَلْبُكَ وَلَا تَجِدُ لَهُ صَلَاحاً فَالسَّلَامَةُ لَا يَعْدِلُهَا شَىْءٌ .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ (ونحن – أحبابنا الكِرَام لا نتدخل فى الفتوى بل نحول السائل إِلَى أهل العلم فى بلده ، ولا نتكلم فى المسائل الخلافية فهى للعلماء فقط) [2]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ (الإِيمَان عظيم جدا جدا وغال جدا ، فإن ذرة واحدة منه تجعل صاحبها لا يخلد فى النار ، ولهذا إذا كان الإِيمَان قويا فيجعل الإِنسَان يستطيع القيام بالعبادات وإذا زاد عن ذَلِكَ استطاع أن يصلح معاملاته ، وإذا زاد أكثر استطاع الإِنسَان أن يصلح معاشراته وأخلاقه ، أما الإمارة والفتوى فتحتاج إيمانا مثل الجبال) [3]

فَصْلٌ فِى بَيَانِ أَنَّ جُهْدَ الأَقْلَامِ لَا يُجْزِئُ عَنْ جُهْدِ الأَقْدَامِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الجُهْدَ لِهَذَا الدِّينِ وَالعَمَلُ مِنْ أَجْلِ نَشْرِهِ قَرِينُ الإِنْتِمَاءِ إِلَيْهِ ، فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُقَدِّمَ لِهَذَا الدِّينِ مَا يَسْتَطِيعُ فِعْلَهُ ، وَخَيْرُ الطُّرُقِ لِنَشْرِ هَذَا المَنْهَجِ الرَّبَّانِىِّ هُوَ الطَّرِيقُ النَّبَوِىُّ الحَرَكِىُّ ، بِأَنْ تَتَحَرَّكَ بِقَدَمَيْكَ عَلَى النَّاسِ وَتَتَجَوَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ وَمِنْ بَلْدَةٍ إِلَى بَلْدَةٍ وَمِنْ قَارَّةٍ إِلَى قَارَّةٍ ، وَلَوْ كَانَتْ هُنَاكَ طَرِيقَةٌ أَفْضَلَ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ لَاصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى بِهَا نَبِيَّهُ وَحَاشَ لِلَّهِ تَعَالَى أَنْ يُيَسِّرَ طَرِيقَةً أَجْدَى فِى الدَّعْوَةِ لِأَحَدٍ ثُمَّ يَمْنَعُهَا حَبِيبَهُ وَخَيْرَ خَلْقِهِ وَأَعْظَمَ رُسُلِهِ ! فَلْنَحْمِلِ الأَمَانَةَ وَلْنَتَحَرَّكْ بِهَا وَنُصْرَةُ اللهِ تَنْتَظِرُنَا وَعَيْنُهُ تَكْلَؤُنَا وَمَعِيَّتُهُ مَعَنَا .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ (الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسل الكتب بعد صلح الحديبية لجميع الملوك والأمراء ورؤساء العشائر ليبلغ دين الله تَعَالَى ، فعلينا أن نتحرك بالدعوة لتصل إِلَى كل مكان ، حتى إذا بعد النَّاس فى البلدان والفيافى والقفار

---

[1] (البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير 615/2)
[2] لسان الدعوة : (299)
[3] لسان الدعوة : (395)

والصحراوات ، فلابد أن تصل الدعوة إليهم ، والدعوة لن تصل بالأقلام ، بل لابد أن تصل بالأقدام ، وبعد أن تصل الدعوة للناس ، تبدأ أحكام التعامل معهم ، مثل الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ يعد الدعوة والتبليغ ، الله تَعَالَى أنزل عليهم قوله سبحانه : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ)[1] ، ثم تأتى تمام الصفات ، بعد أن نبيع النفس والمال لله تَعَالَى : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ)[2] ، بعدها يَقُولُ ربنا سبحانه : (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)[3] ، لو نظرنا نجد (التَّائِبُونَ) رجوع إِلَى اللهِ (الْعَابِدُونَ) إقامة شعائره (الْحَامِدُونَ) الصبر عَلَى كل حال (السَّائِحُونَ) أى دعوة النَّاس (الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ) صلاة وتوجه (الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ) بالحكمة والحسنى (وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) مراقبة الله فى كل حال (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) بعد هذه الصفات تأتى البشرى بالجنة)[4]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ فَضلِ قَولِ مَنَ قَالَ (لَسْتُ عَالِمَاً) مِنَ بَابِ التَوَاضُعِ .

وَيُسْتَحَبُّ لِلعَالِمِ أَنْ يَتَوَاضَعَ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ وَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ التَّوَاضُعُ ، وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلهِ رَفَعَهُ اللهُ ، أَمَّا المُتَكَبِّرُ فَكَالطَّائِرِ كُلَّمَا يَعْلُوا بِنَفْسِهِ فَإِنَّهُ يَصْغُرُ فِى أَعْيُنِ النَّاسِ ، وَمَنْ تَواضَعَ مِنَ العُلَمَاءِ بِقَوْلِهِ لَسْتُ عَالِمَاً أَوْ أَنَا طَالِبُ عِلْمٍ أَوْ طُوَيْلِبُ عِلْمٍ يُشْكَرُ عَلَى حُسْنِ صَنِيعِهِ وَلَا يُحْمَلُ قَوْلُهُ عَلَى حَقِيقَةِ اللَّفْظَةِ بَلْ لِلكَلِمَةِ مَضْمُونٌ جَمِيلٌ وَمَعْنَىً جَلِيلٌ .

---

[1] (39 – 40 الحج)
[2] (111 التوبة)
[3] (112 التوبة)
[4] لسان الدعوة : (198)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لا نمشى فى هذا العمل بالإطمئنان ، ونقول نحن قدماء ، فالقدماء الحقيقيون هم أصحاب الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكنهم بقدر ما يزيدون فى القدم بقدر ما يزيدون فى الترقى والقدم والصفات والخوف مِنَ اللهِ تَعَالَى ، ونحن اليوم عندنا القدم بالزمن ، ولكننا ما تطهرنا من الرذائل ، وإذا لم نجتهد عَلَى أنفسنا فقد تزيد فينا الصفات الرذيلة بقدر ما نزيد فى القدم فى هذا العمل ، فالقديم الذى لا يترقى فى هذا العمل مثل الطعام المطبوخ بقدر ما يقدم ينتن ويفسد ، ولكن علينا أن نكون فى هذا الطريق مثل عود الطيب بقدر ما يقدم بقدر ما تتحسن نوعيته ويكون غاليا ، وأعظم صفة فى القديم هى صفة الطلب طول حياته ، الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ رغم أقدميتهم فهم كانوا طالبين ، ويجعلون أنفسهم كأنهم لا يعلمون شيئا فى هذا الطريق ، كما وقع لهم فى حجة الوداع لما سألهم الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أى يوم هذا ؟ أى شهر هذا ؟ أى بلد هذا ؟ فكانوا يجيبون : الله ورَسُوله اعْلَمْ ، وقالوا : ظننا أَنَّهُ سيسميه بغير اسمه ، هكذا القديم دائما يَقُولُ : لا اعْلَمْ فالله تَعَالَى يعلمه ويفهمه المطلوب منه والواجب عليه .

فسيدنا موسى عليه السلام لما جاء فى قلبه أَنَّهُ اعْلَمْ أهل الأرض ، فالله تَعَالَى اختبره بالعبد الصالح ، فإذا جاء فى القديم أَنَّهُ يعرف فهو يسقط ولا يحفظ ، فالقديم هو الذى يكون طالبا طول حياته ، ودائما يَقُولُ : لا اعْلَمْ ، وعليه أن يقولها من قلبه ، لا يقولها ليظهر للناس التواضع ، لكى يَقُولُ النَّاس هو قديم ، هذه أكبر طامة من غيرها ، خرج من العجب ودخل الرياء وأهلك نفسه بإحباط عمله كما يَقُولُ سبحانه : (يُرَاءُونَ النَّاس وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)[1])[2]

فَصْلٌ فِي وُجُوبِ الجَمعِ بَينَ العِلْمِ وَالدَّعْوَةِ ، وَعَاقِبَةِ التَّقْصِيرِ فِى أَحَدِهِمَا .

وَيَجِبُ الجَمْعُ بَيْنَ العِلْمِ بِالدِّينِ وَنَشْرِهِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ قَصَّرَ فِى أَحَدِهِمَا عُوقِبَ مِنَ اللهِ تَعَالَى عِقَاباً شَدِيداً ، لِمُخَالَفَتِهِ أَمْرَ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَأَوَّلُ عَاقِبَةٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى عَلَيْنَا هِىَ عَوْدَةُ بِلَادِ الإِسْلَامِ إِلَى بِلَادِ كُفْرٍ كَمَا كَانَتْ ، فَهُنَاكَ بِلَادُ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَبِلَادُ

[1] (142 النساء)
[2] لسان الدعوة : (353)

الأَنْدَلُسِ بَعْدَمَا كَانَتْ مَنَارَةَ العِلْمِ وَالإِسْلَامِ عَاقَبَهُمُ اللهُ تَعَالَى فَسَلَبَ مِنْهُمْ هَذِهِ النِّعْمَةِ وَذَلِكَ لِتَقْصِيرِهِمْ فِى وَاجِبِ الدَّعْوَةِ ، فَبِالدَّعْوَةِ يَدْخُلُ الكَافِرُ فِى الإِسْلَامِ وَبِغَيْرِ الدَّعْوَةِ يَخْرُجُ الْمُسْلِمِ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا حَدَثَ فِى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ إِفْرِيقيَا ، نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى السَّلَامَةَ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (بقدر القيام بالدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى يأتى الدين فى حياة الْمُسْلِمِين ، وألا تبتعد الدنيا عن الدين فنهلك ، وأمامنا مثال ذَلِكَ بخارى وسمرقند والبصرة والأندلس ، فهذه المدن كانت مراكز إشعاع الدين ، ولكن بالعلم فقط بدون دعوة انقلب حكام المُسْلِمِين عَلَى العلماء فقتلوهم وذبوهم وسجنوهم ، وفرضوا عليهم الشيوعية والماركسية واختفى الدين ، ولذَلِكَ بالدعوة الكل فى الإيمان ، لأن العلم فقط للطالبين [1] ، أما الدعوة فهى تحقيق الطلب فى غير الطالبين) [2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ الإِيمَان وَالدَّعْوَةَ وَالعِبَادَةَ يَجِبُ أَن يَكُونُ عَلَى بَصِيرَةٍ .

وَيَجِبُ عِبَادَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَى بَصِيرَةٍ فِى كُلِّ شَيْءٍ بِقَدْرِ الْمُسْتَطَاعِ ، وَلَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسَاً إِلَّا وُسْعَهَا .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فبالإيمَان والعبادات والقيام بأعمال الدعوة ، فى كل ذَلِكَ تكرين عَلَى أداء حقوق العباد ، وحسن الأخلاق ، وهذا كله عَلَى بصيرة لا عَلَى جهالة) [3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ شُمُولِيَّةِ مَنْهَجِ التَّبْلِيغ لِلدِّين كُلِّهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْهَجَ التَبْلِيغِ وَالدَّعْوَةِ لَيْسَ مَنْهَجٌ وَضعِىٌ اسْتَحْسَنَهُ شَيْخٌ أَوْ أَسَّسَهُ عَالِمٌ ! بَلْ هُوَ مَنْهَجُ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى العَقِيدَةِ وَالعِبَادَةِ وَالعِلْمِ وَالعَمَلِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَالْمُعَاشَرَاتِ وَالأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ ، وَمُلَخَّصُهُ هُوَ إِحْيَاءُ جُهْدِ الحَرَكَةِ مِنْ أَجْلِ الدِّينِ كَمَا كَانَتْ فِى عَهْدِ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَيْسَ كَمَا يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ غَلَطَاً أَنَّ هَذَا الْمَنْهَجَ لَهُ سِتَّةُ أُصُولٍ ! فَالدِّينُ

---

[1] أى لا يذهب لمجالس العلم والعلماء فى المَسَاجِد إلا الطالبين له والراغبين فيه أما من لا رغبة عنده فلا يقبل عَلَى المَسَاجِد ولا حلقات العلم .

[2] لسان الدعوة : (189 – 180)

[3] لسان الدعوة : (186)

الإِسْلَامِيُّ كَامِلٌ وَشَامِلٌ ، قَالَ تَعَالَى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ)[1] ، فَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ يُبَلِّغُونَ هَذَا الدِّينَ ، كَمَنْ يَتَخَصَّصُ فِى التَّفْسِيرِ أَوْ التَّجْوِيدِ أَوْ الفِقْهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ لَا يَنْفُونَ شَيْئاً مِنْهُ ، بَلْ يَعْتَقِدُونَ كَلَّ مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِجْمَالاً فِى الْمُجْمَلِ وَتَفْصِيلاً فِى المُفَصَّلِ وَإِحْجَاماً فِى المَسْكُوتِ عَنْهُ ، وَلِلهِ دَرُّهُمْ مِنْ أَتْبَاعٍ لِلسَّلَفِ الصَّالِحِينَ بِإِحْسَانٍ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (جهد الدين والدعوة جهد كل مسلم ، ولكن لابد أن نعين المقصد وهو طلب رضاء الله كما قَالَ تَعَالَى : (وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ)[2] ، ولكن كيف نتحصل عَلَى مرضاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؟

الله عز وجل اختار لنا طريقا أخبر بها فقال : (إِنَّ الدِّينَ عِند اللهِ الْإِسْلَامُ)[3] ، اختار لنا الدين عَلَى طريق الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كيف تكون حياتنا حياة إسلامية صحيحة ؟ كل الأمور التى نقوم بها فى حياتنا تكون حسب أوامر الله وطريق النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إذا تحقق فينا هذا فى أكلنا وشربنا وشغلنا فكل هذا يكون دينا . كيف يتحقق هذا فينا وفى أزواجنا وأهلينا وجميع العالم ؟)[4]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ فأصبح عندهم خمسة أشياء فيها القوة بالإخلاص وهى : إيمانيات ، عبادات ، معاشرات ، معاملات ، اخلاقيات)[5]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (هناك أعمال ظاهرية إيمانية : مثل الصلاة والصوم والحج وغيرها ، كَذَلِكَ هناك أعمال باطنية إيمانية : مثل اليَقِين والتقوى والإحسان والإخلاص وغيرها ،

---

[1] (3 المائدة)
[2] (72 التوبة)
[3] (19 آل عمران)
[4] لسان الدعوة : (192)
[5] لسان الدعوة : (199)

والأعمال الظاهرية لا تقبل إلا بقدر قوة العمال الباطنية القلبية ، فعَلَى قدر اليَقِين والإخلاص تقبل الأعمال ، مثل قارىء القرآن باليَقِين والإخلاص يقال له : (إقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا ، فإن منزلتك عِند آخر آية تقرأها) [1] ، والآخر يقال له : (قرأت القرآن ليقال قارىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب عَلَى وجهه حتى ألقى فى النار) [2] ، لأنه بدون اليَقِين والإخلاص) [3]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد أن نعلم أن ثلاثة أشياء مهمة مقدمة عَلَى الأهل وعَلَى الشغل :

الأول : العبادة ؛ عَلَى أية حال وفى أية وقت ،

الثانى : علم الحلال والحرام ؛ قبل الشغل فى كل شيء ،

الثالث : تعلم وتقوية الإِيمَان الذى به يمتثل أمر الله .) [4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (بخمسة أشياء فى أعمالنا تكون أعمالنا قوية ، نجتهد حتى فى صلاتنا ، فإن شاء الله تَعَالَى تكون صلاتنا حقيقية ، وبها تقضى حاجاتنا :

1 – أن يكون اليَقِين صحيحا ،

2 – أن تكون أشواقه حقيقية ،

3 – أن تكون الطريقة صحيحة وهى طريقة الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

4 – يعمل العمل بالإحسان ،

---

[1] (أبو داود 1464 ، الترمذى 2914)
[2] (مسلم 5032)
[3] لسان الدعوة : (256)
[4] لسان الدعوة : (287)

5 – إخلاص النية .) [1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (بعض النَّاس يظنون أن خدمة الدين هى فى إخراج مال الزكاة لصالح الفقراء ، ولكن لابد أن يفهم أن الزكاة ليست هى كل شيء ، فالصلاة كذَلِكَ أمر من أوامر الله تَعَالَى ، فالزكاة لا تمنع الصلاة ، فهذا أمر وهذا أمر ، وامتثال أمر الله تَعَالَى هنا وتركه هنا غير مناسب) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (هذه الدعوة الإسلامية عَلَى رأس كل مكلف من أمة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكن حتى يتحمل الإِنسَان هذا الجهد فلابد من التربية والتدرج ، ولابد من التعاهد والملاحظة ، حتى تأتى الثمرة ، فهنا الإِنسَان مثل الأرض – كما قلنا – ولابد للأرض أن تنبت حتى يظهر الجهد والنتيجة ، لذَلِكَ الدين مثل الشجرة ، أى شجرة الدين بفوائدها ومنافعها ، وهى لا تنبت إلا بالهدوء ، والدين فى حياتنا لابد أن يأتى بالهدوء ، فهنا ننظر إِلَى أول شيء تحتاجه الشجرة التربة ، فلابد لهذه التربة أن تهيأ حتى تستقبل البذور فنعطيها السبخ حتى تقوى وتشرب الماء لتأخذ كفايتها ، وتكون الأرض آنذاك صالحة لاستقبال البذرة ، وبعد البذرة نسقيها الماء ثم نعطيها السماد ، ونراعى الزراعة الصيفية والزراعة الشتوية ، بعد فترة تبدأ زراعة الأشجار والنخيل فى الظهور فيظهر أول شيء الساق ، ثم أغصان ومنها أوراق ، وبعد ذَلِكَ ثمار الفاكهة المتنوعة ، هكذا شجرة الدين التى تكون بنية الجهد لنشر دين الله تَعَالَى ، فالأرض هى قلوب ونفوس وعقول المُسْلِمِين ، فلابد من تهيئة تلك الأراض بالزيارات ونشر المحبة ومشاركتهم فى أفراحهم وأتراحهم ، والماء هو حلقات التعليم ، والسماد هو التضحية بالنفس والأموال والعواطف والجو المناسب لشجرة الدين هو الدعاء والبكاء أمام الله تَعَالَى والتوجه إليه ، ثم يأتى الجذر من أسفل والساق من أعَلَى ، فالجذر هو كلمة التَّوْحِيد والإِيمَان ، والساق هى العبادات وهى أركان الإِسلام من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وأما الأغصان والأوراق فهى المعاملات والمعاشرات وفيها الصدق وحفظ اللسان وغض البصر وغيره ، ثم تأتى الثمار والفاكهة التى نتلذذ بها وهى الإخلاص ، فهنا تأتى شجرة الدين وفيها يكون الدين الكامل فى حياتنا فتكون حياة إسلامية كاملة

[1] لسان الدعوة : (339)
[2] لسان الدعوة : (387)

.فهذه شجرة الدين ، ولكنها لا تنبت فى يوم واحد ولكن بهدوء وروية حتى تأتى ثمارها ، ولذَلِكَ يَقُولُ الله تَعَالَى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) [1] ، وكلمات أهل الباطل الخبيثة حينما يقولون : إن عندنا قوات كبيرة وقوية ومدمرات وحاملات طائرات وطرادات ومزخرفات ، فكل هذا مثل الحنضل والصبر الذى يكون مرا لاذعا ورائحته نتنة قبيحة ، ورَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإنبات شجرة الدين بدأها فى مكة المكرمة ، وأول شىء بدأ به النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلمة التَّوْحِيد لَا إِلَهَ إِلَّا الله مُحَمَّد رَسُول اللهِ فصده أهل مكة لأنهم عباد أصنام ، ثم أنزل الله القرآن فبدأت حلقات التعليم ، وكانت حلقات التعليم سرا فى بعض البيوت ، كما كان فى بيت سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب ، وكانا يجلسان أمام خباب بن الأرت رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ يستمعون القرآن وقرآن مكة كان فيه ثلاثة أشياء ؛

الأول : توحيد الله تَعَالَى وصفاته ، وكيف أرسل الله تَعَالَى رسله لأقوامهم؟ ، ونتيجة ذَلِكَ ،

الثانى:أحوال القيامة والبعث والميزان والصراط والجنة والنار ،

الثالث: آيات الله فى كونه والتفكر فيها ، لأن الله تَعَالَى غيب ولا نستطيع أن نرى قدرته سبحانه ، لذَلِكَ كان هناك دعوة الإيمان فى الصَّحَابَة ، وحلقات التعليم ، ثم الذكر والتلاوة والدعاء والبكاء ، فهنا يكون الإيمان بالحقيقة وليس صورة ، لأن كل شىء فى الدنيا له ثلاث درجات أو ثلاث مستويات : لفظ وصورة وحقيقة ، فالزراعة لفظ ، وصورة الزراعة حينما نرى صورة خضرة ، ولكن حقيقة الزراعة هى موجودة فى الأرض ، والأدوات والثمار ، كذَلِكَ اسم الدين ، وصورة الدين المصاحف

[1] (24 – 26 إبراهيم)

والثياب البيضاء ، ولكن حقيقة الدين هى التى بين الْمُسْلِمِين من معاملات ومعاشرات وتعمير الْمَسَاجِد وقراءة القرآن وحفظه ، والطاعة والإتباع ... إلخ)[1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ مَفْهُومِ الدِّينِ وَأَنَّهُ دُستُورٌ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَبيَانِ شُمُولِيَّةِ الدِّينِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الدِّينَ هُوَ كُلُّ أَمْرٍ أَوْ نَهْىٍ وَرَدَ إِلَيْنَا عَنْ صَاحِبِ الشَّرْعِ وَهُوَ طَرِيقَةُ الحَيَاةِ التِى يُرِيدُهَا اللهُ تَعَالَى مِنْ عِبَادِهِ ، وَأَنَّهُ شَامِلٌ لِلدِّينِ وَالدُنْيا .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الدين هو مجموعة الأوامر والنواهى التى نزلت من عِند الله تَعَالَى ، واستقبلها النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان قرآنا يمشى عَلَى الأرض ، ورأى الصَّحَابَة فيه ذَلِكَ ، وكذَلِكَ رأى المشركون وكثير منهم تأثر بهذا)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الدين هو طريق الحياة التى اختاره الله تَعَالَى لعباده ، ومن أجل ذَلِكَ بعث سبحانه الرسل والأنبياء ، ليبينوا للناس كيف يحملون أنفسهم عَلَى الدين ، فإذا اختار النَّاس هذا الطريق الذى بين لهم الأنبياء والرسل عليهم السلام ، فيكتب الله تَعَالَى لهم كل الحياة دينا حتى الإستنجاء والأكل والشرب والنوم والجماع ، كل هذه الأعمال تكتب لهم دين ويؤجرون عليها)[3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَرْبَعَةِ مُقْتَضَيَاتٍ ، لِجَعْلِ الحَيَاةِ إِسْلاَمِيَّةً صَحِيحَةً ، وَالقِيَامِ بِالْمَنْهَجِ القَوِيمِ الذِى خَلَقَنَا اللهُ تَعَالَى مِنَ أَجْلِهِ وَبيَانِ شُمُولِيَّةِ الدِّينِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى اخْتَبَرَ الإنسَانَ وَامْتَحَنَهُ فِى الدُّنْيا بِأَنْ جَعَلَهُ مُخَيَّراً فِى أُمُورِهِ وَمَنَحَهُ بَعْضَ الصِّفَاتِ ، مِثْلَ الْمَلاَئِكِيَّةِ وَالحَيَوَانِيَّةِ فَمَنْ طَغَتْ مَلاَئِكِيَّتِهِ عَلَى حَيَوَانِيَّتِهِ يَتَرَقَّى وَقَدْ يَعْلُوا فِى مَرْتَبَتِهِ فَوْقَ الْمَلاَئِكَةِ وَمَنْ تَغْلِبُ حَيَوَانِيَّتِهِ عَلَى مَلاَئِكِيَّتِهِ يَظَلُّ يَنْحَدِرُ

---

[1] لسان الدعوة : (441 – 442)

[2] لسان الدعوة : (219)

[3] لسان الدعوة : (352)

حَتَّى يَكُونَ أَخَسَّ مِنَ الحَيَوَانِ . فَلِذَلِكَ يَجِبُ القِيَامُ فِى الدُّنْيَا بِصِفَاتِ المَلَائِكَةِ وَهُوَ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمُ وَالسَّيْرَ عَلَى مِنْهَاجِ اللهِ تَعَالَى وَمِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ حَتَّى نَسْعَدَ فِى حَيَاتِنَا وَبَعْدَ مَمَاتِنَا .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لو نضحى بالمال والنفس عَلَى أربعة مقتضيات ، ينتشر هذا الدين فى العالم كله ، فالله تَعَالَى أوجد فى هذه الأمة تلك المقتضيات لتقوم عَلَى هذا الدين بعد نبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهذه المقتضيات هى :

1 – الملائكية : ومنها الطاعة والعبادة ،

2 – مزاج الخلافة : فالإنسان الله تَعَالَى جعله خليفة فى الأرض ، يتخلق بأخلاق الله تَعَالَى [1] ، الله رحيم ، ستير ، عفو ، فنحن نمتثل تلك الصفات فى حياتنا نرحم عَلَى بعضنا ونستر ونعفو ،

3 – الحيوانية : وفيها الأكل والشرب واللباس والزواج ، وهذه تكون عَلَى منهاج الدين ، وهدى النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

4 – مزاج النُّبُوَّة : وهى نيابة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهى الدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى ، بأن نقيم أنفسنا وغيرنا عَلَى هذا المنهج القويم الذى خلقنا الله من أجله ،

فإذا تحققت فينا هذه الأربعة تكون حياتنا حياة إسلامية صحيحة ، فالنفس والمال ننفقها عَلَى هذه الأربعة ، وإذا وضعنا النفس والمال عَلَى غير هذه الأربعة ، فهذا ظلم كبير ، لما نقضى الضروريات عَلَى قدر الحاجة وننفق النفس والمال عَلَى العبادات نخرج من الحيوانية ونصير فى درجة الملائكية هذه كرامة) [2]

[1] سبق فى صفحة 64 فَصْلٌ فِى بَيَانِ أَسْبَابِ قَبُولِ الدُّعَاءِ
[2] لسان الدعوة : (347- 348)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ صِرَاطِ اللهِ تَعَالَى المُسْتَقِيمِ وَبَيَانِ شُمُولِيَّةِ الدِّينِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الدِّينَ شَامِلٌ لِأُمُورِ الحَيَاةِ كُلِّهَا ، فَيَجِبُ طَاعَةُ اللهِ تَعَالَى فِي أَوَامِرِهِ وَالِانْتِهَاءِ عَنْ نَوَاهِيهِ وَاتِّبَاعِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى الإِيمَانِيَّاتِ ، وَالعِبَادَاتِ ، وَالمُعَاشَرَاتِ ، وَالمُعَامَلَاتِ ، وَالأَخْلَاقِ ، ذَلِكَ صِرَاطُ اللهِ تَعَالَى المُسْتَقِيمِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (أما سير الإِنسَان عَلَى منهج الله تَعَالَى وسنة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو الصراط المستقيم ، فيكون بالقصد والإعتدال فى الحاجات البشرية ، وهناك سبل كثيرة ليست عَلَى مراد الله تَعَالَى ولا هدى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكن الله عز وجل اختار لنبيه وأمته سبيلا فقَالَ تَعَالَى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) [1] ، وقوله : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) [2] ، وهذا الصراط لا يكون إلا بمراعاة حياة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وجعلها تحكم حياتنا ، فتشربها أنفسنا ، ونحيا بها فى خمسة أمور : (الإيمانيات ، والعبادات ، والمعاشرات ، والمعاملات ، والأخلاق) . فنؤمن بِاللهِ تَعَالَى إيمانا لا يلحقه شك فى وعد أو وعيد أو إخبار عن نفسه أو غيره ، وتكون العبادة مع الإخلاص ، والدعوة مع التضحية والبذل والإنفاق ، مع كبت الشهوات ، واجتناب المحرمات ، والقيام بالواجبات ، وذَلِكَ مع بذل المال والنفس فى إعلاء كلمة الله تَعَالَى ، فهذا هو الصراط المستقيم ، والشيطان لعنه الله يقف أمام ذَلِكَ الصراط فيقُولُ : (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) [3] ، ولو سار الإِنسَان وراء الشيطان فإنه يسوقه حتى يهوى به للهاوية) [4]

---

[1] (108 يوسف)
[2] (153 الأنعام)
[3] (16 الأعراف)
[4] لسان الدعوة : (137- 138)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ الأُصُولِ الدِّينِيَّةِ لِلدَّعوةِ المُحَمَّدِ يَّةِ وَبيَانِ شُمُولِيَّةِ الدِّين .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ تَحْقِيقُ أُصُولُ الدَّعْوَةِ المُحَمَّدِيَّةِ وَهِىَ العِلْمُ وَالعَمَلُ وَالدَّعْوَةُ كُلُّ ذَلِكَ مَعَ الإِخْلَاصِ وَالتَّضحِيَةِ وَالبَذْلِ مِنْ أَجْلِ اللهِ تَعَالَى . قَالَ تَعَالَى : (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) [1] .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نؤمن بِاللهِ تَعَالَى إيمانا لا يلحقه شك فى وعد أو وعيد أو إخبار عن نفسه أو غيره ، وتكون العبادة مع الإخلاص ، والدعوة مع التضحية والبذل والإنفاق ، مع كبت الشهوات ، واجتناب المحرمات ، والقيام بالواجبات ، وذَلِكَ مع بذل المال والنفس فى إعلاء كلمة الله تَعَالَى ، فهذا هو الصراط المستقيم ، والشيطان لعنه الله يقف أمام ذَلِكَ الصراط فيَقُولُ : (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) [2] ، ولو سار الإنسَان وراء الشيطان فإنه يسوقه حتى يهوى به للهاوية) [3]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام : (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ، رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُول ا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ) دعوة (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) تعليم وتعلم (وَالْحِكْمَةَ) اقتداء وسنة (وَيُزَكِّيهِمْ) تربية عَلَى الصفات بالعبادات والذكر ، [4] .) [5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (تربية هذه الروح أنزلها جبريل عليه السلام مِنَ اللهِ تَعَالَى وهى الأوامر والنواهى ، أو الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذها مباشرة مثل الصلاة . فتربية الروح إذن بما جاء به الرَّسُول صبى الله عليه وسلم من أعمال مثل : التعليم والتعلم والعبادات والذكر والتلاوة والأخلاق والإكرام وأداء حقوق العبادات ..... ، هذه كلها تسمى صفات الإيمَان ، فأعمال الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هى تربية الروح) [6]

---

[1] (3 العصر)
[2] (16 الأعراف)
[3] لسان الدعوة : (139)
[4] (128 – 129 البقرة)
[5] لسان الدعوة : (152)
[6] لسان الدعوة : (174)

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (فى عمل الدين نراقب نياتنا ، ونجعلها لله سبحانه ، وليس مجرد الجهد يكفى ، بل النية فى اتباع النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بحدود الشرع وقيوده ، فمن يجاهد عَلَى خلاف مقتضيات أمر الله ، فهى ليست مجاهدة بل مجاهلة ، مثل من يَقُولُ : أذكر الله تَعَالَى قائمًا عَلَى ساق واحدة ، فهنا عَلَى خلاف المطلوب ، ولكن لو قام بأمر الله تَعَالَى نصف ساعة ولو عَلَى خلاف النفس ، أحسن من ليلة عَلَى هواه ، وإذا جاهد نفسه عَلَى خلاف مطلوبه ، الله تَعَالَى يجعل نفسه مطمئنة ، والله يكرمها قبل الموت)[1]

فَصْلٌ فِي تَحَمُّلِ الابْتِلَاءِ مِن أَجْلِ الدِّينِ .

وَيَجِبُ تَحَمُّلُ الإِبْتِلَاءِ إِذَا وَقَعَ عَلَى الإِنسَانِ وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ فِى اللهِ تَعَالَى وَمِنْ أَجْلِ دِينِهِ ، فَكَمْ تَحَمَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ الكِرَامِ مِنْ البَلَاءِ وَالشِّدَةِ أَلْوَانًا فَصَبَرُوا ، وَاعْلَمْ أَنَّ الإِبْتِلَاءِ وَالامْتِحَانِ مُقَدِّمَةٌ لِتَرْسِيخِ التَّوْحِيدِ وَالإِيمَانُ فِى القُلُوبِ ، قَالَ تَعَالَى : (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا)[2] وَنَحْنُ لَا نَتَمَنَّى البَلَاءُ وَلَكِنْ إِذَا حَلَّ بِنَا نَصْبِرُ وَنَتَضَرَّعُ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لِرَفْعَهُ وَلَا نَضطجِرُ أَوْ نَقْنَتُ أَوْ نَرْتَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا . قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام : (أَيُّهَا النَّاسُ ، لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ ، وَاسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ ، فَإِذَا لَقِيتُموهُمْ فَاصْبِروا)[3] .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث عشرة سنة فى مكة إِلَى ليلة الهجرة ، كم من مضايقات وأحوال مضادة اضطرته للهجرة ؟ وبعد الهجرة وجد النصرة : (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً)[4])[5]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (كم تحمل النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من النَّاس ، منهم من غمز به ناقته فسقط عَلَى الأرض ، ومنهم من تفل فى وجهه الكريم ، ومنهم من رمى عليه الأوساخ ، فهو يصبر ويَقُولُ : (اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون)[1] ، فعلينا

---

[1] لسان الدعوة : (179)
[2] (141 آل عمران)
[3] (البخاري (2965) و (2966) ، ومسلم (1742))
[4] (100 النساء)
[5] لسان الدعوة : (187)

أن نتحمل من النَّاس الأذى مثلما تحمل النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إذا نحن نتحمل هذا التحمل لا يضيع ، نقوم بالدعوة وإذا ما استجابوا نعذر مِنَ اللهِ ، بعد ذَلِكَ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا)[2] ، هذا يعنى بعد الدعوة وإذا اهتديتم معناه إذا قمتم عَلَى الهداية ، وكنتم عَلَى الصراط المستقيم ، والهداية لا تأتى إلا بالمجاهدة)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إن من شروط حصول الإيمَان الإمتحان والإبتلاء ، لذَلِكَ نرى أن جميع أوامر الله خلاف طبيعتنا ، والقصد من ذَلِكَ حصول المجاهدة ، وإخراج الهوى من القلب ، وفى هذه المجاهدة تمثل خلافة الإنسَان ، وهذه المجاهدة لا يمتع بها الملائكة أنفسهم ، لأن عبادتهم لا تعتمد عَلَى المجاهدة والإمتحان ، فهم مجبولون عَلَى الطاعة فيصفهم الله تَعَالَى بقوله : (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[4] ، فهم يعبدون الله تَعَالَى دون توقف ملل)[5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (وسنة الله تَعَالَى فى خلقه أن الله تَعَالَى يمتحن أهل الإيمَان ، لذَلِكَ يَقُولُ سبحانه : (أَحَسِبَ النَّاس أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَ اللهِ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)[6])[7]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فى طريق الدعوة سنجد أشواكا كثيرة ، ولا يمكن أن نزيل شوكة شوكة ، ولكن نحن نلبس النعل ونمشى عَلَى الشوك ، ولا ننتظر أن يزال الشوك أولا بل لابد أن أمشى وسط الأشواك ، وأنا منتبه لهذا وآخذ حذرى ، فالعالم ملىء بالذنوب والمعاصى ، ولكن نحن نمشى وسط النَّاس ونتكلم معهم فى ثلاثة أشياء : التَّوْحِيد ، والرسالة ، والآخرة)[8]

---

[1] (البخارى 6530 ، مسلم 4747)
[2] (105 المائدة)
[3] لسان الدعوة : (327)
[4] (6 التحريم)
[5] لسان الدعوة : (370)
[6] (2 – 3 العنكبوت)
[7] لسان الدعوة : (381)
[8] لسان الدعوة : (435)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (أى رجل دخل فى الإسلام فى عهد النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ كلمة التَّوْحِيد طرد من عائلته وعودى وصار منفردا من قبيلته ، ولكن هذا لم يرده عن دينه لعلمه أن ذَلِكَ الدين هو الحق ويهدى إِلَى صراط مستقيم)[1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ الابتِلاءِ مِنَ أَجْلِ الدِّينِ وَبَيَانِ الفَرْقِ بَيْنَ الْمُجَاهَدَةِ لِلدِّينِ وَالْمُجَاهَدَةِ لِلدُّنيا .

وَاعْلَمْ أَنَّ الإِنسَانَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مُكَابَدٌ شِدَّةً وَعَنَاءاً لَا مَحَالَةَ شَاءَ أَمْ أَبَى ، فَلْتَكُنْ فِى اللهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِى غَيْرِ ذَلِكَ ، وَمَا أَجْمَلَ وَأَحْلَى وَأَلَذُّ وَأَجْمَلُ مِنَ البَلَاءِ فِى ذَاتِ اللهِ تَعَالَى لِمَنْ أَحسَّ وَاسْتَشْعَرَ طَعْمَ الإِيمَانِ وَذَاقَ حَلَاوَتِهِ ، فَالفَرْقُ شَاسِعٌ وَكَبِيرٌ بَيْنَ مَنْ يُكَابِدُ مِنْ أَجْلِ اللهِ وَمَنْ يُكَابِدُ مِنْ أَجْلِ هَوَاه .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (والمؤمن فى هذه الدنيا قدر الله تَعَالَى له أن يبتلى ، ولا يزده البلاء إلا رسوخا فى الإِيمَان وثباتا ، فهو لا يفزع عِند الصدمات ، والدين يحتاج إِلَى التضحية والمجاهدة ، ولابد للمؤمن أن يصبر عَلَى المجاهدة ، لأن المجاهدة أحيانا يكون فيها الإبتلاء ، لأنه يضحى ويجتهد للدين ، فيبتليه الله تَعَالَى من ناحية الزوجة أو الولد أو الأهل ، ومن يترك المجاهدة للدين من أجل البلاء الذى فيه ، فهنا الله تَعَالَى يتركه ويكله إِلَى نفسه ، فيتعب كثيرا ويقع فى الحيرة ، وربما يبتلى أكثر من البلاء المتوقع من المجاهدة للدنيا ، والفرق بينهما ؛ أن المجاهدة للدنيا ليس فيها رضاء الله تَعَالَى ولا الوعد بنصرته ، وليس مأجورا عليها ، أما المجاهدة للدين فالله تَعَالَى يرضى عنها ، ويؤجر عليها العبد ، والله تَعَالَى وعد النصرة عليها والهداية يَقُولُ تَعَالَى : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)[2] ، ويَقُولُ تَعَالَى : (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)[3] ،

فمن يترك التضحيات للدين والبذل له ، الله يخذله ، ومن يخذله الله فلا ناصر له ، لكن الله تَعَالَى من رحمته بالعبد يمهله فى البداية حتى يرجع ويعود ، لكن هذه المهلة لا تطول فلينتبه العبد ، ننظر للعبد الذى يقتله الدجال الذى يَقُولُ : أنت الدجال ،

---

[1] لسان الدعوة : (442)

[2] (69 العنكبوت)

[3] (7 محمد)

هذا المؤمن لما أخذوه وَقَالَ الحق ، وضرب بشدة وعلق ، هنا الابتلاءات والمحن ما زادته إلا إيمانا وتصديقا لوعد الله ورَسُوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكذب كل المشاهدات حتى بعد أن شقه وأقامه) [1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ وُجُوبِ التَّوفِيقِ بَينَ أَمْرِ الدِّينِ وَأَمْرِ الدُّنْيَا .

وَيَجِبُ التَّوْفِيقُ بَيْنَ مَا فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْنَا وَمَا شَرَعَهُ لَنَا رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ حَيَاتِنَا المَعِيشِيَّةِ ، بِمَعْنَى أَنَّهُ يَجِبُ الاهْتِمَامُ بِالأَشْغَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ مَا لَمْ تَتَعَارَضْ مَعَ الأُمُورِ الدِّينِيَّةِ فَبِتِلْكَ الأَشْغَالِ يَنْتَشِرُ هَذَا الدِّينُ أَيْضَاً وَتَكُونَ عِزَّةُ أُمَّتِنَا ، وَلِذَلِكَ حَثَّ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ عَلَى أُمُورٍ كَثِيرَةٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا ، وَقَدْ أَخْطَأَ مَنْ ظَنَّ أَنَّ تَرْكَ الإِشْتِغَالِ بِتِلْكَ الأُمُورِ أَفْضَلَ مِنَ الاشْتِغَالِ بِهَا ! بَلْ الاِشْتِغَالُ بِهَا مَعَ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى أَفْضَلَ مِنْ تَرْكِهَا ، وَقَدْ تَتَوَجَّبُ عَلَى المَرْءِ حَسْبَ حَالِهِ وَحَالِ أُمَّتِهِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد أن ننوى الجهد مثلما اجتهد النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ونتحمل فى سبيله من المشاق مثلما تحمل النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكذَلِكَ مثلما تحمل الصَّحَابَة الكِرَام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، فنفوز فوزهم ويرضى الله عنا كما رضى عنهم ، لذَلِكَ لو اجتهدنا للدعوة لا ننظر للبيت ولا المحل ، ولا نترك ذَلِكَ بالكلية ، ولكن نرتب ونفكر لذَلِكَ ، وَيَجِبُ أن نرتب أولا لأربعة أشهر ، وإذا فزنا بذَلِكَ ففى كل سنة أربعون يوما ، ثم نوبة بين أهلنا ونوبة للدعوة ، ونقسم الوقت بين الدين والدنيا ، بين الدعوة والأهل ، والله يجعله سهلا ، فاللهم سهل علينا أمرك ، وسنة نبيك) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لذَلِكَ لابد من وضع النية الراسخة الجازمة أن حياتنا كلها تكون للدعوة ، وفى النية أن تكون هذه الأمة مشتغلة فى الدعوة إِلَى آخر العمر والى يوم القيامة ، ولما نقوم للدعوة نقوم بالهدوء ، ونتصبر للمد الطويلة ، فنعتاد أعمال الإِيمَان ، ولما نخرج أربعة أشهر أو ثلاثة أو شهرين ، الباقى فى جهد المقام ، ثم نوبة فى الأهل ونوبة فى الدين للدعوة ، حتى نصل إِلَى

---

[1] لسان الدعوة : (218)

[2] لسان الدعوة : (170)

النصف من الرجال يخرجون فى سبيل الله تَعَالَى ، والنصف فى الأعمال والأشغال الدنيوية ، كما قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا) [1].) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لذَلِكَ نريد من حضرات المثقفين وأصحاب المناصب والمقامات والحيثيات أن يهتموا بعمل الدعوة مع اهتمامهم بالأعمال الأخرى ، فلا مانع من أن يجتهدوا فى كل المجالات ، ولكن لابد أيضا فى نفس الوقت من الإجتهاد عَلَى توجيه النَّاس إِلَى رب العالمين – كما فعل هذا اللاعب للكرة – فليس هناك ما يمنع من أى تخصص ، بشرط أن يكون هذا المتخصص داعيا إِلَى اللهِ) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ولو نظرنا لأمر مهم وهو أن الله تَعَالَى ما قَالَ أخرجوا حب هذه الثمانية من قلوبكم ، لا لم يقل ذَلِكَ ، لماذا ؟

بسبب أمرين هامين وهما :

الأول : لأن رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحب هذه الثمانية وما كرهها ، فكان النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب فاطمة ويزورها قبل سفره ويودعها ، وكذَلِكَ عِند عودته ، وكذَلِكَ يقرع بين نسائه لينظر من يقع سهمها فتخرج معه ، والنَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يحمل الحسن والحسين ويقبلها ويضحك معهما ويداعبهما ، وكان يعامل أهله بالحسنى ، حتى أن النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى فتح مكة عفا عن عشيرته وَقَالَ : (اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ) [4].

---

[1] (مسلم 5013)
[2] لسان الدعوة : (211)
[3] لسان الدعوة : (391)
[4] (السنن الكبرى للبيهقى 18739 ، السلسلة الضعيفة 1163)

الثانى : أن هذه الثمانية بمراعاة أمر الله تصير دينا ، كما قَالَ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (التاجر الصادق الصدوق مع النَّبِين والصديقين والشهداء) [1] ، كذَلِكَ قَالَ : (وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل فى فى امرأتك) [2] ، وكثير وكثير ، ولكن المقد أن نجعل الدين أمامنا ، والدنيا خلفنا تسير بسير الدين ، لكن لا نمشى فى الدين بالهوى فى هذا الأمر ، كيف ؟

لا أنظر لآيات القرآن وأحاديث النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من زاوية تحجم الحقيقة أو تخفيها ، مثال للفهم : الله تَعَالَى يَقُولُ فى أوامر كثيرة : (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [3] ، ويَقُولُ أيضا : (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) [4] ، وقوله : (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) [5] ، وقوله : (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ) [6] ، وكثير منها ، فحينما يأتى مقتضيات الجهد لدين الله تَعَالَى والخروج فى سبيل الله تَعَالَى فهنا الرجل يَقُولُ : أنا أطبق أحكام القرآن ، فأنفق عَلَى زوجتى وأوسع عليها ، وأكرم أبنائى وأعمل فى التجارة وأصل رحمى ، فليس عندى وقت لشلاء آخر ، وهذا كله فى القرآن ، ولذَلِكَ أن لا أستطيع أن أجتهد للدين معكم .

فهنا نحن نقول له : يأخى لا نأخذ من القرآن حسب هوانا ، ونترك ما ليس عَلَى مزاجنا ، والله تَعَالَى يَقُولُ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ أَنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) [7] ، فهذا يجعل الرجل يضع قدمه فى الدين وقدما خارج الدين ، فقدم فى الدين حين يوافق هواه ، وقدم خارج الدين عندما لا يعجبه الأمر ، فلابد أن نجتهد ونجتهد حتى

[1] (كنز العمال)
[2] (متفق عليه)
[3] (233 البقرة)
[4] (6 الطلاق)
[5] (275 البقرة)
[6] (75 الأنفال)
[7] (208 البقرة)

المُسْلِمِ يدخل قدمه الأخرى ، فلابد أن نلاطف ونجامل ونلين جانب لهم حتى يدخل المسلمون فى السلم كافة ، هنا نرجوا مِنَ اللهِ تَعَالَى أن يدخل غير المُسْلِمِ فى الإسلام حينما يرى حال المُسْلِمِين الطيبة) [1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ التَّوْحِيد الكَامِلِ مَعَ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ كَمَالِ التَّوْحِيدِ أَنْ تَأْخُذَ بِالأَسْبَابِ ، فَمَا كَمَّلَ تَوْحِيدَهُ وَمَا حَقَّقَهُ مَنْ تَوَاكَلَ وَلَمْ يَأْخُذْ بِالأَسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ التى أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِهَا وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَذِهِ سُنَّةُ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ وَالصَّالِحِين فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : (قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُول اللَّهِ ، أُطْلِقُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ؟ , أَوْ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ ، قَالَ: " اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ ") [2].

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله تَعَالَى يجزينا عَلَى العمل لأنه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يَقُولُ (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) [3] ، فاللهُ سُبحَانَهُ يسمعنا ويرانا وينصرنا ، و لابد أن نعمل العمل لله تَعَالَى ونحن نظن أننا لسنا شيئا ، وأن الفاعل الحقيقى وحده هو الله تَعَالَى ونقول : أنت يارب الذى تفعل ، فننفى أنفسنا ، فالله تَعَالَى يثبت لنا العمل والأجر ، فنقوم بالجهد بكل طاقتنا ، ومع هذا نخاف مِنَ اللهِ تَعَالَى ، وندعوا الله تَعَالَى أن يتقبلنا) [4]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ الأَخْذَ بِالأَسْبَابِ مَعَ الاعتِقَادِ الصَّحِيح سَبَبٌ لِنُصْرَةِ اللهِ تَعَالَى .

وَالأَخْذُ بِالأَسْبَابِ سَبَبٌ لِنُصْرَةِ اللهِ تَعَالَى وَتَرْكِ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ مَعَ تَوَفُّرِهَا سَبَبٌ لِلهَزِيمَةِ وَمُخَالَفَةٌ لِسُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَمَنْ تَرَكَهَا ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ ذَلِكَ زِيَادَةً فِى الوَرَعِ أَوِ اعْتِمَاداً عَلَى اللهِ تَعَالَى فَفِعْلُهُ بِدْعَةٌ مُحْدَثَةٌ . قَالَ تَعَالَى : (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ) [5] وَقَالَ تَعَالَى : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ

---

[1] لسان الدعوة : 431
[2] (الترمذى 2517 , و بن حبان 731 , انظر صَحِيح الْجَامِع: 1068 ، صحيح موارد الظمآن: 2162)
[3] (30 الكهف)
[4] لسان الدعوة : (224)
[5] (69 الأنبياء)

وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ) [1] . وَاعْلَمْ أَنَّ الأَحْوَالَ تَقَعُ بِالأَسْبَابِ بِإِذْنِ رَبِّهَا ، فَلَا تَقَعُ الأَحْوَالُ بِالأَسْبَابِ فَقَط ، وَقَدْ تَقَعُ بِإِذْنِ اللهِ فَقَط .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نصرة الله تَعَالَى لا تنزل حتى تنفى نفسك وجهدك وحياتك ومالك ، فتنفى كل شيء ، بمعنى أن كل هذه أسباب ليس فيها النفع إلا إذا شاء الله أن ينفع بها ويجعل فيها الخير ، فهنا الله يرفعك) [2]

فَصْلٌ فِي سُنِّيَّةِ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ وَعَدَمِ جَوَازِ تَرْكِهَا - عِندَ القُدْرَةِ عَلَيهَا - أَوِ الاعتِقَادِ فِيهَا .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ السُّنَّةِ أَنْ تَأْخُذَ بِالأَسْبَابِ مَا تَوَفَّرَتْ أَمَامَكَ وَلَمْ تَتَعَارَضْ مَعَ شَرْعِ اللهِ تَعَالَى ، أَمَّا إِن لَمْ تَتَوَفَّرْ أَوْ تَعَارَضَتْ مَعَ شَرْعِ اللهِ تَعَالَى فَلَسْتَ بِمَلُومٍ . وَلَا يَجُوزُ لَكَ تَرْكُ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ عِندَ القُدْرَةِ عَلَيْهَا لِأَنَّ ذَلِكَ تَضيِيعٌ لِلسُّنَنِ الكَوْنِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ التِى شَرَعَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَنِ اعْتَقَدَ فِى الأَسْبَابِ فَقَدِ اتَّخَذَهَا نِدّاً لِلهِ تَعَالَى وَجبَ عَلَيْهِ مُرَاجَعَةُ فِعْلِهِ وَتَصْحِيحُ اعْتِقَادِهِ وَاليَقِينُ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَمَعْرِفَةُ أَنَّ الأَسْبَابِ مَا هِىَ إِلَّا طَرِيقٌ لِاسْتِجْلَابِ مَعِيَّةِ اللهِ تَعَالَى . فَلِذَلِكَ اعْلَمْ أَنَّ الأَخْذَ بِالأَسْبَابِ سُنَّةٌ وَتَرْكُهَا بِدْعَةٌ وَمُخَالَفَةٌ لِسُنَّةِ النَّبِيينَ وَالاعْتِمَادِ عَلَيْهَا وَالاعتِقَادِ فِيهَا شِرْكٌ بِاللهِ العَظِيمِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لله عز وجل سنن فى هذه الدنيا ، وله قدرة ، ومن سنته أَنَّهُ جعل الدنيا دار الأسباب ، وتأتى فيها الأحوال ، والأحوال لها أسباب وهى الأعمال الصالحة والعكس ، فالله تَعَالَى ربط الأحوال بالعمل لا بالأشياء ، فصلاح الأحوال بصلاح الأعمال وصلاح الأعمال بصلاح اليَقِين ، والأعمال هى كل ما يصدر عن الجوارح ، فإذا صلح العمل فما يصدر عن الجوراح يكون صالحا ، فالأعمال ، الله ربطها باليَقِين فى القلب والأحوال الله ربطها بالأعمال ، وبقدر ما يكون القلب متعلق بِاللهِ تَعَالَى ، تكون الحياة عَلَى مرضاة الله عز وجل ، والعكس لو كانت الحياة عَلَى مقتضيات المادة والأشياء) [3]

[1] (60 الأنفال)
[2] لسان الدعوة : (227)
[3] لسان الدعوة : (136)

و قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد ألا نعتمد عَلَى المشاهد ، وأن نعرف أَنَّهُ لا نفع إلا إذا شاءت إرادة الله تَعَالَى وتدخلت قوته ، فيجعل المفع فى الأشياء بفضله ، فقد كان الصراع بين الأنبياء وأممهم ، وذَلِكَ لأن دعوة الأنبياء هى نفى ما سوى قدرة الله تَعَالَى ، والأمم تظن أن النفع فى المشاهدات التى جربوها ، فهنا يقع الصدام بين الأنبياء وعقيدتهم الصحيحة ، وإيمانهم بالوعد والوعيد ، وبين معتقدات أممهم الفاسدة ، فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يفعل بالسبب وبغير السبب وبضد السبب ، وكذَلِكَ ينفع بالسبب وبغير السبب)[1]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (فنحن أولا نجعل الله تَعَالَى معنا بذكرنا والتزامنا فالله تَعَالَى يَقُولُ فى الحديث القدسى : (... وأنا معه إذا ذكرنى)[2] ، لكن ذَلِكَ بمراعاة الأسباب الظاهرية حيث يَقُولُ تَعَالَى : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ)[3] ، ثم يكون عندنا مراعاة الحكومة وقوانينها)[4]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (كذَلِكَ الله تَعَالَى يأمرنا : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ)[5] ، ولكن الممنوع أن ننشغل عن قدرة الله تَعَالَى بهذه القوى لأن الله تَعَالَى يخبرنا : (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا)[6] ، وهذه الأشياء لحاجة البشرية ، وممنوع الإتكال عليها والثقة بها ، ولا يكون اليَقِين عليها بل عَلَى الله تَعَالَى ، وهى سبب نأخذ به حسبما أمرنا الله تَعَالَى ، ولكن نعرف أن : (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ)[7] وذَلِكَ لأن الصَّحَابَة الكِرَام رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ دخلوا المعركة

---

[1] لسان الدعوة : (161)
[2] (الصحيحين ، البخارى 7405 ، مسلم 2675)
[3] (60 الأنفال)
[4] لسان الدعوة : (206)
[5] (60 الأنفال)
[6] (29 البقرة)
[7] (26 آل عمران ، 10 الأنفال)

وانتصروا ثم قَالَ الله تَعَالَى لهم : (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ) [1] ، فهنا حسم الله تعالى الأمر ، وحتى لا يظن الصَّحَابَة الكِرَام أن النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتل من عنده فقَالَ تَعَالَى : (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) [2]) [3]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (بدون رحمة الله تَعَالَى لا يدخل الإِنسَان الجَنَّة ولو كان رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قَالَ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (والله لن يدخل أحد منكم الجَنَّة بعمله ، قالوا ولا أنت يارَسُول الله ، قَالَ ولا أنا ! إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل) [4] ،

فنحن بغير رحمة الله تَعَالَى لا ننجوا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وليس معنى هذا ترك العمل والركون ، بل نهتم بالعمل مع الإخلاص والله تَعَالَى فضله واسع) [5]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لا نترك الأسباب بالكلية ولا نعتمد عليها بحيث تمنعنا عن أداء واجبنا نحو الدين ، ولا نرتاب فى رزق الله تَعَالَى لنا أو نصرتنا ، فهذا شرط من شروط الإِيمَان ، قَالَ الله تَعَالَى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ ورَسُوله ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [6]) [7]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله تَعَالَى جعل الدنيا دار الأسباب ، فكلف الإِنسَان أن يختار السبب حتى لا يخالف أمر الله تَعَالَى فى الأشياء ، فالإنسان إذا قوى يقينه عَلَى الله تَعَالَى ، فعِند تحصل النعم يفرح ويتيقن أن هذا مِنَ اللهِ تَعَالَى ، لأنه يعلم أن هذا مكتوب من قبل ، وكثير من النَّاس يستعملون الأشياء ولكن لا يتحصلون عَلَى النتيجة ، هذا دليل عَلَى أن كل شىء بيد الله تَعَالَى وأنه هو المعطى ، الإِنسَان إذا كان يقينه عَلَى الله تَعَالَى ويجتهد فى الأسباب ولا يتحصل عَلَى شىء فهو

---

[1] (17 الأنفال)
[2] (17 الأنفال)
[3] لسان الدعوة : (164)
[4] (مسلم 7295 ، مسند أحمد 10127 ، بن ماجة 4201 بغير القسم ، وفى الأصل (أبو داود والترمذى) ، ولم أقف عليه فى ابى داود والترمذى)
[5] لسان الدعوة : (208)
[6] (15 الحجرات)
[7] لسان الدعوة : (215)

لا ييأس ويفهم أن هذا من عِند الله ومن حكمته ، والله تَعَالَى يخفى شيئا وراء حكمته وهو العادل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، هذا الإِنسَان مطلوب منه أن يقضى حياته عَلَى هذا الترتيب ، لا يفرح إذا تحصل النعمة ولا ييأس بفقدها)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (عليكم بالمشاغل الكسبية والحياتيه ولا تتركوها فتصيروا رهبانا ، والرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ (لا رهبانية فى الإسلام)[2] فنحن لا نريد أن تترهبوا وتتركوا أزواجكم ، لا نريد هذا ، بل مع الخروج فى سبيل الله تَعَالَى أنتم اشتغلوا بمشاغلكم الكسبية والبيتية ، والذين يتعلمون التعليم العصرى هم يتحصلون الشهادات العليا بنية الدعوة ، ويستخدمون هذه الشهادات فى إدخال النَّاس فى دين الله تَعَالَى أفواجا ، ولهذا لا تتكاسلوا فى تحصيل الشهادات الدنيوية وتصير لكم هذه الشهادات دينا بصحة نيتكم حيث تجعلونها واسطة لنشر الدين فى النَّاس جميعا والله تَعَالَى أجاز لنا الاشتغال بالأسباب الدنيوية)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فى المدينة جاء الأمر : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ)[4] ، الصَّحَابَة خرجوا للغير ، فالأمر هنا تغير من الأحوال المكية فهنا أمر الله تَعَالَى : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)[5] ، هم خرجوا للغير أى لغير أنفسهم بل لوجه الله تَعَالَى)[6]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لماذا خلق الله تَعَالَى الأسباب وهو غير محتاج لها ؟ فهو الذى خلق السموات والأرض ، ولكنه ليس محتاج لأى مخلوق ، فقط خلق كل شىء للإمتحان ، ما هو الإمتحان ؟ هو .. هل الإِنسَان يستعمل هذه الأسباب مع مراعاة أوامر الله أم لا ؟

[1] لسان الدعوة : (282)
[2] (موسوعة الألبانى فى العقيدة 111/2 وعزاه إلى الصحيحة (4/ 385))
[3] لسان الدعوة : (298)
[4] (71 النساء)
[5] (39 الحج)
[6] لسان الدعوة : (302)

الله تَعَالَى ما منع الإِنسَان أن يستعمل هذه الأسباب ، بل فى بعض الأحيان عرض عليه الأسباب ، ولكن منعه من اليَقِين عَلَى هذه الأسباب ، كثيرا ما نفهم أن العزة فى المال ، ولكن ليست العزة فى المال لأن الله تَعَالَى أعطى قارون المال ، ولكن ما كانت له العزة ، الإِنسَان يستعمل أسباب الراحة ، ولكن الله تَعَالَى فى بعض الأحيان يعطى الشقاء لهذا الإِنسَان ، قارون وفرعون وهامان كان عندهم أسباب الراحة ، ولكن الله تَعَالَى أهلكهم فى أسبابهم)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الإِنسَان يتجه إِلَى السبب ، ولكن يتيقن عَلَى قدرة الله تَعَالَى ، الرجل عندما يلتقى مع زوجته ، الذى يرزقه الولد هو اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، ولكن الرجل فقط أخذ بالسبب ، ويترك الأمر لله تَعَالَى ، كَذَلِكَ من يجتهد الجهد الحقيقى الله يعطى الهداية ، فنجتهد طوال الأسبوع وحتى يوم الجولة نجتمع لسماع البيان ،

ونتجول عَلَى جميع النَّاس)[2]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ترك الأسباب بالمرة والغلو فى الدنيا حتى نترك أولادنا بالجوع ، فهذا يسمى رهبانية ، فهذا مخالف لأمر الله تَعَالَى ، وترك جهد الدين وتضييع أوامر الله تَعَالَى بسبب الرفعة للدنيا والمال هذا يسمى أنانية . ولكن الجمع بينهما عَلَى الترتيب الصحيح الذى علمنا الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هذه هى المجاهدة (الربانية) .)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نحن نشتغل فى الأسباب المادية بموافقة الأسباب الغيبية ، ولكن إذا خالفنا الأسباب الغيبية ، تكون فى الأسباب الظاهرية الضرر والهلاك ، مثل المال الذى عِند قارون ، والملك الذى عِند فرعون والنمرود ، والوزارة التى عِند هامان لكن لو وافق الأمر الأسباب الغيبية ولو كانت مخالفة للأسباب الظاهرية ، ولو رأينا فيها الضر فنحن ننفذ الأمر ففيه نصرة ، فسيدنا موسى عليه السلام الله تَعَالَى أعطاه العصا وهى سبب ظاهرى ، وجاء أمر الله : (قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى)[4] ،

---

[1] لسان الدعوة : (330)
[2] لسان الدعوة : (351)
[3] لسان الدعوة : (355)
[4] (19 طه)

ورغم المنافع التى هددها سيدنا موسى ، ورغم النفع الظاهرى الله تَعَالَى أمره بإلقائها ، فعنا تقابل بين المنافع التى فيها وبين فقدها بعد الأمر بتركها ، فنفذ موسى عليه السلام الأمر بتركها ، فهنا انقلبت حية ، وليست حية عادية بل قَالَ اللهُ تَعَالَى فيها : (فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى)[1] ، وَقَالَ تَعَالَى : (فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ)[2] ، فهنا هرب سيدنا موسى ولم ينظر خلفه (وَلَمْ يُعَقِّبْ) فهنا جاء أمر آخر مِنَ اللهِ تَعَالَى : (قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ)[3] ، والنتيجة ، (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى)[4] ، فالإنسان إذا قام بأمر الله تَعَالَى بخلاف المشاهد فهنا الإيمَان ، لِذَلِكَ أمر آخر (وَاضْمُمْ يَدَكَ) وأمر ثالث (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ أَنَّهُ طَغَى)[5] وكل هذا خلاف النفس والطبيعة الإنسانية ، لكن إذا قام الإنسَان بامتثال أوامر الله تَعَالَى بخلاف المشاهد ، فالله تَعَالَى يوفى له وعده خلاف المشاهد وخلاف الظاهر)[6]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إذا نحن نجتهد عَلَى الدين فإن حياتنا الكسبية لا مانع منها ، بشرط أن تتحقق أوامر الله تَعَالَى ، بحيث لا تتعارض مع النظام الروحانى ، لأن الإنسَان إذا خالف أوامر الله تَعَالَى ، فإن النظام الروحاتى يكون مخالفا لنا)[7]

وقال أيضا (لِذَلِكَ فإن اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد أمر بالأخذ بالأسباب ، ولكن يكون التيقن عَلَى الله وليس عَلَى هذة الاسباب)[8]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الدنيا دار الأسباب والله تَعَالَى هو مسبب الاسباب ، ويرى فى هذه الدنيا الشيء من الشيء مثل الولد من الأب ، ولكن فى الحقيقة الله سبحانة وتَعَالى هو المؤثر في الأشياء ، نحن نرى ان الحب من الثمر ، ولكن الأصل ان الله خالق الحب والنوى ، ولكن نرى الأشياء من الأشياء ولكن الله هو مسبب الأسباب ونحن لا نرى قدرته)[1]

---

[1] (20 طه)
[2] (31 القصص)
[3] (21 طه)
[4] (21 طه)
[5] (24 طه)
[6] لسان الدعوة : (378 – 379)
[7] لسان الدعوة : (384)
[8] لسان الدعوة : (384)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ما هو الإِيمَان ؟ هو لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وهذا نفى وإثبات ، فالإنسان إذا كان قلبه متعلق بالأسباب والقوة سواء السلاح أو الأشياء وقوة المادة وقوة الملك والمال ويجد قلبه متأثرا بالأحجار سواء أحجار الجاهلية أو الأحجار الإلكترونية ، فعليه أن يجتهد حتى يخرج من قلبه هذه الشركيات ، ويصفى قلبه ولا يتعلق ولا يتأثر ولا يطلب إلا مِنَ اللهِ الواحد الأحد الفرد الصمد) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (اختيار الأسباب امتثالا لأمر الله تَعَالَى ، ودون تجاوز حد الله تَعَالَى فلا بأس به ، ولكن إذا خوفنا تجاوز حدود الله تَعَالَى نترك السبب ونعتمد عَلَى الله تَعَالَى ، لأن اختيار الأسباب لا ينفى اليَقِين ما دامت لا تجاوز الحد الشرعى ، مع الأسباب نعتمد عَلَى الله تَعَالى) [3]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (وليس العمل فى الأسباب الظاهرية ممنوع ، فسيدنا داود وسليمان ويوسف ونوح حتى رَسُولُنَا وكل الأنبياء فى الأسباب ، وبعضهم الملك والمال معهم ، فسيدنا داود عليه السلام : (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ) [4] ، والرَّسُول صنع له درعا فى غزوة أحد ، الله تَعَالَى قَالَ : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) [5] ، ولنوح عليه السلام (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ) [6] ، نعمل بها ولا نتكل عليها إطلاقا) [7]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كنا نشكل جماعة تخرج بالأقدام ، فهنا رجل قام وَقَالَ : انا مستعد لأربعة أشهر فهنا واحد قَالَ : كم معك من مال ؟ فقال : أنتم تقولون : من خزائن الله ، فهنا انا قلت : خيرا لا بأس ، وبعد التشكيل أخذته وسألته فقال : من

---

[1] لسان الدعوة : (393)
[2] لسان الدعوة : (394)
[3] لسان الدعوة : (398)
[4] (80 الأنبياء)
[5] (60 الأنفال)
[6] (37 هود)
[7] لسان الدعوة : (401)

خزائن الله ، أنا أسأل الله ، فقلت له ، أنت أولا خذ من خزائن الله تَعَالَى ، ثم أرنا كم اعطاك ؟ ثم نشككك مع الجماعة ، لأن مثل هذا إذا خرج يصير سائل وعالة عَلَى غيره ، فنحن نفهم كيف نرتب والأمر ليس هكذا يسير) [1]

وقال أيضا (الأسباب الظاهرية وإن كانت قليلة ، ولكن الله تَعَالَى يجعل فيها الفلاح والفوز ، شريطة أن تكون بامتثال أمر الله تَعَالَى) [2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ الاعتِقَادَ فِي الأَسْبَابِ فِيهِ نَوعٌ مِنَ الشِّركِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ اعْتِقَادِ النَّفْعَ فِي الأَسْبَابِ شِرْكٌ بِاللهِ العَظِيمِ ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلِ الأَسْبَابَ لِهَذَا الأَمْرِ بَلْ لِلأَخْذِ بِهَا وَالتَّوَجُّهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَاليَقِينِ بِهِ دُونَ مَا سِوَاهُ ، فَمَن ظَنَّ أَنَّ النَّفْعَ فِي الشِّفَاءِ فِي الدَّوَاءِ وَأَخْذِهِ فَقَدِ اتَّخَذَ الدَّوَاءَ شَرِيكاً لِلهِ تَعَالَى ! وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ يَتَيَقَّنَ أَنَّ الشِّفَاءَ مِنْ عِندِ اللهِ وَهُوَ القَادِرُ عَلَيْهِ وَلَا يَمْلِكُ الشِّفَاءَ إِلَّا اللهُ وَالدَّوَاءُ مَا هُوَ إِلَّا سَبَبٌ وَاللهُ قَادِرٌ عَلَى الشِّفَاءِ بِالدَّوَاءِ وَبِغَيْرِ الدَّوَاءِ وَبِضِّدِ الدَّوَاءِ وَهَكَذَا . وَقَدِ اسْتَدْرَجَ الشَّيْطَانُ لَعَنَهُ اللهُ قِطَاعاً كَبِيراً مِنَ الأُمَّةِ مِنْ هَذَا البَابِ وَأَوْقَعَهُمْ فِي الشِّرْكِ وَالعِيَاذُ بِاللهِ تَعَالَى .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لقد أصبح النعيم والسعادة والنجاح عِند أغلب النَّاس فى تلبية شهواتهم التى لا تنتهى ، وأصبح الإعتقاد أن النفع والضر فى كسب أسباب ، هذه الشهوات ، وهذه الأسباب كأنها أصنام ، ومن المُسْلِمِين من يعتقد فى تلك الأسباب ويظن أن النفع والضر فيها ، فيستغنى بها ويتحصن بها ، ويظن أَنَّهُ يتقرب بها إِلَى اللهِ تَعَالَى ، فهنا لا فرق بين مسلمى زماننا ومشركى قريش ، فمسلموا زماننا جعلوا أسبابهم أصناما يلجأوون لها ويتحصنون بها لتقضى حاجاتهم ، ومشركوا قريش قالوا كما حكى عنهم القرآن : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى) [3] ، وكذَلِكَ فى حديث النَّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع حصين والد عمران بن الحصين رضى الله تَعَالَى عنهم (...إن قريشا جائت إِلَى حصين - وكانت تعظمه – فقالوا له : كلم لنا هذا

---

[1] لسان الدعوة : (435-436)
[2] لسان الدعوة : (435-436)
[3] (3 الزمر)

الرجل ، فإنه يذكر آلهتنا ويسبهم ، فجاؤوا معه حتى جلسوا قريبا من باب النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أوسعوا للشيخ ، - وعمران وأصحابه متوافرون – فقال حصين : ما هذا الذى بلغنا عنك ، أنك تشتم آلهتنا وتذكرهم ، وقد كان أبوك حصينة وخيرا ؟ فقال : ياحصين كم تعبد من إله ؟ ، قَالَ سبعا فى الأرض وواحدا فى السماء ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فإذا أصابك الضر من تدعوا ؟ ، قَالَ : الذى فى السماء ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فإذا هلك المال من تدعوا ؟ ، قَالَ : الذى فى السماء ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فيستجيب لك وحده وتشركهم معه ، أرضيته فى الشكر ، أم تخاف أن يغلب عليك ؟ ، قَالَ : ولا واحدة من هاتين ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يا حصين أسلم تسلم ، قَالَ : إن لى قوما وعشيرة ! فماذا أقول ؟ ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قل : اللهم أستهديك لأرشد أمرى ، وزدنى علما ينفعنى)[1] ، فقالها حصين فلم يقم حتى أسلم)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ما هو الإِيمَان ؟ هو لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وهذا نفى وإثبات ، فالإنسان إذا كان قلبه متعلق بالأسباب والقوة سواء السلاح أو الأشياء وقوة المادة وقوة الملك والمال ويجد قلبه متأثرا بالأحجار سواء أحجار الجاهلية أو الأحجار الإلكترونية ، فعليه أن يجتهد حتى يخرج من قلبه هذه الشركيات ، ويصفى قلبه ولا يتعلق ولا يتأثر ولا يطلب إلا مِنَ اللهِ الواحد الأحد الفرد الصمد)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إن حقيقة الإِيمَان ألا تجعل لله ندا ولا صنما ولا شريكا ، فالصنم كان امتحانا للمشركين ، أما فى زماننا هذا فالصنم هى مشاغل الدنيا وأسبابها التى ابتلينا بها فهى الإمتحان ، لأن ذَلِكَ لا يعبد فيه المسلمون صنما ، ولكن أسبابا يعتمدون عليها ، ومشاغل قدموها عَلَى أمر الله فشاركوا الله مع غيره ، أو اتخذوا أسبابهم ندا ، واليَقِين لا يرسخ فى القلب إلا

[1] (فى الأصل (بن خزيمة) ، ولم أقف عليه فيه)
[2] لسان الدعوة : (213)
[3] لسان الدعوة : (394)

بالدوام عَلَى المذاكرة ، بأن نذكر الله بألسنتنا وفى قلوبنا ومع النَّاس ، أما أن نذكر الله بألسنتنا ثم نكبر المادة بقلوبنا فهذا هو الشرك ، لكن الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ صغروا المادة وعظموا الله فهابتهم الأسود) [1]

فَصْلٌ فِي شُرُوطِ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ .

وَمِنْ شُرُوطِ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ أَلَّا تَعْتَقِدَ فِيهَا وَلَا تَعْتَمِدَ عَلَيْهَا وَأَنْ لَا تُخَالِفَ الشَّرْعَ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (والله عز وجل أجاز لنا الاشتغال بالأسباب الدنيوية ولكن بثلاثة شروط :

الأول : ألا نتيقن عليها ،

الثانى : أن نمتثل أمر الله عز وجل فيها ،

الثالث : لا تكن تجارتنا وأموالنا وأولادنا مانعا لنا عن الجهد لنشر دين الله تعَالَى ،) [2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ الغَايَةِ مِنَ خَلْقِ الأَسْبَابِ وَوُجُوبِ اليَقِينِ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ اليَقِينُ عَلَى الأَسْبَابِ مُطْلَقَاً وَلَا الاعْتِمَادِ عَلَيْهَا وَلَا الرُّكُونِ إِلَيْهَا وَلَا الحُزْنُ عَلَى فُقْدَانِهَا لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مَقْصُودَةٌ لِذَاتِهَا وَلَا لِلنَّفْعِ الخَارِجِ مِنْهَا ! بَلْ هِىَ مَقْصُودَةٌ لِغَايَةٍ أَسْمَى وَأَشْرَفُ وَهِىَ طَاعَةُ اللهِ تَعَالَى فِى الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ولكن لماذا خلق الله تعَالَى الأسباب وهو غير محتاج لها ؟

فهو الذى خلق السماوات والأرض ، ولكنه ليس محتاج لأى مخلوق ، فقط خلق كل شىء للإمتحان ، ما هو الإمتحان ؟ هو هل الإنسَان يستعمل هذه الأسباب مع مراعاة أوامر الله تعَالَى أم لا ؟

---

[1] لسان الدعوة : (369)

[2] لسان الدعوة : (298)

الله تَعَالَى ما منع الإنسَان أن يستعمل هذه الأسباب ، بل فى بعض الأحيان عرض عليه الأسباب ، ولكن منعه من اليَقِين عَلَى هذه الأسباب ، كثيرا ما نفهم أن العزة فى المال ، ولكن ليست العزة فى المال لأن الله تَعَالَى أعطى قارون المال ، ولكن ما كانت له العزة ، الإنسَان يستعمل أسباب الراحة ، ولكن الله تَعَالَى فى بعض الأحيان يعطى الشقاء لهذا الإنسَان ، قارون وفرعون وهامان كان عندهم أسباب الراحة ، ولكن الله تَعَالَى أهلكهم فى أسبابهم)[1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَقْسَامِ الأَسْبَابِ فِي الدُّنيَا .

وَاعْلَمْ أَنَّ الأَسْبَابَ مِنْهَا مَا هُوَ ظَاهِرٌ نَفْعُهُ لِلإِنْسَانِ وَمِنْهَا مَا نَفْعُهُ غَيْبِيٌّ يَعْتَمِدُ عَلَى تَصْدِيقِ الشَّرْعِ بِمَا فِيهِ مِن نَفْعٍ ، وَالأَخْذ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَطْلُوبٌ ، وَوَعْدُ اللهِ تَعَالَى بِالنُّصْرَةِ وَالفَلَاحِ عَلَى الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ الغَيْبِيَّةِ ، وَهِيَ التِى لَا تَنْفَكُّ عَن مُسْلِمٍ أَبَدَاً بِخِلَافِ النَّوْعِ الأَوَّلِ فَقَدْ يَتَيَسَّرُ لِزَيدٍ وَلَا يَتَيَسَّرُ لِعَمْرٍو .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الدنيا دار الأسباب ، والأسباب عَلَى قسمين :

الأسباب الظاهرة : المال ، والذهب ، الملك ، والقوة ، والعدد ... ، والأسباب الغيبية : التقوى ، الصدق ، العبادات ، الصفات الإيمانية ، الله تَعَالَى وعد بالخير لمن يعتمد عَلَى الأسباب الغيبية ، وفى الأسباب الظاهرية الله تَعَالَى ما وعد إذا تحصل الإنسَان عَلَى المال ، أن يعطيه العزة والراحة ، ولكن الله تَعَالَى وعد إذا تكون أخلاق الإنسَان طيبة والتقوى فى حياته يعطيه الله تَعَالَى حياة طيبة ، فالإنسان يسير بالأسباب الظاهرية ، دون أن يخالف الأسباب الغيبية ، مع مطابقة الشريعة ، فإذا فعل ذَلِكَ وما ظهرت النتيجة فلا يخاف ولا ييأس ، لأن نصرة الله تَعَالَى معه ، ولكن إذا اختار الأسباب الظاهرية بمخالفة الأسباب الغيبية ، فهذا الإنسَان الله تَعَالَى يفسد عليه حياته)[2]

---

[1] لسان الدعوة : (330)
[2] لسان الدعوة : (283)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله تَعَالَى ما منع النَّاس من الإشتغال بالأسباب الظاهرية ، ولكن ما وعد الفلاح عَلَى الإعتماد عليها ، لذَلِكَ يعرض تَعَالَى الأمر فى قرآن فيَقُولُ : (أَفَرَأَيْتُم مَا تُمْنُونَ ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ)[1] ، فالله تَعَالَى ما وعد الولد عَلَى الزواج ، كذَلِكَ يَقُولُ : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ، أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ)[2] ، فالله تَعَالَى ما وعد الثمار بعد الزرع ..... كذَلِكَ كل الأسباب المادية الظاهرية ، ولكن الأسباب الغيبية قَالَ الله تَعَالَى فيها بالوعد والنتيجة فقَالَ تَعَالَى : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)[3] ، ويقُولُ تَعَالَى : (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا)[4] ، ويقُولُ : (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا)[5] ، ويقُولُ (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)[6] ، ويقُولُ : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)[7] ففى هذه الآية الله تَعَالَى يؤكد (فَلَنُحْيِيَنَّهُ) باللام والنون ، والفاء تفيد التعقيب ، أى الحياة الطيبة مباشرة بعد الموت ، ويقُولُ : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)[8] ، فالوعد موجود ومؤكد بمؤكدين اللام والنون ، ولذَلِكَ نحن نشتغل بالأسباب المادية بموافقة الأسباب الغيبية)[9]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ الجُهدَ لِلدِّينِ مَبْنِىٌّ عَلَى التَّرتِيبِ وَالاتِّبَاعِ . وذَمِّ الرَّهْبَانِيَّةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الجُهْدَ لِلدِّينِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، كُلٌّ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ وَبِقَدْرِ مُسْتَطَاعِهِ : (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا)[10] وَلَكِنَّ هَذَا الجُهْدُ لَابُدَّ أَنْ لَا يُخَالِفُ النَّهْجَ النَّبَوِىَّ فِى الغَايَةِ وَالمَقْصِدِ وَرُبَّمَا فِى بَعْضِ الأَحْوَالِ الوَسِيلَةَ ، فَلَا يَجُوزُ التَرَهْبُنُ وَتَرْكُ الأَشْغَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ حتى نجتهد للدين ويضيع المال والعيال جرَّاء هذا الفعل ! بل من الواجب الشرعى عَلَى الإنسَان أن يحفظ أهله

---

[1] (58 – 59 الواقعة)
[2] (63 – 64 الواقعة)
[3] (1 المؤمنون)
[4] (257 البقرة)
[5] (38الحج)
[6] (2 البقرة)
[7] (97 النحل)
[8] (69 العنكبوت)
[9] لسان الدعوة : (378)
[10] (7 الطلاق)

وماله ولا يضيعهم : (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمَاً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ) [1] ، فلابد من ترتيب الحياة والتوفيق بين مطالب الدين ومطالب الأهل والعيال .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد أن ننوى الجهد مثلما اجتهد النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ونتحمل فى سبيله من المشاق مثلما تحمل النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكذَلِكَ مثلما تحمل الصَّحابَة الكِرَام رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ ، فنفوز فوزهم ويرضى الله عنا كما رضى عنهم ، لذَلِكَ لو اجتهدنا للدعوة لا ننظر للبيت ولا المحل ، ولا نترك ذَلِكَ بالكلية ، ولكن نرتب ونفكر لذَلِكَ ، وَيَجِبُ أن نرتب أولا لأربعة أشهر ، وإذا فزنا بذَلِكَ ففى كل سنة أربعون يوما ، ثم نوبة بين أهلنا ونوبة للدعوة ، ونقسم الوقت بين الدين والدنيا ، بين الدعوة والأهل ، والله يجعله سهلا ، فاللهم سهل علينا أمرك ، وسنة نبيك) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فى عمل الدين نراقب نياتنا ، ونجعلها لله سبحانه ، وليس مجرد الجهد يكفى ، بل النية فى اتباع النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بحدود الشرع وقيوده ، فمن يجاهد عَلَى خلاف مقتضيات أمر الله تَعَالَى ، فهى ليست مجاهدة بل مجاهلة ، مثل من يَقُولُ أذكر الله قائما عَلَى ساق واحدة ، فهنا عَلَى خلاف المطلوب ، ولكن لو قام بأمر الله تَعَالَى نصف ساعة ولو خالف النفس ، أحسن من ليلة عَلَى هواه ، وإذا جاهد نفسه عَلَى خلاف مطلوبه ، الله يجعل نفسه مطمئنة ، والله تَعَالَى يكرمها قبل الموت) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فعندما ننقطع لربنا مرة بعد مرة ونتوجه لربنا وندعوه ، مع قيام الليل وكثرة الأذكار ، والصلوات الخمس مع تكبيرة الإحرام خلف الإمام وسماع كلام الإيمَان مرارا وتكرارا ، الله تَعَالَى يغير من حياة العبد ويرزقه التقوى والورع ،

[1] (أبو داود (1692) ، والنسائي في " الكبرى " (9176))
[2] لسان الدعوة : (170)
[3] لسان الدعوة : (179)

ونجتهد بالترتيب السليم لمرضاة الله تَعَالَى ومثلما فعل النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا ننظر لفعل الغير الذى أتى به من عِند نفسه مثل رهبانية النصارى ، أو تبتل البوذيين أو انقطاع الزرادشتيين وغيره) [1]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (أحيانا الإنسَان يخطىء فى تحمل التكليف ، الآن البوذيون فى بلادهم عندهم تحمل المشقات بصورة شديدة ، ويظنون أنهم متعلقون بِاللهِ ، فهم لا يغتسلون ويلبسون ثيابا وسخة ، ويكونون فى الجبال ، فهذا انقطاع لا يحبه الله تَعَالَى ، وهذا مخالف لأمر الله تَعَالَى مثل النصارى قَالَ تَعَالَى : (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) [2] ، فالإنسان إذا تحمل التكليف لأمر الله تَعَالَى فهذه تضحية ومجاهدة ، ولكن بعض النَّاس يمشون عَلَى هواهم ويفهمون أن هذا دين وهو ليس دينا) [3]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (الطاعة لابد معها من التضحية بحاجاته وشهواته وبقدر التضحية يكون الترق ، ولكن بشرط أن تكون المجاهدة عَلَى نهج النُّبُوَّة ، وليست عَلَى نهج الرهبانية ، فترتيب حياتنا عَلَى نهج الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو الترتيب المقبول ، ولذَلِكَ لابد من أن نحترم هذا الترتيب فلا يكون الإنسَان مهملا للأسباب بحجة التوكل عَلَى الله تَعَالَى ، بل لابد أن يأخذ بالنظام الذى أمره الله تَعَالَى ، ويجاهد نفسه فى طريق الترقى) [4]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ تَرْكَ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ مِنَ الرَّهْبَانِيَّةِ المَذْمُومَةِ ، وَلَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الإِسْلَامِ .

وَاعْلَمْ أن ترك الأخذ بالأسباب وتضيع الأشغال مخالفة للسنة ورهبانية مقيتة بغيضة ما شرعها الإسلام وما فعلها رَسُولُنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل يجب الأخذ بالأسباب من العمل الدنيوى حتى لا نضيع أهلينا وأولادنا . ومن ظن أن ترك الدنيا وأسبابها والتفرغ التام للعبادة أفضل ممن يخالط الناس ويتعامل معهم فقد وهم وجانب الصواب ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَكِنِّي أَنَامُ

---

[1] لسان الدعوة : (254)
[2] (27 الحديد)
[3] لسان الدعوة : (319)
[4] لسان الدعوة : (387)

وَأُصَلِّي ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ ، فَمَنِ اقْتَدَى بِي فَهُوَ مِنِّي ، وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ، إِنَّ لِكُلِّ عَامِلٍ شِرَّةً ثُمَّ فَتْرَةً ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى بِدْعَةٍ فَقَدْ ضَلَّ ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّةٍ فَقَدِ اهْتَدَى.) [1] .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (عليكم بالمشاغل الكسبية والحياتيه ولا تتركوها فتصيروا رهبانا ، والرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ (لا رهبانية فى الإسلام) [2] فنحن لا نريد أن تترهبوا وتتركوا أزواجكم ، لا نريد هذا ، بل مع الخروج فى سبيل الله تَعَالَى أنتم اشتغلوا بمشاغلكم الكسبية والبيتية ، والذين يتعلمون التعليم العصرى هم يتحصلون الشهادات العليا بنية الدعوة ، ويستخدمون هذه الشهادات فى إدخال النَّاس فى دين الله تَعَالَى أفواجا ، ولهذا لا تتكاسلوا فى تحصيل الشهادات الدنيوية وتصير لكم هذه الشهادات دينا بصحة نيتكم حيث تجعلونها واسطة لنشر الدين فى النَّاس جميعا) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الذى يترك الدنيا كلها ويتعبد هذه ليست مجاهدة ، هذه رهبانية ولا رهبانية فى الإسلام ، ولكن المجاهدة هو أن يمتثل أمر الله تَعَالَى فى الأسباب الدنيوية) [4]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (من يستعمل الدين للدنيا هذا مزاج اليهود ، والذين يشذ فى الدين حتى يترك الدنيا هذا مزاج النصارى بالرهبانية ، ولكن نحن نمتثل أمر الله تَعَالَى إذ يَقُولُ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا) [5] ، فالذى جعله الله حلالا لا نجعله حراما ، ولكن لا نجعل همنا بطوننا ولا نتجرد منها ، إذن لا نترك الدنيا حتى نكون رهبانا ، ولا نترك الدين حتى نكون أنانيين وكأننا دهريين ، فهنا شباب من ماليزيا زهدوا كليا ، فى النهار صيام ، وفى الليل يقومون ، وتركوا الدراسة والدنيا ، فهذه مبالغة تضر الدين والدعوة ، ولكن إذا سكتنا عليهم هذا خطأ ، وإذا أنكرنا عليهم

---

[1] (إتحاف الخيرة المهرة 246)

[2] (موسوعة الألبانى فى العقيدة 111/2 وعزاه إلى الصحيحة (4/ 385))

[3] لسان الدعوة : (298)

[4] لسان الدعوة : (310)

[5] (87 المائدة)

بشدة كذَلِكَ خطأ ، فلابد من العلاج لأن الله تَعَالَى يَقُولُ : (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [1] ، عِند الخطأ نحن نختار طريق الإصلاح ولكن مع الحذر ، بألا يكون هذا الإصلاح سببا للفتنة ، فإذا أخطأ واحد من الأحباب نصلحه بالحكمة ، لأن الشد بغير ضرورة لا فائدة منه ، بل يأتى بالمضرة ، فنصلحه بالرفق واللين ، لماذا ؟ لأن الله تَعَالَى قَالَ : (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ) [2]) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الذى يريد الفوز فى الآخرة ليس معناه أن يترك الدنيا تماما ويكون مثل الراهب ، بل يمشى فى هذه الدنيا بالأسباب ، ولكن مع مراعاة أوامر الله تَعَالَى وطريق النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لكن من يمشى عَلَى هواه يوم القيامة (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) [4] ، فيلقون فى نار جهنم حفظنا الله منها) [5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ترك الأسباب بالمرة والغلو فى الدنيا حتى نترك أولادنا بالجوع ، فهذا يسمى رهبانية ، فهذا مخالف لأمر الله تَعَالَى ، وترك جهد الدين وتضييع أوامر الله تَعَالَى بسبب الرفعة للدنيا والمال هذا يسمى أنانية . ولكن الجمع بينهما عَلَى الترتيب الصحيح الذى علمنا الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هذه هى المجاهدة (الربانية) .) [6]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كذَلِكَ كان هناك الأعمال الكسبية والنَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يأمر أحدا بتركها ، فما عطلت الأسواق والأعمال ، وما أمر الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بترك الإشتغال فى الأسباب ، والجلوس فى المَسْجِد ، بل الأسواق عامرة ، وكذَلِكَ البيوت ، فالمَسْجِد عامر فى الليل والنهار ، وقد قسم الصَّحَابَة وقتهم بين البيت وبين المَسْجِد ، وكذَلِكَ نصف الليل للبيت ونصفه للمَسْجِد فهنا النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما حث عَلَى ترك الأسواق ، ولكن علم الصَّحَابَة الكِرَام كيف

[1] (53 الإسراء)
[2] (53 الإسراء)
[3] لسان الدعوة : (320)
[4] (43 الرحمن)
[5] لسان الدعوة : (334)
[6] لسان الدعوة : (355)

ينقلون صفات المَسْجِد معهم إِلَى أسواقهم ؟ فكان هناك روحانية عالية فى أسواقهم ، فلما يأت النَّاس إليهم وينظروا يتأثروا ، فأصبحت التجارة دعوة لله تعَالَى ، والبيت دعوة لله تعَالَى) [1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ ورَسُوله وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [2] ، ، ، ولو نظرنا لأمر مهم وهو أن الله تعَالَى ما قَالَ أخرجوا حب هذه الثمانية من قلوبكم ، لا لم يقل ذَلِكَ ، لماذا ؟

بسبب أمرين هامين وهما :

الأول : لأن رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحب هذه الثمانية وما كرهها ، فكان النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب فاطمة ويزورها قبل سفره ويودعها ، وكذَلِكَ عِند عودته ، وكذَلِكَ يقرع بين نسائه لينظر من يقع سهمها فتخرج معه ، والنَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يحمل الحسن والحسين ويقبلها ويضحك معهما ويداعبهما ، وكان يعامل أهله بالحسنى ، حتى أن النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى فتح مكة عفا عن عشيرته وَقَالَ : (اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ) [3] .

الثانى : أن هذه الثمانية بمراعاة أمر الله تصير دينا ، كما قَالَ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (التاجر الصادق الصدوق مع النَّبِيين والصديقين والشهداء) [4] ، كذَلِكَ قَالَ : (وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل فى فى امرأتك) [5] ، وكثير وكثير ، ولكن المقد أن نجعل الدين أمامنا ، والدنيا خلفنا تسير بسير الدين ، لكن لا نمشى فى الدين بالهوى فى هذا الأمر) [6]

---

[1] لسان الدعوة : (423)
[2] (24التوبة)
[3] (السنن الكبرى 18055 ، 18739)
[4] (معناه فى كنز العمال 9217 ، المستدرك 2143)
[5] (متفق عليه ، البخارى 6012 ، مسلم 4296)
[6] لسان الدعوة : (431)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ رَهْبَانِيَّةِ الإِسْلاَمِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ رَهْبَانِيَّةَ هَذِهِ الأُمَّةِ هِيَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى مِنْ أَجْلِ نَشْرِ الدِّينِ فِي العَالَمِ ، وَيَدْخُلُ فِيهِ تَحَمُّلُ المَشَقَّةِ فِي أَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ نُصْرَةِ الدِّينِ . فَمَنْ تَحَمَّلَ المَشَقَّةَ فِي تَعَلُّمِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ لِلهِ تَعَالَى فَهُوَ فِي جِهَادٍ ، وَمَنْ تَحَمَّلَ المَشَقَّةَ فِي السَّعْيِ عَلَى الأَرَامِلِ وَالفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَالمُعْوِزِينَ فَهُوَ فِي جِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَمَنْ تَحَمَّلَ المَشَقَّةَ وَالتَّعَبَ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ فَهُوَ فِي جِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَكُلُّ مَا سَبَقَ يَنْدَرِجُ فِي بَابِ السِّيَاحَةِ الدِّينِيَّةِ ، وَهُمْ رُهْبَانُ الإِسْلَامِ . قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) [1] .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قَالَ تَعَالَى (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) [2] ، فالذى يمتثل أوامر الله تعالَى بالمجاهدة ، يعطيه الله تعَالَى الثبات والهداية ، وأحيانا تأتى الأحوال عَلَى أهل الدعوة ، أحيانا بشكل حوادث ، وهذا التكليف القرآن سماه ابتلاء ، مثل أحد ، وجاء الإبتلاء فى غزوة الخندق ، حيث يَقُولُ الله تعَالَى : (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا ، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا) [3] ، وأحيانا تأتى التكاليف بالمشقة مثل الصلاة فى البرد ، فعِند هذه الأحوال نصبر ، وما الصبر ؟ عندما يأتى علينا التكليف فى وجود الأحوال نحن لا نترك أمر الله تعَالَى بل نثبت ، هذا هو الصبر ، السارق يتحمل المشقة ولكن هذه ليست مجاهدة ، فالإنسان يتحمل التكاليف فى امتثال أمر الله تعَالَى ، هذا صبر ، والله تَعَالَى يَقُولُ : (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) [4] ، وفى المصائب الإِنسَان لا يخالف أمر الله تعَالَى ، فعل المؤمن التكليف عَلَى قسمين :

1 – تحمل المشقة لأمر الله تَعَالَى هذه مجاهدة ،

2 – تحمل الحوادث لأمر الله تعَالَى ، هذا ابتلاء .

[1] (السنن الكبرى للبيهقى 18977)
[2] (69العنكبوت)
[3] (9 – 10 الأحزاب)
[4] (155البقرة)

فعَلَى طريق المجاهدة ، وعد الله تَعَالَى النصرة والهداية ، وعَلَى طريق الإبتلاء ، فالله وعد الهداية والرحمة)[1]

فَصْلٌ فِي ذَمِّ الرَّهْبَانِيَّةِ وَرَفضِهَا .

وَقَدْ ذَمَّ اللهُ تَعَالَى الرَّهْبَانِيَّةَ لأَنَّهَا مِنْ بَابِ التَّأَلِّي عَلَى اللهِ تَعَالَى وَالقَوْلِ عَلَيْهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَقَالَ تَعَالَى : (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ)[2] . قَالَ ابنُ القَيِّمِ : (فَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنه مِنْ حَدِيث اِبْنِ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الْعَمْيَاءِ أَنَّ سَهْلَ بْنَ أَبِي أُسَامَةَ حَدَّثَهُ " أَنَّهُ دَخَلَ هُوَ وَأَبُوهُ عَلَى أَنَس بْنِ مَالِكٍ بِالْمَدِينَةِ فِي زَمَن عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ , وَهُوَ أَمِير الْمَدِينَة , فَإِذَا هُوَ يُصَلِّي صَلَاة خَفِيفَة كَأَنَّهَا صَلَاة مُسَافِر , أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا , فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ : يَرْحَمك اللَّه , أَرَأَيْت هَذِهِ الصَّلَاة الْمَكْتُوبَة , أَمْ شَيْء تَنَفَّلُهُ ؟ قَالَ إِنَّهَا لَلْمَكْتُوبَة , وَإِنَّهَا لَصَلَاة رَسُول اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , كَانَ يَقُولُ : لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسكُمْ فَيُشْدَدْ عَلَيْكُمْ , فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسكُمْ فَشُدِّدَ عَلَيْهِمْ , فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِع وَالدِّيَار . رَهْبَانِيَّة اِبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ")[3]

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (يَقُولُ الله تَعَالَى : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ)[4] ، ويَقُولُ تَعَالَى : (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ)[5] ، وكَذَلِكَ يقول: (تُؤْمِنُونَ بِاللهِ ورَسُوله وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ)[6] فهنا (تُجَاهِدُونَ) من الجهد والجهد مشقة ، والله تَعَالَى قادر عَلَى أن ينصر المؤمنين مع الراحة والدعة ، ولكن شاء الله تَعَالَى أن يكون النصر مع الجهد والصبر ، والجهد يكون بطريقة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى المنشط والمكره والعسر واليسر ، ولو عَلَى خلاف طبيعتنا ، فإذا قمنا بالجهد عَلَى خلاف طبيعتنا فالله تَعَالَى ينصرنا خلاف الأسباب والمشاهد ، وهذا هو الذى

---

[1] لسان الدعوة : (319)
[2] (27 الحديد)
[3] (تَهْذِيبُ سُنَنِ أَبِي دَاودَ وَإِيضاحِ مُشكِلاتِهِ لابن القيم 1 / 168)
[4] (123 آل عمران)
[5] (25 التوبة)
[6] (11 الصف)

حدث لأنبياء الله تَعَالَى حيث يَقُولُ : (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)[1] ، ويَقُولُ تَعَالَى : (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)[2] ، أما تحمل المشقة بغير طريق النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذه رهبانية مرفوضة ما أقرها الله تَعَالَى)[3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ مَعنى قَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّ لِبَدَنِكَ عَليكَ حَقًّا , وَلِزَوجِكَ عَلَيْكَ حَقاً) .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ إِعْطَاءُ كُلُّ ذِى حَقِّ حَقَّهُ ، فَحَقُّ الوَلَدِ يَأْخُذُهُ وَحَقُّ المَرْأَةِ تَأْخُذُهُ وَحَقُّ الجَارِ يَأْخُذُهُ وَحَقُّ النَّفْسِ تَأْخُذُهُ وَحَقُّ الدِّينِ يَأْخُذُهُ ، فَمَنْ يُعْطِى كُل أَحَدٍ حَقَّهُ وَيَأْتِى عَلَى الدِّينِ وَيُقَصِّرُ فِيهِ فَهُوَ عَلَى شَفَا هَلَكَةٍ ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُ مَا تَرَبَيْنَا عَلَى هَذَا الفِكْرِ مِنْ إِعْطَاءِ حَقِّ الدِّينِ كَمَا نُعْطِى حُقُوقَ الآخَرِينَ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فالإنسان يراعى حقوق الزوجة ولكن حسب أوامر الله تَعَالَى ، إذ يَقُولُ : (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ)[4] ، وهناك أوامر فى القرآن حيث يَقُولُ الله تَعَالَى : (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ)[5] ، ويَقُولُ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى)[6])[7]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (عبد الله بن عمر عندما تزوج ، وفى النهار صائما وفى الليل قائما ، فقال له النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، إِنَّ لِجَسَدِكَ حَقًّا)[8] ، ولكن هذا لعبد الله فقط هو كان يتلذذ بالدعاء والبكاء ، ولكن الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ له (إن لزوجك عليك حقا) بعض الأحيان يكون الذهاب للزوجة هذا مجاهدة ، النفر

---

[1] (51 غافر)
[2] (47 الروم)
[3] لسان الدعوة : (110)
[4] (6 الطلاق)
[5] (43 البقرة)
[6] (1 الأعلَى)
[7] لسان الدعوة : (285)
[8] (البخارى 5783 ، مسلم 2787 ، السنن الكبرى 8737)

الذين كلموا السيدة عائشة عن عمل النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واحد قَالَ : أنا أصوم ولا أفطر ، والثانى قَالَ وأنا أصلى ولا أرقد ، والثالث قال: وأنا أعتزل النساء ، فقال لهم النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أنا أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) 1 ، لأن هذا الجهد للعمر كله ، فنحن نرتب حياتنا حتى نقوم عَلَى المجاهدة ، ولكن لابد من مدة نرتب فيها ونتدرب فيها ، أولا : حتى نقوم عَلَى المجاهده ، ليمتحن من فى قلبه اليَقِين عَلَى الأخرة ، ومن فى قلبه الشكر عَلَى الآخرة ، ممن استجاب لدعوة الشيطان التى أوردها الله فى قرءانه حجة عَلَى عباده ، فقال : (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي) [2] ، ثانيا : لنظل عليها إِلَى أن نلقى الله تَعَالَى ، فنستعد للبذل والجهد وإنفاق النفس والنفيس لنشر دين الله تَعَالَى فى العالم كله ، لهذا نرتب حياتنا كلها لهذا الأمر ، ونستعين بِاللهِ تَعَالَى فى ذَلِكَ ، عسى الله أن يتقبلنا) [3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ حَدِيثِ افْتِرَاقِ الأُمَّةِ وَبَيَانِ مَنْهَجِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، لِكُلٍّ مِنْهَا فِكْرٌ وَمَنْهَجٌ تُخَالِفُ فِيهِ مَنْهَجَ وَفِكْرَ خَاتَمَ النَّبِيينَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام ، إِلَّا فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ هِىَ مَا وَافَقَتْ فِى فِكْرِهَا فِكْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى العَقِيدَةِ وَالعِبَادَةِ وَالعِلْمِ وَالعَمَلِ وَالدَّعْوَةِ وَالأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ وَالمُعَامَلَاتِ وَالمُعَاشَرَاتِ وَالآدَابِ ، فَهِىَ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ وَهِىَ مَنْ سَتَدْخُلُ الجَنَّةَ إِنْ شَاءِ اللهُ تَعَالَى ، فَيَجِبُ العَوْدُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ بِفَهْمِهِمِ حَتَّى نُحْشَرَ مَعَهُمْ يومَ القِيَامَةِ وَنَكُونُ مَعَهُمْ فِى الجَنَّةِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (بحسن المعاشرة تجتمع القلوب ، وهى أحسن صفة بعد الإِيمَان ، وبقدر ما تكون حياتنا عَلَى ما تركها رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فنستحق نصرة الله تَعَالَى ، ويكون الخير والبركة مع النصرة مِنَ اللهِ تَعَالَى لنا ، مثلما كانت

[1] (إتحاف الخيرة المهرة 3073 ، صحيح بن حبان بترتيب ابن بلبان 317 ، الجامع الصغير وزياداته 2216)

[2] (22 إبراهيم)

[3] لسان الدعوة : (322)

مع الصَّحَابَة رضى الله تَعَالَى عنهم والسلف الصالح ، فلابد أن تكون مساجدنا عَلَى نهج مَسْجِد النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى أيام النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فتنزل الرحمات والبركات ، وبقدر إحيائها فى بيوتنا وأسواقنا تنتشر الهداية ، مثل الصَّحَابَة فى حياتهم الإجتماعية والفردية وغيرها)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (اليهود الأغنياء احتالوا عَلَى الأنبياء خوفا عَلَى أموالهم ودنياهم ، فكانوا فى الظاهر أبناء أنبياء – لكثرة الأنبياء فيهم بَحْثُ ولكن فى الداخل حب الدنيا متحكم فيهم ، فكم جاء لهم من البلاء ؟ وقاتلهم طالوت ، ومسخهم الله تَعَالَى قردة وخنازير ، فتفرقوا إِلَى ثنتين وسبعين فرقة ، فقد قَالَ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وستفترق أمتى إِلَى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ، قيل من هى يارَسُول الله ؟ قَالَ : الجماعة)[2].فكل من يدعوا إِلَى اللهِ تَعَالَى لابد أن يكون باطنه كظاهره ، الأعمال فى الخارج واليَقِين والخوف من الداخل ، فالله تَعَالَى ينصر العبد)[3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ أَهْلَ التَّبْلِيغ مِنَ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَنْ طَبَّقَ المَنْهَجَ آنِفِ الذِّكْرِ مِنَ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ وَالطَّائِفَةِ المَنْصُورَةِ التِى عَنَاهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَنْ رَمَاهُمْ بِغَيْرِ ذَلِكَ فعِندَ اللهِ تَعَالَى تَجْتَمِعُ الخُصُومُ وَلَا يُعَوَّلُ عَلَى كَلَامِهِ فَلَيْسَ هُوَ وَاقِفٌ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ يُصَرِّحُ لِمَنْ يُحِبُّ بِالدُّخُولِ وَيَمْنَعُ مَنْ لَايُحِبُّ مِنَ الدُّخُولِ ، فَخُذِ الرَّايَةَ وَلَا تَلْتَفِتْ وَعَلَيْكَ بِالجَادَّةِ وَأَنْتَ الجَمَاعَةَ وَلَوْ كُنْتَ وَحْدَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ التَّبْلِيغِ وَالدَّعْوَةِ جَزَاهُمُ اللهُ خَيْرَاً مِنْ أَفْضَلِ مَنْ يُطَبِّقُ هَذَا المَنْهَجَ العَمَلِيَّ فِعْلًا عَلَى أَرْضِ الوَاقِعِ وَنَحْسَبُهُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى مِنَ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ حَجرَ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ عَلَى طَائِفَتِهِ فَقَدْ غَلَطَ وَأَفْحَشَ . فَالفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ لَيْسَتْ جَمَاعَةً وَلَا حِزْبَاً بَلْ هِىَ مَنْهَجَاً . قَالَ السُّيُوطِيُّ : (قَالَ أَبُو شَامَةَ : حَيْثُ جَاءَ الأَمْرُ بِلُزُومِ الجَمَاعَةِ ، فَالمُرَادُ بِهِ لُزُومُ الحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ ، وَإِنْ كَانَ

---

[1] لسان الدعوة : (154)
[2] (صحيح ابوداود 4596 ، صحيح الترمذى 2640 ، صحيح بن حبان 6247 ، صحيح ابن ماجة 3991)
[3] لسان الدعوة : (227)

المُتَمَسِّكَ بِهِ قَلِيلَاً وَالمُخَالِفُ كَثِيراً . أَيِ الحَقُّ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ الأُوَلُ مِنْ الصَّحْبِ ، وَلَا نَظَرَ لِكَثْرَةِ أَهْلِ البَاطِلِ بَعْدَهُمْ . قَالَ البَيْهَقِيُّ : إِذَا فَسَدَتِ الجَمَاعَةُ فَعَلَيْكَ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ، وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ فَإِنَّكَ أَنْتَ الجَمَاعَةُ حِينَئِذٍ) [1] .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (يجب علينا – أيها الأحباب – أن نحفظ أنفسنا فى هذا العمل ، فلا نظن أننا أفضل النَّاس كلهم ، أو أن النَّاس كلهم فى النار إلا نحن أهل التبليغ ، فهذا خطأ وغرور من الشيطان) [2]

فَصْلٌ فِي الحَثِّ عَلَى حِكْمَةِ الدَّعْوَةِ وَاللينِ مَعَ الأَخَرِينَ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ القِيَامُ بِحَقِّ الدَّعْوَةِ الذِى افْتَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ ، وَالأَخْذ بِكُلِّ سَبِيلٍ يُسَاهِمُ فِى نَجَاحِ الدَّعْوَةِ وَنَشْرِهَا وَقَبُولِهَا ، وَمِنْ تِلْكَ الأَسْبَابِ أَنْ نُحَقِّقَ الحِكْمَةَ فِى الدَّعْوَةِ وَاللينِ مَعَ الآخَرِينَ وَخَفْضِ الجَنَاحِ لَهُمْ وَالرِّفْقِ بِهِمْ وَالصَّبْرِ عَلَيهِمْ وَعَلَى آذَاهُمْ وَالدُّعَاءِ لَهُمْ بِظَهْرِ الغَيبِ وَتَخَوُّلِهِمْ بِالمَوْعِظَةِ وَالبَشِّ فِى وُجُوهِهِمْ ، تِلْكَ هِىَ سُنَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى الدَّعْوَةِ مَعَ الآخَرِينَ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الشباب عندهم قوة العمل والشيوخ عندهم قوة الرأى ، فلو اجتمع الأمران يحدث النصرة ، كَذَلِكَ يجتمع القدماء مع الجدد عَلَى قلب رجل واحد فى الدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى ، فالجدد عندهم الحماس ، والقدماء عندهم الفكر والحكمة) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كَذَلِكَ فى حديث النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع حصين والد عمران رَضِىَ اللهُ عَنهُمَا (.... إن قريشا جاءت إِلَى حصين – وكانت تعظمه – فقالوا له : كلم لنا هذا الرجل ، فإنه يذكر آلهتنا ويسبهم ، فجاءوا معه حتى جلسوا قريبا من باب النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أوسعوا للشيخ ، - وعمران وأصحابه متوافرون – فقال حصين : ما هذا الذى بلغنا عنك ، أنك تشتم آلهتنا وتذكرهم ، وقد كان أبوك حصينة وخيرا ؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

[1] (الجامع الصغير من حديث البشير النذير للسيوطى 4672)
[2] لسان الدعوة : (298)
[3] لسان الدعوة : (109)

: ياحصين كم تعبد من إله ؟ قَالَ : سبعا فى الأرض وواحدا فى السماء ، قال : فإذا أصابك الضر فمن تدعو ؟ قَالَ : الذى فى السماء ، قَالَ : فإذا هلك المال فمن تدعوا ؟ قَالَ : الذى فى السماء ، قَالَ : فيستجيب لك وحده وتشركهم معه ، أرضيته فى الشكر أم تخاف أن يغلب عليك ؟ قَالَ : لا ولا واحدة من هاتين ، قَالَ : ياحصين أسلم تسلم ، قَالَ : إن لى قوما وعشيرة فماذا أقول ؟ قَالَ : قل اللهم أستهديك لأرشد أمرى ، وزدنى علما ينفعنى)[1] ، فقالها حصين فلم يقم حتى أسلم)[2]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (رجل موظف من الوجهاء فى الحكومة يلعب الكرة وهو مشهور ، وكان داعيا وذهب إِلَى بعض القرى لزيارة بعض المحبين المعجبين ، وبينما هو يمشى وجد أولادا يلعبون كرة ، فقال فى نفسه : أنا عندى الآن نصف ساعة فكيف أدعوهم إِلَى اللهِ ؟ فأخذ يلعب معهم قليلا ثم بعد ذَلِكَ تكلم معهم كلام الدعوة ، فتأثروا ، واستجابوا وذهبوا معه إِلَى المَسْجِد)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لا نذكر أحدا بسوء وهكذا قَالَ الله تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا)[4] ، فهنا لا نظن بالشخص السؤ ونقول هذا يسافر للخارج مع أن مكسبه قليل من أين يأتى بالمال ؟ هنا ندخل إِلَى التجسس ثم نغتابه فى غيابه ، فهنا لا ننظر لشىء من هذا بل ننشغل بأنفسنا ونحاسبها ونهذبها ونعاتبها ، ولو كلمنى أحد عن أخيه فأذكره بقوله تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ) ، فنترك هذه الصفات السيئة فهذا يعمل عَلَى جمع القلوب بين الدعاة ، ثم بين المُسْلِمِين عامة فيما بعد ، ولكن لو أنا أبصرت أمرا فهنا لا أذهب مباشرة إِلَى الشخص وأكلمه إلا لو كان بيننا وبينه محبة ورابطة ، ويكون الكلام خفية ليس أمام النَّاس ، ثم ألاطفه فى الكلام ليفهم ، وإِذا لم يكن بيننا علاقة فهنا نخبر رجلا بينه وبينه محبة وعلاقة ونظن به الخير والصلاح عَلَى أن يفهمه ويشرح له سرا بينهما ، ولا نتكلم بهذا فى بيان عام عَلَى سبيل ما بال أقوام لأن النَّاس قد تفهم وتكون مشكلة ، كَذَلِكَ لا نعرض هذا الأمر فى الشورى

---

[1] (عزاه فى الأصل (بن خزيمة) ولم أقف عليه فيه ومعناه فى روضة المحدثين لابن حجر 4411)

[2] لسان الدعوة : (213)

[3] لسان الدعوة : (390)

[4] (12 الحجرات)

حتى لا تكون فتنة ، مثال رجل يرتدى كرافتة وسط الأحباب فهنا دخل رجل فقال : ما بال أناس يرتدون مثل ذيل الكلب ، هنا الجميع نظر إِلَى ذَلِكَ الرجل فهذا ليس (ما بال أقوام) ولكنه (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) [1] ، والله تَعَالَى ينهى عن هذا فيقُولُ : (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) [2] ، لكن لو رأينا أمرا فيه مخالفة صريحة فى الدين فهنا علينا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) [3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ مَعنَى قَولِهِ تعَالَى (إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْت) .

وَاعْلَمْ أَنَّ الهِدَايَةَ بِيَدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَمْلِكُ هَذَا الحَقَّ أَحَدٌ إِلاَّ هُوَ ، فَهُوَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ بِفَضْلِهِ وَيُضِلُّ مَن يَشَاءُ بِعَدْلِهِ ، وَنَحْنُ أَحْوَجُ إِلَى فَضْلِهِ مِنْ عَدْلِهِ ، فَمَا عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ نُنَفِذَّ الأَمْرَ بِحُسْنِ ثِقَةٍ بِاللهِ تَعَالَى وَحُسْنِ ظَنٍّ بِهِ وَعَلَيهِ الهِدَايَة ، فَتَرَى أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمِّهِ أَبِى طَالِبٍ لَمْ يُسْلِمْ مَعَ حُبِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ وَتَمَنِّيهِ إِسْلَامَهُ ! وعَلَى النَّقِيضِ مِنْ ذَلِكَ بَغِيضُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ وَحْشِيُّ بنُ حَرْبٍ قَاتِلُ عَمِّهِ حَمْزَةُ أَسَدُ اللهِ تَعَالَى وَأَسَدُ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمُنُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِالهِدَايَةِ وَالإِسْلَامِ ! فَلَيْستِ الهِدَايَةُ فِى يَدِ مَخْلُوقٍ أَبَداً ، وَالهِدَايَةُ نَوْعَانِ هِدَايَةُ دَلَالَةٍ عَلَى الخَيْرِ وَهِىَ لِلهِ تَعَالَى وَلِكُلِّ الخَلْقِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ وَهِدَايَةُ عَفْوٍ وَغُفْرَانٍ وَهِىَ خَالِصَةٌ للهِ تعَالَى لَا يُنَازِعُهُ فِيهَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نحن حينما نريد أن نزرع نضع النوى فى الأرض ، والله تَعَالَى يخرج آلاف الشجر ، وفى تلك الفترة نحن لا نرى الثمرة ولكن نجتهد عَلَى الزرع حتى يثمر ، كذَلِكَ نحن نجتهد ومع ذَلِكَ لا نرى الثمرة ، فما علينا إلا الإجتهاد والثمرة عَلَى

[1] (الهمزة 1)
[2] (الحجرات 11)
[3] لسان الدعوة : (433)

الله تَعَالَى ، كذَلِكَ الله تَعَالَى يجزينا عَلَى العمل لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا)[1] ، فاللهُ سُبحَانَهُ يسمعنا ويرانا وينصرنا)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (وعِند جهد الدعوة البعض يستجيب والبعض لا يستجيب ، مثل بنى إسرائيل ، وإذا أبطأ النَّاس فى الإستجابة فلا نيئس ونترك الدعوة ، فالذى فى قلبه أن الفاعل الحقيقى هو الله تَعَالَى فلا ييئس للنتائج لأن عليه الجهد ، ويستمر فيه محتسبا ، ويكون عنده إنكار الذات ، ولذا عَلَى الداعى دائما أن يعمل عَلَى زيادة إيمانه بالدعوة لاإنفرادية وبمذاكرة كلام الإِيمَان مع غيره ، ويراقب قلبه باستمرار فلا يسمع ولا يرى من المشاهدات والمسموعات إلا ما يوافق الإِيمَان)[3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَخْلاَقِ وَصِفَاتِ الدَّاعِي .

وَلِلدَّاعِى صِفَاتٌ يَجِبُ أَن يَتَحَلَّى بِهَا حَتَّى تَكُونَ دَعْوَتُهُ أَدْعَى لِلقَبُولِ ، وَمِنْهَا الإِخْلَاصِ للهِ تَعَالَى وَالأَخْذِ بِالأَسْبَابِ وَالصِّفَاتِ الطَّيِّبَةِ مِنَ الحِلْمِ وَالأَنَاةِ وَالرِّفْقِ وَاللينِ وَالرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ وَالحُرْقَةِ وَالتَوَاضُعِ وَالبَسَاطَةِ وَالسَّخَاءِ وَالكَرَمِ وَالهِمَّةِ العَالِيَةِ وَالعَمَلِ الدَّؤُوبِ وَتَرْبِيَةِ النَّفسِ وَالزُّهْدِ فِيمَا فِى أَيْدِى النَّاسِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (مرة جاء رجل إِلَى مركز نظام الدين بدلهى وَقَالَ للشيخ يوسف : لابد أن تعد أشخاصا معينة ، حتى يسافروا بهذا الجهد إِلَى أطراف الهند البعيدة ، ويكون كل منهم عَلَى صفات من العلم الذى تبين فيه . فقال له الشيخ مُحَمَّد يوسف : يأخى ! هذا الجهد ليس لنعد أشخاصا ، بل جهدنا لنأتى بالحرقة والهم فى الأشخاص ، وإذا لم يكن فى هذا الجهد الحرقة يكون جهدا بغير روح ، فنحن لا نعد أشخاصا ، بل نعد الحرقة والجهد والتضحية والبذل للدين)[4]

---

[1] (30 الكهف)
[2] لسان الدعوة : (224)
[3] لسان الدعوة : (397)
[4] لسان الدعوة : (98)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (يخبر ربنا تبارك وتَعَالى : (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا)[1] ، ونحن إذا نتحرك كما تحرك الصَّحَابَة الكِرَام لابد أن نتحرك بشروط وهى :

- باليَقِين عَلَى الله عزوجل ،
- والعبادة عَلَى النهج الصحيح ، نهج النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
- المعاشرات والمعاملات النبوية ،
- مع الأخلاق العالية والصفات الحسنة .

فالله عز وجل أيدهم ونصرهم ، ونشر الدين عَلَى أيديهم فى أثناء حياة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد وفاته)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فى هذا العالم تظهر قوة لأهل الإيمَان ، وقوة لأهل الكفر ، وبالنظرة الدقيقة نرى أن : القوة الظاهرة للكفار هى : مال – سلطان – نساء ، وهى التى عرضوها عَلَى النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها قوة ظاهرة مؤثرة من زجهة نظرهم ، ولكن الداعى عنده : قيام ، بكاء ، دعاء ، دعوة ، الله تَعَالَى ينصرهم بها)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الداعى إِلَى اللهِ تَعَالَى هو من يعرف المخلوق بخالقه ، من خلال النعم والمنح التى وهبها الله تَعَالَى لخلقه ، فيحب النَّاس ربهم ويرتبطون ويطيعون أوامره لينالوا جنته)[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الداعى الحقيقى فى هذا الزمان ، لابد فيه من صفات وأخلاق واستعدادات ، أهم هذه الأمور التى لابد أن تتوافر فى الداعى ، وباختصار شديد يحتاج إِلَى شرح كبير :

---

[1] (51 غافر)
[2] لسان الدعوة : (153)
[3] لسان الدعوة : (168)
[4] لسان الدعوة : (217)

1 – القيام فورا عِند مطالبته ، مثل : ذهاب موسى عليه السلام فورا إِلَى فرعون بعد أن أمره الله تَعَالَى بقوله : (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ أَنَّهُ طَغَى)[1] ، ومثل ذَلِكَ عِند النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن أمره الله تَعَالَى فى قوله سبحانه : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)[2] ، فجمعهم النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتكلم معهم ،

2 – لا ينظر لغير نفسه بعد المطالبة : أى لا يرمى الحمل والتكاليف عَلَى غيره ، فقد ذهب موسى عليه السلام إِلَى فرعون ، مع علم سيدنا موسى عليه السلام أن فرعون يريد قتله جزاء قتله لرجل من قبل ، فذهب إليه وَقَالَ : (إِنِّي رَسُول رَبِّ الْعَالَمِينَ)[3] ،

وكذَلِكَ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الله تَعَالَى كلفه وَقَالَ سبحانه له : (لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ)[4] ، فدعا النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قومه وذهب إليهم فى أسواقهم .

3 – لا ينظر لغير أهله بعد المطالبة ، فهنا سيدنا موسى عليه السلام ترك أهله فى البرد والصحراء ، الله تَعَالَى أخبرنا فى قرآنه لما ذهب موسى عليه السلام لينظر إِلَى نار يستدفىء بها ، لم نعرف ماذا حدث لأهله ، لأن أهله مثله يحتملون المشاق .

كذَلِكَ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هاجر وحده مع أبى بكر رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، وترك البيت وليس عِند أبى بكر مال ولا طعام .

4 – لا ينظر لغير ماله بعد المطالبة : فموسى عليه السلام ترك غنمه وذهب لأمر الله تَعَالَى ،

كذَلِكَ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت ناقته للسفر من ماله .

---

[1] (17 النازعات)
[2] (214 الشعراء)
[3] (46 الزخرف)
[4] (84 النساء)

5 – لا يسأل النَّاس شيئا بعد المطالبة بالإيمَان : فهنا موسى عليه السلام سأل الله تَعَالَى : (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي)[1] ، كذَلِكَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يسأل النَّاس شيئا ، شهد له الله تَعَالَى بذَلِكَ فقال سبحانه : (وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ)[2] .)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نحن مكلفون أن نقوم بالدعوة بقدر الاستطاعة ، ولا نغضب عَلَى النَّاس ولا ندعوا عليهم ، ونتحمل المشقة والمجاهدة)[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نحن لا نخالف النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكيف كان فكره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام ؟ كيف فكره أن كل أمته تدخل فى رحمة الله ؟ مع أَنَّهُ تحمل الفاقة بالشهر والشهرين ما كان الطعام فى بيته ، فالإنسان بقدر فكره يكون الدعاء ، وبقدر جهده يكون فكره ، فعلينا أن نجتهد حتى يكون فكر الدين أقوى من أى فكر)[5]

وقال أيضا { كيف كان النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دائم الفكر متواصل الأحزان ؟[6] فالمطلوب من كل داع أن تكون فيه هذه الصفات ، يبكى عَلَى أحوال المُسْلِمِين ، فمن كان فكره هكذا ، هو لا يتوجه إِلَى الدنيا وعمارتها ، بل يقضى حاجاته بالسرعة ويتوجه إِلَى ربه)[7]

---

[1] (25 طه)
[2] (104 يوسف)
[3] لسان الدعوة : (238 – 239 – 240)
[4] لسان الدعوة : (328)
[5] لسان الدعوة : (342)
[6] (المعجم الكبير 414 ، إتحاف الخيرة المهرة 6322)
[7] لسان الدعوة : (342)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كيف كان النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دائم الفكر متواصل الأحزان ؟ فالمطلوب من كل داع أن تكون فيه هذه الصفات ، يبكى عَلَى أحوال المُسْلِمِين ، فمن كان فكره هكذا ، هو لا يتوجه إِلَى الدنيا وعمارتها ، بل يقضى حاجاته بالسرعة ، ويتوجه إِلَى ربه)[1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ التَّمْحِيص سُنَّةُ اللهِ تَعَالَى مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَذِكْرِ الحِكْمَةِ مِن ذَلِكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ التَمْحِيصَ لِلمُؤْمِنِينَ سُنَّةُ اللهِ تَعَالَى فِى خَلْقِهِ ، وَذَلِكَ لِلإِخْتِبَارِ وَالإِمْتِحَانِ وَلِيَتَبَيَّنَ الصَّادِقُ مِنَ الكَاذِبِ وَلِيَرْفَعَ دَرَجَاتِهِمْ وَيُعَلِى مَرَاتِبَهُمْ وَيُثَبِّتَ قُلُوبَهُمْ وَيَتَّخِذَ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ ، قَالَ تَعَالَى : (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا)[2] وَقَالَ تَعَالَى : (وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ)[3] وَقَالَ تَعَالَى : (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)[4] .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد من المصفاة أو الفلتر لإذهاب هذا الغبار فيَقُولُ تَعَالَى : (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا)[5] ، ولكن هذه التصفية وهذا التمحيص جاء عَلَى الصَّحَابَة الذين يريدون الآخرة (وَمِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ)[6] ، فلماذا جاء عليهم هذا الابتلاء ؟ جاء عليهم هذا الابتلاء وهذا التمحيص للذين يريدون الآخرة لكى ترتفع درجاتهم عِند الله تَعَالَى ، وتقوى علاقتهم بِاللهِ تَعَالَى ، ويتحصلون عَلَى رضاه عِند الصبر ، ويظل رجاؤهم فى الله تَعَالَى حيث يَقُولُ تَعَالَى : (إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ)[7] ، فالألم والشدة عَلَى المؤمنين والكافرين ، ولكن رجاء الله تَعَالَى عِند

---

[1] لسان الدعوة : (343)
[2] (141 آل عمران)
[3] (140 آل عمران)
[4] (2- 3 العنكبوت)
[5] (141 آل عمران)
[6] (152 آل عمران)
[7] (104 النساء)

المؤمنين وظنهم الحسن ، فالله تعَالَى يَقُولُ فى حديثه القدسى : (أَنَا عِند ظَنِّ عَبْدِي بِي)[1] ثم شىء آخر وهو أن الله تعَالَى أراد أن يرزق الشهادة لبعض من الصَّحابَة ، فقَالَ تعَالَى قبل آيات غزوة أحد فى سورة آل عمران : (وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ)[2] .

أمر آخر وهو أن الله تعَالَى يمهل أهل الباطل قليلا من الوقت ، ثم هم يستحقون بأهل الحق ، وهذا حدث مع جميع الأنبياء مع أممهم ، فالله تعَالَى يَقُولُ : (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[3] ، فهنا أهل الباطل يقولون : أين العلوا هنا ؟ ففرعون قَالَ : (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)[4] ، وقوم عاد قالوا : (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً)[5] .)[6]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ التَّرتِيبِ الصَّحِيحِ لِلدَّعْوَةِ ، وَاسْتِحبَابِ الكَلَامِ عَن عَظَمَةِ اللهِ تَعَالَى .

وَمِنَ الوَاجِبِ عَلَي الدَّاعِى أَنْ يَسِيرَ عَلَى النَّهْجِ الرَّبَّانِى فِى الدَّعْوَةِ وَيَبْدَأَ بِتَرْبِيَةِ المَدْعُوِّيِن تَرْبِيَةً إِيمَانِيَّةً بِكَثْرَةِ الكَلَامِ عَنِ اللهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ حَتَّى يَعْظُمَ قَدْرُهُ فِى قُلُوبِهِمْ فَإِذَا مَا جَاءَهُمْ أَمْرُهُ عَظَّمُوهُ ، أَمَّا بِخِلَافِ ذَلِكَ فَلَنْ يَعظُمَ اللهُ تَعَالَى فَى القُلُوبِ وَلَن تَجِدَ تَعْظِيماً لِلأَوَامِرِ كَمَا هُوَ الحَالُ فِى وَاقِعِنَا المُعَاصِرِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (يا أحباب ما هو ترتيب الدعوة ؟ كان الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن بعثه الله تعَالَى نبيا رزقه الوحى ، بعد أن رزقه النُّبُوَّة أصبح حاله (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ، وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ، وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ)[7] ، فأول الأمر للرَسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أن يكبر اللهُ سُبْحَانَهُ وَتعَالَى فى قلبه حتى

---

[1] (البخارى 6970 ، مسلم 2675)
[2] (140 آل عمران)
[3] (139 آل عمران)
[4] (24 النازعات)
[5] (15 فصلت)
[6] لسان الدعوة : (203)
[7] (1 – 7 المدثر)

ترسخ وتكبر عظمة الله تَعَالَى في قلوب النَّاس ، لأنها إذا رسخت وكبرت فى القلب ، فبعد ذَلِكَ يسهل عَلَى الإِنسَان الامتثال لأوامر الله تَعَالَى ، لأن هذا الاهتمام بعظمة الأمر تعطر عظمة صاحب الكلام وتعطى عظمة الكلام ،

إذا كان خادم الجامع يطلب من واحد طلبا فإنه لا ينفذه لأنه ليس فى قلبه عظمة الخالق ، ولكن إذا طلب رئيسه أمرا أسرع فى تنفيذ هذا الأمر لأنه فى قلبه عظمة التنفيذ للأمر ، والآن فى قلوب النَّاس ليس عظمة اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولكن عظمة رئيس الدولة ، فلذَلِكَ هو يخاف من تكسير عظمة الرئيس ، رئيسه فى العمل ، فى القرية ، ولذَلِكَ هو يعصى الله تَعَالَى وهو مرتاح ، لأن فى قلبه أَنَّهُ إذا خالف عظمة الرئيس فسوف يدخل السجن ، فلذَلِكَ هو يخاف من مخالفة قانون الرئيس ، لذَلِكَ أول شيء علينا هو أن نبين عظمة اللهِ تَعَالَى ونقدر اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، ونبين عظمة اللهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى لكل المخلوقات ، فنقول : الله أكبر ، والسماء صغيرة ، والله أكبر والجبال صغيرة ، والله أكبر وكل الملوك وكل الوزراء صغار ، الله أكبر من كل مخلوق ، والله أكبر من تصورنا ، إذن نحن نكبر اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، هنا يسهل علينا امتثال أمر الله تَعَالَى) [1]

فَصْلٌ فِي مُرَاعَاةِ أَحْوَالِ المَدْعُوِّينَ .

وَيَجِبُ أَن يُرَاعِىَ الدَّاعِى أَحْوَالَ المَدْعُوِّينَ مِنْ عِلْمٍ وَجَهْلٍ وَقُرْبُ عَهْدٍ بِالإِسْلَامِ وَأُمِّيينَ وَمُتَكَبِّرِيينَ وَمُحِبِّينَ وَنَافِرِينَ وَمُقْبِلِينَ وَأَنْ يَتَخَوَّلَهُمْ بِالمَوْعِظَةِ وَأَنِ يُحَدِّثَهُمْ بِمَا يَفْهَمُونَ حَتَّى لَا يُكَذَّبَ اللهَ وَرَسُولَهُ . وَذَلِكَ أَدْعَى لِقَبُولِ الدَّعْوَةِ . قَالَ عَلِيٌّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : (كَلِّمُوا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ) [2] وَقَالَ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمَاً بِحَدِيثٍ لَمْ تَبْلُغْهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً) [3] وَقَالَ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهَ وَرَسُولَهُ) [4] .

[1] لسان الدعوة : (413)
[2] (موسوعة الألبانى فى العقيدة 3/ 789 وعزاه للبخارى موقوفا عَلَى عَلِى رَضِىَ اللهُ عَنْهُ)
[3] (جامع بيان العلم وفضله 1/ 267)
[4] (جامع بيان العلم وفضله 1/ 268)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد من كلام النَّاس عَلَى قدر عقولهم بالدعوة ، وهى أخلاق وإنفاق ، وبعد الجهد تخرج لآلىء غير معروفه قبل جهد الدعوة)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (القدماء لابد أن يتفكروا فى مقتضيات الدعوة فى كل بلد فى العالم ،

وكذَلِكَ صلاحيات الدعوة فى كل زمان ومكان ، ومن يستطيع أن يقوم بالدعوة فى هذا المكان ؟ كذَلِكَ تتفكرون ما هى مقتضيات الدعوة فى بيوتكم ؟ فالأولاد منهم من يحب اللعب ، ومنهم من يحب القراءة ، ومنهم من يفك الآلات ، فلابد أن نستثمر هذه الطاقات ونوجهها ، كذَلِكَ ننظر ما هو الشيىء الناقص من الدين ؟ فنجتهد كيف نكمله باللين والرحمة ، وحينما نقوم بالدعوة الله تَعَالَى يأتى لنا بالأمن)[2]

فَصْلٌ فِى التَّدَرُجِ فِى الدَّعوَةِ .

وَالتَّدَرُّجُ فِى الدَّعْوَةِ أَوْ فِى تَعْلِيمِ العِلْمِ سُنَّةٌ نَبَوِيَّةٌ عَظِيمَةٌ ، فَمَا يَأْتِى دُفْعَةً يَذْهَبُ دُفْعَةً ، وَلِذَلِكَ قَالَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (يَابُنَىَّ إِنِّى لَا أُرِيدُ أَنْ أَحْمِلَ النَّاسِ عَلَى الدِّينِ جُمْلَةً فَيَتْرُكُوهُ جُمْلَةً - أَوْ كَمَا قَالَ رَحِمَهُ اللهُ -) . وَمَن يُرِيدُ أَنْ يَحْمِلَ النَّاسِ عَلَى الدِّينِ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِى حَقِيقَةِ أَمْرِهِ كَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ بِلِسَانِ حَالِهِ لَا تُصَدِّقُونِى وَلَا تَتَّبِعُونِى وَلَا تَقْبَلُوا هَذَا الأَمْرَ ! وَإِنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ صَادِقَةٌ فَقَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ . وَخَالَفَ سَيِّدَ النَّبِيينَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ووائل بن حجر كان من أبناء الملوك فأكرمه الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكره بخير عَلَى منبره ، وأمر معاوية رَضِىَ اللهُ عَنْهُ أن يكرمه ، فذهب به إِلَى بيته ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أنزلوا النَّاس منازلهم)[3] ، فى أول

---

[1] لسان الدعوة : (190)

[2] لسان الدعوة : (261)

[3] (ضعيف أبى داود 4842)

أمر الدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى لا نشق عَلَى النَّاس ، حتى لا يسأموا ويملوا ، لأن النَّاس ألفوا المعاصى فصعب عليهم أمر الدين ، ولذَلِكَ نصرانى أسلم فى رمضان ، فقال له بعض النَّاس : عليك صلوات ، وتراويح وصيام ، وقيام ليل وأذكار وقرآن ، فقال : إن كان هذا هو الإسلام فأنا لا أستطيع فارتد ، ولكن لو جاءوا معه بالتدريج لثبت بإذن الله تَعَالَى ، وهذا الشخص كان فى سفر وله الخيار فى الإفطار بدل أن يضغطوا عليه .

كذَلِكَ رجل آخر مدمن خمر خرج مع الجماعة ، فقال : لا أستطيع ترك الخمر ، فقالوا له : لا بأس ، فلما تأثر بأحوالهم بكى لله ودعاه وترك الخمر ، وبنفسه كسر الزجاجة ، فهذه حكمة بالتدريج حتى يفهم ، وقد أخبرنا الله تَعَالَى بهذا فى قرآنه فقال سبحانه : ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ [1] ، وبالأخص أن بلادنا ، بلاد العجم ، والفتن فيها كثيرة والنَّاس عوام ولا يفهمون ، فلا بأس فى مثل هذه الأمور) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لو نحن نريد أن نخرج من الهوى نختار طريق المجاهدة أم الهوى ؟ لو نحن نريد أن نخرج من الهوى نختار طريق المجاهدة ، وطريق المجاهدة هو أن نخرج أولا مرة نتدرب بها عَلَى أمر اللهِ تَعَالَى ونتحمل فيها المشاق ، لعل الله تَعَالَى ينظر لضعفنا فيتقبلنا) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كل شىء فى هذا الكون بالتدريج منذ خلق الله تَعَالَى الكون إِلَى يوم القيامة) [4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (والسير فى هذا الدين بالتدريج والتمرين والصبر) [5]

---

[1] (94 النساء)
[2] لسان الدعوة : (144)
[3] لسان الدعوة : (311)
[4] لسان الدعوة : (402)
[5] لسان الدعوة : (403)

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله تَعَالَى رحيم بعباده ، فعندما يكبت الإنسَان شهواته ، ويتدرج إِلَى طاعة اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، الله تَعَالَى يقبله)[1]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (هذه الدعوة الإسلامية عَلَى رأس كل مكلف من أمة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكن حتى يتحمل الإِنسَان هذا الجهد فلابد من التربية والتدرج ، ولابد من التعاهد والملاحظة ، حتى تأتى الثمرة ، .... فهذه شجرة الدين ، ولكنها لا تنبت فى يوم واحد ، ولكن بهدوء وروية حتى تأتى ثمارها)[2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ شَىءٍ مِن مَعْنَى قَولِهِ تَعَالَى (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ دَعْوَةُ النَّاسِ أَجْمَعِينَ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَأَوْجَبَ مِنْهُ دَعْوَةُ الأَقْرَبِينَ مِنَ الأَهْلِ وَالجِيرَانِ ، فَمِنْ وَاجِبِ الإِنسَانِ تِجَاهَهُمْ أَنْ يَتَخَوَّلَهُمْ بِالنَّصِيحَةِ وَالسُّؤَالِ ، وَأَنْ يَتَفَكَّرَ لِهِدَايَتِهِمْ حَتَّى يَكُونُوا دُعَاةً إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي العَالَمِ كُلِّهِ . فَإِن لَمْ يَقُومُوا عَلَى الأَمْرِ كُلِّهِ فَبِأَقَلِّ القَلِيلِ يَبْلُغُوا أَدْنَى دَرَجَاتِ الالتِزَامِ وَالاسْتِقَامَةِ ، بِأَن يُحَقِّقُوا تَوْحِيدَ اللهِ تَعَالَى وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (يوم المشورة نأخذ الطلبات حتى نتجول طوال الأسبوع ، نرجع من المشورة بفكر ألا يبقى بيت قريب من المَسْجِد إلا وهو قائم بحلقة التعليم ، كل ما فيه يحافظون عَلَى الصلاة وذكر الله ، ونجلس نتفكر فى العالم ، وكذَلِكَ فى البيت نجلس مع الزوجة لحلقة التعليم ويكون فكرنا العالم ، فتأتى يوم الشورى بهذا الفكر ، نأخذ الطلبات حتى ما يكون عندنا فكر آخر ، وما نجد وقتا للجلوس مع الزوجة والأولاد ، فإذا نحن رجعنا بهذا الفكر ، ونياتنا العالم ، الله تَعَالَى يعطى الهداية للعالم . ولا ننسى جيراننا ، نعرف ميعاد رجوعهم من أعمالهم ، ووقت إجازاتهم ، لنزور الجميع ونحضرهم إِلَى المَسْجِد ، فكل السكان حول المَسْجِد هم المقاميون لهذا المَسْجِد ، نجتهد ولا نمل أو نكل حتى يرزقنا الله تَعَالَى الهداية)[3]

---

[1] لسان الدعوة : (439)
[2] لسان الدعوة : (441)
[3] لسان الدعوة : (351)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ الاهْتِمَامِ بِكُلِّ طَوَائِفِ الْمُجْتَمَعِ فِى الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى .

وَيَجِبُ دَعْوَةُ كُلُّ إِنْسَانٍ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، فَالدَّعْوَةُ لَيْسَتْ لِلكَافِرِينَ فَقَطْ ! وَلَيْسَتْ لِلمُسْلِمِينَ فَقَطْ ! بَلْ هِىَ لِلمُسْلِمِينَ وَلِلكَافِرِينَ ، وَلِلصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ وَالْمُوَالِى وَالْمُعَادِى وَالرَّاغِبِ وَغَيْرِ الرَّاغِبِ ، فَيَجِبُ الأَخْذُ بِكُلِّ الأَسْبَابِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَى الاسْتِفَادَةِ مِنْ كُلِّ طَاقَاتِ الْمُجْتَمَعِ ، وَمَا أَجْمَلَهَا إِذَا تَعَاوَنَ فِيهَا الشَّبَابُ مَعَ الشُّيُوخِ .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (الدعوة لابد فى جميع مرافق الحياة ، حتى نقيم الشباب وزملاءهم وغيرهم ، وكذَلِكَ التجار وباقى فئات الشعب)[1]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (الشباب عندهم حماس والشيوخ عندهم الهدوء والتجربة ، فلابد عَلَى الجماعة[2] أن تكون من الشباب ومن الشيوخ)[3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ الدَّعْوَةَ مَسْئُولِيَّةُ كُلِّ فَرْدٍ فِى الأُمَّةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الدَّعْوَةَ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ هَذِهِ الأُمَّةِ بِقَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِ ، فَكُلٌّ مِنَّا مَسْئُولٌ أَمَامَ اللهِ تَعَالَى عَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ ، فَقَدْ حَمَّلَ اللهُ تَعَالَى الْمَسْئُولِيَّةَ لِهَذِهِ الأُمَّةِ إِجْمَالاً فَقَالَ : (تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)[4] وَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ طَرِيقُ الْمُرْسَلِينَ : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)[5] وَمَدَحَ مَنْ قَامَ بِذَلِكَ فَقَالَ : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[6] وحَذَّرَ مَنْ قَصَّرَ فِى ذَلِكَ فَقَالَ : (كَانُوا لَا

---

[1] لسان الدعوة : (190)

[2] أى المجموعة الخارجة فى القافلة الدعوية ، وهذا لفظ دارج بين أهل الدعوة يقولون عن تلك المجموعة جماعة ، ولا يعنون بها جماعة كجماعة الإخوان مثلا ، وهذا أمر واضح متفق عليه عندهم ، بخلاف ما اشتهر عنهم بغرض التشهير بهم وذمهم ، والعياذ بِاللهِ ، نسأل الله السلامة .

[3] لسان الدعوة : (302)

[4] (110 آل عمران)

[5] (108 يوسف)

[6] (33 فصلت)

يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)[1] وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)[2]. وَفِى ذَلِكَ الحَدِيثِ تَكْلِيفٌ وَتَشْرِيفٌ وَتَخْفِيفٌ فَكَلَّفَ الأُمَّةَ بِالدَّعْوَةِ وَشَرَّفَهَا بِنِيَابَةِ النُّبُوَّةِ وَخَفَّفَ عَنْهَا بِأَنْ تَدْعُوا بِمَا تَسْتَطِيعُ وَلَوْ بِآيَةٍ وَاحِدَةٍ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله عز وجل لتزكية الروح بعث الرسل ، وجاءت الرسل وأمرت الإِنسَان بأوامر فيها تزكية الإِنسَان ورفعته ، فاجتهدوا عَلَى أقوامهم وساروا إليهم ودعوهم إِلَى اللهِ تَعَالَى ، وفى منهج الأنبياء تزكية النفس ، ولما مات آخر نبى وهو سيدنا مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلابد أن يقوم من بعده من يدعو النَّاس إِلَى اللهِ عز وجل ، فالأمر هنا مسئولية قيام الدعوة لتزكية الروح ، قَالَ تَعَالَى : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[3])[4]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (وجهدنا بقدر المستطاع ، وما كلفنا الله تَعَالَى إلا بقدر وسعنا ، ولو لم يكن فى وسعنا ما كلفنا الله تَعَالَى به ، لأن الآية عامة ، يقُولُ تَعَالَى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)[5] ، فهنا الآية عامة (وَمَنِ اتَّبَعَنِي) رجل وامرأة ، صغير أو كبير ، وفقير أو غنى ، عالم أو جاهل ، الكل يكون تابعا للنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلابد أن نجعل جهد إحياء الدين ، جهد النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نصب أعيننا ، ونرصد له أوقاتنا ونفقاتنا)[6]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله تَعَالَى حمل هذه الأمة مسئولية الدعوة ، فكل من آمن مع النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حمله النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمانة ومسئولية الدعوة)[7]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (أخبر الله تَعَالَى أَنَّهُ اشترانا ، ونحن بعنا لربنا مقابل الجَنَّة ، ثم حمل مسئولية هذا العمل مع النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه الأمة ، فقَالَ تَعَالَى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا

---

[1] (79 المائدة)
[2] (البخارى 3274 , الترمذى 2669)
[3] (33 فصلت)
[4] لسان الدعوة : (175)
[5] (108 يوسف)
[6] لسان الدعوة : (191)
[7] لسان الدعوة : (224)

أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[1] ، فلو قمنا بهذا العمل الله تَعَالَى ينفذ موعوده لأننا قمنا عَلَى مقصدنا ، لأننا أمة مكلفة بهذا الجهد ، فتكون نصرة الله تَعَالَى معنا)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جعلنا من آخر الأمم وحملنا مسئولية حمل أمانة هذا الدين ، فكما كان صحابة النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجالا ، فيجب علينا أن نكون مثلهم فنحمل الدين ، ونتحمل امانته وتبعاته ، فقد يصبنا قوله سبحانه : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ)[3] ، فلعلنا نكون ممن ينتظر ، لذَلِكَ لابد أن ندعوا إِلَى اللهِ بصدق دون تردد)[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (جميع النَّاس عباد الله تَعَالَى ، جمع الأنبياء مبعوثون من قبل الله تَعَالَى ، نحن مبعوثون مِنَ اللهِ تَعَالَى لإقامة النَّاس عَلَى الدين نيابة عن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمر أمة الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرا عظيما ، إذا حافظوا عليه تكون البيئة طيبة والحياة حسنة ، وهو الدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى ، لأنه لا نبى بعد الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إذا قمنا عَلَى الدعوة تأتى البيئة الطيبة ، ويأتى اليَقِين عَلَى الغيبيات)[6]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نحن مكلفون أن نقوم بالدعوة بقدر الاستطاعة ، ولا نغضب عَلَى النَّاس ولا ندعوا عليهم ، ونتحمل المشقة والمجاهدة)[7]

---

[1] (108 يوسف)
[2] لسان الدعوة : (229)
3 (23 الأحزاب)
4 لسان الدعوة : (238)
5 لسان الدعوة : (270)
6 لسان الدعوة : (283)
7 لسان الدعوة : (328)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قَالَ أعداء الدين : إن تبليغ الدين والدعوة عَلَى العلماء فقط ، فالنصارى عندهم الدعوة تكون للأحبار والرهبان فقط ، مع إنها باطلة ، وبقية النَّاس يحضرون لهم الهدايا ويأخذون صكوك الغفران ، هكذا ينتشر الفساد باسم الدين ، وهم يجتهدون فى المُسْلِمِين حتى يأتى عندهم هذا الكفرمثل الكذاب الذى صدق نفسه ، فهم وقعوا فى ذَلِكَ ويريدون المُسْلِمِين أن يقعوا فى ذَلِكَ ، وللأسف كثير من المُسْلِمِين يرددون هذا الكلام لأنهم فقدوا الذاكرة فلم يرجعوا إِلَى الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصَّحَابَة الكِرَام رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ والى أهل الدين ، كيف يحيي وينتشر هذا الدين فينا وفى جميع النَّاس ؟ وما هى مسئوليتهم أمام اللهِ تَعَالَى سواء علماء أو باقى المُسْلِمِين .)[1]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فلابد لكل إنسان مهما كان عمله أن يدعوا إِلَى اللهِ تَعَالَى . وكذَلِكَ الداعى إِلَى اللهِ تَعَالَى لابد أن تكون دعوته مع العمل ، أى عمل الصالحات التى يدعوا النَّاس إليها لأن اللهَ تَعَالَى يمدحه فيقُولُ : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المُسْلِمِين)[2])[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث رحمة للعالمين ، ونحن امتداد لهذه الرحمة إِلَى يوم القيامة ، ولذا كل من دخل فى هذا الدين عليه أن يبلغه للناس ، ومعروف أن أهل الدنيا يجعلون المناصب والرواتب حكرا عَلَى فئة معينة أو مجموعة أو مجموعة محدودة ، والكل تابع لهم ، أما فى الدعوة فنحن نوزع المسئولية حتى تتسع دائرة الدين ، والداعى يعلم النَّاس الدين وجهد الدين حتى إذا مات لا تموت الدعوة بعده ، كما قَالَ عيسى عليه السلام للحواريين كما حكى القرآن (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ) ، فاللهُ تَعَالَى لا يحتاج نصرتنا ولكن هذا تشريف لنا أن قَالَ اللهُ تَعَالَى لنا (كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ)[4])[5]

[1] لسان الدعوة : (382)
[2] (33 فصلت)
[3] لسان الدعوة : (391)
[4] (14 الصف)
[5] لسان الدعوة : (397)

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فبذَلِكَ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نقل مسئوليته – أى مسئولية الجهد للدين – إِلَى أمته وكل مسلم من المُسْلِمِين من أفراد أمة الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو مسئول عن جميع أفراد العالم)[1]

فَصْلٌ فِي إِحْيَاءِ القُلُوبِ وَالإِيمَانِ وَتَرْبِيَةِ النُّفُوسِ وَتَزْكِيَتِهَا بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى .

وَالدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ تَعَالَى سَبَبٌ لِإِحْيَاءِ الإِيمَانِ فِي القُلُوبِ وَتَزْكِيَةِ الأَنْفُسِ وَتَرْبِيَتِهَا عَلَى مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ ، وَأَوَّلُ المُسْتَفِيدِينَ بِالدَّعْوَةِ هُوَ المُتَكَلِّمُ قَبْلَ السَّامِعُ ! إِذْ أُذُنُهُ أَقْرَبُ الآذَانِ إِلَى لِسَانِهِ ، وَالسَّاقِيَةُ أَوَّلَ مَا تَرْوِى جَسَدَهَا قَبْلَ أَنْ تَرْوِى الآخَرِينَ ، وَالمِصْبَاحُ يُضِيءُ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يُضِيءَ لِلنَّاسِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد من كلام النَّاس عَلَى قدر عقولهم بالدعوة وهى أخلاق وإنفاق ، وبعد الجهد تخرج لآلىء غير معروفة قبل جهد الدعوة ، مثل الزرع لما يحدث الجهد بالدرس والحرث والسقى فيخرج القطن واللوز وغيره ، وحبة الإِيمَان فى القلوب يراد لها السقى فتنبت شجرة الإِيمَان وراء الجهد ، ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ، وهى ضائعة الآن بسبب ترك جهد الدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى ، فبالدعوة إحياء القلوب ، ثم تربية وإيمان وتزكية للنفوس ، وهكذا مع الله ومع النَّاس وبنية نشر الإسلام فى العالم)[2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْى عَنِ المُنكَرِ .

وَيَجِبُ الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْىُ عَنِ المُنْكَرِ وَالدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَالقِيَامُ بِالنَّصِيحَةِ بِقَدْرِ المُسْتَطَاعِ ، وَلَا يَخْلُوا إِنْسَانٌ مِنَ اسْتِطَاعَةٍ أَبَدَاً ! قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنَّ يُغَيِّرَهُ بِيَدِهِ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانُ)[3] فَلَا عُذْرَ لِمُسْلِمٍ أَمَامَ اللهِ تَعَالَى إِنْ تَكَاسَلَ عَنْ هَذِهِ المُهِمَّةِ العَظِيمَةِ .

---

[1] لسان الدعوة : (411)
[2] لسان الدعوة : (190)
[3] (التعليقات الحسان عَلَى صحيح ابن حبان 307)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللّهُ (لا نترك الدنيا حتى نكون رهبانا ، ولا نترك الدين حتى نكون أنانيين وكأننا دهريين ، فهناك شباب من ماليزيا زهدوا كليا ، فى النهار صيام ، وفى الليل يقومون ، وتركوا الدراسة والدنيا ، فهذه مبالغة تضر الدين والدعوة ، ولكن إذا سكتنا عليهم هذا خطأ ، وإذا أنكرنا عليهم بشدة كذَلِكَ خطأ ، فلابد من العلاج لأن الله تَعَالَى يَقُولُ : (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[1] ، عِند الخطأ نحن نختار طريق الإصلاح ولكن مع الحذر ، بأن لا يكون هذا الإصلاح سببا للفتنة ، فإذا أخطأ واحد من الأحباب نصلحه بالحكمة لأن الشد بغير ضرورة لا فائدة منه ، بل يأتى بالمضرة ، فنصلحة باللين والرفق ، لماذا ؟ لأن الله تَعَالَى قَالَ : (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ)[2] ، والأحوال كثيرة بين أهل الدنيا فى العالم ، لماذا ؟ لأنهم لا يستعملون الحكمة فى الإصلاح ، لأنه لا يَجُوزُ للإنسان أن يرى خطأ فى بعض المُسْلِمِين ويسكت عليه ، تخاف أن يغضب ؟ لا ، لأن الله تَعَالَى يَقُولُ : (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[3] ، ولكن كذَلِكَ عِند الإصلاح يستعمل الحكمة ونحطاط من الفتنة ، ولكن كذَلِكَ لا نتركه فى خطأه ، لأن هذه مداهنة ، وإذا أتى العذاب بسبب هذا الخأ ، الذين سكتوا لا يمنعون من هذا العذاب)[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللّهُ (لو أنا أبصرت أمرا فهنا لا أذهب مباشرة إِلَى الشخص وأكلمه إلا لو كان بيننا وبينه محبة ورابطة ، ويكون الكلام خفية ليس أمام النَّاس ، ثم ألاطفه فى الكلام ليفهم ، وإذا لم يكن بيننا علاقة فهنا نخبر رجلا بينه وبينه محبة وعلاقة ونظن به الخير والصلاح عَلَى أن يفهمه ويشرح له سرا بينهما ، ولا نتكلم بهذا فى بيان عام عَلَى سبيل ما بال أقوام لأن النَّاس قد تفهم وتكون مشكلة ، كذَلِكَ لا نعرض هذا الأمر فى الشورى حتى لا تكون فتنة ، مثال رجل يرتدى كرافتة وسط الأحباب فهنا دخل رجل فقال : ما بال أناس يرتدون مثل ذيل الكلب ، هنا الجميع نظر إِلَى ذَلِكَ الرجل فهذا ليس (ما بال

[1] (الإسراء 53)
[2] (الإسراء 53)
[3] (الإسراء 53)
[4] لسان الدعوة : (320- 321)

أقوام) ولكنه (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) [1] ، والله تَعَالَى ينهى عن هذا فيَقُولُ : (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) [2] ، لكن لو رأينا أمرا فيه مخالفة صريحة فى الدين فهنا علينا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فالنَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ) 3 ، ولكن ننصح بالحكمة حتى لا تمون فتنة ، وينقسم الأحباب إِلَى فرقتين ، والله تَعَالَى يَقُولُ : (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) [4] ، فنجتهد لنغير هذا المنكر بالحكمة ، فمثلا واحد من أهل الدعوة عنده تلفاز ، لا نقول هذا حرام وفيه الأغانى والسؤ ، ولكن نأخذه إِلَى المَسْجِد ونفهمه عظمة الله تَعَالَى ، وما الفائدة فى اتباع أمر الله وسنة رَسُولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ونذكره بالأخرة ، ونتذاكر فى حياة الصَّحَابَة حتى يبدأ يفكر ويتغير فكره ، وشيئا فشيئا هو يترك المعاصى حينما يأتى عنده فكر الأخرة) [5]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ تَرْكَ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهى عَنِ المُنكَرِ سَبَبٌ لِلفِتنَةِ .

وَقَدْ تَوَعَّدَ اللهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَن لَمْ يَقُمْ عَلَى المَسْئُولِيَّةِ حَقَّ القِيَامِ فَقَالَ : (وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ) [6] وقَالَ : (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) [7] وَقالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ , لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ , وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ , أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ , ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ) [8] وَمَنْ يُشَاقِقْ طَرِيقَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ ضَلَّ الطَرِيقَ وَخَابَ وَخَسِرَ ، قَالَ تَعَالَى : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [9]

---

[1] (1 الهمزة)
[2] (11 الحجرات)
[3] (مسلم 186 ، مسند أحمد 11478 ، 11532)
[4] (191 البقرة)
[5] لسان الدعوة : (433 - 434)
[6] (39 النساء)
[7] (38 محمد)
[8] (الترمذى 2169 , أحمد 23349 , انظر صَحِيح الْجَامِع: 7070 , صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: 2313)
[9] (63 النور)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد أن نعرف أن الفتنة لا تضر بصاحبها فقط ، بل تضر بمن تسبب فيها ، لِذَلِكَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يحذرنا ويقُولُ : (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [1] ، فالفتنة تصيب الشخص الذى كان يستطيع أن يجنب هذه المعصية بتفهيمه للشخص الواقع فيها ، لكنه سكت ، إما مداهنة أو شماتة ، والله تَعَالَى ينهانا فيَقُولُ : (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) [2] ، فبغير مداهنة وبغير شماتة ، ولكن من منطلق (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) 3 ، ثم الأمر من قبل الله تَعَالَى : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [4] ، (خُذِ الْعَفْوَ) أى نعفوا عن أى شيء نراه ، (وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ) نأمره بأمر الله تَعَالَى ، هنا لو حدث لا قدر الله تَعَالَى فتنة فهنا (وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) ، لا نخوض فى الأعراض أو نكرره فى كل مكان وننشره بين النَّاس ، لكن لابد أن نحفظ المحبة بيننا) [5]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ التَّوَاضُعِ وَ الإِخلاَصِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدَّعْوَةِ .

وَيَجِبُ عَلَى الدَّاعِى أَن يَتَحَلَّى بِالتَّوَاضُعِ فِى أَثْنَاءِ دَعْوَتِهِ ، ذَلِكَ أَقْرَبُ إِلَى تَحْقِيقِ ثِمَارِهَا فِى أَقْرَبِ وقْتٍ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ، وَمَنْ يَتَكَبَّرُ عَلَى النَّاسِ فِى الدَّعْوَةِ وَيَرْفَعُ نَفْسَهُ فَوْقَهُمْ فَرُبَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَاً لِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى ! إِذْ إِنَّهُمْ غَيْرُ فَاهِمِينَ أَنَّهُمْ مُحْتَاجِينَ لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ ، فَرُبَّمَا تَرَكُوا قَبُولَهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ الصَّنِيعَ الفَاحِشَ ، هَذَا فَضْلاً عَنْ أَنَّ الدَّاعِى يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ الْمُسَارِعِينَ لِتَطْبِيقِ مَا يَدْعُوا النَّاسَ إِلَيْهِ فَالعِلْمُ يَهْتِفُ بِالعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَ وَإِلَّا ارْتَحَلَ ، وَكَذَلِكَ يَلْزَمُهُ إِخْلَاصُ النِّيَّةِ لِلهِ تَعَالَى فِى دَعْوَتِهِ وَإِرَادَتِهِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ تَعَالَى فَقَطْ لَا ثَنَاءَ النَّاسِ وَلَا نَوَالاً مِنْهُمْ .

---

[1] (25 الأنفال)
[2] (9 القلم)
[3] (مسلم 205 ، سنن الترمذى 1926 ، مسند أحمد 7941)
[4] (199 الأعراف)
[5] لسان الدعوة : (434)

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (الإخلاص فى هذه التجارة أن ننفى أنفسنا ، فلو هدى الله عَلَى أيدينا النَّاس فلا ننسب ذَلِكَ لأنفسنا مِنَ اللهِ تَعَالَى ، جعلنى فيه سببا ليأجرنى فيه الله تَعَالَى سبحانه : (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ) [1] ، وجزاء العمل فى تلك التجارة بالإخلاص هو : (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) [2] فهل بعد تلك المكانة الرفيعة من مكانة ، ففيها لا يبلى الثياب ولا يفنى الشباب ، ولا ينفد النعيم ، ثم يَقُولُ سبحانه : (وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ) [3] فهنا فى العاجلة النصر والفتح فى الدنيا ، وما النصرة الحقيقية إلا إعلاء كلمة الله تَعَالَى ، والفتح فهو فتح القلوب ، لأن البلاد تأتى بطبيعة الحال تبعا لذَلِكَ) [4]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (نظام الحكومة ليس من كمال الإنسَان لأن النحل عندهم الملكة ، والجنود والشغالات ، وهناك عمل دائب ، صنع النحل وبناء الهخلايا وتجهيز غذاء الملكات ، وكيف يطير النحل بعيدا لأخذ رحيق الثمار والورود ؟ والنحلة التى تأتى برحيق غير طيب ، يأتى الجلادون بين يدى الملكة ويقتلونها ، وعندهم أيضا الانتخاب فالأصلح هو الذى يتصدر أو يمسك الملك والكل يعمل .

ولكن عندنا يَقُولُ : (أنا خير من يمثلكم) ، والله تَعَالَى يَقُولُ : (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ اعْلَمْ بِمَنِ اتَّقَى) [5] ، وإذا نجح يأتى فيه العجب والكبر ، وهذا العجب بين الديوك حينما يدخلونها معركة ، فالديك الذى يفوز يرفع عنقه ، ويعجب بنفسه ، ويفرد جناحه ، ويمشى متبخترا ، ويظن أَنَّهُ أكبر من كل شىء ، كما يتصور الإنسَان أَنَّهُ بتشييد المبانى والمساكن ، أو باكتشاف الكهرباء أو الطب أو يتصور أَنَّهُ فى درجة الكمال والرقى والقوة والفوز) [6]

---

[1] (53 النحل)
[2] (12 الصف)
[3] (13 الصف)
[4] لسان الدعوة : (217)
[5] (32 النجم)
[6] لسان الدعوة : (440)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ الْمَقْصِدِ الأَسَاسِيِّ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى .

وَلِلدَّعْوَةِ مَقَاصِدُ مُتَعَدِّدَةٌ مِنْهَا طَاعَةُ اللهِ تَعَالَى بِتَنْفِيذِ الأَمْرِ بِالدَّعْوَةِ وَكَذَا نَشْرِ الإِسْلَامِ وَأَنْ يُعْبَدَ اللهَ تَعَالَى فَلَا يُكْفَرْ وَيُوَحَّدَ فَلَا يُشْرَك بِهِ وَيُعَظَّمَ فَلَا يُحَقَّرَ وَأَنْ يَدْخُلَ النَّاسُ فِى دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً وَأَنْ نُعْذَرَ أَمَامَ اللهِ تَعَالَى وَأَنْ نَنَالَ رِضَا الله تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَجَنَّتِهِ فِي الآخِرَةِ . وَأَقَلُّ فَائِدَةٍ وَمَقْصِدٍ مِنْ مَقَاصِدِ الدَّعْوَةِ – وَلَيْسَ فِيهَا قَلِيلٌ أَبَداً ! – أَنَّ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ نَفَعَتْهُ يَوْمَاً مِنْ دَهْرِهِ ، فَلَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ ، وَسَيَدْخُلُ الجَنَّةَ يَوْمَاً مَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وإِنْ أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ ! ، وَلِذَا رَجَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَمِّهِ أَبِي طَالِبِ حَتَّى يَشْفَعَ لَهُ بِهَا وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: (قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله أَشْفَعُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي! لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ لَأَقْرَرْتُ عَيْنَيْكَ بِهَا فَنَزَلَتْ: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}[1] وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله , نَفَعَتْهُ يَوْمًا مِنْ دَهْرِهِ ، أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ)[2] ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلمُسْلِمِينَ فَأَقَلُّ هَدَفٍ مِنْهَا – وَلَيْسَ فِي أَهْدَافِهَا قَلِيلٌ ! – أَنْ يَكُونَ جُلُّ الْمُسْلِمِينَ مُوَحِّدِينَ وَمُصَلِّينَ عَلَى الأَقَل وَهُوَ تَحْقِيقُ أَقَلُّ دَرَجَةٍ تُبْعِدُ الإِنسَانَ عَنِ الخُرُوجِ مِنَ الإِسْلَامِ ، وَيَالَهَا مِنْ دَرَجَةٍ عَظِيمَةٍ نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوَفِّقَ القَائِمِينَ عَلَيْهَا .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (إذا أراد الإِنسَان أن يعمل عملا ما فلابد أن يتفكر فى النتيجة مثل المسافر ، فهو يعين المكان ثم يتفكر فى الوسيلة التى تقله ، جهد الدين والدعوة جهد كل مسلم ، ولكن لابد من أن نعين المقصد وهو طلب رضاء الله تَعَالَى كما قَالَ تَعَالَى : (وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ)[3] ، ولكن كيف نتحصل عَلَى مرضاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؟ الله تَعَالَى اختار لنا طريقا أخبر بها فقال : (إِنَّ الدِّينَ عِند اللَّهِ الْإِسْلَامُ)[4] ، اختار لنا الدين عَلَى طريق الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كيف تكون حياتنا حياة إِسلامية صحيحة ؟ كل الأمور التى نقوم بها فى حياتنا تكون حسب أوامر الله تَعَالَى وطريق النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

[1] (التعليقات الحسان عَلَى صحيح ابن حبان 6237)
[2] (الطيالسى 6396 , انظر صَحِيح الْجَامِع: 6434 , الصَّحِيحَة: 1932)
[3] (72 التوبة)
[4] (19 آل عمران)

، إذا تحقق فينا هذا فى أكلنا وشربنا وزواجنا وشغلنا فكل هذا يكون دينا ، كيف يتحقق هذا فينا وفى أزواجنا وأهلينا وجميع العالم ؟)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لذَلِكَ يجب من الحركة فى كل مكان فى مدينتنا وباقى المدن والبلدان ، حتى يصير النَّاس عَلَى أقل تقدير مصلين ، ثم بالجهد – إن شاء الله تَعَالَى – يأتى فى حياتهم الدين الكامل)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد أن يكون مقصدنا كمقصد الصَّحَابَة رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ ، فهموا أن الدين نزل لهم وهم العرب ، باللغة العربية دستوره القرآن ، عَلَى نبى عربى ، وكلفهم الله من فوق سبع سموات ، لذَلِكَ لابد أن نجتهد للدعوة ونضحى لها ، ولكن ما مقصد الدعوة ؟

مقصد الدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى ، هو إحياء الدين كله فى العالم كله إِلَى يوم القيامة ، ولكن الدين لا ينتشر فجأة ، بل بهدوء مثل الشجرة فهى لا تخرج فجأة بل جذور ، ثم ساق وأغصان وأوراق ، وقبل هذا إصلاح التربة وسقى الماء ، الله تَعَالَى أرى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خزائنه ، وأعطاه مفاتحها وهى الصلاة فقال (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)[3] ، فالصَّحَابَة التزموا الصلاة ، واستعانوا بربهم فاستجاب لهم ، والصلاة سبب استفادة من قدرة الله تَعَالَى وخزائنه ، مثل الزراعة للإستفادة من خيرات التربة .الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم الصَّحَابَة رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ فأصبح عندهم خمسة أشياء فيها القوة بالإخلاص وهى : إيمانيات ، عبادات ، معاشرات ، معاملات ، اخلاق)[4]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد من وضع النية الراسخة الجازمة أن حياتنا كلها تكون للدعوة ، وفى النية أن تكون هذه الأمة مشتغلة فى الدعوة إِلَى آخر العمر والى يوم القيامة ، ولما نقوم للدعوة نقوم بالهدوء ، ونتصبر للمدد الطويلة ، فنعتاد أعمال

---

[1] لسان الدعوة : (192)
[2] لسان الدعوة : (198)
[3] (45 البقرة)
[4] لسان الدعوة : (199)

الإِيمَان ، ولما نخرج أربعة أشهر أو ثلاثة أو شهرين ، الباقى فى جهد المقام ، ثم نوبة فى الأهل ونوبة فى الدين للدعوة ، حتى نصل إِلَى النصف من الرجال يخرجون فى سبيل الله تَعَالَى ، والنصف فى الأعمال والأشغال الدنيوية ، كما قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا)[1])[2]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (علينا أن نجتهد عَلَى أنفسنا وعَلَى النَّاس حتى يأتى فينا الإِيمَان والعمل الصالح ، فيراعى أمر الله تَعَالَى ، الغنى يعطى حقوق الفقير ، والفقير يعف ولا يسأل إلا الله تَعَالَى ، أَنَّهُ سمع فى حلقة التعليم عن فضل التعفف وعدم سؤال النَّاس شيئا) 3

فَصْلٌ فِى بَيَانِ مَعنَى دَعوَةِ الأَنبِيَاءِ .

وَدَعْوَةُ الأَنْبِيَاءِ هِىَ الْمُجَاهَدَةُ الْمُسْتَمِرَّةُ لِهِدَايَةِ النَّاسِ بِكُلِّ السُّبُلِ الْمَشْرُوعَةِ الْمُمْكِنَةِ ، فَبِاللَّيْلِ تَضَرُّعٌ وَبُكَاءٌ وَانْطِرَاحٌ عَلَى عَتَبَةِ اللهِ تَعَالَى وَتَذَلُّلٌ لَهُ لِلتَّوْفِيقِ فِى الدَّعْوَةِ وَبِالنَّهَارِ جِهَادٌ وَمُجَاهَدَةٌ وَدَعْوَةٌ وَمُصَابَرَةٌ وَسَبْحاً طَوِيلاً فِى قُلُوبِ النَّاسِ لِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَى وَنَشْرِ دِينِهِ وَتَطْبِيقِ شَرْعِهِ ، فَبِاللَّيلِ يَقُولُ (يَارَبِّ عِبَادُكَ) وَبِالنَّهَارِ يَقُولُ (يَاعِبَادُ رَبُّكُمْ) ، لَيْسَ لِلأَنبِيَاءِ مَقْصِدٌ فِى حَيَاتِهِمْ إِلَّا ذَلِكَ ، أَمَّا الأَسْبَابُ المَعِيشِيَّةُ فَلَيْسَتْ مَقْصُودَةٌ لِذَاتِهَا وَلَا لِعِمَارَةِ الأَرْضِ بَلْ مَقْصُودَةٌ لِغَيْرِهَا وَلَا تَتَعَمَّرُ الأَرْضُ إِلَّا بِهَذَا الدِّين ، قَالَ تَعَالَى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)[4] وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام : (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)[5] .

---

[1] (مسلم 1896 ، 5013 ، مسند أحمد 11479)
[2] لسان الدعوة : (211)
[3] لسان الدعوة : (350)
[4] (56 – 58 الذاريت)
[5] (الآحاد والمثاني 2126 , انظر صحيح الجامع: 6042 , الصَّحِيحَة: 2318)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الذى يغلق باب الهداية عَلَى نفسه الله تعَالَى لا يهديه ، كيف يغلق الإنسَان باب الهداية ؟ يتبع هواه ويترك المجاهدة مع أن الله تعَالَى يقُولُ : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)[1] ، فالهداية بالمجاهدة والإنابة هذا هو معنى دعوة الأنبياء ، فى النهار مجاهدة ودعوة : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ، وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ، وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ)[2] ، فعِند الدعوة تأتيك الأحوال وأنت تصبر ، هذا هو الجهد فى النهار دعوة المخلوق ، فى الليل التضرع إلَى اللهِ والبكاء والإنابة : (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ، قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ، نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)[3] ، كم الله تعَالَى رحيم ؟ فى الليل يدعوا النَّاس إلَى رحمته : هل من تائب فأتوب عليه ؟

هل من سائل ؟ هل من مستغفر ؟ (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا)[4] ، فالليل نقوم أمام الله تعَالَى ولا نحتقر النائمين ، الإنسَان يقُولُ ماذا أعمل فى الليل ؟ الله تعَالَى يجيب : (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا)[5] الإنسان إذا اختار طريق المجاهدة فى سبيل الله تعَالَى يكون رضاء الله ويتحصل عَلَى الجَنَّة فى الآخرة)[6]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ أمَّتَنَا أُمَّةُ دَعْوَةٍ وَلَيسَت أُمَّةَ عِبادَةٍ فَقَط .

واعْلَمْ أَنَّ المَقْصِدَ الأَسَاسِىَّ مِنْ خَلْقِ الإنسَانِ هُوَ عِبَادَةُ اللهِ تعَالَى وَالقِيَامُ عَلَى شَرِيعَتِهِ وَتَعْبِيدِ النَّاسِ لِلهِ تعَالَى ، وَكُلُّ الأُمَمِ فِى ذَلِكَ سَوَاءٌ ، لِقَوْلِهِ تعَالَى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[7] فَقَوْلُهُ : الإِنسَ عَامٌّ لِكُلِّ البَشَرِ مِن لَدُنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ وَلَيْسَ لِأُمَّةٍ دُونَ أُمَّةٍ ، وَمِنَ العِبَادَةِ طَاعَةُ اللهِ تعَالَى فِى قَوْلِهِ : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ)[8] وَقَوْلِهِ : (

---

[1] (69 العنكبوت)
[2] (1 – 7 المدثر)
[3] (1 – 4 المزمل)
[4] (8 المزمل)
[5] (2 المزمل)
[6] لسان الدعوة : (310 – 311)
[7] (56 الذاريت)
[8] (94 الحجر)

وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ) [1] وَقَوْلِهِ : (وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا) [2] وَقَوْلِهِ : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) [3] وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَوَامِرِ الدَّالَّةِ عَلَى الدَّعْوَةِ ، وَلَكِنَّ الفَرْقَ أَنَّ الأُمَمَ السَّابِقَةَ كَانَتْ مُكَلَّفَةٌ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِى حُدُودِ قَوْمِهَا لِأَنَّ دَعْوَتَهُمْ لَيْسَتْ عَامَّةً لِكُلِّ النَّاسِ فَقَالَ تَعَالَى : (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا..) [4] وَقَالَ : (وَإِلى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا..) [5] وَقَالَ : (وَإِلى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا..) [6] أَىْ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ بُعِثَ فِى قَوْمِهِ خَاصَّةً فَيَتَحَمَّلُ قَوْمَهُ مُهِمَّةَ الدَّعْوَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ مِن بَعْدِهِ وَلَيْسُوا مُطَالَبِينَ بِدَعْوَةِ بَاقِى الأُمَمِ وَالقَبَائِلِ وَلِذَلِكَ ذَمَّهُمْ اللهُ تَعَالَى عَلَى التَقْصِيرِ فِى ذَلِكَ فَقَالَ : (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) [7] أَمَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبُعِثَ لِلنَّاسِ عَامَّةً ، فقال تَعَالَى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) [8] وَقَالَ : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [9] وَقَالَ تَعَالَى : (وَلَكِنْ رَسُول اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) [10] وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام : (وَبُعِثْتُ لِلنَّاسِ عَامَّةً) [11] وَقَالَ : (وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيينَ ، وَلَا نَبِىَّ بَعْدِى) وَحَمَّلَ النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ هَذِهِ الْمُهِمَّةَ وَهِىَ الدَّعْوَةُ لِلعَالَمِينَ . فَلِذَلِكَ لَا يَصِحُّ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ : (إِنَّ الأُمَمَ السَّابِقَةَ كَانَتْ عَابِدَةً وَأُمَّتُنَا أُمَّةٌ دَاعِيَةٌ مُبَلِّغَةٌ) ! وَصَوَابُ قَوْلِهِ : (الأُمَمُ السَّابِقَةُ كَانَتْ عَابِدَةً وَدَاعِيَةً فِى نَفْسِهَا وَأُمَّتُنَا عَابِدَةٌ وَدَاعِيَةٌ لِلْعَالَمِ كُلِّهِ) .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (أوحى اللهُ تَعَالَى إِلَى موسى وأخيه وأمره بالصلاة فقط فقَالَ تَعَالَى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) [12] ، فكان المطلوب فقط إقامة الصلاة ، لأنهم

---

[1] (67 الحج)
[2] (111 الإسراء)
[3] (125 النحل)
[4] (65 الأعراف ، 50 هود)
[5] (73 الأعراف ، 61 هود)
[6] (85 الأعراف ، 84 هود ، 36 العنكبوت)
[7] (78 – 79 المائدة)
[8] (28 سبأ)
[9] (107 الأنبياء)
[10] (الأحزاب:40)
[11] (تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للعراقى 4111)
[12] (87 يونس)

أمة عبادة ، أما نحن فأمة عبادة ودعوة ، فهى مسئوليتنا كالأنبياء ، وهذا فى أكثر من آية فى القرآن حيث يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) [1] ، ويَقُولُ تَعَالَى : (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [2] ، ويقُولُ تَعَالَى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [3]) [4]

فَصْلٌ فِي تَشْخِيصِ دَاءِ الأُمَّةِ القَتَّالِ وَكَيْفِيَّةِ عِلاَجِهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الدَّاءَ العُضَالَ الذِى أَتَى الأُمَّةَ وَأَصَابَهَا فِى مَقْتَلٍ هُوَ دَاءُ الفُرْقَةِ وَالتَشَرْذُمِ وَالتَّنَاحُرِ وَالتَّحَاقِ وَالتقَاتُلِ ، وَذَلِكَ مَا نَجَحَ فِيهِ الغَرْبُ فِى بَثِّ الفُرْقَةِ بَيْنَنَا وَفِى دِينِنَا بِاسْمِ دِينِنَا ، حَتَّى تَنْشَغِلَ الأُمَّةُ بِنَفْسِهَا وَلَا تَتَفَرَّغُ لِدَعْوَةِ غَيْرِهَا ، لِأَنَّ العَالَمَ كُلَّهُ مُتَأَكِّدٌ أَنَّهُ إِذَا رَجعَتْ الأُمَّةُ لِدِينِهَا وَتَوَحَدَتْ عَلَى عَقِيدَتِهَا سَتَغْزُوا العَالَمَ بِأَسْرِهِ وَسَتَرْكَعُ أُمَمُ الدُّنْيَا تَحْتَ أَقْدَامِهَا كَمَا كَانَ سَالِفُ عَهْدِهَا فَلِذَلِكَ خَطَّطُوا وَدَبَّرُوا لِبَثِّ الفُرْقَةِ وَزَرْعِ الفِتْنَةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الأُمَّةِ بِاسْمِ الجَمَاعَاتِ وَالأَحْزَابِ وَالجَمْعِيَّاتِ وَالإِئْتِلَافَاتِ وَالحَرَكَاتِ وَالفَصَائِلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، مُدَّعِيَةً حُرِيَّةَ التَّعْبِيرِ وَالرَّأْيِ الآخَرَ وَالدِّيمُقْرَاطِيَّة ! وَقَدْ أَصَابَتْ بَعْضَ مَا أَرَادَتْ وَمَا سَاعَدَهَا عَلَى ذَلِكَ إِلَّا ثُلَّةٌ مِنْ أَبْنَاءِ أُمَّتِنَا ! ، وَلِلخُرُوجِ مِنْ هَذَا المَأْزَقِ يَلْزَمُنَا الرُّجُوعُ إِلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالتَّجَمُّعِ عَلَيْهِمَا وَالتَّمَسُّكِ بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ لِلوَحْيَيْنِ ، فَفَهْمُهُمْ أَعْمَقُ وَأَشْمَلُ وَأَكْمَلُ وَأَحْكَمُ وَأَوْسَطُ ، فَنَتَدَارَسُ سُنَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَيَاتِهِ لِنَعُودَ إِلَى خَيْرِ هُدَى .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فأعداء الله تَعَالَى يريدون إبعادنا عن القرآن باسم القرآن ، وعن الإسلام باسم الإسلام ، وهم يريدون من المُسْلِمِين أن يفهموا القرآن بغير ما فهمه الصَّحَابَة حتى لا يفهم القرآن فهما سليما ، فباسم القرآن هم يريدون أن يجعلونا نرى فى القرآن أن هذا أصفر وهذا أحمر وهذا أخضر ويأتون بالأدلة ، ولكن الأصفر ليس فى الحقيقة أصفر والأحمر ليس فى الحقيقة

---

[1] (110 آل عمران)
[2] (104 آل عمران)
[3] (108 يوسف)
[4] لسان الدعوة : (368 - 369)

أحمر وهكذا ، ولكن حتى يوجد فينا الدين ، فلابد أن ننظر بأى مقياس يوجد فينا الدين ؟ وعَلَى أى ترتيب جعله الله ؟ وكيف عاش النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكِرَام رَضِىَ اللهُ عَنهُمْ ؟)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد من اتباع الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فى الجهد للدين ، فالنَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل الطبيب والأمة أبناؤه ، وهو يعرف خطر المرض المدمر عَلَى ولده ، ولذَلِكَ يشفق عليه ويصف له الدواء بالحكمة ويصبر عليه حتى يعتاده ، والطبيب يعرف المرض وعلاجه ومدة الدواء وفترة العلاج ، إذن علينا أن نفعل مثل فعل النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأولا : شعور بالشفقة والرحمة ، وثانيا : إدراك خطورة المرض عَلَى حياة الإنسان فى الدنيا وفى القبر ويوم القيامة ، وثالثا : - وهو المهمَ بْحَيثُ نبدأ فى العلاج ، وكيفية العلاج ؟ هى أن نرتب ترتيب النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهناك أعمال فى الليل : (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ، قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا)[2] ، ثم أعمال بالنهار : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ)[3] ، فأعمال الليل هى التى تجعل فى أعمال النهار قوة ، ففى الليل الخلوة مع الله تَعَالَى ، فيفتح قلوب عباده لنا فى النهار ،

لذَلِكَ الشخص قد يخرج فى سبيل الله تَعَالَى ونيته غير سليمة ، وعندما يخرج ويجتهد الله تَعَالَى يعطيه الإخلاص ويصحح نيته ، فلابد من المراقبة للنية ، مع الإستمرار فى التضحية ، ونخاف عَلَى أنفسنا ، ونخاف عَلَى نيتنا أن تتغير ، لأن سيدنا إبراهيم عليه السلام خاف من ذَلِكَ ودعا ربه وسأله ألا يعبد هو وبنوه الأصنام فقال : (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ)[4])[5]

---

[1] لسان الدعوة : (409)
[2] (1 – 2 المزمل)
[3] (1 – 2 المدثر)
[4] (35 إبراهيم)
[5] لسان الدعوة : (427)

فَصْلٌ جَامِعٌ فِى بَيَانِ أَهَمِّ ثَمَرَاتِ الدَّعْوَةِ .

وَلِلدَّعْوَةِ ثَمَرَاتٍ مُعَجَّلَةٍ فِى الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ ، مِنْهَا : التَّأْيِيدُ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَالنُّصْرَةُ وَالغَلَبَةُ عَلَى الأَعْدَاءِ وَالتَّمْكِينُ فِى الأَرْضِ وَالعِزَّةُ عَلَى مَنْ عَادَانَا وَاسْتِجَابَةُ الدُّعَاءِ وَالحِفَاظَةُ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَالحِفَاظَةُ مِنَ الفِتَنِ وَالرُّعْبُ فِى قُلُوبِ الأَعْدَاءِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الثَّمَرَاتِ .

قال الشيخ فريد العراقى رحمه الله (ثمرات الدعوة :

1 – التأييد والنصرة : والنصرة هى غلبة منهج الحق عَلَى منهج الباطل ، فيدخل النَّاس فى دين الله أفواجا ، كتأييد الله تَعَالَى لصدى بن عجلان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عندما جاء قومه ليدعوهم إِلَى الإسلام ، فوجدهم يأكلون الميتة والدم ، فدعوه أن يأكل معهم ، فأبى وَقَالَ : (جئتكم من عند من يحرم عليكم هذا ، فاتبعوه وآمنوا به) فلم يجيبوه إِلَى الإسلام ، وعندما ارتفع النهار وعطش سألهم كأسا من ماء ، فأبوا أن يسقوه ، فغطى رأسه بعمامته ونام تحت شجرة فى حر شديد ينتظر الموت ، فجاءه فى نومه رجل بقدح فيه شراب ، وأمكنه منه فشربه حتى روى ، قَالَ : (فلما استيقظت أتونى قومى بماء ، فأخبرتهم بالشراب ورأيتهم بطنى فأسلموا جميعا ، فوالله ما عطشت بعدها أبدا)[1]

2 – الدعاء المستجاب : كما فى قصة الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله تَعَالَى عنه عندما دعا له النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه أن يجعل له كرامة ، فجعل الله تَعَالَى له نورا بين عينيه كالمصباح ، فقال الطفيل داعيا ربه : (اللهم اجعله فى غير وجهى ، فإنى أخشى أن يظن قومى أنها مثلة لأنى تركت دينهم)[2] فتحول النور إِلَى طرف سوطه فأصبح كالقنديل المعلق ، فهنا استجاب الله تَعَالَى لدعائه عندما شرع بالفعل فى الدعوة إليه .

---

[1] (المستدرك 6705 ، المعجم الكبير 8074)

[2] (معرفة الصحابة لأبى نعيم الأصبهانى 3500)

3 – الحفاظة من الشياطين : قَالَ تَعَالَى : (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي)[1] ، وَقَالَ أيضا : (إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)[2] ، فالدعوة من أسلحة الشيطان ، ولا يفل الدعوة إلا الدعوة ، فالدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى تفل دعوة الشيطان ، ولذَلِكَ قيل : إن الإنسَان إما داعيا وإما مدعوا ، إما داعيا إِلَى الحق وإما مدعوا إِلَى الباطل ، والشيطان يفر من الدعوة ولا يفر من العبادة ، فكما فى الحديث : (عندما ينادى المؤذن للصلاة يفر الشيطان وله ضراط ، فإذا انتهى التأذين أقبل ، فإذا ثوب للصلاة (أى أقيم للصلاة) أدبر ، فإذا انتهى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه ، يَقُولُ : اذكر كذا ، اذكر كذا ، ما لم يكن يذكر من قبل ، حتى لا يدرى أحدكم كم صلى ؟)[3] ، والأذان كما وصف فى الحديث (الدعوة التامة)[4] فمنها يفر الشيطان .

4 – الحفاظة من الفتن : والفتنة هى الضلال والغواية ، قَالَ الله تَعَالَى : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ)[5] ، وقد نزلت فى الجد بن قيس – وكان من المنافقين – عندما دعاه النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للخروج إِلَى تبوك قَالَ : إنى أخشى عَلَى نفسى من نساء بنى الأصفر – أى الرومَ - فأذن لى (أى بالقعود) ولا تفتنى ، فكانت الفتنة الحقيقة هى ترك الجهد والتضحية فى سبيل الله تَعَالَى والدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى .

وقد قَالَ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إذا عظمت أمتى الدنيا نزعت منها هيبة الإسلام ، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حرمت بركة الوحى ، وإذا تسابت أمتى سقطت من عين الله)[6] .

وعن حذيفة بن اليمان رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ , لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ , وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ , ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ)[1] ،

---

[1] (22 ابراهيم)
[2] (6 فاطر)
[3] (متفق عليه ، البخارى 1174 ، مسلم 389 ، سنن أبى داود 516)
[4] (صحيح أبي داود 540 ، صحيح بن حبان 1689 ، صحيح بن خزيمة 420 ، صحيح بن ماجه 590)
[5] (49 التوبة)
[6] (مشكاة المصابيح – ضعيف ، الجامع الصغير وزياداته 1610 ، السلسلة الضعيفة 2578)

وعن بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لما وقعت بنوا إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم عَلَى لسان داود وعيس بن مريم ، ذَلِكَ بما عصوا وكانوا يعتدون)[2] فجلس النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان متكئا وَقَالَ : (لا ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى تَأْطِرُوهُمْ عَلَى الحَقِّ أَطْراً)[3]

5 – العزة : قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ بِأَذْنَابِ الْبَقَرِ , وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ فى سبيل الله ضرب اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لا يرفعه عنكم حَتَّى تَرْاجِعُوا دِينِكُمْ)[4] أى جهادكم فى الدعوة إِلَى الله ، وقد كان التوانى فى الدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى سببا فى ذهاب الخلافة الإسلامية فى فترة الدولة العباسية ، وتسليط التتار عَلَى الأمة اللأسلامية ، فوى سقوط الدولة الإسلامية فى الإندلس وتسلط الإفرنج عَلَى المُسْلِمِين ، وفى سقوط الخلافة العثمانية فى تركيا واقتسام دول أوربا لبلاد المُسْلِمِين ، وتسلطهم عليها ، ولا حول ولا قوة إلا باللهِ ،

6 – الرعب فى قلوب العداء : قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ)[5] ، وَقَالَ أيضا : (يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ ، مِنْ كُلِّ أُفُقٍ ، كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا. قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُول اللهِ ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ. قَالَ : قُلْنَا : وَمَا الْوَهَنُ ؟ قَالَ : حُبُّ الْحَيَاةِ ، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ.)[6])[7]

---

[1] (الترمذى 2169 ، شعب الإيمَان 7296 ، 7558 ، صَحِيح الْجَامِع 7070 , صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب2313)
[2] (سنن الترمذى 3047 ، سنن بن ماجه 4006)
[3] (الترمذى 3047 ، مسند أحمد 3713)
[4] (أبو داود 3462 ، وأحمد 5562 ، الجامع الصغير وزياداته 424)
[5] (متفق عليه ، صحيح البخارى 328 ، صحيح مسلم 1199 ، صحيح بن حبان 6398)
[6] (أبو داود 4299 ، مسند أحمد 22397)
[7] لسان الدعوة : (68)

فَصْلٌ فِى بَيَانِ الغَايَةَ مِنَ ذِكْرِ فَضَائِلِ الأَعْمَالِ فِى الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى .

وَلَا دَعْوَةَ بِغَيْرِ تَرْغِيبٍ لِلنَّاسِ ، فَمَنْ كَانَ دَيْدَنُهُ الشِّدَّةُ وَالتَّرْهِيبُ لَمْ يُفْلِحْ فِى دَعْوَتِهِ أَبَدَاً لِأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِطَرِيقَةِ الْمُرْسَلِينَ فِى الدَّعْوَةِ ، فَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَ التَّرْغِيبِ مَعَ التَّرْهِيبِ وَذِكْرِ فَضَائِلِ الأَعْمَالِ لِلنَّاسِ وَحَثِّهِمْ عَلَيْهَا سَيَجْنِى ثِمَارَ ذَلِكَ عَاجِلَةً فِى دُنْيَا وَإِلَّا فَسَيَسْلَمُ مِنَ الْمُعَارَضَةِ شَيْئَاً يَسْتَطِيعُ مَعَهُ تَبْلِيغَ دَعْوَتِهِ ، وَسَيُلَاقِى جَزَاءَهُ مُؤَجَّلَاً فِى الآخِرَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (اليوم : النَّاس فى أمر دينهم ، أقل القليل فى كل قرية عالم واحد ، وإذا كانت القرية كبيرة يكون فيها علماء عَلَى قدر ما يسد حاجة القرية ، فمسئولية الدين ليست عَلَى العلماء فقط بل كل الأمة ، ولكن كيف تشعر الأمة وتحس باحتياجها ؟

من أجل هذا نحن نخرج فى سبيل الله تعَالَى لنشر فضائل الأعمال فى النَّاس ، حتى يأتى فيهم الطلب للدين فى كل فرد ، الكهل عندهم والصغير يشعرون ويحسون باحتياجهم للعلم والعلماء ، وكذَلِكَ كل ما يسمعونه من العلماء يكون عندهم استعداد للعمل به)[1]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (اليَقِين يأتى بالدعوة ، والقيام بالأعمال لابد له من الشوق ، كيف يأتى فينا ؟ بحلقة التعليم ، ونسمع من فضائل الأعمال حتى يأتى فينا الشوق للأعمال . مثلا : نسمع حديث : (وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا دَامَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)[2] ، فبفضائل الأعمال ، الإِنسَان يعمل كل عمل بالشوق والرغبة)[3]

---

[1] لسان الدعوة : (252)
[2] (مسلم 7028)
[3] لسان الدعوة : (343)

فَصْلٌ فِي ذِكْرِ طَرَفٍ مِنَ الدَّعْوَةِ بِالتَّرْغِيبِ فِى نَعِيمِ اللهِ تَعَالَى .

وَالدَّعْوَةُ بِتَرْغِيبِ النَّاسِ فِى الجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا وَمَا أَعَدَّ اللهُ تَعَالَى لِلمُتَّقِينَ فِيهَا أَوْلَى وَأَكْثَرُ نَفْعاً مِنْ غَيْرِهِ وَخَاصَّةً فِى زَمَانِ العَوْلَمَةِ وَضَعْفِ المُسْلِمِينَ وَالتَّقَدُّمِ التُّكْنُولُوجِيِّ الرَّهِيبِ الذِى حَقَّقَهُ الغَرْبُ وَلَمْ يَعُدْ هُنَاكَ نَفْسُ الفُرْصَة لِتَرْهِيبِ النَّاسِ كَمَا كَانَ العَهْدُ عَلَى زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَلْ الأَكْثَرُ تَأْثِيراً اليَوْمُ أَنْ تُخَاطِبَهُمْ بِلُغَةِ العِلْمِ وَالتَّفَكُّرِ فِى الكَوْنِ وَإِثْبَاتِ ذَلِكَ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ العُلُومِ الحَدِيثَةِ وَهَذَا مِصْدَاقُ حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ : (كَلِّمُوا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ)[1] ، وَقَالَ بنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْماً بِحَدِيثٍ لَمْ تَبْلُغْهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً)[2] ، وَقَالَ بنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهَ وَرَسُولَهُ)[3] . وَتُلَبِّسُ كَلَامَكَ بِمَا لَا يَسْتَطِيعُونَ مَعَهُ مُحَاوَرَةً وَلَا نِقَاشَاً ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)[4] .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ننظر لبشرى النَّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذى يبشرنا بثمار الأعمال

الصالحة وتنفيذ أوامر الله تَعَالَى ، يَقُولُ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا مِنْ مُسْلِمِينَ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا)[5] ، ويَقُولُ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِماً غُدْوة إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِي ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ)[6] ،

ثم يبين النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضل السلام فيَقُولُ : (لاَ تَدْخُلُونَ الجَنَّة حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ)[7] ،

[1] (موسوعة الألبانى فى العقيدة 3/ 789 وعزاه للبخارى موقوفا عَلَى عَلَى رَضِىَ اللهُ عَنْهُ)
[2] (جامع بيان العلم وفضله 1/ 267)
[3] (جامع بيان العلم وفضله 1/ 268)
[4] (85 الإسراء)
[5] (أبو داود 5214 سنن الترمذي 2727)
[6] (الترمذى 969 صحيح ابن حبان 2958)
[7] (مسلم 203 ، 204)

وفى قراءة القرآن يقُولُ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ)[1] ،

ويبشرنا النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغفران الذنوب فى الوضوء فيَقُولُ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ)[2] ،

ويقُولُ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِى يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ)[3] . وكثير وكثير من بشرى النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تلك البشرات التى تدل عَلَى قوة العمل الصالح ، وتبين ما فى تنفيذ الأمر من قوة ، بها يمحى الذنب ، ويرفع القدر ، وتقضى الحاجة ، فأكبر قوة هى أوامر الله عز وجل)[4]

فَصْلٌ فِي ذِكْرِ طَرَفٍ مِنَ الدَّعْوَةِ بِالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ .

وَيَجِبُ التَّوْفِيقُ فِى الدَّعْوَةِ بَيْنَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ ، وَلَا يَحْسُنُ بِدَعْوَةٍ أَنْ تَخْلُوا مِنْ أَحَدِهِمَا أَوْ يَطْغَى أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ أَبَدَاً ، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ التَّرْهِيبُ كَالْمِلْحِ عَلَى الطَّعَامِ ، وَالتَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيبُ لِلمُؤْمِنِ كَالجَنَاحَانِ لِلطَّائِرِ فَبِأَحَدِهِمَا لَا يَطِيرُ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (يقُولُ الله تَعَالَى : (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ، وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا)[5] ، من يعمل صالحا فى الهند أو فى أوربا أو فى أى مكان ، والحياة الطيبة موعودة مِنَ اللهِ تَعَالَى ولو فى أى مكان ولكن الله تَعَالَى يحذر : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا)[6] ، ولو كان فى أوربا ولو كان فى الهند يصل العذاب إليه ، ولكن النعيم الذى جعله الله تَعَالَى فى الجَنَّة عجيب ، فقط النور الذى فى وجه

---

[1] (مسلم 1910)
[2] (مسلم 601)
[3] (متفق عليه ، البخاري 6405 ، مسلم 2691)
[4] لسان الدعوة : (158)
[5] (74 – 75 طه)
[6] (124 طه)

الحور أكثر من نور الدنيا ، فكيف نور الجَنَّة ؟ فكيف الحور العين فى الجَنَّة وكيف الجَنَّة ؟ العطر فى الدنيا محدود ، ولكن فقط رائحة العطر فى ثياب الحور العين ، ولو كان فى الدنيا لعطر كل الدنيا) [1]

وقال أيضا (مرة رجل سألنى ، يا شيخ ! أنت تبين فى الجَنَّة والنار ، فبين لنا كيف نتحصل عَلَى الجَنَّة وكيف ننجوا من النار ؟ قلت بالأعمال الصالحة ، الإِنسَان يتحصل عَلَى الجَنَّة وينجوا من النار ، ما قَالَ الله تَعَالَى من عمل صالحا فله الملك ، والمال ، ولكن قَالَ : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) [2] ، حياة طيبة فى الدنيا ، ما معنى حياة طيبة ؟ أهل القصور ما ينامون ! وأنتم عَلَى الحصير والنوم يأتيكم ، النوم ينتظر ونحن لا نريد ، والآخرون ينتظرون النوم والنوم لا يأتى) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قَالَ الله تَعَالَى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ) [4] ، أما فى الآخرة فأمر آخر وهو فى قوله تَعَالَى : (زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ) [5] ، فالعبد العاصى تكون علاقته مع خزائن نقم الله تَعَالَى ، فى الدنيا غضب عليه ، فهو فى غم وضنك وهموم لا تنتهى وضيق صدر وكوابيس ، وهذا ليتفكر ويرجع ، فقبل الموت عنده فرصه ، لكنه لاه فى أسبابه ، وبعد الموت ، فى القبر الحيات والعقارب ونيران القبر ، وفى الآخرة العذاب المضاعف ، أما العبد المؤمن – اللهم اجعلنا منهم - فعلاقته مع خزائن نعم الله تَعَالَى ، فى الدنيا عليه محبة الله ، والله يرضى عنه ويلقى محبته فى كل قلب ، وله مبشرات فى الدنيا ، ومع ذَلِكَ هو يسير بالخوف مِنَ اللهِ تَعَالَى ، وعِند الموت الملائكة تبشره بقوله تَعَالَى : (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) [6] ، وفى الآخرة يكون مع الآمنين فهو كما أخبر

---

[1] لسان الدعوة : (294)
[2] (97 النحل)
[3] لسان الدعوة : (294)
[4] (42 الأنعام)
[5] (88 النحل)
[6] (31 فصلت)

سبحانه : (فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ، وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ، وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ)[1] ، ويقال آنذاك : (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ)[2] ، ثم نعيم دائم وحور عين ، وأزواج مطهرة ، أعمار واحدة ، شباب أبدى ، وسعادة أبدية ، وغنى دائم ، وإقامة خالدة ، حتى ريحه ريح المسك)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (المؤمن الخائف من ربه تَعَالَى يوم القيامة يَقُولُ : (إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ)[4] ، عنده يقين عَلَى حساب الله تَعَالَى فهو يخاف ، لا يأكل أموال النَّاس ولا يظلم أحدا لأن هذه الحياة للعمل ، أيام خالية ليست أيام الملذات ولا الشهوات أيام خالية : (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ)[5])[6]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (عندما نتكلم مع النَّاس فى قدرة الله تَعَالَى وفى بطشه ، وكَذَلِكَ فى رحمته ، وما أعد للمؤمنين فى الجَنَّة إذا أطاعوه فى الدنيا ، فهذه دعوة إِلَى اللهِ ، وبهذا يتقوى الإِيمَان ، وإذا تقوى الإِيمَان يتقوى الدعاء ، وإذا تقوى الدعاء تقضى الحاجات)[7]

وَقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إن الأحوال المادية تتغير ، هذا لا شك فيه ولا ريب ، ولابد أن تتغير من زمن إِلَى زمن ولكن مهما اختلفت الأحوال المادية فإن سنة الله تَعَالَى لا تتغير ، وسنة الله تَعَالَى أن النصرة الغيبية مع الطاعة والإقبال عَلَى الله تَعَالَى ، وسنة الله تَعَالَى كَذَلِكَ أن الهلاك والدمار مع المخالفة والمعاصى)[1]

---

[1] (28 – 32 الواقعه)
[2] (24 الحاقة)
[3] لسان الدعوة : (308)
[4] (20 – 24 الحاقة)
[5] (25 – 27 الحاقة)
[6] لسان الدعوة : (335)
[7] لسان الدعوة : (340)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (يَقُولُ ربنا تبارك وتَعَالى مبينا نعمته عَلَى عباده : (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ) [2] ، وسبب هذا الصلاح لزوجه وبيته (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) [3] ، إذن من يريد استجابة دعاءه وإصلاخ زوجته وبيته ، هو شخصيا يسارع فى الخيرات بالهمة والنشاط والفرحة ، فالله يستعمل جوارحه وفكره وماله لهذا الدين العظيم ، الذى هو أغلى ما فى السماوات والأرض) [4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (التجارة رأس مالها الإيمَان والمجاهدة والإنفاق : (تُؤْمِنُونَ بِاللهِ ورَسُوله وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ) [5] الوعد مِنَ اللهِ تَعَالَى فى الدنيا والآخرة ، ولكن الله تَعَالَى قدم وعد الآخرة وهو الأعظم لأقوياء الإيمَان فقال : (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [6] ثم وعد بالنصر والفتح فى الدنيا فقال : (وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) [7].

والوعد بالجنة والنعيم هذا لأبد الآبدين ، لكن فى الدنيا لو أن الإِنسَان عنده حدائق وبساتين فهنا يتركه ويموت أو ينفد ، ولكن بعد الموت مخالدين فيها ،

إذن الله تَعَالَى وعد الإِنسَان بثلاثة أمور :

الأمر الأول : النجاة من العذاب بغفران الذنوب ،

---

[1] لسان الدعوة : (389)
[2] (89 – 90 الأنبياء)
[3] (90 الأنبياء)
[4] لسان الدعوة : (403)
[5] (11 الصف)
[6] (12 الصف)
[7] (13 الصف)

الأمر الثانى : الفوز العظيم بدخول الجَنَّة ،

الأمر الثالث : النصرة والفتح فى الدنيا ، وفيه يراعى الله تعَالَى ضعف الإِنسَان ، لأن الإِنسَان يحب الأمور بسرعه ، ويحب أن يرى نتيجة عمله فهنا الله تَعَالَى يَقُولُ : (وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)[1] ، فهذه الفوائد العظيمة بسبب تحمل الإِنسَان مشقة المجاهدة ، فهذا بنسبة الوعد مِنَ اللهِ تَعَالَى .

أما الوعيد ، فاللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى يَقُولُ : (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ ورَسُوله وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)[2] ، فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أخبر فى تلك الآية عن موازنة بين حب أشياء ثمانية وتقديمها ، أو تقديم حب ثلاثة أخرى ، فالله تَعَالَى يحذرنا لو قدمنا حب الثمانية أشياء وهى تقديم حب الآباء والأبناء والإخوان ، والأزواج والعشيرة والأموال ، والتجارة والمساكن ، لو قدمنا حب الثمانية – وهى حب شهوات غير مقبول عِند الله تعَالَى – عَلَى حب ثلاثة أشياء – حب عبادة وطاعة وقربى – وهى حب الله تَعَالَى وحب رَسُولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحب الجهاد فى سبيله ، هنا أنتم انتظروا أمر الله تَعَالَى من فوق سبع سموات ، ويعتبر النَّاس آنذاك فاسقين : (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)[3] ، فهنا العبد لا يصل إِلَى مطلوبه بل يضله الله تَعَالَى ويتعبه)[4]

---

[1] (13 الصف)
[2] (24 التوبة)
[3] (24 التوبة)
[4] لسان الدعوة : (429)

فَصْلٌ فِي ذِكْرِ طَرَفٍ مِنَ الدَّعْوَةِ بِالتَّرْهِيبِ مِنَ عَذَابِ اللهِ تَعَالَى .

وَفِى بَعْضِ الأَحْوَالِ لَا يَنْفَعُ مَعَ المَدْعُوِّ إِلَّا الشِّدَّةُ وَالتَّرْهِيبُ مِنْ عَذَابِ اللهِ تَعَالَى وَهَذِهِ آخِرُ وَرَقَةٍ تَسْتَطِيعُ تَقْدِيمُهَا لَهُ ! ، لَعَلَّهَا تَكُونُ نَافِعَةً وَمُفِيدَةً . وَلِكُلِّ شَخْصٍ طَرِيقَةٌ وَسَبِيلٌ فَاحْرِصْ عَلَى تَحْصِيلِ أَكْثَرِ المَنَافِعِ مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً ، وَالسَّلَامَةُ مَطْلُوبَةٌ ، وَلَا تُدَاهِنْ عَلَى أُصُولِ الشَّرِيعَةِ ، وَالله المُوَفِّقُ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الأمم التى تكبرت مع الله تَعَالَى وتجبرت بالقوة ، والمال ، أو السلاح والملك ، لما تعدوا الحدود وأصروا عَلَى الكفر أهلكهم الله تَعَالَى بعذابه ، وعذاب الله تَعَالَى كان للأمم عَلَى هيئة ريح صرصر أو صيحة أو غرق أو خسف ، قَالَ تَعَالَى : (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [1] ، فهنا الله تَعَالَى جاء بالعذاب فى صور مختلفة ، وهؤلاء لم يستطيعوا بقدراتهم أن يدفعوه ، وأن يحفظوا أنفسهم وأهليهم بقوة أسلحتهم ، ولا عدتهم ولا عددهم ، فهلكوا وخسروا ، لأن تلك الأسلحة عاجزة أمام القوات التى خلقها الله تَعَالَى ، وهى ليست مثل قوات الإنسَان التى أوجدها الله تَعَالَى فى كونه) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الإنسَان الذى يسير بهواه مخالفا أمر الله ، لابد أن يعرف أن نهايته سيئة ، ولن يعرف هذا إلا فى الآخرة : (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ) [3] ، فيتمنى الإنسَان أن تكون هذه نهايته ، فلن ينفعه مال ولا سلطان ، ويدخل جهنم وله سلسلة سبعون ذراعا من أذرع الآخرة ، يتعذب بها ويسير فى ظلها ، لماذا ؟ (إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ) [4] ،

---

[1] (40 العنكبوت)

[2] لسان الدعوة : (157)

[3] (25 – 27 الحاقة)

[4] (33 الحاقة)

إنه إذن فى الجَنَّة النعيم والفوز العظيم ، وفى النار العذاب والبكاء الدائم ، وكلاهما فى الآخرة يرى الآخر ، من فى الجَنَّة ومن فى النار ، يَقُولُ تَعَالَى : (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّة أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ)[1] ، هذا نداء حرقة واستغاثة ، ولكن الرد القاطع (قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ)[2])[3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ فِقْهِ الوَقْتِ وَكَيْفِيَّةِ إِنفَاقِهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الوَقْتَ كَالْمَالِ ، بَلْ سَتُسْأَلُ عَنْهُ مَرَّتَيْنِ ، عَنْ شَبَابِكَ وَعَنْ عُمُرِكَ ، وَنِعْمَةُ الوَقْتِ مَغْبُونٌ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا يُعْرَفُ قِيمَتُهَا إِلَّا بَعْدَ فَوَاتِ الأَوَانِ ، وَمَا نَفْسُكَ إِلَّا لَحَظَات ، قَالَ تَعَالَى : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّة)[4] ، فَاحْرِصْ عَلَى إِنْفَاقِ وَقْتِكَ فِى سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى لِتُعَمِّرَ آخِرَتِكَ ، وَدُنْيَاكَ سَاعَةٌ فَاْجْعَلْهَا طَاعَةٌ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد للمسلم أن ينتبه لنفسه ، وينظر كيف ينفق وقته ، فوقت المُسْلِمِ أثمن من الذهب ، وكل ساعة تمر عليه هى جوهرة ثمينة وضياعها خسارة فادحة ، ومثال الإنسَان الذى يهدر وقته دون أن ينتبه مثل الصغير معه جواهر فى يده يلعب بها ويضرب بنبله ، فهنا أحد السراق قَالَ له ، خذ هذه الجنيهات وهات تلك الحجارة ففرح وأعطاه إياه ، فهنا الشيطان لأجل أمور تافهه يأخذ جواهرنا ويعطينا مليمات ننفقها ونفرح بها ، والنَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ)[5] ، ترى كم من الأيام ضاعت منا دون صرفها فيما ينفع ويرضى الله تَعَالَى ؟

لو تفكرنا قليلا ، يَقُولُ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَان وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ. وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السماء وَالأَرْضِ)[6] أى شىء للغنى أو للسلطان أو الملك لو أنفقه يملآ السماء والأرض ؟ لا

[1] (50 الأعراف)
[2] (50 الأعراف)
[3] لسان الدعوة : (165)
[4] (111 التوبة)
[5] (البخارى 6049)
[6] (مسلم 556)

يستطيع ، وهذا قد أعطاه الله تَعَالَى لجميع النَّاس ، فهنا ننظر كم قصرنا ؟ وكم فرطنا فى هذا ؟ وهذا الأمر ليس فيه جهد كبير ، بل حركة اللسان مع خضوع الجوارح وخشوع القلب يجعل الله تَعَالَى تلك الكلمات تملآ ميزان الآخرة) [1]

فَصْلٌ فِي تَفَقُّدِ الإِخْوَةِ وَالسُّؤَالِ عَنْهُمْ وَالسَّعْيِ فِى حَاجَاتِهِمْ .

وَيَجِبُ تَفَقُّدُ المُسْلِمِينَ وَالسُّؤَالِ عَنْهُمْ وَخَفْضِ الجَنَاحِ لَهُمْ ، فَالْمُسْلِمُ لِلمُسْلِمِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضَاً ، فَمَنْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُجْتَهِدَاً فِى عِبَادَةٍ مِنَ العِبَادَاتِ وَغَابَ عَنْ أَهْلِهِ بِأَنْ خَرَجَ لِلجِهَادِ أَوْ لِطَلَبِ العِلْمِ أَوْ لِلدَّعْوَةِ وجَبَ عَلَيْنَا تَفَقُّدِهِمْ فِى غَيْبَتِهِ مَعَ الأَخْذِ بِالأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ . وَالأَوْلَى بِذَلِكَ أَهْلُ الدِّينِ وَالدَّعْوَةِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (سيدنا عمر رَضِىَ اللهُ عَنْهُ كان يذهب للسوق لشراء الحاجات ، فلما كان يخرج للسوق فالغلمان والعبيد والنساء وراءه ، فكان يشترى لهم ويعطى لهم حاجاتهم وهو أمير المؤمنين ، لذَلِكَ ونحن خارجون فى سبيل الله يجب أن يذهب أهلنا إِلَى بيوت الخارجين فى سبيل الله ، ولا نذهب نحن بل نتقى مواطن الشبهات) [2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ تَحْصِيلِ الأَخْلَاقِ مِنَ خِلاَلِ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ وبَيَانِ أَقْسَامِ الأَوَامِرِ الإِلَهِيَّةِ .

وَأَفْضَلُ وَسِيلَةٍ لِتَحْصِيلِ الأَخْلَاقِ هِىَ القِيَامُ بِالأَوَامِرِ الإِلَهِيَّةِ ، وَبِقَدْرِ قِيَامِنَا بِالأَوَامِرِ الإِلَهِيَّةِ بِصِدْقٍ وإِخْلَاصٍ وَتَذَلُّلٍ لِلهِ تَعَالَى - مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ وَأَرْكَانِ الإِيمَانِ - بِقَدْرِ مَا تَكُونُ مَعِيَّةُ اللهِ تَعَالَى مَعَنَا وَنُصْرَتُهُ حَلِيفَتُنَا ، وَهَذَا يُؤَدِّى إِلَى عَلَاقَةٍ قَوِيَّةٍ مَعَ اللهِ تَعَالَى ، فَتُثْمِرُ اسْتِعْدَادَاً فِى قُلُوبِنَا لِلقِيَامِ بِكُلِّ أَوَامِرِ اللهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَأَوَامِرُ اللهِ تَعَالَى تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَينِ : الأَوَّلُ الأَوَامِرُ التَّشْرِيعِيَّةُ : وَهِىَ التِى تَتَعَلَّقُ بِهَذَا الإِنسَانِ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّرْعِ وَهِىَ تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ : الأَوَامِرُ التَّشْرِيعِيَّةُ الإِنْفِرَادِيَّةُ وَالأَوَامِرُ التَّشْرِيعِيَّةُ الإِجْتِمَاعِيَّةُ ، وَالثَّانِى : الأَوَامِرُ التَّكْمِيلِيَّةُ : وَهِىَ التِى تَتَعَلَّقُ بِغَيْرِ الإِنسَانِ ، فَبِإِحْيَاءِ الأَوَامِرِ التَّشْرِيعِيَّةِ

---

[1] لسان الدعوة : (221 - 222)

[2] لسان الدعوة : (154)

الاجْتِمَاعِيَّةِ المُتَعَلِّقَةِ بِجُهْدِ الانْتِقَالِ ، يُجْيِى اللهُ تَعَالَى الأَوَامِرَ التَشْرِيعِيَّةَ المُتَعِلِّقَةَ بِجُهْدِ المَقَامِ ، ثُمَّ يُجْيِي اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الأَوَامِرَ التَّشْرِيعِيَّةَ الإِنْفِرَادِيَّةَ ، ثُمَّ يَجْعَلُ اللهُ تَعَالَى الأَوَامِرَ التَّكْمِيلِيَّةَ مُوَافِقَةً لَهَا .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (يجب أن نتكيف مع الأحوال بالحكمة والتواضع والتذلل لله تَعَالَى ، بهذه الطرق تأتى الصفات الإيمانية ، وبقدر الصفات تأتى حقيقة العبادات ، وبقدرها تأتى علاقة قوية مع الله عز وجل ، وبقدر هذه العلاقة يأتى الإستعداد لاحتمال أوامر الله تَعَالَى فى النَّاس ، فنؤدى حقوق العباد وبها يأتى الاستعداد لأداء الحقوق كاملة ،

فالصلاة أمر وحق الله ، وإشعار لحقوق العبادات ، والصوم أمر الله وحق الله وإشعار لحقوق العبادات ، كَذَلِكَ الحج والزكاة : (فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)[1] ، (وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّة)[2] ، فبالإِيمَان والعبادات والقيام بأعمال الدعوة ، فى كل ذَلِكَ تمرين عَلَى اداء حقوق العباد ، وحسن الأخلاق ، وهذا كله عَلَى بصيرة لا عَلَى جهالة)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أرسلنا فى هذه الدنيا كى نقضى حياتنا حسب الدين ، والدين ينقسم إِلَى قسمين : الأول ؛ هو أوامر الله عز وجل ، والثانى ؛ هو سنن الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إذا قضينا حياتنا بامتثال أوامر الله عز وجل واتباع سنة الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الله يرضى عنا وإِذا رضى الله تَعَالَى فنتحصل عَلَى فلاح الدنيا والآخرة)[4]

وقال رحمه الله (أوامر اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منتشرة فى القرآن والأحاديث ، مثلا أمر الزكاة ، وأمر الصلاة والحج ، وأمر الإِنسَان للزوجة وأمر السكنى للزوجة ، وأمر الصدقات ، وهكذا الأوامر منتشرة ولكن ما هو الترتيب لامتثال أوامر اللهُ

---

[1] (197 البقرة)
[2] (البخارى 1683 ، مسلم 3355 ، الترمذى 933 ، أحمد 9948 ، 15701)
[3] لسان الدعوة : (186)
[4] لسان الدعوة : (409)

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؟ أى أمر تقدم وأى أمر تؤخر ؟ ليس من قبلنا نبين أن هذا الأمر مقدم وأن هذا الأمر مؤخر ، بل نفرق بامتثال أوامر الله تَعَالَى وفقا لما جاء فى حياة الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نسمع كثيرا أَنَّهُ بالعبادات نسير إِلَى الأخلاق ، ولكن كيف نسير إِلَى الأخلاق ؟ لأن لكل عبادة مزاج خاص ، فمزاج عبادة الصلاة هو ماذا ؟ هو تضحية النفس عَلَى أمر الله تَعَالَى ، وأن الأذان إذا أذن الإِنسَان يترك كل شيء ويضحى براحة النفس ، ويذهب إِلَى المَسْجِد وهذا هو مزاج عبادة الصلاة ، ومزاج الصوم هو طرح أهواء النفس ، الإِنسَان يترك الأكل والشرب ، ومزاج الزكاة هى إنفاق المال عَلَى أمر الله تَعَالَى ، والحج هو تضحية النفس والمال ، لأن الإِنسَان إذا ذهب إِلَى الحج فيذهب بنفسه وبماله ويتحمل مشقة النفس وينفق المال ، فإذا كان العبد يصلى ويصوم ، ويؤدى الزكاة ويحج فعِند ذَلِكَ جاء مزاج العبادة ، فعِند ذَلِكَ أصبح الإِنسَان عَلَى استعداد أن يضحى بنفسه عَلَى أمر الله تَعَالَى لخدمة الفقراء واليتامى والمساكين ، والإستعداد لأن ينفق ماله فى الصدقات عَلَى الفقراء والمساكين وفى هذا يَقُولُ تَعَالَى : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)[2] ، ويَقُولُ تَعَالَى : (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ، لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)[3] ، والأخلاق لا يمكن أن تأتى إلا عن طريق العبادات الحقيقية بمزاجها النبوى ، ثم يأتى بعد ذَلِكَ الاستعداد فى الأمة للامتثال لأوامر القضاء والسياسة .

ولكن اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ربط إحياء أوامره مع الجهد فقَالَ تَعَالَى (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)[4] ، والجهد ليس مرة وينتهى ، بل الجهد مرة بعد مرة حتى تنصلح جميع احوالنا ، عَلَى قدر المجاهدة تأتى العبادة ، وعَلَى قدر الهداية يأتى الإِيمَان ، ثم يكون الجهد فتأتى الهداية ، وعَلَى قدر الهداية تكون العبادة ثم يكون الجهد ، وعَلَى قدر الجهد تأتى الهداية ثم يأتى الامتثال

---

[1] لسان الدعوة : (409)
[2] (9 الحشر)
[3] (24 – 25 المعارج)
[4] (69 العنكبوت)

لأوامر الله تَعَالَى في الأعمال والمعاشرات والمعاملات والأخلاق ، ثم يكون الجهد فتنزل الهداية وعَلَى قدر نزول الهداية تأتى الأوامر فى القضاء والسياسة ، وهكذا جهد وبعده عمل حتى يفصل الله تَعَالَى بالهداية .

والأوامر تنقسم إِلَى قسمين : الأول الأوامر التشريعية ، والثانى الأوامر التكميلية ، الأوامر التشريعية وهى التى تتعلق بهذا الإِنسَان من ناحية الشرع مثل الصوم والزكاة والحج وغير ذَلِكَ من أوامر تشريعية ، والأوامر التكميلية ما هى ؟ هى التى تتعلق بغير الإِنسَان مثل أمر السماء وأمر الأرض ، الأمر الذى يتعلق بالملائكة ، الأمر الذى يتعلق بكل المخلوقات ، والأوامر التشريعية تنقسم إِلَى قسمين : الأوامر التشريعية الإنفرادية والأوامر التشريعية الإجتماعية ، الأول مثل الصلاة والصوم والزكاة والثانية مثل الجهاد والحج ، إِذن ما هو الترتيب لإحياء الدين ؟ أولا بإحياء الأوامر التشريعية الاجتماعية المتعلقة بجهد الانتقال ، ثم إذا جاءت هذه الأوامر المتعلقة بجهد الانتقال يحيى الله تَعَالَى الأوامر التشريعية المتعلقة بجهد المقام ، فإذا أحيا الله تَعَالَى الأوامر الاجتماعية المتعلقة بجهد المقام ، اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يحى الأوامر التشريعية الإنفرادية ، الصلاة ، الزكاة ، الصوم ، الحج ، فالله تَعَالَى يجعل الأوامر التكميلية موافقة لها ، وهذا معناه تسخير الكائنات ، معناه أن اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سخر البحار لأصحاب الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن مروا بهذه المراحل)[1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ كَيْفِيَّةِ تَحْصِيلِ الإِيمَانِياتِ وَالأَخْلاَقِ العَالِيَةِ .

وَأَوَّلُ مَا يَجِبُ الجُهْدُ عَلَيْهِ حَتَّى نُحَصِّلُ الإِيمَانِيَّاتِ فِى القُلُوبِ ، أَنْ نَجْتَهِدَ عَلَى تَقْوِيَةِ العَلَاقَةِ بِاللهِ تَعَالَى وَتَعْظِيمِهِ ، فَإِذَا جَاءَتْ الإِيمَانِيَّاتُ ، تَقُومُ الأُمَّةُ عَلَى العِبَادَاتِ بِيُسْرٍ وَسُهُولَةٍ ، وَبَعْدَهَا يَأْتِى الإِسْتِعْدَادُ فِى الأُمَّةِ لِلوُصُولِ إِلَى الأَخْلَاقِيَّات التى تَتَرْجَمُ تِلْقَائِيّاً فِى المُعَامَلَاتِ وَفِى المُعَاشَرَاتِ .

[1] لسان الدعوة : (414- 415)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (رسخت عظمة الله تَعَالَى فى قلوب الصَّحابَة ، فأصحاب الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذهبوا بأنفسهم إِلَى الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسألوا مِنْ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأوامر، وأورد الله تَعَالَى ذَلِكَ فى قرآنه فقال : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى)[1] ، (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ)[2] ، (وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ)[3] ، كل هذا أصحاب الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سألوا الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما جاءت عظمة الله تَعَالَى ، فأول شيء تأتى الإيمانيات فى القلوب وإِذا جاءت الإيمانيات فى الأمة ، يأتى فى الأمة الأمر الثانى وهو العبادات ، فإِذا قامت الأمة بالعبادات ، يأتى الإستعداد فى الأمة للوصول إِلَى الأخلاقيات ، وإِلى امتثال أوامر الله تَعَالَى فى المعاملات وفى المعاشرات)[4]

فَصْلٌ فِي ذِكْرِ بَعْضِ أَمْرَاضِ القُلُوب .

وَأَمْرَاضُ الأُمَّةِ[5] كَثِيرَةٌ يَجِبُ الحَذَرُ مِنْهَا ، لِوَعِيدِ اللهِ تَعَالَى مُرْتَكِبِهَا بِالعَذَابِ الأَلِيمِ ، فَوَجَبَ تَحْذِيرُ الأُمَّةِ مِنْ هَذِهِ المَعَاصِى ، وَلَكِنْ بِطَرِيقَةٍ صَحِيحَةٍ تُؤَدِّى إِلَى المَقْصُودِ ، وَهُنَا تَخْتَلِفُ الطُّرُقُ مِنْ دَاعٍ لِأَخَرَ ، حَسْبَمَا يَرَى كُلُّ وَاحِدٍ الطَّرِيقَ الأَقْرَبَ إِلَى تَحْقِيقِ المَقْصُودِ ، فَالوَسَائِلُ لِنَشْرِ الدَّعْوَةِ مُبَاحَةٌ ، بِشَرْطِ عَدَمِ ارْتِكَابِ مَحْظُورٍ مَنْهِى عَنْهُ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نهى رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أشياء كثيرة ، فنهى عن الإسراف فى الماء وعن الغيبة والنميمة والكذب وشهادة الزور ، ونهى عن الحسد وسؤ الظن ، والغش والخداع والغدر ، وحرم الربا والزنا والنياحة والتطير ، وحرم التصوير ...... إِلَى غير ذَلِكَ .)[1]

---

[1] (220 البقرة)
[2] (219 البقرة)
[3] (219 البقرة)
[4] لسان الدعوة : (413 - 414)
[5] ومعنى أمراض الأمة : كل معصية عُصِى بها الله تعالَى ، أو كل فعل انتشر فى الأمة ولم يرضاه الله تعالَى . وحرمة تلك المحرمات معلومة لا ينكرها أحد ، ومعنى قول أهل الدعوة أننا لا نتكلم فى أمراض الأمة أى لا نكثر من الكلام فيها فى بياناتنا عَلَى الملأ حفاظا عَلَى شعور الناس المنغمسين فى تلك الأمراض و المحافظة عَلَى سير الدعوة من المعارضين والتزام الرفق فى الأمر كله ، ولكن الفرق بين أهل التبليغ وبين غيرهم هو فى علاج تلك الأمراض ، فأهل الدعوة يعلمون بوقوع المرض ومدى تأثيره السلبى عَلَى الناس ، ولِذَلِكَ يعالجون المرض بتجاهله وكثرة الكلام فى علاجه ، بخلاف غيرهم ممن يكثرون الكلام فى ذات المرض – وإن كان ذَلِكَ صحيحا لا مشاحة فيه ، غير أنها مدارس إصلاحية ، كل منها تريد تحصيل النتيجة من أقرب طريق – والله المستعان .

فَصْلٌ فِى ذَمِّ الدُّنْيَا إِذَا كَانَتْ عَلَى غَيْرِ مُرَادِ اللهِ تَعَالَى .

وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا مَذْمُومَةٌ مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمَاً أَوْ مُتَعَلِّمَاً ، فَكُلُّ مَا فِى الدُّنْيَا جَمِيلٌ إِذَا تَزَيَّنَ بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى وَكَانَ فِى مَرْضَاتِهِ ، وَيَكُونُ قَبِيحٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِى مَرْضَاةِ اللهِ تَعَالَى ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ رَغْبَةً عَنِ الدُّنْيَا بَلْ رَغْبَةً عَنِ الدُّنْيَا بِغَيْرِ الدِّينِ .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (كذَلِكَ الدنيا قَالَ تَعَالَى فيها : (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) [2] ، والنَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أن الدنيا اكثر ما فيها ضر وبلاء فقال : (أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا ، إلا ذِكْرَ اللَّهِ وَمَا وَالاهُ ، وَعَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا) [3]) [4]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا سَبَبُ الصَّدِّ عَن سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى ، وَذِكْرِ بِشَارَةِ مِن بِشَارَاتِ الأُمَمِ السَّابِقَةِ بِبَعْثَةِ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَهَذِهِ الدُّنْيَا هِىَ التِى أَهْلَكَتْ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا مِنَ الأُمَمِ ، حِينَمَا بُسِطَتْ عَلَيْهِمُ فَتَنَافَسُوهَا فَأَهْلَكَتْهُمْ ، وَلَكِنْ مَا أَجْمَلَهَا إِذَا كَانَتْ فِى طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى وَاسْتُخْدِمَتْ فِى مَرْضَاتِهِ كَمَا فَعَلَ الصَّحَابَةُ الكِرَامُ رَضِىَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ . قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ , فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ) [5] .وَقَالَ يَحْيى بنُ مُعَاذٍ: (يَا ابنَ آدَمَ ، لَا يَزَالُ دِينُكَ مُتَمَزِّقاً مَا دَامَ قَلْبُكَ بِحُبِّ الدُّنْيَا مُتَعَلِّقاً) [6] .

---

[1] لسان الدعوة : (404)
[2] (185 آل عمران)
[3] (الترمذى 477 ، شرح السنة للبغوى 4028)
[4] لسان الدعوة : (161)
[5] (البخارى 2988 , مسلم 2961)
[6] (إيقاظ أولي الهمم العالية لعبدالعزيز بن محمد بن سلمان 43)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قيصر قرأ كتاب النَّبِى صلى الله عليه وسلم ، فورا فهم أَنَّهُ عَلَى حق ، لأنه كان عالما ، ولكن أمامه الملك ففكر فى ملكه ، وفهم أَنَّهُ باتباع النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخسر ملكه ومنصبه ، فجمع أهل مشورته وبين لهم كتاب النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورغبهم فى الإِيمَان وَقَالَ لهم : هذا النَّبِى الذى كنا نقرأ عنه فى الإنجيل ، وكل الرهبان معه ، ولكن بالرغم من أنهم رهبان وفى خدمة الدين ، لكن كان مقصدهم الدنيا وراء الدين ، فخافوا عَلَى دنياهم مع أنهم يعرفونه ، كما أخبر الله تَعَالَى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ)[1] ، وهؤلاء ما أنكروا عَلَى الفور ، لأنهم كانوا من قبل يرغبون النَّاس عَلَى الإِيمَان بهذا النَّبِى ، ولكن هم احتالوا وفكروا ولجئوا إِلَى الحيلة فقالوا : هذا النَّبِى غير الذى ننتظره ، ، لأنه ما خرج من نسل إسحاق فارتدوا ، لذَلِكَ يخبر اللهُ سُبحَانَهُ : (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ)[2] ، هكذا الذين يحبون الدنيا ، يلجئون إِلَى الحيلة عِند المجاهدة)[3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ الفَوَاحِشَ البَاطِنِيَّةِ .

وَمِنَ الفَوَاحِشِ مَا يَكُونُ بَاطِناً فِي دَاخِلِ الإِنسَانِ ، وَهَذَا خَطَرُهُ أَعْظَمُ ، وَفَتْكُهُ أَشَدُّ مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ ، فَيَجِبُ الحَذَرَ مِنْ كُلِّ تِلْكَ الفَوَاحِشِ ، وَبِخَاصَّةٍ مَا يَمَسُّ القَلْبَ . قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام : (إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ , وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ , أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)[4].

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (أماالفواحش الباطنيه فهذه أخطر ، كماقَالَ تَعَالَى : (وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)[5] ، فهذه الفواحش الباطنيه لايشعربهاالإنسان ، والذى لايشعر بالفاحشه والذنب كيف يتوب ؟ مثل الكبر والعياذ بِاللهِ ، كما

[1] (146 البقرة)
[2] (25 محمد)
[3] لسان الدعوة : (309 – 310)
[4] (البخارى 52 , مسلم 107 ، 1599)
[5] (151الأنعام)

أخبربذَلِكَ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّة مِنْ كِبْرٍ)[1] ، وهذا أشد من الزنا والسرقه ، وكذَلِكَ أخبرالرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ تعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّة يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[2] ، عرف الجنه ريحها .فعلينا أن نستيقظ ، فالذى يذل نفسه ويضعها من أجل الله تعَالى ، فالله تعَالَى يرفعه ويمكنه (وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ)[3] ، ومن ترفع وضعه الله تعَالى)[4]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ الصَّبرِ وَالْمُجَاهَدَةِ .

وَالصَّبْرُ أَصْلٌ فِي دِينِ اللهِ العَظِيمِ ، إِذْ هُوَ الرُّكْنُ الرَّابِعُ مِنْ أَرْكَانِ السَّائِرِ إِلَى اللهِ تَعَالَى بَعْدَ الإِيمَانِ (وَهُوَ العِلْمُ) وَالعَمَلُ وَالدَّعْوَةُ وَالصَّبْرُ. قَالَ تَعَالَى : (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)[5] ، وَأَجْرُ الصَّبْرُ عَظِيمٌ وَكَفَى بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)[6] بِشَارَةً وَمَنْقَبَةً .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كما أن الإنسَان يصلى الصبح فى البرد ، فهنا عنده صبر لأمر الله تَعَالَى فهذه مجاهدة ، ثم الصبر ما هو ؟ الإنسَان يصبر عَلَى المصائب لأجل أمر الله تَعَالَى والله تَعَالَى أخبرنا بذلك

فيقول: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)[7].

---

[1] (مسلم 275 ، 277 ، صحيح بن حبان 5466)
[2] (أبوداود 3664 ، ابن ماجه 252 ، مسند أحمد 8457)
[3] (مسلم 6757 ، مسند أحمد 9008 ، شعب الإيمان 3138)
[4] لسان الدعوة : (354)
[5] (3 العصر)
[6] (155 البقرة)
[7] (155 البقرة)

تأتى الأحوال فى النفس ، والأموال ، والأولاد ، والأهل ، ولكنوبشر الصابرين ، من هم ؟ (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) [1] ، الذين يمتثلون أمر الله تعَالَى فى كل حال ولا يتأثرون من الأحوال هم عَلَى الهداية) [2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ مَعْنَى المَعْرِفَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) .

وَاعْلَمْ أَنَّ الغَايَةَ مِنْ خَلْقِ الإِنْسَانِ : هِىَ عِبَادَةُ اللهِ تَعَالَى بِالمَعْنَى الذِى ذَكَرْنَا ، وَهُوَ مَعْنًى شَامِلٌ كَامِلٌ ، وَلَنْ يَتَحَقَّقَ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى بِالحَقِيقَةِ ، فَمَنْ عَرَفَ اللهَ حَقَّاً أَطَاعَهُ وَعَبَدَهُ وَقدرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَمَنْ فَسَّرَ قَوْلَهُ تَعَالَى (إِلَّا لِيَعْبُدُونَ) بِمَعْنَى (إِلَّا لِيَتَعَرَّفُونَ) مِا أَخْطَأَ [3] ، فَالْمَعْرِفَةُ الحَقِيقِيَّةُ هِىَ التِى تَجُرُّ إِلَى فِعْلِ المَحْبُوبِ وَتَرْكِ المَكْرُوهِ وَالاسْتِسْلَامِ لِلْأَوَامِرِ وَالْمُسَارَعَةِ فِي تَنْفِيذِهَا ، أَمَّا مَنْ قَالَ أَنَّ الإِيمَانَ هُوَ المَعْرِفَةُ بِالقَلْبِ وَأَنَّهُ لَوْ فَعَلَ الْمُنْكَرَاتِ وَالكَبَائِرِ وَأَعْمَالَ الرِّدَّةِ , فَلَا لَوْمَ عَلَيْهِ وَلَا يُؤَثِّرُ فِي إِيمَانِهِ حَتَّى يَجْهَلَ رَبَّهُ بِقَلْبِهِ [4] ، فَهَذَا ضَلَالٌ مُبِينٌ وَكُفْرٌ بِاللهِ العَظِيمِ - لِأَنَّهُ يُعَدُّ خُرُوجٌ عَنْ شَرِيعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَعُوذُ بِاللهِ مِنْهُ ، وَلِأَنَّ المَعْرِفَةَ النَّظَرِيَّةَ إِذَا لَمْ تُتَرْجَمَ إِلَى وَاقِعٍ فَهِىَ جَهْلٌ مُرَكَّبٌ ، وَعِقَابُهُ مُضَاعَفٌ ، فَافْهَمْ هُدِيتَ أَرْشَدَ المَسَالِكِ .

---

[1] (156 – 157 البقرة)

[2] لسان الدعوة : (302)

[3] (قال مُجَاهِدٌ: إِلَّا ليعرفوني.(تفسير القرطبى) ، قال السعدى : هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم. (تفسير السعدى) ، وقال ابن جُرَيْج: إلا ليعرفون. (تفسير بن كثير) ، وقال مجاهد: إن المعنى إلا ليعرفوني قال الكلبي: وهذا قول حسن، لأنه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده (تفسيرفتحُ البيان في مقاصد القرآن) ، وقال محمود الآلوسى : وقال مجاهد : إن معنى { لِيَعْبُدُونِ } ليعرفون وهو مجاز مرسل أيضاً من إطلاق اسم السبب على المسبب على ما في الإرشاد ، ولعل السر فيه التنبية على أن المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة قيل : وهو حسن لأنهم لو لم يخلقهم عز وجل لم يعرف وجوده وتوحيده سبحانه وتعالى (تفسير الآلوسى) إلخ)

[4] وهذا هو مذهب الجهمية المرجئة المحضة وليس مذهب مرجئة الفقهاء لأن مرجئة الفقهاء طائفة من أهل السنة وإن كان خلافهم له آثار , ولكنهم يرون أن الواجبات واجبات والمحرمات محرمات وإن لم تكن من الإيمَان , ويكفرون من كفره الله ورسوله.

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لو أن الأمة تفرط فى أمر الله تَعَالَى وأمانة دينه ، وتترك صفاتها وتبخل بنفسها ومالها وتترك أمر الله تَعَالَى ، فهنا الأمة لم تقم عَلَى مقصدها وما خلقت من أجله ، فهنا الله تَعَالَى يسلمها لمن يهلكها) [1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لذَلِكَ علينا أن نتذاكر فى قدرة الله وعظمته وخزائنه حتى نعرف ربنا ، فإذا عرفنا ربنا نحن نعبده ولا نعصيه) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الإنسَان لا يتحصل عَلَى معرفة الله تَعَالَى إلا بالمجاهدة ، كل شيء يعرف ويتحصل عليه فى ميدانه ، فعلينا أن ننوى ونخرج فى سبيل الله تَعَالَى ، ونرتب حياتنا عَلَى هذا العمل ، ونخرج أولا أربعة أشهر ، ونرتب حتى نخرج كل سنة أربعين يوما ، أو شهرا ، أى مدة نتدرب فيها ، نحاول أن نعيش السنة ، ونعرف الدين ونحياها ، لأن عامة الصَّحَابَة لاضى الله عنهم كانوا هكذا نصف النهار للكسب والنصف الآخر للدين ، ونصف الليل للأهل والنصف الآخر للمَسْجِد) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كيف تأتى فى أعمالنا هذه الخمسة أشياء ؟ اليَقِين عَلَى الله تَعَالَى كيف يأتى فينا ؟ كيف يأتى فينا الإيمَان ؟ نجتهد حتى يخرج يقين غير الله تَعَالَى من قلوبنا ، ونجعل اليَقِين عَلَى الله تَعَالَى ، وبهذا يقوى الإيمَان بِاللهِ تَعَالَى فى الغيب ، هكذا اليَقِين عَلَى الغيب لا يأتى بالسهولة بل يحتاج لجهد حتى يأتى هذا اليَقِين ، لأن اليَقِين عَلَى الأشياء يأتى بغير جهد ، لأن الأشياء ترى ، فالإنسان يجتهد بالدعوة إِلَى عظمة الله تَعَالَى وكثرة الكلام فى الغيبيات حتى تكون بيئة الدعوة ، فيقوى الإيمَان ، فبالكلام عَلَى عظمة الله تَعَالَى وكلام الإيمَان يقوى الإيمَان ، يكون كلام الإيمَان مع الأهل وفى الزيارات ، لأننا عندما نتكلم مع النَّاس فى قدرة الله تَعَالَى وفى بطشه ، وكذَلِكَ فى رحمته وما أعد الله تَعَالَى للمؤمنين فى الجَنَّة إذا أطاعوه فى الدنيا ، فهذه دعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى ، وبهذا يتقوى الإيمَان ، وإِذا تقوى الإيمَان يتقوى الدعاء ، وإِذا تقوى الدعاء تقضى الحاجات ، وإِذا اجتهدنا عَلَى تقوية الإيمَان تكون التقوى فى حياتنا ، وتتقوى علاقتنا بِاللهِ تَعَالَى ، فتأتى المعرفة .

---

[1] لسان الدعوة : (199)

[2] لسان الدعوة : (315)

[3] لسان الدعوة : (329)

والله تَعَالَى يدعونا خمس مرات ، خمس صلوات فى اليوم ، الإنسَان لا يذهب عِند واحد إلا إذا كان يعرفه ، الإنسَان يحضر عِند الله تَعَالَى ويتضرع إليهي ، فالله تَعَالَى يحب هذا ، لكن إِلَى الآن صلاتنا ليست صحيحة ، والإنسان إذا التقى مع غيره شهرا كاملا كل يوم فتقوى العلاقة بينهما ، ونحن كل يوم نصلى خمس مرات ، وما قويت معرفتنا بِاللهِ تَعَالَى ، والله تَعَالَى يفرح بالعبد الذى يسأله ، ويغضب عَلَى الذى يترك سؤاله ، أحيانا الله تَعَالَى يجعل عبده تأتى عليه الأحوال ، ففى هذه الأحوال لا يبقى معه واحد إلا الله تَعَالَى ، ولماذا هذه الأحوال الشديدة ؟ حتى يتضرع هذا الإنسَان إِلَى اللهِ تَعَالَى بالكلية ، فإذا توجه الإنسَان إِلَى اللهِ تَعَالَى يترقى ، والله تَعَالَى يستجيب دعاءه) [1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ كَمَالِ الدِّينِ وَتَمَامِ النِّعْمَةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الدِّينَ كَامِلٌ ، وَمَحْفُوظٌ ، لَمْ يُنْقَصْ مِنْهُ شَعِيرَةٌ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ تَجْتَمِعِ الأُمَّةُ عَلَى ضَلَالَةٍ مُنْذُ عَهْدِ نَبِيِّهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (بعد ثلاث وعشرين سنة للنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يَقُولُ – كما حكى القرآن - : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [2] ، فبشر الله إياهم بتمام الدين بعد مراحل متعددة كثيرة ومؤلمة ، أخلاق ، تواضع ، تذلل ، وكَذَلِكَ قتال وحرب ومجاهدة فى الأسواق والبيوت) [3]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (والفرق بيننا وبين شريعة الأنبياء السابقين ، أن شريعة نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكملة وكاملة ، كيف يأتى الدين فى حياتنا كلها ؟ وكيف يدخل فى كل شعب الحياة؟ فالصلاة فقط ليست هى الدين كله ، فالدين طريق الحياة كلها) [1]

[1] لسان الدعوة : (340)
[2] (3 المائدة)
[3] لسان الدعوة : (190)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ وُجُوبِ التَّوْبَةِ وَتَرْكِ الذُّنُوبِ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا .

وَيَجِبُ تَرْكُ جَمِيعُ الذُّنُوبِ وَالابْتِعَادُ عَنْهَا وَالتَّوْبَةُ مِمَّا قَدْ مَضَى فَوْرَ العِلْمِ بِالمَعْصِيَةِ مُبَاشَرَةٍ ، امْتِثَالاً لِأَمْرِهِ تَعَالَى : (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُول وَاحْذَرُوا) [2] .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (وكذَلِكَ نحن نجتنب الصغائر حتى لا نقع فى الكبائر ، مثل الجمرة الصغيرة هى تشعل النيران ، كذَلِكَ الإنسَان ينسى والله تعَالَى يغفر ، والتوبة فى الدنيا فقط وليس بعد الموت ، وإذا وصلت الروح الحلقوم يغلق باب التوبة ، وعَلَى البشرية كلها يغلق باب التوبة عندما تطلع الشمس من مغربها ، ولكن طول الحياة الله يفتح باب التوبة) [3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ ثَمَرَاتِ التَّوْبَةِ وَعَوَاقِبِ المَعْصِيَةِ .

وَالذِى يَتُوبُ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَيَسْتَغْفِرُهُ يَنَالُ مِنَ اللهِ تَعَالَى مُبَشِّرَاتٍ فِى هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْهَا الطُّمَأْنِينَةُ ، وَالقَنَاعَةُ ، وَالرِّضَا بِالقَضَاءِ ، وَيَنْعَمُ بِالحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ وَيُجْزَى أَجْرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَحْسَنِ مَا كَانَ يَعْمَلُ .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (يَقُولُ تَعَالَى (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) [4] ، فالمصائب والتكاليف تأتى بسبب المعاصى ، ولكن المصائب التى تأتى عَلَى العيد المؤمن فهى سبب للترقية ، مث الأنبياء هم معصومون ، ولكن التكاليف لترقيتهم ورفع درجاتهم ، فالمؤمن التقى بالتكاليف يشعر بالحلاوة والراحة ، وتزداد علاقته مع الله تَعَالَى ، قائد السيارة الأجرة يقودها فى البرد والحر ، فى الظاهر التكليف شديد ، ولكن بعد وقت قليل يتحصل عَلَى مال كثير ، كذَلِكَ المؤمن إذا جاءت عليه الأحوال ، تزداد العلاقة مع الله ، ووعد مِنَ اللهِ أن يعطيه حياة طيبة مع الأحوال والإبتلاءات ، مثل الأحوال التى جاءت عَلَى سيدنا أيوب عليه السلام كانت بالمرض ، وهذه الأحوال لترقية العبد ، لأن الأحوال عَلَى قسمين : الأول ؛

---

[1] لسان الدعوة : (242)
[2] (92 المائدة)
[3] لسان الدعوة : (265)
[4] (30 الشورى)

للمؤمن وهى للترقى ، والثانى ؛ بسبب الذنوب وبالتوبة ينتهى ، ويفتح الله تَعَالَى باب التوبة ، وبالإستغفار كذَلِكَ يقُولُ تَعَالَى : (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ أَنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) 1 ، فهنا الله تَعَالَى جعل الوعد لمن يتوب ويستغفر فوعده بشارات عَلَى التوبة ، الله تَعَالَى وعدنا أن يرفع البلاء فيَقُولُ : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) 2 ، وكذَلِكَ الذنوب التى تاب منها العبد لاتوزن يوم القيامة ، والملائكة لا تشهد عَلَى هذا الذنب ، كذَلِكَ القطعة من الأرض التى أذنب فيها العبد لا تشهد عليه يوم القيامة) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فالذى يتوب من الذنب الله تَعَالَى يعطيه ثلاث جوائز مع فقره :

الأولى : يعطيه الطمأنينة ، الثانية : يعطيه القناعة ، الثالثة : يعطيه الرضا بمر القضاء ، فيعيش حياة طيبة مع فقره ، والذى يعرض عن الله تَعَالَى ، الله يفسد حياته مع غناه وأشياءه ، وينزع عنه الطمأنينة والقناعة ، وإذا كان فقيرا عاصيا ينزع منه الرضى بالقضاء ، دائما يشتكى ولا يرضى بالحال التى عليها ، ويوم القيامة يكون له الزقوم والأغلال فى عنقه) [4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (يَقُولُ تَعَالَى : (ولقد أرسلنا إِلَى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون) [5] ، فالإنسان إذا تضرع إِلَى اللهِ تَعَالَى ، فإن الله يعفوا عنه إذا تاب إِلَى اللهِ ورجع إِلَى اللهِ ، مثل ترك الصلاة وشرب الخمور والزنى ، بالرغم من كبر المعصية ، ولكن الله رحيم يغفر ما فى الدنيا قبل الموت إذا تاب العبد) [6]

---

[1] (10 – 12 نوح)
[2] (33 الأنفال)
[3] لسان الدعوة : (265)
[4] لسان الدعوة : (269)
[5] (42 الأنعام)
[6] لسان الدعوة : (385)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ شُرُوطِ التَّوْبَةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لِصِحَّةِ التَّوْبَةِ شُرُوطٌ ، أَوَّلُهَا الإِقْلَاعُ عَنْ الذَّنبِ وَالنَّدَمُ عَلَى مَا فَاتَ وَالعَزْمُ عَلَى عَدَمِ العَوْدِ إِلَى ذَلِكَ الذَّنْبِ وَرَدِّ الحُقُوقِ إِلَى أَصْحَابِهَا مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً ، وَتَجُوزُ التَّوْبَةُ مِنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ يُنَافِى الأَدَبَ مَعَ اللهِ تَعَالَى . فَالتَّوْبَةُ الصَّادِقَةُ أَنْ تَتُوبَ مِنْ كُلِّ الذُّنُوبِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (هذه التوبة لا تكون باللسان فقط ، بل تكون بالأعمال الصالحة ، مثل القفل مقفل مفتاح ، فهل ينفتح ؟ لا ، لأنه لابد أن يكون المفتاح حقيقيا ، فكذَلِكَ التوبة والإستغفار لا تكون إلا إذا كانت التوبة من القلب ، والمراد من التوبة أن يندم العبد عَلَى ما فعل ، ويتضرع إِلَى اللهِ تَعَالَى)[1]

وقال أيضا رحمه الله (فالعبد الذى يندم عَلَى أفعاله ويبكى عَلَى معاصيه ، هذا أحسن من العبد الذى يعمل الحسنات وهو مفتخر ، والبكاء مِنَ اللهِ ، ليس كل واحد يستطيع أن يبكى ، بعض الذنوب تكفر بالقضاء مثل الذى أفطر فى يوم هو يقضى صومه ، فبالقضاء والإستغفار تكفر ذنوبه ، كذَلِكَ إذا توافرت الشروط وما حج ، فهو يستغفر الله تَعَالَى ويحج ، وكذَلِكَ حقوق النَّاس هو يستغفر الله ويؤدى حقوق النَّاس ، هذه هى حقيقة التوبة)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فمغفرة الذنوب تكون بالتوبة الحقيقة ولها شروط ،

الأول : أن يترك المعصية ،

الثانى : أن يندم عَلَى فعلها ،

الثالث : أن يعزم عَلَى ألا يعود إليها مرة أخرى ،

---

[1] لسان الدعوة : (267)

[2] لسان الدعوة : (267)

الرابع : أن يرد المظالم التى عليه ، أو يقضيها وهى الكفارات ، فيقضى ما عليه من الصلاة [1] والصوم والزكاة والحج ، وإن اخذ أرضا فليردها ، وكذَلِكَ كل حقوق العباد بقدر المستطاع يردها لأصحابها ، وأكثر الخطأ فى الحقوق فى المال ، فمثلا الميراث القسمة تكون غالبا غير عادلة ، فيغضب البعض ، فمثلا شخص أخذ أموال الورثة بغير حق ، وهو يبنى المَسَاجِد ويعمل الخير ، ولكن الله لا يقبل ذَلِكَ ، وكذَلِكَ إذا مات الزوج او الزوجة فالحقوق موجودة فى القرآن ، فشروط التوبة أن تؤدى حقوق الله والعباد ، فإن وجد فى التوبة أربع خصال ، فالله تَعَالَى يقبل توبته ، ويرفع الله عنه البلاء ويبارك له فى حياته) [2]

فَصْلٌ فِي رِضَا اللهِ تَعَالَى وَرِضَا النَّاسِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَرْضَى اللهَ تَعَالَى بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاس وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاس ، فَعَلَيْكَ بِالجَادَّةِ وَأَرْضِ اللهَ وَكَفَى ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَنْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَنْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ ، وَكَمَا يُقَالُ (إِسْتَعِن بِرَبِّ الغَنَمِ ، يَدْفَعُ عَنْكَ كَلْبَهُ) .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لا يكمل الدين إلا بأداء حقوق العباد ، وبإكرام المُسْلِمِين ، وبقدر ما تكون فينا هذه الصفات بقدر ما يتوجه النَّاس للدين ، لأن الدنيا فيها جاذبية قوية ، فبهذه الصفات يرى النَّاس فى هذه الحياة الأخلاق ، وهم بحاجة إليها ، فيقربون إِلَى الدين ، وبقدر الأخلاق وهذه الصفات الدين ينتقل من نفس إِلَى نفس ، اللين والرفق والمحبة والمعاملات مع الزوجة والأولاد والجيران والأقارب وحسن المعاشرة ، يأتى الإستعداد إِلَى الأخلاق العالية ، ولأخلاق النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

[1] قضاء الصلاة فيها خلاف بين أهل العلم والأحوط رأى الجمهور بالقضاء عَلَى المتعمد .

[2] لسان الدعوة : (268)

وَسَلَّمَ الله تَعَالَى مدحه فقال : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[1] ، بالعبادات الله تَعَالَى يرضى عن عباده ، وبالأخلاق يرضى النَّاس ، فتكون حياة طيبة ، وبرضاء الله تَعَالَى يرضى النَّاس أكثر وأكثر)[2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ فِكْرِ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَهَمُّ صِفَةٍ كَانَتْ عِندَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِىَ الرَّحْمَةُ وَالشَّفَقَةُ عَلَى كُلِّ الخَلْقِ حَتَّى يَدْخُلُوا فِى دِينِ اللهِ تَعَالَى وَفِى رَحْمَتِهِ ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تَحَمَّلَ مِنَ الشِّدَّةِ وَالعَنَتِ مَا تَنُوءُ بِهِ الرِّجَالُ الأَقْوِيَاءُ ، فَمَنْ تَبِعَهُ عَلَى فِكْرِهِ وَسَعَى لِهِدَايَةِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ وَسَلَكَ فِى ذَلِكَ السَّبِيلَ الصَّحِيحَ فَهُوَ سَلَفِيٌّ وَمَنْ خَالَفَ مَنْهَجَهُ فَلَيْسَ سَلَفِيًّا وَإِنْ أَقْسَمَ بِالأَيْمَانِ الغِلَاظِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نحن لا نخالف النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكيف كان فكره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام ؟ كيف فكره أن كل أمته تدخل فى رحمة الله ؟ مع أَنَّهُ تحمل الفاقة بالشهر والشهرين ما كان الطعام فى بيته ، فالإنسان بقدر فكره يكون الدعاء ، وبقدر جهده يكون فكره ، فعلينا أن نجتهد حتى يكون فكر الدين أقوى من أى فكر)[3]

وقال أيضا (كيف كان النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دائم الفكر متواصل الأحزان ؟ فالمطلوب من كل داع أن تكون فيه هذه الصفات ، يبكى عَلَى أحوال المُسْلِمِين ، فمن كان فكره هكذا ، هو لا يتوجه إِلَى الدنيا وعمارتها ، بل يقضى حاجاته بالسرعة ويتوجه إِلَى ربه)[4]

---

[1] (4 القلم)
[2] لسان الدعوة : (195)
[3] لسان الدعوة : (342)
[4] لسان الدعوة : (342)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ الاستِدرَاجَ سُنَّةُ اللهِ تَعَالَى مَعَ المُعْرِضِينَ وَالتَدَرجَ سُنَّةُ اللهِ تَعَالَى مَعَ المُؤمِنِينَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الاسْتِدْرَاجَ مِنْ سُنَّةِ اللهِ تَعَالَى مَعَ المُعْرِضِينَ ، قَالَ تَعَالَى : (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ، وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) [1] وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللهَ يُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ) ثُمَّ قَرَأَ: { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}[2]) [3]. وَالاسْتِدْرَاجُ يَكُونُ بِالصِّحَّةِ وَالفَرَاغِ وَالمَالِ وَالجَاهِ وَالسُّلْطَانِ وَالحَسَبِ وَالنَّسَبِ وَالوَلَدِ وَالعِلْمِ وَالقُوَّةِ وَالعَشِيرَةِ وَالجَمَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وَسَائِلِ الاسْتِدْرَاجِ الكَثِيرَةِ ، وَلِلخُرُوجِ مِنْ ذَلِكَ وَجَبَ اسْتِخْدَامُ ذَلِكَ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى وَفِى نُصْرَةِ دِينِهِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فالمؤمن مثاله مثال الحى ، بأمر الله تَعَالَى يتحرك ، فالله تَعَالَى يصلح حياته ، وغير المؤمن ميت فهو ليس فيه أمر الله تَعَالَى ، فالله تَعَالَى شيئا فشيئا يدمر حياته ، والذى يمتثل أمر الله تَعَالَى يأتى عليه المجاهدة والبلاء فى الأولاد والزوجة ، لكن بعد ثباته الله تَعَالَى يجعل له الفلاح والفوز ، والذى لا يمتثل أمر الله تَعَالَى حياته تكون صالحة فى الأول ، حتى ينسى ربه ويشرب اليَقِين عَلَى أشيائه ، ويَقُولُ تَعَالَى : (الَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) [4] ، عِند ذَلِكَ إن لم تدركه رحمة الله تبارك وتَعَالى ، الله تَعَالَى يدمر حياته فى النهاية ويأخذه أخذا وبيلا مع توافر أسبابه ، الدولة والملك والمال والقوة) [5]

---

[1] (82 – 83 الأعراف)
[2] (102 هود)
[3] (البخاري (4686) ، ومسلم (2583) .)
[4] (78 القصص)
[5] لسان الدعوة : (240)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّنَا الآنَ فِى مَرْحَلَةِ جِهَادِ الدَّعْوَةِ وَجِهَادِ الدَّفْعِ وَلَسْنَا فِى مَرْحَلَةِ جِهَادِ الطَّلَبِ ، وَبَيَانِ مَاهِيَّةِ الجِهَادِ فِى المُسْلِمِين وَالجِهَادِ فِى الكَافِرِينَ وَأَنَّ الدَّعْوَةَ أَصْلُ الجِهَادِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ حَالَ الأُمَّةِ اليَوْمَ مِنَ الاسْتِضْعَافِ وَالمَهَانَةِ وَالذِّلَّةِ مَعْلُومٌ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ، فَبَعْدَمَا كَانَتْ قَاهِرَةً ظَاهِرَةً أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهَا سَخَطَهُ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا كِلَابَ الأَرْضِ ، وَلِلعَوْدَةِ بِالأُمَّةِ لِسِيَادَتِهَا وَرِيَادَتِهَا لَابُدَّ أَنْ نَسْلُكَ فِي ذَلِكَ مَسْلَكَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالدَّعْوَةِ وَالتَّرْبِيَةِ وَبِنَاءِ جِيلِ النَّصْرِالإِسْلَامِيّ المَنْشُودِ ، وَلَا يُعْقَلُ أَنْ يُقَالُ أَنَّ الجِهَادَ هُوَ السَّبِيلُ فِى هَذِهِ المَرْحَلَةِ ! لِأَنَّ الجِهَادَ يَحْتَاجُ إِلَى مُجَاهِدِينَ ، وَلَنْ تَصْنَعَ مُجَاهِدِينَ إِلَّا بِالدَّعْوَةِ وَالتَّرْبِيَةِ ، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ دَعْوَةٌ وَلَا تَرْبِيَةٌ فَلَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مُجَاهِدِينَ ، وَهَذَا هُوَ حَالُ الأُمَّةِ ، وَلَا يَخْفَى عَلَى بَصِيرٍ أَنَّ جُلَّ – وَالجُلُّ قَرِيبٌ مِنَ الكُلِّ – بِلَادِ المُسْلِمِينَ مُحْتَلَّةٌ عَسْكَرِيَّاً وَمَنْ لَمْ يُحْتَلَّ عَسْكَرِيَّاً فَقَدِ احْتُلَّ فِكْرِيَّاً وَمَنْهَجِيَّاً ! فَوَجَبَ جِهَادُ الدَّفْعِ وُجُوباً عَيْنِيَّاً عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، وَجِهَادُ الدَّفْعِ يَكُونُ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ مُمْكِنَةٍ ، بِاللِّسَانِ – الدَّعْوَةِ – وَالقَلَمِ وَالسِّنَانِ – الحَرْب - ، وَنَسْأَلُ اللهَ النَّصْرَ لِلمُجَاهِدِينَ فِى كُلِّ بِقَاعِ الأَرْضِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الجِهَادَ فِي المُسْلِمِينَ يَكُونُ بِالدَّعْوَةِ وَالنَّصِيحَةِ وَالارْشَادِ ، وَفِى الكَافِرِينَ يَكُونُ بِالدَّعْوَةِ وَالنَّصِيحَةِ أَوْ الجِهَادِ وَالقِتَالِ وَالغَزْوِ ، كُلٌّ حَسْبَ حَالِهِ ، إِذَنْ الدَّعْوَةُ أَصْلُ كُلُّ جِهَادٍ ، وَمِنْ أَجْلِهَا شُرِعَ القِتَالُ .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يرسل الوفود والسرايا ويوصيهم بثلاث وصايا :

الأولى : ادعوهم إِلَى كلمة التَّوْحِيد أى أسلم تسلم ، فكانوا يدعون النَّاس إِلَى التَّوْحِيد ، فإن أسلموا فدماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا ، لكن لو لم يقبلوا كلمة التَّوْحِيد فهنا ،

الوصية الثانية : أن يدفعوا الجزية ، ويكونوا رعايا لكم ، ثم بالمعايشة هم ينظرون للإسلام فعندهم الوقت حتى يشاهدوا المُسْلِمِين وحياتهم فيؤمنوا ، فهنا كأنها دعوة تفصيلية لأن المُسْلِمِين يقيمون بين أظهرهم ويفتحون الدكاكين ، ويعملون فى التجارة

ويجعلون المَسَاجِد ، ولا يهدمون كنائسهم ولا يقتلون الرهبان ولا يأخذون النساء ، فهؤلاء النَّاس ينظرون لتلك الأخلاق العالية ، والمعاشرة الطيبة ، والمعاملة الحسنة فهم يتأثرون منهم ويدخلون الإسلام ، لكن لو ما قبلوا ذَلِكَ هنا ،

الوصية الثالثة : القتال ، وهنا دون تخريب أو تدمير أو إيذاء يقع بالضعفاء أو تحميل النَّاس فوق ما لا يطيقون ،

فنحن لم نبلغ دعوتنا للناس قولا وعملا مثلما فعل الصَّحابَة الكِرَام رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ ، فلابد أن نجتهد فى المُسْلِمِين حتى تصبح معاشراتهم ومعاملاتهم إسلامية ، وغير المُسْلِمِين إذا نظروا بأعينهم إِلَى تلك المعاشرات وتلك المعاملات ، فهنا يتأثرون فيدخلون فى دين الله أفواجا ، ولأننا ما بلغنا هذه الدعوة فلا يَجُوزُ أن نقاتلهم ، ولكن قتال الدفاع إذا جاؤوا علينا فلابد للمسلم أن يدفعهم بالقتال ، ولكن مع مراعاة حكامنا ، فنحن نسبح الله تَعَالَى ونذكره ونقرأ القرآن ونراعى أحكام الله وأمر الحكام ، لأنه بدون طاعتهم لا يكون فى هذا صلاح بل جرم ، فنحن أولا نجعل الله تَعَالَى معنا بذكرنا والتزامنا فالله تَعَالَى يَقُولُ فى الحديث القدسى : (... وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي)[1] ، لكن ذَلِكَ بمراعاة الأسباب الظاهرية حيث يَقُولُ تَعَالَى : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ)[2] ، ثم يكون عندنا مراعاة الحكومة وقوانينها)[3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ - جِهَادِ - الدَّعْوَةِ مُقَدَّمٌ عَلَى الجِهَادِ بِالسَّيْفِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ جِهَادَ الدَّعْوَةِ مُقَدَّمٌ عَلَى الجِهَادِ بِالسَّيْفِ ، بَلْ لَا يَجُوزُ وَلَا يَحِلُّ جِهَادُ السَّيْفِ إِلَّا إِذَا سَبَقَهُ جِهَادُ الدَّعْوَةِ أَوَّلاً إِلَى اللهِ تَعَالَى . فَوَجَبَ عَلَى الأُمَّةِ أَنْ تَقُومَ بِوَاجِبِ الدَّعْوَةِ أَوَّلاً كَمَا يَنْبَغِى ، فَهُنَاكَ مِئَاتُ الدُّوَلُ الكَافِرَةُ وَالتِّى هِىَ مَحَلُّ دَعْوَةِ المُسْلِمِينَ وَمَعَ ذَلِكَ هِيَ لَا تَمْنَعُ الدُّعَاةَ مِنْ دُخُولِهَا وَالدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِيهَا ! فَأَيْنَ المُسْلِمُونَ ؟! وَالخَيرِ قَادِمٌ وَالبَشَائِرُ تَتْرَى فَحُثَّ السَّيْرَ وَلَا تَتَكَاسَل وَاللهُ نَاصِرُنَا .

---

[1] (الصحيحين ، البخارى 6970 ، مسلم 2675)

[2] (60 الأنفال)

[3] لسان الدعوة : (205 – 206)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ لما كانوا يذهبون للجهاد لم يكونوا يذهبون بنية القتال ، وإنما كانوا يذهبون للدعوة ثم الجزية ثم القتال ، فالقتال أخر المراحل ، بذَلِكَ كانوا يوصون الجيوش ، فهؤلاء المسلمون لما كانوا يعاشرون الآخرين جذبوا قلوب النَّاس إليهم ، فهى دعوة إيمانية قولية عملية ، وكانوا يظهرون أخلاقهم العملية ، وكان اليهودى والنصرانى يرى أخلاقهم فيسلم ، المقصود الحياة الطيبة التى أسسها النَّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهجرة والنصرة ، هذه هى البيئة الإيمانية ولابد من إيجادها ، هذه هى الدعوة وهى الجهاد ، الله تَعَالَى يَقُولُ : (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا)[1] ، وهذه سورة الفرقان وهى مكية ، مع أن الجهاد فرض بالمدينة ، هنا أن الجهاد هو الدعوة ، فقام بالدعوة ثلاث عشرة سنة ، ونهاهم الله تَعَالَى عن القتال وَقَالَ : (كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ)[2] ، وأمرهم أن يقوموا بالدعوة وسماها جهادا ، الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالدا رَضِىَ اللهُ عَنْهُ إِلَى بعض البلاد وَقَالَ لخالد : (أقبل وليقبل معك وفدهم) النَّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما سمح لخالد أن يعلمهم فى قبيلتهم حتى وصلوا للمَسْجِد النبوى ، وكان الصَّحَابَة يخرجون لنشر الدين ، فإذا أسلم النَّاس كانوا يقبلون منهم ، وإلا فالجزية ، وإلا فإن الصَّحَابَة مستعدون للقتال لأنهم أصبحوا سدا ومانعا للدعوة ، كذَلِكَ الجهاد كثير من النَّاس يقولون فى القرآن آيات الجهاد وأنتم لا تقولون بهذا ، ونحن نعرف آيات الجهاد وكقوله تَعَالَى : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ)[3] ، وكذَلِكَ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً)[4] ، ولكن متى يكون القتال ؟ فى مكة ما كان هناك قتال ، فالدعوة قبل القتال ، والصَّحَابَة كانوا يقاتلون فى مكة وما جاءهم الإذن بالقتال ، هناك سؤال لماذا لم ينصرهم الله تَعَالَى فى مكة ؟ لأن نصرة الله تَعَالَى تأتى بالترتيب وبعد التضحية ، والله قَالَ : (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ)[5] ، فقط لأنهم قالوا ربنا الله ،

[1] (52 الفرقان)
[2] (77 النساء)
[3] (4 الصف)
[4] (123 التوبة)
[5] (40 الحج)

إذن ندعوا النَّاس فى كل مكان إِلَى اللهِ تَعَالَى ، حتى يستقيم أمرهم ، وينظر الله تَعَالَى لنا بعين الرحمة والرأفة ، وينصرنا عَلَى عدونا ، وهذا إِلَى أن يأذن الله تَعَالَى لنا بالفيصلة بين أهل الحق وأهل الباطل ، أَنَّهُ أهل لذَلِكَ)[1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ المَوْقِفِ الصحيح مِنَ الجِهَادِ الطَّلَبِيِّ وَبَيَانِ شُرُوطِهِ وبيَانِ أَنَّ الدَّعْوَةَ أَصْلُ الجِهَادِ وَمَقْصُودُهُ .

وَاعْلَمْ أَنَّ المَقْصُودَ الأَسَاسِيَّ الذِى شُرِعَ مِنْ أَجْلِهِ الجِهَادُ بِالسَّيْفِ - الجِهَادُ الطَّلَبِيُّ - هُوَ نَشْرُ الدِّينِ فِى العَالَمِ وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا تَحَقَّقَتِ الغَايَةُ بِلَا قِتَالٍ فَلَا يَحِلُّ القِتَالُ ، وَإِذَا لَمْ نَقُمْ بِالدَّعْوَةِ فَلَا يَحِلُّ القِتَالُ ! ، وَإِذَا وَجَبَ القِتَالُ فَلَهُ شُرُوطٌ وَآدَابٌ ، أَوَّلًا لَا يَبْدَأُ بِقِتَالٍ بَلْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَإِنْ قَبِلُوا وَإِلَّا فَرَضَ عَلَيْهِمْ الجِزْيَةَ عَلَى أَنْ يَعِيشُوا فِى كَنَفِ المُسْلِمِينَ وَتَحْتَ رِعَايَتِهِمْ ، وَإِلَّا أَنْذَرَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يُفَكِّرُوا وَيُرَاجِعُوا قَوْمَهُمْ وَإِلَّا فَالقِتَالُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَمَنْ مِنَ العُقَلَاءِ اليوم يَرَى أَنَّنَا أَدَّيْنَا حَقَّ الدَّعْوَةِ كَمَا يَنْبَغِى ؟! أَوْ أَنَّنَا نَسْتَطِعْ أَنْ نَحْمِيَهُمْ ؟! إِنَّنَا مُقَصِّرِينَ فِى أَمْرِ الدَّعْوَةِ – إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ - وَلَا نَسْتَطِيعُ حِمَايَةَ مُقَدَّسَاتِنَا وَمَحَارِمِنَا فَأَنَّى لَنَا حِمَايَتُهُمْ وَبِذَلِكَ يَسْقُطُ الجِهَادُ الطَّلَبِيُّ نَظَرًا لِلاسْتِضْعَافِ الحَالِّ بِالأُمَّةِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان يقوم الليل يدعوا ربه ليصلح حكام المُسْلِمِين ، وفى زمنه توقفت الجزية من كثرة الداخلين فى الإسلام ، فخلت الخزينة فى أول أمره ، فأشاروا عليه أن يضع شروطا للإسلام ، لأن أهل الكتاب كانوا يدخلون الإسلام فتسقط الجزية عنهم ، فقال لهم (والله لو لم يكن فى الخزينة إلا درهم واحد ما فعلت شيئا ، فدماؤهم كدمائنا ، وأموالهم كأموالنا)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فنحن لم نبلغ دعوتنا للناس قولا وعملا مثلما فعل الصَّحَابَة الكِرَام رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ ، فلابد أن نجتهد فى المُسْلِمِين حتى تصبح معاشراتهم ومعاملاتهم إسلامية ، وغير المُسْلِمِين إذا نظروا بأعينهم إِلَى تلك المعاشرات وتلك المعاملات ، فهنا يتأثرون فيدخلون فى دين الله أفواجا ، ولأننا ما بلغنا هذه الدعوة فلا يَجُوزُ أن نقاتلهم ، ولكن قتال الدفاع إذا جاؤوا

[1] لسان الدعوة : (305 – 306)
[2] لسان الدعوة : (142)

علينا فلابد للمسلم أن يدفعهم بالقتال ، ولكن مع مراعاة حكامنا ، فنحن نسبح الله تَعَالَى ونذكره ونقرأ القرآن ونراعى أحكام الله وأمر الحكام ، لأنه بدون طاعتهم لا يكون فى هذا صلاح بل جرم ، فنحن أولا نجعل الله تَعَالَى معنا بذكرنا والتزامنا فالله تَعَالَى يَقُولُ فى الحديث القدسى : (... وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي)[1] ، لكن ذَلِكَ بمراعاة الأسباب الظاهرية حيث يَقُولُ تَعَالَى : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ)[2] ، ثم يكون عندنا مراعاة الحكومة وقوانينها)[3]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (مع الكفار دعوة لثلاثة أيام ، فإما الإيمَان بِاللهِ تَعَالَى ، وإما المصالحة عَلَى الجزية فيدفعونها عن يد وهم صاغرون ، وهنا هى دعوة عملية تفصيلية بالإختلاط ليعرفوا حال المُسْلِمِين عن قرب ، وإذا لم يقبلوا فالقتال ، وإذا رجعنا إِلَى الصَّحَابَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ نفهم أن معنى الجهاد إعلاء كلمة الله تَعَالَى ، والقتال هو آخر مرحلة فى الجهاد مثل العملية الجراحية ، أو مثل الحشائش الضارة فى الأرض ، والفلاح يقوم بقطعها حتى نستفيد من الزرع ولا يؤثر عليه ، ولو كان الجهاد هو القتال فما تفسير الآية المكية التى فى سورة الفرقان حيث يَقُولُ الله تَعَالَى : (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا)[4] ، فهل كان فى مكة رفع سيف ؟ ولهذا السبب تعتبر الدعوة أصل الجهاد ، فالدعوة حال السلم مع البشر ، والقتال هى فيصلة الإِيمَان ، فإما العيش تحت مظلة الأوامر ، أو الفصل لهم بنهاية ترضى الله تَعَالَى ، فالأصل هو الدعوة ، وحينما يكون الأصل متعذر فهنا يأتى الضد وهو القتال ، والرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما دعا عَلَى قومه ، ولكن فرض عليهم الجهاد ، وهذا القتال كان فيه قيود ، عدم قتل النساء أو العباد أو الأطفال أو المرضى أو العجائز ، ولا يتلف الزرع أو قتل الحيوانات ، فقلنا : إن الأصل الدعوة ، وإذا تعذرت يكون القتال ، فمثال الوضوء وهو الأصل لإزالة الأتربة ، ولما يكن متعذرا فهنا التيمم بالتراب ، الآن الدعوة فى جميع العالم وهى غير متعذرة ، والله تَعَالَى لا يجعلها متعذرة ، وإذا تعذرت فبإذن الله تَعَالَى بالفيصلة بين عباده المؤمنين والعاصين)[5]

---

[1] (الصحيحين ، البخارى 6970 ، مسلم 2675)
[2] (60 الأنفال)
[3] لسان الدعوة : (206)
[4] (52 الفرقان)
[5] لسان الدعوة : (381)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَقْسَامِ الجِهَادِ (الأَكْبَرِ وَالأَصْغَرِ) وَبَيَانِ أَنَّ الأُمَّةَ الآنَ تَارِكَةٌ كِلاَهُمَا .

وَاعْلَمْ أَنَّ الجِهَادَ نَوْعَانِ ، الأَوَّلُ : جِهَادٌ أَكْبَرُ وَهُوَ جِهَادُ السَّيْفِ وَهُوَ قِسْمَانِ جِهَادُ طَلَبٍ وَجِهَادُ دَفْعٍ وَكِلَاهُمَا ذِرْوَةُ سِنَامِ الاسْلَامِ وَالنَّوْعُ الثَّانِي : هُوَ الجِهَادُ الأَصْغَرُ وَهُوَ مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ وَالدُّنْيَا وَالهَوَى وَالشَّيْطَانِ . وَحَالُ الأُمَّةِ يُوحِي بِتَضْيِيعِ الجِهَادِ الأَكْبَرِ وَالتَّقْصِيرِ فِيهِ بَلْ وَالتَّفْرِيطِ فِي الجِهَادِ الأَصْغَرِ.

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله تَعَالَى كلفنا بالدعوة فقال : (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) [1] ، النَّاس يقولون كيف نترك الشغل والولاد وحقوقهم ؟ فما فهموا أن هذا من أمر الله تَعَالَى ، نترك قليلا لإنقاذ النَّاس من نار جهنم ، مثل الأعمى نترك الصلاة لإنقاذه من الحفرة ، وقصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، وهم ما زنوا ولا سرقوا فقط تركوا هذا الخروج ، وهم ثلاثة ومع الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثون ألا تقريبا ، فالظاهر ما يزيدون شيئا ، ولكن الله تَعَالَى يربى هذه الأمة ويبين أهمية الجهاد ، خمسين يوما بدون كلام معهم من أحد) [2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ حِكْمَةِ مَشْرُوعِيَّةِ الجِهَادِ بِالسَّيْفِ وَمَفْهُومِ الجِهَادِ الصَحِيح .

وَلِلجِهَادِ الأَكْبَرِ حِكَمًا كَثِيرَةً مِنْهَا عِبَادَةُ اللهِ تَعَالَى وَامْتِثَالُ أَمْرِهِ وَنَشْرُ الإِسْلَامِ وَالدِّفَاعُ عَنْ المُعْتَقَدَاتِ وَالمُقَدَّسَاتِ وَتَعْبِيدُ النَّاسِ لِلهِ تَعَالَى وَإِقَامَةُ شَرْعِ اللهِ تَعَالَى فِي الأَرْضِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ولماذا شرع القتال ؟

شرع القتال حتى لا تهلك كل الأمة ، فإذا ترك المرض يستشرى فى الجسم ولم يبتر الجزء المصاب ، ضاع الجسد وهلك ويقتل صاحبه ، وهذا ترتيب الله تَعَالَى ، المراهم والحبوب (وهى الأخلاق الحسنة حتى مع الأسرى ومن يدفع الجزية) وإذا لم ينفع

[1] (41 التوبة)
[2] لسان الدعوة : (286)

فالعملية الجراحية وهى القتال ببتر الجزء المسمم الضائع الخبيث ، ولو يترك تفسد الأمة ، فهنا هلاك الأمة كما حدث مع قوم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كذَلِكَ مفهوم الجهاد عندهم كان هو الدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى وإخراج النَّاس من الظلمات إِلَى النور ، وكانوا يعتقدون بأن الجهاد من غير الدعوة مثل الصلاة بغير وضوء ، لأن الجهاد كانوا يعتبرونه ضرورة ، وآخر حل لتثبيت الدين فى أى بلد ، وما قاتلوا قوما أبدا بغير دعوتهم إِلَى اللهِ تَعَالَى ثلاثة أيام ، يعرضون عليهم فيها الإسلام ، فإذا أبوا صالحوهم عَلَى الجزية ، وإن أبوا قاتلوهم حتى يفتح الله تَعَالَى عليهم البلاد ، وهم بعد الفتح يركزون الدين ويثبتون أركانه فى هذه البلاد ، ويدرسونه لهم ، وهذا بعد إيجاد البيئة التى فيها الإسلام الحقيقى ، كل من يدخل فيها يتأثر بها عمليا ، ونحن اليوم نفهم أن الجهاد فقط قتال وسلاح ، والإسلام ليس فينا ولا فى بيوتنا ولا فى نسائنا ، ولا فى معاملاتنا ولا فى تجاراتنا ، ومع ذَلِكَ نريد القتال مع العدو بدون أن ندعوهم إِلَى اللهِ تَعَالَى عَلَى ترتيب الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ وَضْعِ الجِزْيَةِ عَمَّنْ دَخَلَ الإِسْلاَمِ .

وَمَنْ دَخَلَ الإِسْلَامَ فَلَا جِزْيَةَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ أَخٌ لَنَا وَحَبِيبٌ إِلَى قُلُوبِنَا لَهُ مَا لَنَا وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا ، وَيَحْرُمُ مَالُهُ وَدَمُهُ وَعِرْضُهُ وَوَجَبَتْ نُصْرَتُهُ وَإِغَاثَتُهُ وَوُدُّهُ وَوَجَبَ حُبُّهُ عَلَى إِسْلَامِهِ وَنُصْحُهُ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان يقوم الليل يدعوا ربه ليصلح حكام المُسْلِمِين ، وفى زمنه توقفت الجزية من كثرة الداخلين فى الإسلام ، فخلت الخزينة فى أول أمره ، فأشاروا عليه أن يضع شروطا للإسلام ، لأن أهل الكتاب

[1] لسان الدعوة : (382)
[2] لسان الدعوة : (251)

كانوا يدخلون الإسلام فتسقط الجزية عنهم ، فقال لهم (والله لو لم يكن فى الخزينة إلا درهم واحد ما فعلت شيئا ، فدماؤهم كدمائنا ، وأموالهم كأموالنا) [1]

فَصْلٌ فِي أَدَاءِ حُقُوقِ العِبَادِ .

وَيَحْرُمُ هَضْمُ حَقُّ إِنْسَانٍ بِغَيْرِ حَقٍّ ، سَوَاءًا أَكَانَ مُسْلِمًا أَمْ كَافِرًا . امْتِثَالاً لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى بِعَدَمِ الظُّلْمِ . قَالَ اللهُ تَعَالَى : (يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا) [2] .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (حتى تكون أعمالنا محفوظة ، فعلينا أن نؤدى حقوق العباد ، كثير من النَّاس يأخذون أموال النَّاس ظلما وبعد ذَلِكَ يتصدقون عَلَى النَّاس ، الأعمال التى يعملها الإنسان وما أدى حقوق العباد تكون وبالا فى الآخرة ، لأن يوم القيامة كل حسناته يأخذونها الآخرون ، وعندما تنتهى حسناته يأخذ من سيئاتهم وتطرح فى ميزانه فيلقى فى نار جهنم) [3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ تَوْرِيثَ التَّقْوَى أَفْضَلُ مِنَ توريثِ المَالِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ خَيْرَ مِيرَاثٍ يَتْرُكُهُ العَبْدُ لِأَوْلَادِهِ أَنْ يَتْرُكَ لَهُمْ التَّقْوَى وَالصَّلَاحِ ، قَالَ تَعَالَى : (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) [4] وَقَالَ تَعَالَى : (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) [5].

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (وعمر بن عبد العزيز رحمه الله جمع قبل وفاته أولاده وبناته وَقَالَ لهم : ما تركت لكم من المال شيئا ، مثل الملوك السابقين ، ولو أردت لفعلت ، وقد علمتكم الدين ، فقالوا : رضينا ! أما أقرباؤه فقالوا : كيف تترك أولادك دون مال ؟

---

[1] لسان الدعوة : (142)

[2] (مسلم 2577 , مسند أحمد 21458 ، صحيح الأحاديث القدسية للشيخ مصطفى العدوي 141)

[3] لسان الدعوة : (343)

[4] (9 النساء)

[5] (82 الكهف)

فقال لهم قولة عجيبة : (ما ضيعت لهم حقا ، وما أعطيتهم حقوق الآخرين ، ولقد أديت ما لهم من حق عَلَى ، فإن يكونوا صالحين فالله يتولى الصالحين ، ولو كانوا عَلَى غير هذا فلا أبالى فى أى أودية الدنيا هلكوا) .

وبعد وفاته قسموا الإرث وكان قليلا جدا ، وليس معنى هذا أن نترك أولادنا فقراء ، ولكن لابد من تركهم عَلَى صفات ويقين من أن الله عز وجل لن يضيعهم لأنهم صالحون ، وكما قَالَ الله تَعَالَى : (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) [1] ، ولِذَلِكَ يَقُولُ الشاعر لمن يرتب الدين عَلَى ترتيب الدنيا :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع [2]

وكم من آباء تركوا أولادهم عَلَى غير الدين ؟

فكانت الأموال سبب هلاكهم وتنازعهم ، وتقاتلوا عليها حتى ضيعتهم) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (وقصة سليمان بن عبد الملك مع أبنائه عِند الموت ، وماذا ترك لهم من المال الوفير ؟ وقصة عمر بن عبد العزيز ما ترك لأبنائه شيئا إلا تقوى الله وكيف كانت النهاية ؟ فإن أبناء سليمان كانوا عَلَى غير الدين ، فكانت نهايتهم أن كانوا يسألون النَّاس عَلَى باب المَسْجِدِ الأموى ، وكان أبناء عمر بن عبد العزيز رحمه الله من أهل الخير والعطاء والبذل .) [4]

---

[1] (9 النساء)

[2] (وقيل لإبراهيم بن أدهم كيف أنت ؟ فقال:
نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا.... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّعُ
فطوبى لعبدٍ آثر الله ربّه .... وجاد بدنياه لما يَتوقعُ أ.هـ.)

[3] لسان الدعوة : (142 – 143)

[4] لسان الدعوة : (244 - 245)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ مَعْنَى التَّقْوَى وَحَقِيقَتِهَا .

تَقْوَى اللهِ تَعَالَى : أَى اتِّقَاءِ عِقَابِهِ بِسُلُوكِ سَبِيلِهِ وَالإِتِمَارِ بِأَمْرِهِ وَالانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى عَنْهُ ، وَحَقِيقَتُهُ تَكُونُ بِالخَوْفِ مِنْهُ تَعَالَى الخَوْفُ الذِى يَجْعَلُ الإِنْسَانَ يَقُومُ عَلَى شَرْعِهِ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ تَقْصِيرٍ وَيَرْضَى بِقَضَاءِ اللهِ تَعَالَى وَقَدَرِهِ فِى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَأَنْ يَكُونَ مُسْتَعِدًّاً فِى كُلِّ لَحْظَةٍ لِلِقَاءِ اللهِ تَعَالَى .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الذى يخاف الله تَعَالَى ، الله تَعَالَى وعده : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) [1] ، والتقوى معناها خشية الله وخوف الله تَعَالَى ، وما هو دليل التقوى فى الإِنسَان ؟ أَنَّهُ فى كل حياته عَلَى أمر الله ، لا يخالف أمر الله تَعَالَى ، فى نومه وزواجه وأكله وشربه ومعاملاته ، وإذا كانت زوجته شديدة فعليه أن يتحملها ، ولكن لابد أن يجتهد عليها حتى يأتى فيها طلب الهداية ، حتى تصير من الصالحات القانتات الحافظات للغيب بما حفظ الله لأن الله تَعَالَى يَقُولُ : (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ) [2] ، يكون حلقة تعليم ، وبيئة الغيبيات حتى يصير فكر الآخرة فى الزوجة ، ولكن الله تَعَالَى قَالَ : (فَعِظُوهُنَّ) [3] ليس خمسة أيام أو شهرا بل دائما ، وإذا ما استجابت مرة بعد مرة : (وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ) [4] وبعد ذَلِكَ : (وَاضْرِبُوهُنَّ) [5] وهذا الضرب غير مبرح ، لأننا نضربها للتربية ، نحن نختار طريق النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى مثل هذه الأحوال ، لا نغضب بل نستعمل الحكمة ، مثل العملية الجراحية ليس أى طبيب يعملها ، بل طبيب خاص ، وإذا أردنا أن نغير أمرا فى البيت ، لا نغيره بالقوة ولا بالأمر بل نجعل التعليم ، ونجتهد فى العائلة حتى يفهموا بأنفسهم

---

[1] (الطلاق 2 – 3)
[2] (النساء 34)
[3] (النساء 34)
[4] (النساء 34)
[5] (النساء 34)

أن هذا الشيء زائدا ، بالمذاكرة مع الحكمة عندئذ يعالج الأمر ، إذا قمنا بحلقة التعليم وبيئة الدعوة ، تكون الأحوال سهلة وطيبة لِذَلِكَ يَقُولُ تعَالَى : (فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا)[1])[2]

فَصْلٌ فِي تَفْسِيرِ السِّيَاحَةِ وَالمَقْصُودِ بِالسِّيَاحَةِ التَّبْلِيغِيَّةِ الدَّعَوِيَّةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ السِّيَاحَةَ هِىَ تَرْكُ الوَطَنِ وَالأَهْلِ مِنْ أَجْلِ نُصْرَةِ الدِّينِ فَسَائِحٌ لِلجِهَادِ فِى سَبِيلِ اللهِ وَسَائِحٌ لِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى اللهِ وَسَائِحٌ لِطَلَبِ العِلْمِ وَسَائِحٌ لِنُصْرَةِ المَظْلُومِ وَسَائِحٌ مَطْرُودٌ فِى اللهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى)[3] فَالمَقْصُودُ بِالسِّيَاحَةِ هُوَ الجُهْدُ مِنْ أَجْلِ نَشْرِ الدِّينِ وَلَيْسَ لِمُجَرَّدِ السِّيَاحَةِ فِى البُلْدَانِ ! فَتَنَبَّهْ . وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الخُرُوجَ الدَّعَوِىَّ غَايَتُهُ السِّيَاحَةُ المُجَرَّدَةُ فَقَدْ وَهِمَ أَوْ كَذَبَ لِأَنَّ السِّيَاحَةَ عِبَادَةٌ إِذَا دَعَتِ الحَاجَةُ إِلَيْهَا فَمَنْ قَامَ بِهَا فَقَدْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِيتَتَ فَوَجَبَ شُكْرُهُ ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (السائحون ، أى دعوة النَّاس)[4]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (السائحون ، أى المجاهدون بأنفسهم وأموالهم فى سبيل الله تعَالَى ، يوقظون النائم وينبهون الغافل (فسِيَاحَةَ أُمَّتِي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالى) ، فهنا إنفاق المال وإنفاق النفس مثل الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ ، منهم من أنفق نصف ماله ومنهم من أنفق ماله كله ، ولكن أكثر الصَّحَابَة أنفق ثلث المال ، فنأخذ الوسط ، فهكذا هم فعلوا وهكذا نحن نفعل ولكن برعاية الشريعة فلا أنفق مالى كله ثم أسأل النَّاس ، ولكن كما يقال (درج درج وعَلَى الله الفرج)[5] ، فننوى العالم ولكن بهدوء)[6]

---

[1] (34 النساء)
[2] لسان الدعوة : (279)
[3] (أبو داود 2486 , مستدرك الحاكم 2398 , سنن البيهقي الكبرى 18287)
[4] لسان الدعوة : (199)
[5] هذا مثل دارج بين الناس ومعناه صحيح .
[6] لسان الدعوة : (207)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إذا دعت الحاجة لبذل النفس نضحى بها ، وإذا لم تدع الاحاجة لهذا ، فتكون السياحة فى الجهاد ، وكل واحد ضحى من الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ حسب ما يوافقه من مقتضيات إيمانه ، وما رآه مطلوبا منه ، ...) [1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فعندما ننقطع لربنا مرة بعد مرة ونتوجه لربنا وندعوه ، مع قيام الليل وكثرة الأذكار ، والصلوات الخمس مع تكبيرة الإحرام خلف الإمام وسماع كلام الإيمَان مرارا وتكرارا ، الله تَعَالَى يغير من حياة العبد ويرزقه التقوى والورع ، ونجتهد بالترتيب السليم لمرضاة الله تَعَالَى ومثلما فعل النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا ننظر لفعل الغير الذى أتى به من عِند نفسه مثل رهبانية النصارى ، أو تبتل البوذيين أو انقطاع الزرادشتيين وغيره) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فهذه الأمة مطلوب منها جهد الدعوة ، وهذه هى سياحة الأمة يَقُولُ تَعَالَى : ((التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) [3] ، ويَقُولُ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (سِيَاحَةَ أُمَّتِى الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ) [4] أى الجهد بالمشقة لنشر دين الله تَعَالَى) [5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (السائحون ، أى المتحركون فى الأرض للدين ، فيَقُولُ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (ما اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ) [6]) [7]

---

[1] لسان الدعوة : (232)
[2] لسان الدعوة : (254)
[3] (112 التوبة)
[4] (أبو داود 2486 ، شعب الإيمَان 3922 ، شرحة السنة 484 ، صحيح الجامع 2093)
[5] لسان الدعوة : (260)
[6] (البخارى 2811 ، السنن الكبرى للبيهقى 18985)
[7] لسان الدعوة : (310)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ القُدَمَاءِ فِي العَمَلِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ القَدِيمَ فِي الجُهْدِ هُوَ قَدِيمُ الصِّفَاتِ وَلَيْسَ قَدِيمُ الزَّمَانِ أَوالأَعْمَالِ ! فَعُمَرُبْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَسْلَمَ بَعْدَ نَيِّفٍ وَثَلَاثِينَ صَحَابِيّاً مِنْ أَكَابِرِ وَجَهَابِذَةِ وَقُدَمَاءِ الصَّحَابَةِ ! وَلَكِنَّهُ أَصْبَحَ ثَانِى أَفْضَلَ رَجُلٍ فِى الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ! ، فَلَيْسَتِ العِبْرَةُ بِالسَّبْقِ وَلَكِنَّ العِبْرَةُ بِالصِّدْقِ ، فَالقَدِيمُ فِى عَمَلِ التَّبْلِيغِ هُوَ مَنْ يَجْتَهِدُ فِى الدَّعْوَةِ أَكْثَرُ وَيَسْتَفِيدُ مِنْ دَعْوَتِهِ عَلَى نَفْسِهِ أَوَّلاً ، وَلَا يَكُونُ هَمُّهُ مِنْ نَفْسِهِ كَثْرَةُ الخُرُوجِ ثُمَّ يَعُودُ كَمَا كَانَ قَبْلُ ، وَهُوَ الذِى يَكُونُ أَرْأَفَ بِإِخْوَانِهِ وَأَحْلَمَ عَلَيْهِمْ ، وَهُوَ الذِى لَا يَرَى لِنَفْسِهِ فَضْلاً عَلَى أَحَدٍ بِأَنْ كَانَ سَبَباً فِي هِدَايَتِهِ ، وَهُوَ الذِى لَا يَشْتَدُّ عَلَى إِخْوَانِهِ بَلْ يَذِلُّ لَهُمْ وَيَخْفِضُ الجَنَاح ، وَهُوَ الذِى يَرَى الفَتْحُ مِنَ اللهِ تَعَالَى لَا مِنْ جُهْدِهِ وَعَمَلِهِ ، وَهُوَ الذِى يُضَحِّي بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَلَا يَنْتَظِرُ جَزَاءاً وَلَا شُكُوراً ، وَهُوَ الذِى يَخَافُ اللهَ تَعَالَى حَقّاً وَلَا يَتَفَاخَرُ عَلَى النَّاسِ بِعِلْمٍ أَوْ غَيْرِهِ ، وَهُوَ الذِى يَكُونُ طَالِبَاً عَلَى مَدَارِ السَّاعَةِ وَلَا يَقْنَعُ بِمَا عِنْدَهُ حَتَّى مِنْ مَنْ هُوَ أَقَلَّ مِنْهُ عِلْمَاً وَجُهْدَاً وَوَرَعَاً وَقِدَمَاً ، وَهُوَ الذِى لَا يَطْمَئِنُّ قَلْبُهُ وَلَا يَهْدَأُ بَالُهُ وَلَا يَقَرُّ قَرَارُهُ بِعَمَلِهِ بَلْ يَظَلُّ عَلَى خَوْفٍ وَوَجَلٍ مِنْ مَكْرِ اللهِ تَعَالَى حَتَّى يَدْخُلَ الجَنَّةَ . وَهَذَا مَا يَتَعَلَّمُهُ أَهْلُ التَّبْلِيغِ فِي رَحَلَاتِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ حَتَّى يَتَقَرَّرَ فِي قَلْبِ الدَّاعِى أَنَّهُ هُوَ المُسْتَفِيدُ الأَوَّلُ مِنْ دَعْوَتِهِ . وَإِذَا ظَنَّ أَنَّهُ يَخْرُجُ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دُونَ أَنْ يَسْتَفِيدَ – لِمَا يَرَى مِنْ عَدَمِ حَاجَتِهِ لِذَلِكَ أَوْ تَحْقِيقِهِ لَهُ – فَلَابُدَّ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ جَدِيدٍ ، لِأَنَّ المَقْصُودَ مِنْ تَعْلِيمِ النَّاسِ تَحْقِيقُ بَرَكَةِ العِلْمِ فِي نَفْسِى أَوَّلاً ثُمَّ النَّاس .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الشباب عندهم قوة العمل والشيوخ عندهم قوة الرأى ، فلو اجتمع الأمران يحدث النصرة ، كَذَلِكَ يجتمع القدماء مع الجدد عَلَى قلب رجل واحد فى الدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى ، فالجدد عندهم الحماس ، والقدماء عندهم الفكر والحكمة)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نحن لا نفرح بأنفسنا ، ولا نزكى أنفسنا ، فنحن نمشى فى الدعوة ولا نكون مطمئنين ، بل نمشى بالخوف والتضرع إليه ، ونطلب منه الثبات ، حتى الكفار اجتهدوا عَلَى الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يترك الدعوة : (

---

[1] لسان الدعوة : (109)

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) [1] ، فنحن إذا أكرمنا الله تَعَالَى وخرجنا كثيرا ، فنحن لا نفخر لأن كل شيء بتوفيقه وكرمه ، فإذا نرى النَّاس قائمين عَلَى عمل الدعوة ، فهذا فضل الله تَعَالَى لا بجهدنا ، فلا نفتخر ولا نلوم النَّاس عَلَى عدم الجهد ، وبقدر تضحية الإِنسَان وجهده بقدر توجه إِلَى اللهِ تَعَالَى ، بقدر الصفات الإيمانية بقدر التوجه إِلَى اللهِ تَعَالَى) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (من هم القدماء ؟

الذين يكثرون فى التضحية ويخافون مِنَ اللهِ تَعَالَى ، ومن يعمل الصالحات ويأتى فى قلبه الخوف فهو القديم ، والذى يعمل ولا يخاف ويفتخر بأقدميته فهذا جديد مهما كان قدمه ، فالقديم قديم الصفات وليس قديم الزمان) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لا نمشى فى هذا العمل بالإطمئنان ، ونقول نحن قدماء ، فالقدماء الحقيقيون هم أصحاب الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكنهم بقدر ما يزيدون فى القدم بقدر ما يزيدون فى الترقى والقدم والصفات والخوف مِنَ اللهِ تَعَالَى ، ونحن اليوم عندنا القدم بالزمن ، ولكننا ما تطهرنا من الرذائل ، وإِذا لم نجتهد عَلَى أنفسنا فقد تزيد فينا الصفات الرذيلة بقدر ما نزيد فى القدم فى هذا العمل ، فالقديم الذى لا يترقى فى هذا العمل مثل الطعام المطبوخ بقدر ما يقدم ينتن ويفسد ، ولكن علينا أن نكون فى هذا الطريق مثل عود الطيب بقدر ما يقدم بقدر ما تتحسن نوعيته ويكون غاليا ، وأعظم صفة فى القديم هى صفة الطلب طول حياته ،

---

[1] (113 النساء)

[2] لسان الدعوة : (285)

[3] لسان الدعوة : (297)

الصَّحَابَة رغم أقدميتهم فهم كانوا طالبين ، ويجعلون أنفسهم كأنهم لا يعلمون شيئا فى هذا الطريق ، كما وقع لهم فى حجة الوداع لما سألهم الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أى يوم هذا ؟ أى شهر هذا ؟ أى بلد هذا ؟ فكانوا يجيبون : الله ورَسُوله اعْلَمْ ، وقالوا ظننا أَنَّهُ سيسميه بغير اسمه ، هكذا القديم دائما يَقُولُ : لا اعْلَمْ فالله يعلمه ، ويفهمه المطلوب منه والواجب عليه) [1]

فَصْلٌ فِي الاهْتِمَامِ بِإِصْلَاحِ البُيُوتِ وَالأَبْنَاءِ .

وَيَجِبُ الإِهْتِمَامِ بِجُهْدِ البَيْتِ ، لِأَنَّهُ بِدُونِهِ لَا يَكُونُ هُنَاكَ اسْتِمْرَارِيَّةٌ فِى الدَّعْوَةِ وَسَيَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبِهِ يَوْمَاً وَإِنْ طَالَ ثَبَاتُهُ ، وَسَيَنْقَطِعُ أَثَرُهُ مِنْ بَيْتِهِ وَلَا يَكُونُ فِى عَقِبِهِ حَامِلٌ لِدَعْوَتِهِ إِنْ هُوَ قَصَّرَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ أَمْرَاً كَانَ مَفْعُولَاً ، فَيَجِبُ طَاعَةُ اللهِ تَعَالَى فِى الأَهْلِ وَالأَوْلَادِ بِتَوْجِيهِهِمُ التَّوْجِيهَ الصَّحِيحَ وَحَمْلِهِمْ عَلَى أَمْرِ الدِّينِ وَتَحْمِيلِهِمُ المَسْئُولِيَّة . وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ حَلَقَةِ التَّعْلِيمِ اليَوْمِيَّةِ فِى المَنْزِلِ وَبِهَا تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَالسَّكِينَةُ وَإِنْ تَأَخَّرَتْ شَيْئَاً مَا فَهِىَ نَازِلَةٌ يَوْمَاً ، قال تعالى : (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) [2] ، وقَالَ تَعَالَى : (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) [3].

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (حتى تأتى هذه الصفات فينا ، لابد من القيام بحلقة تعليم فى البيت حتى يعرفوا العبادات ، والأخلاق والمعاملات والمعاشرات والإيمان ، وكما نهتم بنفوسنا نهتم بالأهل والأولاد ، لذَلِكَ عالم بيته ليس عَلَى الترتيب النبوى ، فى الظاهر زوجته معه ، والحقيقة هما مختلفان ، فهذا العالم فاته القطار) [4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (بعض النساء يقمن بالجهد للدين حتى تسبق الرجال ، وأنا قد رأيت أمى وكانت تعبد الله تَعَالَى ، وكانت تقص عَلَى قصص أصحاب الأخدود وأصحاب الكهف ، ووالدتى أدخلتنى مدرسة دينية ، وكل العائلة اعترضوا وقالوا : لو أدخلتيه مدرسة إنجليزية يكون أفضل ، فقالت : إن شاء الله تَعَالَى سوف يرمى هذه الدنيا الدنية تحت قدميه ، ومرة قالت :

---

[1] لسان الدعوة : (352 – 353)
[2] (82 الكهف)
[3] (9 النساء)
[4] لسان الدعوة : (179)

ياولدى أريد أن أسمع منك القرآن ، وكنا وحدنا ، وهى بكت وقالت : يابنى الآن لا يسمعك من النَّاس إلا أنا ، وإن شاء الله سوف يأتى عليك يوم يسمعك فيه الملايين ، وتحقق كلام أمى – رحمها الله – فعلينا جميعا أن نهتم بتربية الأولاد ، وتهذيب الزوجات وتعليمهن الدين ، وأمى عندما كانت فى سكرات الموت بعثوا لكل إخوتى ، فجاؤوا وقالوا لها : نبعث لمُحَمَّد عمر يأتى ، قالت لا تشغلوه عن تعلم علم الدين ، فإذا أنا مت فأقول لربى : يارب تركت ابنى فى سبيلك ، ثم أغمى عليها ، وقالت بعد أن أفاقت : رأيت ملكين وابنى مُحَمَّد عمر بينهما ...... ، وأنا أروى هذه القصة لكى نهتم بإصلاح بيوتنا وأبنائنا ، ولكن لا ننشغل ببيوتنا فقط ، بل نتفكر للعالم كله ، كما كان النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل ، يَقُولُ تَعَالَى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)[1] ، وقوله (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً)[2] .)[3]

فَصْلٌ فِي حُكْمِ تَرْكِ العَمَلِ وَإِهْمَالِ الزَّوْجَةِ وَالأَوْلَادِ مِنْ أَجْلِ الخُرُوجِ لِلدَّعْوَةِ .

وَيَجِبُ عَلَى المُسْلِمِ الأَخْذَ بِالأَسْبَابِ فِى أَمْرِ الدِّينِ وَأَمْرِ الدُنْيَا ، فيُعِدُّ العُدَّةَ لِكُلِّ أَمْرٍ دُنْيَوِيّ بِمَا يُنَاسِبُهُ وَيُعِدُّ العُدَّةَ لِكُلِّ أَمْرٍ أُخْرَوِيّ بِمَا يُنَاسِبُهُ ، وَلَا يَبْغِى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا يَجُوزُ إِهْمَالُ الزَّوْجَةِ وَالأَوْلَادِ مِنْ حَيْثُ المَطْعَمِ أَوِ المَسْكَنِ أَوِ المَلْبَسِ أَوِ المَشْرَبِ أَوِ الدَّعْوَةِ وَالنَّصِيحَةِ وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْى عَنِ المُنْكَرِ أَوْ تَرْكِ الوَظِيفَةَ أَوْ تَرْكِ الزَّوْجَةَ فِى أَوْقَاتٍ حَرِجَةٍ تَحْتَاجُ لِزَوْجِهَا فِيهَا بِدَعْوَى الدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ تَعَالَى ! - وَكُلٌّ أَدْرَى بِحَالِ بَيْتِهِ وَحَالِ دِينِهِ ، فَلْيُوَفِّقْ بَيْنَهُمَا - فَكَيْفَ يُقَصِّرُ فِى أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ اللهِ تَعَالَى بِحُجَّةِ القِيَامِ عَلَى أَمْرٍ آخَرَ ؟! بَلْ لَابُدَّ مِنَ القِيَامِ بِالأَمْرَينِ مَعاً وَالتَّوْفِيقِ بَيْنَهُمَا ، وَهَذِهِ هِىَ هِدَايَاتُ[4] المَشَايِخِ وَنَصَائِحِهِمْ وَتَعْلِيمَاتِهِمْ لِلجُدُدِ فِى العَمَلِ وَلِكُلِّ مَنْ يَخْرُجُ فِى سَبِيلِ اللهِ لِلدَّعْوَةِ فِى العَالَمِ كُلِّهِ ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ عَلَى ذَلِكَ البَتَّه ، وَلَا يَسْمَحُونَ لِمَنْ هُوَ مُضَيِّعٌ لِأَهْلِهِ أَوْ مُتَواكِلٌ بِالخُرُوجِ بَلْ يَدْعُونَهُ أَوَلاً لِلقِيَامِ بِحَقِّ أَهْلِهِ ثُمَّ القِيَامِ بِالدَّعْوَةِ ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كُلُّكُمْ

---

[1] (107 الأنبياء)

[2] (28 سبأ)

[3] لسان الدعوة : (231 - 232)

4 هدايات : لفظة دارجة بين اهل الدعوة مفادها : نصائح وتعليمات مهمة فى أمور الدعوة ، وهى مستنبطة من الكتاب والسنة أو من الآداب الإسلامية أو من التجارب الدعوية ، ولا إلزام فيها لا يلزمه الشرع . بل غايتها النصيحة لغير المتمكن فى الدعوة بأسرار تلك الصنعة . فتنبه .

رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...) [1] وَقَالَ : (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمَاً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ) [2]. وَمَنْ تَرَكَ وَظِيفَتَهُ – التى هِىَ سَبَبُ رِزْقِهِ الوَحِيد - أَوْ ضَيَّعَ أَهْلَهُ أَوْ أَهْمَلَ وَلَدَهُ بِحُجَّةِ الدَّعْوَةِ فَهُوَ مَلُومٌ عَلَى فِعْلِهِ الفَرْدِيِّ وَلَا يَمَسَّ الدَّعْوَةَ شَيْئَاً ، وَهُوَ أَنْ يُدْعَى إِلَى اللهِ تَعَالَى أَحَقُّ وَأَوْلَى مِنْ أَنْ يَدْعُوا ! ، فَالدَّعْوَةُ وَاضِحَةٌ بِالدَّلِيلِ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَمَنْهَجُ التَّبْلِيغِ وَاضِحٌ لَا خَفَاءَ فِيهِ وَلَا يَعْمَلُ فِى الظَّلَامِ وَ الْحَقّ أَبْلَجٌ وَالْبَاطِلُ لَجْلَجٌ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الرجل إذا خرج فى سبيل الله تَعَالَى فى الخارج ، لا يَجُوزُ له أن يصرف توجهه عن أهل بيته ، لأن هذا البيت أول شيء هو للدعوة ، فحتى يترقى الرجل لابد من ترتيب البيت السليم الذى يجعل الرجل فى ترقية ، لأن بيته رصد للدعوة واستقبال الأحباب وإقامة أعمال الدين ، لأن الرجل يسأل أمام الله تَعَالَى عن أهل بيته) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد من القيام بحلقة تعليم فى البيت حتى يعرفوا العبادات ، والأخلاق والمعاملات والمعاشرات والإيمَان ، وكما نهتم بنفوسنا نهتم بالأهل والأولاد ، لذَلِكَ عالم بيته ليس عَلَى الترتيب النبوى ، فى الظاهر زوجته معه ، والحقيقة هما مختلفان ، فهذا العالم فاته القطار) [4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (هنا إنفاق المال وإنفاق النفس مثل الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ ، منهم من أنفق نصف ماله ومنهم من أنفق ماله كله ، ولكن أكثر الصَّحَابَة أنفق ثلث المال ، فنأخذ الوسط ، فهكذا هم فعلوا وهكذا نحن نفعل ولكن برعاية الشريعة فلا أنفق مالى كله ثم أسأل النَّاس ، ولكن كما يقال (درج درج وعَلَى الله الفرج) [5] ، فننوى العالم ولكن بهدوء ، فنخرج أربعة أشهر ، ونشتغل فى عمل المقام ثمانية أشهر مع البيت والكسب ، وهكذا نترقى فى التضحية ، وهذا الترقى متى يقبل ؟ إذا كان برعاية الشرع ، فلا نترك البيت بغير أموال ، أو نترك الوظيفة أو أبيع البيت وأترك الأولاد عِند أقاربى ، بل لابد للعمل من فتح

---

[1] (البخارى 853 ، 2416 , مسلم 20 - 1829 , الترمذى 1705 , أبو داود 2928 , مسند أحمد 4495)
[2] (القضاعي في مسند الشهاب 1413 ، ورواه أبو داود والنسائي بلفظ من يقوت وهو عند مسلم بلفظ آخر.)
[3] لسان الدعوة : (134)
[4] لسان الدعوة : (179)
[5] هذا مثل دارج بين الناس ومعناه صحيح .

الباب وليس بكسر الباب ، ولكن لابد من الإجازة من الوظيفة ، وترتيب البيت والمحل ، ولا نحب الحماس الشديد الذى يضر)[1]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد من وضع النية الراسخة الجازمة أن حياتنا كلها تكون للدعوة ، وفى النية أن تكون هذه الأمة مشتغلة فى الدعوة إِلَى آخر العمر والى يوم القيامة ، ولما نقوم للدعوة نقوم بالهدوء ، ونتصبر للمدد الطويلة ، فنعتاد أعمال الإيمان ، ولما نخرج أربعة أشهر أو ثلاثة أو شهرين ، الباقى فى جهد المقام ، ثم نوبة فى الأهل ونوبة فى الدين للدعوة ، حتى نصل إِلَى النصف من الرجال يخرجون فى سبيل الله تَعَالَى ، والنصف فى الأعمال والأشغال الدنيوية ، كما قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا)[2])[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الداعى الحقيقى فى هذا الزمان ، لابد فيه من صفات وأخلاق واستعدادات ، أهمها ....

3 – لا ينظر لغير أهله بعد المطالبة : فهنا سيدنا موسى عليه السلام ترك أهله فى البرد والصحراء ، والله تَعَالَى أخبرنا فى قرآنه لما ذهب موسى عليه السلام لينظر إِلَى نار يستدفىء بها ، لم نعرف ماذا حدث لأهله ، لأن أهله مثله يتحملون المشاق .كذَلِكَ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هاجر وحده مع أبى بكر رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، وترك البيت وليس عِند أبى بكر مال ولا طعام .

4 – لا ينظر لغير ماله بعد المطالبة : فموسى عليه السلام ترك غنمه وذهب لأمر الله تَعَالَى .كذَلِكَ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت ناقته للسفر من ماله)[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كيف نرعى أولادنا ؟

---

[1] لسان الدعوة : (207)

[2] (مسلم 1896 ، 5013 ، مسند أحمد 11479)

[3] لسان الدعوة : (211)

[4] لسان الدعوة : (239)

قبل الدعوة ما كنا نفكر فى أولادنا ، بل كنا نربيهم عَلَى فكر الدنيا ، ولكن ببركة هذه الدعوة نتوجه لله تَعَالَى ونعلمهم التعليم السليم فيكون السلوك يطابق العلم ، والأحسن أن تعلموا أولادكم فى بيوتكم ولو القليل ولا نكتفى بتعليم المدرسة ، لأن أصحاب النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعلموا درجة درجة ، أبو بكر الصديق رضى الله عنه تعلم من النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى عرف هيئة صلاته ومعاملاته .)[1]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فالرجل اليوم بسبب فساد يقينه صار يستخدم أولاده لسد حاجاته ، والحاجة ما سدت ، ومن ليس عَلَى منهج الله تَعَالَى استخدم نساءه لسد حاجته ، وما سدت حاجته ، وكثير من النَّاس يمنعون أولادهم من تعلم علوم الدين ، ويعلمونهم العلوم العصرية ، لأنهم يظنون أن تعلمهم الدين يقلل رزقهم ، فالنساء والولاد والكبار صاروا متطوعين للشغل ، ولكن ما سدت الحاجة ، وما علموا أن الشيء الذى كتبه الله تَعَالَى للإنسان هو الذى سيكون ، مهما اجتهد الإِنسَان كثيرا أم قليلا ، فالرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا لم يجد قوتا فى بيته ما كان يأمر أهله بالكسب ولكن كان يأمرهم بالصلاة وهكذا أمره الله تَعَالَى حيث يَقُولُ : (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى)[2] .)[3]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الذى يخاف الله تَعَالَى ، الله تَعَالَى وعده : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)[4] ، والتقوى معناها خشية الله وخوف الله تَعَالَى ، وما هو دليل التقوى فى الإِنسَان ؟ أَنَّهُ فى كل حياته عَلَى أمر الله ، لا يخالف أمر الله تَعَالَى ، فى نومه وزواجه وأكله وشربه ومعاملاته ، وإذا كانت زوجته شديدة فعليه أن يتحملها ، ولكن لابد أن يجتهد عليها حتى يأتى فيها طلب الهداية ، حتى تصير من الصالحات القانتات الحافظات للغيب بما حفظ الله لأن الله تَعَالَى يَقُولُ : (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ)[5] ، يكون حلقة تعليم ، وبيئة الغيبيات حتى يصير فكر الآخرة فى الزوجة ،

---

[1] لسان الدعوة : (249)
[2] (132 طه)
[3] لسان الدعوة : (272)
[4] (2 – 3 الطلاق)
[5] (34 النساء)

ولكن الله تَعَالَى قَالَ : (فَعِظُوهُنَّ)[1] ليس خمسة أيام أو شهرا بل دائمًا ، وإذا ما استجابت مرة بعد مرة : (وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ)[2] وبعد ذَلِكَ : (وَاضْرِبُوهُنَّ)[3] وهذا الضرب غير مبرح ، لأننا نضربها للتربية ، نحن نختار طريق النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى مثل هذه الأحوال ، لا نغضب بل نستعمل الحكمة ، مثل العملية الجراحية ليس أى طبيب يعملها ، بل طبيب خاص ، وإذا أردنا أن نغير أمرا فى البيت ، لا نغيره بالقوة ولا بالأمر بل نجعل التعليم ، ونجتهد فى العائلة حتى يفهموا بأنفسهم أن هذا الشيء زائدا ، بالمذاكرة مع الحكمة عندئذ يعالج الأمر ، إذا قمنا بحلقة التعليم وبيئة الدعوة ، تكون الأحوال سهلة وطيبة لِذَلِكَ يَقُولُ تَعَالَى : (فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا)[4])[5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله تَعَالَى كلفنا بالدعوة فقال : (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا)[6] ، النَّاس يقولون كيف نترك الشغل والولاد وحقوقهم ؟ فما فهموا أن هذا من أمر الله تَعَالَى ، نترك قليلا لإنقاذ النَّاس من نار جهنم ، مثل الأعمى نترك الصلاة لإنقاذه من الحفرة ، وقصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، وهم ما زنوا ولا سرقوا فقط تركوا هذا الخروج ، وهم ثلاثة ومع الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثون ألا تقريبا ، فالظاهر ما يزيدون شيئا ، ولكن الله تَعَالَى يربى هذه الأمة ويبين أهمية الجهاد ، خمسين يوما بدون كلام معهم من أحد)[7]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (عليكم بالمشاغل الكسبية والحياتيه ولا تتركوها فتصيروا رهبانا ، والرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ (لا رهبانية فى الإسلام)[8] فنحن لا نريد أن تترهبوا وتتركوا أزواجكم ، لا نريد هذا ، بل مع الخروج فى سبيل الله تَعَالَى أنتم اشتغلوا بمشاغلكم الكسبية والبيتية ، والذين يتعلمون التعليم العصرى هم يتحصلون الشهادات العليا بنية الدعوة ، ويستخدمون

---

1 (34 النساء)
2 (34 النساء)
3 (34 النساء)
4 (34 النساء)
5 لسان الدعوة : (279)
6 (41 التوبة)
7 لسان الدعوة : (286)
8 (موسوعة الألبانى فى العقيدة 111/2)

هذه الشهادات فى إدخال النَّاس فى دين الله تَعَالَى أفواجا ، ولهذا لا تتكاسلوا فى تحصيل الشهادات الدنيوية وتصير لكم هذه الشهادات دينا بصحة نيتكم حيث تجعلونها واسطة لنشر الدين فى النَّاس جميعا) [1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (عبد الله بن عمر عندما تزوج ، وفى النهار صائما وفى الليل قائما ، فقال له النَّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إن لزوجك عليك حقا ، وإن لجسك عليك حقا) [2] ، ولكن هذا لعبد الله فقط هو كان يتلذذ بالدعاء والبكاء ، ولكن الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ له (إن لزوجك عليك حقا) بعض الأحيان يكون الذهاب للزوجة هذا مجاهدة) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كذَلِكَ نتعلم الحقوق ، ولقيمة هذا الشىء الله تَعَالَى بينه فى القرآن قَالَ تَعَالَى : (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا) [4] ، ويكون كل إنسان كتابه فى عنقه يقرأ عمله بنفسه ، والإكرام هو أن يعطى الحقوق أولا ، بعد ذَلِكَ يأتى الإحسان فما هو الإحسان ؟ يعطى فوق حقه ، فعلينا أن نؤدى حقوق الزوجة ، حقوق الولاد ، حقوق الوالدين ، حقوق جيراننا ، وكل النَّاس (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ) [5] ، العدل نعطيه حقه والإحسان فوق الحق ، الزوجة تؤدى الحق الذى عليها خدمة الزوج والأولاد هذا حق ، والزوجة تخدم أم الزوج ، أما إخوة الزوج فهذا إحسان ، لأنها ليست مكلفة بخدمتهم ، كذَلِكَ إذا استخدمنا أحدا نؤدى له أجرته) [6]

[1] لسان الدعوة : (298)
[2] (معناه فى البخارى 1874 ، مسلم 2787)
[3] لسان الدعوة : (322)
[4] (13 الإسراء)
[5] (90 النحل)
[6] لسان الدعوة : (343)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (هناك من يثور عَلَى الحكومة ، وعندما يأتون هم كحكومة جديدة ، لإشباع رغباتهم يسجنونهم فيصيروا بغاة ، ويظلمون ويقعون فيما كانوا يعيبون فيه الحكومة قبلهم ، والسبب فيه هو الشهوات والرغبات فلابد أن يجتهد الإن عَلَى نفسه وإيمانه ، ويراعى أمر الله تَعَالَى فيه وأولاده وعائلته)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ترك الأسباب بالمرة والغلو فى الدنيا حتى نترك أولادنا بالجوع ، فهذا يسمى رهبانية ، فهذا مخالف لأمر الله تَعَالَى ، وترك جهد الدين وتضييع أوامر الله بسبب الرفعة للدنيا والمال هذا يسمى أنانية)[2]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (النَّاس الآن يلقون أنفسهم فى نار جهنم بالمعاصى ، فهنا نترك الزوجة والأولاد والدكان لوقت قليل لإنقاذهم ، ثم نعود للزوجة والأولاد والدكان مرة أخرى بعد ذَلِكَ ؟ أم نترك النَّاس يحترقون بسبب الزوجة والولاد والدكان ؟ ! !! إن رعاية الزوجة والأولاد والحياة الكسبية ، هذا أمر من أوامر الله تَعَالَى مثلا كالصلاة وغيرها ، ولكن إذا كنا نترك الصلاة لإنقاذ الأعمى من الوقوع فى البئر ، ألا نترك الزوجة والأولاد والدكان لإنقاذ النَّاس من الوقوع فى قعر جهنم ؟ !!! مطلوب هذا أم غير نطلوب ؟ !!! إن تربية الأولاد من أوامر الله تَعَالَى .)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الحماس الشديد يضر والهدوء الشديد كذَلِكَ يضر ، واخرجوا بمراعاة الحدود الشرعية ، فلا يقُولُ واحد منكم عِند خروجه أنا أخرج وأترك الأولاد بدون نفقات ، وأنا أبيع البيت وأخرج ، أو أترك الوظيفة ، فهذا خلاف الحدود الشرعية ، فلابد من مراعاة الزوجة والأولاد والبيت والعمل ، ثم يأتى الأمر بعد ذَلِكَ درج درج وعَلَى الله تَعَالَى الفرج ، فعَلَى أيديكم إن شاء الله تَعَالَى الله ينشر الدين فى العالم كله فنحن نخرج بفتح الباب وليس بكسر الباب)[4]

[1] لسان الدعوة : (350)
[2] لسان الدعوة : (355)
[3] لسان الدعوة : (388)
[4] لسان الدعوة : (424)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد للداعى أن يتحرك ولا يقف أمامه عائق من أسباب الدنيا ولكن لابد من حقيقة الإيمَان فلا يترك الداعى دعوته بسبب فساد فى أحد أقاربه أو أسرته ، فلنا القدوة فى الأنبياء ، فسيدنا نوح عليه السلام هناك فساد فى زوجته ثم فى ابنه ، ولكن هو عنده مقصد فما تركه بسبب ذَلِكَ ، وسيدنا لوط هناك فساد فى زوجته وهى ضده ولكن ما ترك أمر الله تَعَالَى ، كذَلِكَ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان قومه وعشيرته ضده وحاربوه ومع ذَلِكَ قَالَ : (والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فى طلبه) [1].) [2]

فَصْلٌ فِي ذِكْرِ الشُّورَى وَبَيَانِ أَنَّهَا سَنَّةٌ وَلَيسَتْ سُلْطَةً .

وَاعْلَمْ أَنَّ الشُّورَى فِي الإِسْلَامِ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ ، بَلْ أَمْرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى ، قَالَ تَعَالَى : (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) [3] (فَأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أَكْمَلُ النَّاسِ عَقْلاً أَنْ يُشَاوِرَ ، إِذْ الحَقِيقَةُ أَنَّ الإِنسَانَ وَإِنْ بَلَغَ عَقْلُهُ الغَايَةَ ، لَايَسْتَغْنِي عَنِ الاسْتِعَانَةِ فِي مُشْكِلَاتِ الأُمُورِ بِآرَاءِ الرِّجَالِ ، إِذْ العُقُولُ قَدْ تَكُونُ نَافِذَةٌ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الأَمْرِ ، وَاقِفَةٌ عِندَ نَاحِيَةٍ أُخْرَى) [4] وَقَالَ تَعَالَى : (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) [5] وَبِهَا يَتَحَقَّقُ الأَخْذُ بِالأَسْبَابِ وَإِعْطَاءِ كُلِّ ذِى حَقٍّ حَقَّهُ وَسُؤَالِ أَهْلِ الذِّكْرِ ، فَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا اللهُ تَعَالَى ، فَوَجَبَ الأَخْذُ بِالشُّورَى وَالنَّظَرِ فِي أَحْوَالِ البُلْدَانِ وَاحْتِيَاجَاتِهَا مِنْ حَيْثُ الدَّعْوَةُ وَالعَمَلُ الدِّينِيِّ ، وَمَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَاطَرَهُمْ عُقُولَهُمْ ، وَمَا خَابَ مَنِ اسْتَشَارَ . وَلَا حَرَجَ عَلَى مَنْ رَتَّبَ لِلشُّورَى تَرْتِيبهَا وَأَعَدَّ لَهَا عُدَّتَهَا مِنْ بَابِ التَّرْتِيبِ لَا مِنْ بَابِ التَّشْرِيعِ . وَلَيْسَ مِنَ الأَدَبِ مُخَالَفَةُ الشُّورَى، فَيَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ وَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (

---

[1] (البخارى فى التاريخ)
[2] لسان الدعوة : (426)
[3] (159 آل عمران)
[4] (من كلام محمد الخضر حسين)
[5] (38الشورى)

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)[1] وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَدُ اللَّهِ مَعَ - او عَلَى[2] - الْجَمَاعَةِ)[3] وَالمَرْءُ بِنَفْسِهِ قَلِيلٌ ، كَثِيرٌ بِإِخْوَانِهِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (القدماء لابد أن يتفكروا فى مقتضيات الدعوة فى كل بلد فى العالم ، وكذَلِكَ صلاحيات الدعوة فى كل زمان ومكان ، ومن يستطيع أن يقوم بالدعوة فى هذا المكان ؟ كذَلِكَ تتفكرون ما هى مقتضيات الدعوة فى بيوتكم ؟ فالأولاد منهم من يحب اللعب ، ومنهم من يحب القراءة ، ومنهم من يفك الآلات ، فلابد أن نستثمر هذه الطاقات ونوجهها ، كذَلِكَ ننظر ما هو الشيىء الناقص من الدين ؟ فنجتهد كيف نكمله باللين والرحمة ، وحينما نقوم بالدعوة الله تَعَالَى يأتى لنا بالأمن)[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الرابع : ومن كل هؤلاء تشكل الجماعات للدول البعيدة ولكن بمشورة المشايخ ، فترسلون عن الأحباب وأحوالهم ونفقاتهم ، ونتشاور الأفضل أين يخرجون ؟ ونكون عَلَى صلة مع بعضنا .

الخامس والأخير : هناك اجتماع فى باكستان والهند وبنجلاديش ، فترسلون الجماعات فى الإجتماعات ، وممكن إرسال الخواص من القدماء ليراعوهم ، كذَلِكَ إرسال القدماء ، ارسلوا اثنين اثنين لمدة شهرين للإقامة فى المركز أو لخدمة الإجتماع ، وهم تحت الشورى ، وهذا لا يغنى عن الخروج السنوى ، وقد نرسلهم مع جماعات إِلَى دول أخرى للصالح العام للدعوة ، وكثير من العرب يفعل ذلك

ثم علينا ثلاثة أشياء :

الأول : أن ينظر القدماء ماهى مقتضيات الدعوة الآن فى العالم ؟

---

[1] (159 آل عمران)

[2] (مستدرك الحاكم 391 , 396 , قَالَ الألباني رحمه الله في مقدمة الصحيحة (4/ك- ل) : رواه ابن أبي عاصم في السنَّة , وإسناده ضعيف كما بينته في ظلال الجنَّة رقم 80 ، ولكنه حسن بمجموع طرقه كما شرحته في الصحيحة 1331 وغيرها , وانظر هداية الرواة: 171. أ. هـ)

[3] (الترمذى 2166 , و بن حبان 4577 , انظر صَحِيحِ الْجَامِعِ: 3621)

[4] لسان الدعوة : (261)

الثانى : أن ينظر القدماء ما مدى استعداد كل فرد وعطائه ؟

الثالث : من من القدماء يستطيع أن يؤدى حق هذه المقتضيات ويصلح لها ؟

كل هذا بالمشورة ، ونتفكر للعالم ولدولتنا) [1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (يوم الشورى نأخذ الطلبات حتى نتجول طوال الأسبوع ، نرجع من المشورة بفكر ألا يبقى بيت قريب من المَسْجِدِ إلا وهو قائم بحلقة التعليم ، كل ما فيه يحافظون عَلَى الصلاة وذكر الله ، ونجلس نتفكر فى العالم ، وكذَلِكَ فى البيت نجلس مع الزوجة لحلقة التعليم ويكون فكرنا العالم ، فتأتى يوم الشورى بهذا الفكر ، نأخذ الطلبات حتى ما يكون عندنا فكر آخر) [2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَسْبَابِ النَّصْرِ وَأَسْبَابِ الهَزِيمَةِ .

وَلِنَيْلِ النَّصْرِ فِى الدُّنْيَا يَجِبُ عَلَيْنَا مِنْ أُمُورٍ : أَوَّلاً طَاعَةُ اللهِ تَعَالَى فِى كُلِّ أَمْرٍ وَالإِنْتِهَاءِ عَنْ كُلِّ نَهْى وَالتَّسْلِيمِ لِقَضَاءِهِ وَقَدَرِهِ وَالقِيَامِ بِالأَمَانَةِ التى حُمِّلْنَاهَا ، وَالمُجَاهَدَةَ مِنْ أَجْلِ نَشْرِ الدِّينِ فِى العَالَمِ كُلِّهِ بِقَدْرِ مُسْتَطَاعِنَا ، وَتَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ لَهُ تَعَالَى وَالاعْتِمَادِ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَاليَقِينِ الكَامِلِ فِى قُدْرَتِهِ التى لَا يُعْجِزُهَا شَىْءٌ فِى الأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَاءِ ، وَتَحْقِيقِ تَقْوَى اللهِ تَعَالَى ، وَالاسْتِغَاثَةِ بِهِ وَالاسْتِعَانَةِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الأَذَى فِى ذَلِكَ ، وَالبُعْدِ عَنِ مَظَانِّ الفَشَلِ ، وَأَسْبَابِ التَّنَازُعِ وَالتَّخَاصُمِ وَالتَّحَاقِّ [3] ، وَالعِصْيَانِ ، وَالنَّظَرِ إِلَى الدُّنْيَا . قَالَ تَعَالَى : (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) [4] . كُلُّ ذَلِكَ مَعَ الأَخْذِ بِأَسْبَابِ النَّصْرِ مِنْ إِعْدَادِ العُدَّةِ وَإِحْكَامِ الخُطَّةِ وَحُسْنِ التَّدْبِيرِ وَالأَخْذِ بِالأَسْبَابِ قَالَ تَعَالَى : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ

---

[1] لسان الدعوة : (210)
[2] لسان الدعوة : (351)
[3] أى يدعى كل فريق أن الحق معه ويطلب مطالبه الفئوية .
[4] (40 الحج)

رِبَاطِ الْخَيْلِ) [1]. وليُعْلَمَ أَنَّ نُصْرَةَ اللهِ تَعَالَى لَيْسَتْ حَلِيفَةَ لِلأَنْبِيَاءِ فَقَطْ بَلْ حَلِيفَةً لِمَنْهَجِهِمْ ! فَمَنْ حقَّق مَا كَانُوا عَلَيْهِ نَالَ مَا نَالُوهُ مِنْ نُصْرَةٍ وَمَعِيَّةٍ إِلَهِيَّةٍ قَالَ تَعَالَى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) [2] .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (وفرعون لعنه الله ، كان مخالفا لموسى عليه السلام ، ولكن الله تَعَالَى أذله ، وكذَلِكَ النمرود لعنه الله تَعَالَى ، وكذَلِكَ الأقوام ، قوم عاد وثمود ومدين ، وقوتهم ما نفعتهم ، فأهل الباطل يفرحون بقوتهم ولكن النتيجة الخسران بأمر الله حيث يقُولُ : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) [3] ، فهنا النصر مِنَ اللهِ تَعَالَى للمؤمنين فى الدنيا مع قلة السلاح والجوع والضعف الجسمى كيف ؟

لأنه فى أول الأمر التعب والعنت ، ولكن لابد من الصبر والإجتهاد والثبات ، فهذا يأتى بالنصر فى الدنيا قبل الآخرة ، فالصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ لأنهم تعبوا وتألموا ، ولكن ثبتوا واجتهدوا ، ففى الدنيا فتحت لهم خزائن كسرى ، وفى الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة ، وقد شهد الله تَعَالَى لهم بذَلِكَ فى القرآن ، فقَال تَعَالَى : (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) [4] ، والله تَعَالَى أعطى بنى إسرائيل خزائن فرعون ، لأنهم تحملوا المشقة وصبروا ، كذَلِكَ المسلمون فى خلافة عمر بن الخطاب رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، لأنهم ضحوا فى زمن أبى بكر رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، فوفى الله تَعَالَى بعهده معهم وأعطاهم خزائن قيصر وكسرى) [5]

---

[1] (60 الأنفال)
[2] (55 النور)
[3] (36 الأنفال)
[4] (8 البينة)
[5] لسان الدعوة : (166)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لكى يفهم المسلمون والى يوم القيامة أن هذه الأشياء الأربعة وهى الفشل ، والتنازع ، والعصيان ، والنظر إِلَى الدنيا إذا جاءت فى المُسْلِمِين فهى سبب فى ارتفاع النصرة ، لكن لما يذهب هذا الغبار الذى فى القلب فهنا الله تَعَالَى يأتى بالنصرة ، فلابد من المصفاة أو الفلتر لإذهاب هذا الغبار فيَقُولُ تَعَالَى : (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا)[1].)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الصَّحَابَة كانوا أقل منا عددا وعدة ، ولكنهم كانوا مؤيدين بِنُصرَةِ الله تَعَالَى ، والله تَعَالَى أعطاهم العزة والفلاح أمام كسرى وقيصر ، ولكن نحن اليوم أكثر من الصَّحَابَة ، وعندنا الطائرات والقنابل ، ولكننا فى الذلة والخسارة ، فما السبب فى عزتهم وفلاحهم مع قلتهم ؟ وأسباب ذلتنا مع كثرتنا ؟ هم كانوا يتوكلون عَلَى الله تَعَالَى وليس عَلَى الأسباب المادية ، ويكبرون الله تَعَالَى ويصغرون ما سوى الله تَعَالَى ، ولكننا نعتمد عَلَى الأسباب المادية ، ونتوكل عَلَى الله تَعَالَى بلساننا ، ونحن نكبر الله تَعَالَى أيضا باللسان ونعظم ما سوى الله تَعَالَى بالقلوب ، فهم لما كبروا الله تَعَالَى ، وصغروا ما سوى الله تَعَالَى ، فاللهل تَعَالَى سخر لهم كل شىء ، وصغروا النيران والأسود فالله تَعَالَى سخرها لهم ، وصغروا طواغيت زمانهم ، فوضع الله تَعَالَى كنوز كسرى وقيصر تحت أقدامهم ، ونحن نصغر كل ذَلِكَ بلساننا)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (أهل بدر كان عندهم ثلاث صفات ، بهذه الصفات تنزل النصرة الغيبية السماوية ،

كان عندهم صبر ، وتقوى ، واستغاثة ، يَقُولُ الله تَعَالَى : (بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ)[4] ، ويَقُولُ سبحانه (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ)[5] ، ولكن فى غزوة أحد كانت معهم النصرة ، ثم ارتفعت عنهم وذَلِكَ بسبب أربعة أشياء : الفشل ، والتنازع ، والعصيان ، وإرادة الدنيا ، لذَلِكَ يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ

---

[1] (141 آل عمران)
[2] لسان الدعوة : (202 - 203)
[3] لسان الدعوة : (257- 258)
[4] (125 آل عمران)
[5] (9 الأنفال)

وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)[1] ،

إذن ترفع النصرة بسبب أربعة أسباب :

الأول : الفشل ، وهو الجبن والضعف ،

الثانى : التنازع ، وهو الإختلاف فى أمر واضح ،

الثالث : العصيان ، وهو مخالفة أمر الرَّسُول من الرماة ،

الرابع : النظر للدنيا وبريقها فى تسابق البعض عَلَى الغنيمة ،

ولقد سألنى شاب سورى ، هل النصرة التى كانت مع الصَّحَابَة كانت لهم فقط ، وليست لنا ؟ ولماذا اهل الحق فى الذلة وأهل الباطل فى التمكين والرفعة عليهم ؟ قلت له : إن النصرة مرتبطة بأعمال وصفات أهل الإِيمَان إذا كان عندهم إيمان ، أما أهل الباطل فمثل الصديد والقيح فى الجسم ، فهو يرتفع عن الجلد (دمل) ثم بعد ذَلِكَ ينشق ويزول ، ولو أننا نراعى شروط الإِيمَان ، فالله عز وجل يوفى لنا بموعود الإِيمَان ، يَقُولُ الله تَعَالَى : (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)[2] ، ولكننا مقصرين ، فالبقرة إذا كانت تعطى الحليب وتذهب للزراعة ، فنحن نعطيها العلف ونقوم عَلَى خدمتها ، أما إذا منعت هذا فنحن نعطيها للجزار ، فكذَلِكَ هذه الأمة لما كانت تقوم بما كلفها الله تَعَالَى به وأخرجت بسببه وهو الدعوة

[1] (152 آل عمران)
[2] (51 غافر)

إِلَى اللهِ تَعَالَى كما قَالَ : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) [1] ، فالله معها وينصرها ويرعاها ، أما إذا كانت لا تقوم عَلَى ما خلقت من أجله فالله يسلمها للجزارين فى الأرض) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الذى يجتهد فى إرضاء الله تَعَالَى ، ينصره ، فالله تَعَالَى بين أولا جهد الأنبياء عليهم السلام ثم كيف نصرهم ؟ وفى نهاية الأمر قَالَ : (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) [3] ، فإذا نقضى حياتنا عَلَى السبيل التى ترضى الله تَعَالَى ، الله ينصرنا ، الذين يرضون ربهم ، نصرته تكون معهم ، ولكن لا يستطيع الإنسَان أن يرضى الله تَعَالَى بترك المجاهدة) [4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (هذا اليَقِين وهذه النصرة تجلت فى هجرة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة إِلَى المدينة ، وفى غزوة بدر إذ يقُولُ الله تَعَالَى : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ، إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ، بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ، وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) [5] ، وهنا (أذلة) أى أذلاء لله تَعَالَى تتضرعون إليه طلبا للنصر ، وهى من أسباب النصرة المطلوبة من المؤمنين ،

إذن أسباب النصرة هى :

الإستغاثة والصبر والتقوى ، وهو ما حدث فى غزوة بدر ، وحتى فى غزوة أحد كانت النصرة من البداية لهم ، ولكن التفاتهم إِلَى الغنائم أى إِلَى غير الله تَعَالَى مع نسيان أمر النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم باثبات فوق التبة كان سببا فى ارتفاع النصرة ،

---

[1] (110 آل عمران)
[2] لسان الدعوة : (259 - 260)
[3] (80 الصافات ، وكذا 105 ، 121 ، 131)
[4] لسان الدعوة : (316)
[5] (123 -129 آل عمران)

لذَلِكَ أسباب الهزيمة هى : الفشل ، التنازع ، العصيان ، حب الدنيا ، وقد ذكر الله تَعَالَى هذا فى آل عمران فقال تعال : (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)[1] ، أما فى غزوة حنين فجاءت الهزيمة بسبب ما جاء فى قلوب بعض الصَّحَابَة من العجب من كثرتهم ، فهم كانوا فى بدر ثلث عدد عدوهم وهزموهم ، فكيف لا يهزموهم اليوم والأعداء ثلثيهم ؟! ، فهنا لم تغن عنهم كثرتهم شيئا ، ونزل فيهم العتاب من السماء فيَقُولُ الله تَعَالَى : (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ)[2] ،

تلك هى أسباب النصرة وأسباب الهزيمة ، وهى سنن قائمة إِلَى يوم القيامة لا تتغير ولا تتبدل ، والله ما قَالَ أنا أنصر الأنبياء فقط بل قَالَ سبحانه : (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)[3])[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ الله (جميع الفتوحات الإسلامية تمت كلها بعد وفاة النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذَلِكَ لأن امتثال أمر الله عَلَى سنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان فى الأمة فجاء النصر ، ففى سنة النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النصرة ولو كان شخصه غائبا ، ولذَلِكَ فى أحد كان النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موجودا ولكن جاءت مخالفته فهنا ارتفعت النصرة ، وفى هذا درس كبير للأمة إِلَى قيام الساعة ، وهو أن النصرة فى اتباع أمر الله مع سنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأن الهزيمة والخيبة فى مخالفتهما)[5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ الله (كانت الغلبة لأهل الإيمان فى بدر ، لأنهم فى بدر كان عندهم :

---

[1] (152 آل عمران)
[2] (25 – 26 التوبة)
[3] (51 غافر)
[4] لسان الدعوة : (372)
[5] لسان الدعوة : (374)

1 – امتثال لأوامر الله تَعَالَى ،

2 – الاجتناب عما نهى الله تَعَالَى عنه ،

3 – تحمل المشقة فى الأحوال لله تَعَالَى ، إيمان ويقين صحيح ،

4 – بذل النفس عَلَى طريق صحيح ،

5 – وإنفاق المال عَلَى طريق صحيح .)[1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ إِرْضَاءَ اللهِ تَعَالَى وَالقِيَامَ بِالجُهْدِ لِلدِّينِ سَبَبٌ لِنُصْرَةِ اللهِ تَعَالَى .

وَاعْلَمْ أَنَّ نُصْرَةَ اللهِ تَعَالَى مُعَلَّقَةٌ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَالبُعْدِ عَنْ نَوَاهِيهِ وَطَاعَةِ نَبِيِّهِ وَحُبِّهِ وَاتِّبَاعِهِ ، قَالَ تَعَالَى : (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)[2] و قَالَ تَعَالَى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا)[3] . فَمَنْ حَقَّقَ طَاعَةَ اللهِ عَلَى طَرِيقَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَالَ المَعِيَّةَ الرَّبَّانِيَّةَ وَالنُّصْرَةَ الغَيْبِيَّةَ . وَمِنْ أَهَمِّ ذَلِكَ أَنْ يَسْعَى جَاهِدَاً لِنَشْرِ الدِّينِ فِى العَالَمِ كُلِّهِ عَلَى مِنْهَاجِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الأنبياء قاموا بالجهد وأرضوا الله تَعَالَى فالله تَعَالَى نصرهم بنصرات مختلفه ، نصر الخليل بنصرة مختلفة ، كَذَلِكَ ربى هاجر وإسماعيل ، ونصر يوسف فى السجن ، كَذَلِكَ سيدنا يونس عليه السلام الله تَعَالَى نصره فى بطن الحوت ، سيدنا أيوب عليه السلام كان مريضا فتحمل لإرضاء الله تَعَالَى ، وكان مرضه شديد حتى هجره كل أهله ، والله تَعَالَى أخرج له عينا من الماء ، وعندما اغتسل بها شفى بإذن الله تَعَالَى ، وعندما جاءت زوجته رأته صحيحا فقالت ، أين الرجل المريض ؟

---

[1] لسان الدعوة : (401)

[2] (7 محمد)

[3] (55 النور)

فقال سيدنا أيوب عليه السلام : أنا هو ، والله تَعَالَى رد إليه جميع ماله بل أضعافها ، فالذى يطيع الله تَعَالَى ، الله يعينه وينصره ،

بنوا إسرائيل اجتهدوا مع سيدنا موسى عليه السلام فالله تَعَالَى نصرهم وجعل طريقا لهم فى البحرلكن السامرى بعد رؤية الآيات لم يتعظ فالله تَعَالَى أذله وأنظره ، فلم يكن عنده همٌ مرضاة الله تَعَالَى ، لكن الذى يجتهد لتحصيل إرضاء الله تَعَالَى فالله تَعَالَى ينصره ، فلو نتفكر فى هذا القصص نجد أن الله تَعَالَى نصر الأنبياء والذين كانوا مع الأنبياء) [1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ ثَمَرَةٍ من ثَمَرَاتِ الاسْتِقَامَةِ فِى الدُّنْيَا عَلَى أُمُورِ الدِّين .

وَمِنْ ثَمَرَاتِ الاسْتِقَامَةِ عَلَى أُمُورِ الدِّينِ فِى الحَيَاةِ أَنْ يُثَبِّتَنَا اللهُ تَعَالَى عَلَى فِرَاشِ المَوْتِ وَعِندَ السُّؤَالِ فِى القَبْرِ ، قَالَ تَعَالَى : (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) [2] .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كما أن نصرة الله تَعَالَى غيبية ، كذَلِكَ المدد والبشرى تكون عِند الموت : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) [3] ، الذين يؤمنون بِاللهِ تَعَالَى ويثبتون ، الله تَعَالَى يعطيهم ثلاثة أشياء : ألا تخافوا ، ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة ، فأنتم كنتم تصلون وتطلبون الجَنَّة وتقرأون القرآن وتطلبون الجَنَّة فأبشروا هى لكم ، فالله تَعَالَى يؤخر النصرة وينصر بالغيب بعد الموت) [4]

---

[1] لسان الدعوة : (315 -316)
[2] (27 إبراهيم)
[3] (30 فصلت)
[4] لسان الدعوة : (316)

فَصْلٌ فِي التَّفَكُّرِ فِى كَيْفِيَّةِ إِحْيَاءِ جُهْدِ الدِّينِ .

وَيَجِبُ العَمَلُ لِهَذَا الدِّينِ بِمُجَرَّدِ الإِنْتِسَابِ إِلَيْهِ ، وَالعَمَلُ لِنَشْرِهِ وَإِحْيَاءِهِ وَنُصْرَتِهِ وَعِزِّ أَهْلِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ الْمُسْتَطَاعِ وَلَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسَاً إِلَّا مَا آتَاهَا وَلَا يَخْلُوا امْرِءٍ مُسْلِمٍ مِنَ اسْتِطَاعَةٍ ، وَأَدْنَاهَا أَنْ يُحَدِّثَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ وَإِلَّا فَلَيْسَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وذَلِكَ أضعف الإيمَان)[1] وَقَالَ : (وَلَيْسَ وَرَاء ذَلِكَ من الإِيمَان حَبَّة خَرْدَل)[2] .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نحن نتفكر فى ثلاثة أشياء عَلَى المستوى الفردى :

الأول : ما هى مقتضيات الدين فى بيتى ؟

فمثلا هناك نساء بدون الحجاب أو هناك تلفزيون أو صور وأغانى ، فننظر كيف نعالج هذا ؟وهذا بإخراج النساء فى سبيل الله ليعرفن أمر الله .

الثانى : كذَلِكَ عندنا تجارة ! فنتفكر فى مقتضيات هذه التجارة لتكون عَلَى السنة ، فمثلا عندنا تجارة ، فنتفكر الإبن الأكبر فى التجارة نضع عليه مسئولية إخراج أى نوع حرام أو شبهة أو ربا من التجارة ، ونضع هذا عَلَى مسئولية ، إذا وجد فيه الدين والخوف مِنَ اللهِ .

الثالث : ننظر إِلَى أنفسنا أى شىء نحن مقصرون فيه ؟ وأى شىء يجب أن نقدمه وأى شىء يجب أن نؤخره؟)[3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ الأَخْلاَقِ الطَّيِّبَةِ .

وَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَحَلَّى بِالأَخْلَاقِ الطَّيِّبَةِ التِى هِىَ مِنْ صَمِيمِ أَرْكَانِ الْمَنْهَجِ الإِسْلَامِىِّ ، فَلَا يَحْسُنُ بِمُسْلِمٍ أَنْ يَكُونَ حَرْبَاً عَلَى الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ بِسُوءِ أَخْلَاقِهِ ، وَلا يَحْسُنُ بِهِ أَنْ يَكُونَ صَادَّاً عَنْ سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِى ، فَهَذَا ثَغْرٌ مِنْ ثُغُورِ

---

[1] (التعليقات الحسان عَلَى صحيح ابن حبان 307)
[2] (مسلم 50 , مسند أحمد 4379)
[3] لسان الدعوة : (210 - 211)

الإِسْلَامِ فَإِيَّاكَ أَخِي المُسْلِمَ أَنْ يُؤْتَى الإِسْلَامَ مِنْ ثَغْرِكَ ، وَمَنْ تَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ النُّبُوَّةِ لِغَرَضٍ دُنْيَوِيّ أَوْ لِمَأْرَبٍ سِيَاسِيّ أَوْ لِهَدَفِ تَجَمُّعِ النَّاسِ حَوْلَهُ أَوْ نَيْلِ الثَّنَاءِ مِنْهُمْ فَقَدْ حَبطَ عَمَلُهُ وَذَلِكَ لِإِرَادَتِهِ غَيْرَ اللهِ تَعَالَى بِعَمَلِهِ فَلَا أَجْرَ لَهُ وَلَا ثَوَابَ . وَالأَخْلَاقُ بَابٌ عَظِيمٌ مِنْ أَبْوَابِ الدَّعْوَةِ قَدْ فَتَحَ اللهُ تَعَالَى بِسَبَبِهِ كَثِيراً مِنْ بِلَادِ المُسْلِمِينَ بِلَا سَيْفٍ وَلَا جَيْشٍ ! فَيَجِبُ أَلَّا يُهْمِلَ البَابَ أَبَدَاً . وَيَجِبُ إِحْسَانُ الظَّنِّ بِالمُسْلِمِينَ ، فَمَنْ حَسُنَتْ أَخْلَاقُهُ يُشْكَرُ وَلَا يُكْفَرُ وَلَا يُفَتَّشُ عَنْ نِيَّتِهِ وَلَا يُحْمَلُ فِعْلُهُ عَلَى مَحْمَلٍ سَيْءٍ بِالظَّنِّ فَإِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَالظَّنُّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الدين يعلمنا الأخلاق ، والأخلاق تزين القلوب ، (صِلْ مَنْ قَطَعَكَ)[1] فصلة الرحم فريضة من باب الحقوق ، (وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ)[2] من باب الأخلاق فهى من باب الرحمة والمودة والألفة ، (وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ)[3] ، فيها خيري الدنيا والأخرة ، فبقدر الإهتمام بأداء حقوق العباد ، تحت اوامر الله تَعَالَى ، يأتى الإستعداد لوجود الأخلاق ، وبوجودها تأتى المحبة وبعدها تأتى المجاهدة)[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (... وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ)[5] شريطة أن يكون التواضع ليس فيه رياء)[6]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إذا كان فى أخيك عيب فلا تشهر به ، ولا تغتابه والله يحذرنا من ذَلِكَ فيقُولُ : (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ)[7])[8]

---

[1] (مسند أحمد 17452 ، 17488 ، الصَّحِيحَة: 891 , صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: 2536)
[2] (مسند أحمد 17452 ، 17488 ، الصَّحِيحَة: 891 , صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: 2536)
[3] (مسند أحمد 17452 ، 17488 ، الصَّحِيحَة: 891 , صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: 2536)
[4] لسان الدعوة : (185)
[5] (مسلم 2588 ، 6757 ، صحيح بن حبان 3248 ، مسند أحمد 8996 ، 9008)
[6] لسان الدعوة : (227)
[7] (12 الحجرات)
[8] لسان الدعوة : (233)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الكفار حاربوا السول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث عشرة سنة ، وفى صلح الحديبية بعث النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى مكة وبقى النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى الحديبية ، فتأخر عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عِند كفار مكة فأشيع أَنَّهُ قتل ، فأراد المسلمون أن يدخلوا مكة ليحاربوا الكفار ، فلما علم الكفار هذا خافوا وجاءوا إِلَى النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصلح ، والصَّحَابَة رضى الله تَعَالَى عنهم كان عندهم الشدة ورفضوا هذا ، ولكن النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنِّي رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِى)[1] ، فهنا النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استخدم اللين مع القدرة وقبل جميع الشروط ، فعرف الكفار أخلاق النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكن الكفار نقضوا العهد مع النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد صلح الحديبية ، وكان عدد المُسْلِمِين عِند الصلح ألف وخمسمائة ، فصاروا عشرة آلاف بعد الصلح بعامين بسبب الأخلاق الحسنة مع غيرهم ، فبعد الصلح دخل الكفار فى دين الله وعاد النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفتح مكة فى السنة العاشرة وكان عدد المُسْلِمِين مائة ألف ، فدخل النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة وأعلن : (من دخل الكعبة فهو ءامن[2] ، ومن دخل بيته وأغلق عليه بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، و مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ)[3] ، فجمع أبو سفيان بعض الشباب وَقَالَ : إن أخلاق أصحاب مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طيبة ، كنا نحاربهم لمدة عشرين عاما ومع ذَلِكَ هم يعفون عنا ، كحتى هند – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – زوجة أبى سفيان أم معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ التى حرضت وحشى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى قتل حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، كانت تقف عَلَى باب بيتها وتنظر للمسلمين فى الليل ، وماذا يفعلون ؟ فوجدت المُسْلِمِين قائمين يبكون ويتضرعون فى الكعبة فقال : ما رأيت الله يعبد فى الأرض مثل اليوم ، وآمنت ، فكيف نخالط النَّاس بخلق حسن ومعملات طيبة ؟ فبالأخلاق الحسنة ثم الدعوة ، ثم العبادات مع المعاشرات الطيبة ، يجعل الله الخير الكثير ويفتح علينا ويدخل الكفار فى دين الله أفواجا)[4]

---

[1] (البخارى 2581 ، مسند أحمد 18928 ، السنن الكبرى 18587)

[2] لم أقف عَلَى هذه اللفظة

[3] (صحيح مسلم 4722 ، صحيح بن حبان 4760 ، سنن أبى داود 3021)

[4] لسان الدعوة : (235 - 236)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله تَعَالَى يَقُولُ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ)[1] ، ويقُولُ تعَالَى (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ)[2] ، علينا أن نحسن الظن ولا نزكى أنفسنا)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (وينبغى أن نحسن أخلاقنا مع بنى ءادم وأمة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أحيانا الشيطان يوسوس إلينا أَنَّهُ كيف تتودد لهذا العاصى مع أَنَّهُ لا يصلى ؟ وأكثر الأمة عَلَى هذا الخطر لكن لو أننا نتركهم فى هذه البيئات الفاسدة ، من الذي يقربهم لهذا الدين ؟ وإذا لم نهتم بالجهالة ونعلم من لا يعرف فهنا أهل الشرك والضلالة يأخذونهم ، ونحن نعلم أن النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيشفع لأهل الكبائر من أمته ، فبدل أن ننظر للإنسان بعين الكراهة والبغض ، نتفكر أَنَّهُ ربما يكون من أهل تلك الشفاعة ، ونظرة إليهم بالعطف تأتى بالرحمة ، ونظرة البغض تأتى بالكبر ، فما رأيكم بإنسان يخرج رجلا ينتمى إِلَى أمة مُحَمَّد من الضلالة إِلَى الهدى ؟ ألا يكون أعظم من المرأة الزانية التى سقت الكلب الذى يلهث من العطش بموقها من البئر فغفر الله تَعَالَى لها وأدخلها الجَنَّة ؟)[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (عند فتح مكة ، النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل متضرعا ، والكفار كانوا ينتظرون الصَّحَابَة والنَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويتوقعون الأذية من الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ ، كَذَلِكَ الصَّحَابَة الكِرَام كانوا ينتظرون الأمر من النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكن النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان رحيما بأمته ، فقال لهم : (ماذا تَرَوْنَ أَنِّى فاعل بِكُمْ؟) ، قَالُوا : خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ : (اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ)[5] ، هذه أخلاقه العالية صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[6]

---

[1] (12 الحجرات)
[2] (32 النجم)
[3] لسان الدعوة : (296)
[4] لسان الدعوة : (298)
[5] (السنن الكبرى للبيهقى 18739)
[6] لسان الدعوة : (328)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (أهل الدعوة يجتهدون عَلَى المُسْلِمِين ، ضرورى أن يتخلقوا بأخلاق الله تَعَالَى [1] ، فهذه الصفات لو تأتى فينا ، يأتى الدين ، والدعاء يكون مقبولا) [2]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (هدى المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإيثار والإنفاق ، ومزاج الباطل الحرص والطمع ، بالإنفاق لا ينقص إلا ما قدر الله ، بالإكتساب لا يزيد إلا ما قدر الله ، الإكتساب بالغش لا يصيب إلا ما كتب الله له ، ويكون عليه غضب الله تَعَالَى وغضب النَّاس) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الأنبياء يأتون للدعوة بالخلاق ، وعندما لا يقبل النَّاس فلابد من عملية جراحية ، مثل الذى عنده ورم وخراج فلابد من الحبوب ، ثم المرهم وهى الأخلاق لتنظيف الدماء ، فتنظيف القلوب بالأخلاق : (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا) [4] ، وقوله (كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ) [5] ، هذه أخلاق) [6]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (طريق الدعوة يكون بالأخلاق ، حتى يتوجهوا إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، بدلا من توجهم إِلَى المخلوق) [7]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فإذا جاءت أمامنا هذه العقبات والموانع والعداوات من هؤلاء الشياطين (شياطين الإنس) فنجعل معهم الأخلاق الحسنة ، فتخرج من قلوبهم العداوات والبغضاء ويحل محلها الحب والإحترام والتقدير ، لِذَلِكَ يَقُولُ الله تَعَالَى : (

[1] سبق فى صفحة 64 فَصْلٌ فِى بَيَانِ أَسْبَابِ قَبُولِ الدُّعَاءِ
[2] لسان الدعوة : (344)
[3] لسان الدعوة : (347)
[4] (44 طه)
[5] (77 النساء)
[6] لسان الدعوة : (380)
[7] لسان الدعوة : (391)

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)[1] ، ومعنى ادفع بالتى هى أحسن ، يعنى : مع هؤلاء الأعداء ، فكيف مع أحبابنا ؟؟؟

معناه أن مقابلة العداوة لا تكون بالعداوة بل بالأخلاق فنعامل الجميع بالحب ونخلص فى ذَلِكَ ليرحم الله عَلَى الجميع أَنَّهُ هو القادر سبحانه)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فالأنبياء مع أن قيمتهم عِند الله تَعَالَى عظيمة ، ورغم ذَلِكَ كلهم رعوا الغنم ليكتسبوا التواضع والصبر والحلم والصفات ، عَلَى الداعى أن يكون مع النَّاس كما يكون أصغر واحد فى البيت مع من حوله من إخوة وأقارب ، بذَلِكَ يستطيع أن يساير النَّاس ويصل إليهم)[3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ شُمُولِيَةِ الدِّينِ لِكُلِ شُئُونِ الحَيَاةِ ، وَصَلاَحِيَتِهِ ؛ بَلْ وَإِصْلاَحِهِ لِكُلِّ العُصُورِ وَالأَزْمَانِ .

وَيَجِبُ تَطْبِيقُ الدِّينِ فِي كُلِّ شُئُونِ الحَيَاةِ ، مِنَ المَأْكَلِ وَالمَشْرَبِ وَالمَلْبَسِ وَالمُعَامَلَاتِ وَالبُيُوعِ وَالمُعَاشَرَاتِ وَالأَخْلَاقِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، وَلَا يَتَعَارَضُ الشَّرْعُ الصَّحِيحُ مَعَ العَقْلِ السَّلِيمِ وَالوَاقِعُ الفِطْرِىُّ ، فَالشَّرْعُ صَالِحٌ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ، بَلْ وَلَا تَنْصَلِحُ الحَيَاةُ إِلَّا بِشَرْعِ خَالِقِهَا ، (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)[4] ، وَمَنْ أَعْمَلَ عَقْلَهُ وَاسْتَحْسَنَ وَشَرَّعَ لِنَفْسِهِ وَلِلنَّاسِ دَسَاتِيرَ ضِدُّ مَا شَرَعَ اللهُ فَقَدْ خَرَجَ عَنْ شَرِيعَتِهِ وَاتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الكُفْرِ وَالخُذْلَانِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (طريقة الحياة كلها عَلَى نهج النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا هو الدين ، وفى السبيل التى اختارها الله لنا عَلَى طريق النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه الدين والدنيا ، وأما الدنيا فهى قضاء الحياة بالغفلة عن عن الله تَعَالَى ، هذه هى الدنيا ، أما حياتنا تحت أوامر الله تَعَالَى من المهد إِلَى اللحد حذا كله الدين ، ولو مع التجارة والزوجة والأولاد ، حتى وضع

---

[1] (34 فصلت)
[2] لسان الدعوة : (392)
[3] لسان الدعوة : (396)
[4] (14 الملك)

اللقمة فى فم الزوجة هذا كله دين ، أما عبادتنا بالغفلة ، مثل الصلاة بالغفلة تلف كما يلف الثوب بالخرقة السوداء ، ويضرب بها الوجه يوم القيامة ، فهذا مع أنها صلاة إلا أنها ليست دينا بسبب الغفلة وعدم الإحسان ، أما تقبيل صبى من الأولاد مع الرحمة ونية السنة نسميه دينا ، والفرق بيننا وبين شريعة الأنبياء السابقين ، أن شريعة نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكملة وكاملة ،

كيف يأتى الدين فى حياتنا كلها ؟ وكيف يدخل فى كل شعب الحياة؟ فالصلاة فقط ليست هى الدين كله ، فالدين طريق الحياة كلها ، فى الكسب وفى القضاء وفى النوم والسفر والحضر ، فكيف يأتى هذا الدين فى حياتنا ؟ وكيف تنقلب عاداتنا إِلَى عبادات ؟ فنحن نذكر الله تَعَالَى فى المسجدوقلوبنا غافلة فى الدنيا ، ولكن إذا جاء فى حياتنا الدين ، نكون فى السوق وقلوبنا مع الله تَعَالَى ، فالدين يكون فى كل شعب الحياة ، فإذا جاء فى حياتنا الدين الكامل نحن نؤثر عَلَى النَّاس ونجذبهم ، لأن فى أعمال النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاذبية قوية تجذب قلوب العباد إِلَى الدين ، فالنَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرنا أن نعطى الأجير أجره قبل أن يجف عرقه ، فعلينا أن نجتهد حتى يصبح هذا الدين فى حياتنا ، فالإنسان اليوم يَقُولُ : هذا زمان الترف لا يصلح لهذا الدين ، فهذه حماقة ، النَّاس يقولون : أهل أوروبا يترقون ، فما وراء رقيهم ؟ قديما كان النَّاس يعرفون الحديد ، كان لا يطفوا عَلَى الماء ، ولكن الآن صارت الباخرة تطفوا عَلَى وجه الماء ، وصار يطير فى الهواء ، فهذا الترقى ترقى للحديد وليس ترقيا للإنسان .

رغم أن النَّاس اليوم يقولون يترقى الإِنسَان ، ولكنه ترك أمر الله تَعَالَى ، وترك الصلاة فى انشغاله بالحديد والخشب ، فالنَّاس يقولون الإِنسَان ترقى ، الترقى الحقيقى هو أن نمشى فى هذه الحياة حسب أوامر الله تَعَالَى ، وعَلَى طريق النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإذا لم يكن هكذا فإن الإِنسَان ينحط إِلَى درجة الحيوانية ! يفسد فى الأرض ولا يصلح)[1]

[1] لسان الدعوة : (242 – 243)

فَصْلٌ جَامِعٌ فِى الْمُقَارَنَةِ بَيْنَ تَرْتِيبِ الجُهْدِ لِلدِّينِ فِى حَيَاةِ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ وَتَرْتِيبِ حَيَاتِنَا .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ اتِّبَاعُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى تَرْتِيبِهِ لِجُهْدِ نَشْرِ الدِّينِ ، وَمِنْ ذَلِكَ خُرُوجُ الدَّعْوَةِ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِلَى بَاقِي أَرْجَاءِ الأَرْضِ ، وَمِنْ ذَلِكَ يُعْلَمُ أَنَّ جَدْوَى الجَامِعَاتِ وَالمَعَاهِدِ وَإِنْ كَانَتْ نَافِعَةً إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَتْ بِمِقْدَارِ نَفْعِ دَعْوَةِ النُّبُوَّةِ ، وَكَذَلِكَ الحِسْبَةُ عَلَى عَهْدِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ لِلهِ تَعَالَى وَلَمْ تَكُنْ بِمُقَابِلٍ مِنَ الْمَالِ وَفِى ذَلِكَ كَارِثَةٌ عَظِيمَةٌ وَهِىَ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعُودُوا يَتَعَلَّمُونَ الدِّينَ أَوْ يَعَمَلُوا مِنْ أَجْلِهِ إِلَّا مِنْ أَجْلِ الوَظِيفَةِ ! مِثْلَ الخُطَبَاءِ وَالْمُؤَلِّفِينَ وَخُدَّامِ الْمَسَاجِدِ وَالْمُؤَذِّنِينَ ، وَمِنْ ثَمَّ يَتَخَرَّجُ عِنْدَنَا أُلُوفٌ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ غَيْرِ الْمُحْتَسِبِينَ بِالحَقِيقَةِ بَلْ هُمْ مُوَظَّفِينَ ، - فَتَجِدُ أَحَدُهُمْ يَرَى الْمُنْكَرَ أَمَامَهُ وَلَا يُنْكِرُهُ ! ، بَلْ يَقُومُ بَعْضُهُمْ بِمُعَاقَرَةِ الْمُنْكَرَاتِ وَهُوَ مَنْ يَنْصَحُ النَّاسَ اليَّوْمَ وَغَدَاً ! - فَهُمْ لَنْ يَقُومُوا بِنَقْلِ الْمَشَاعِرِ وَالْمَسْئُولِيَّةَ بَلْ سَيَقُومُوا بِتَثْقِيفِ النَّاسِ نَظَرِيًّا فَقَطْ – إِنْ قَامُوا بِهَا - ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مُبَاحَاً وَمَطْلُوبَاً غَيْرَ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مُبَاحٍ نَافِعٍ بِالقَدْرِ الذِى نَرُومُهُ . وكَذَلِكَ جُهْدُ الحَرَكَةِ لِلدِّينِ قَدْ انْدَثَرَتْ آثَارُهُ وَسَلَكَ العَامِلِينَ لِلدِّينِ مَسْلَكَاً غَرِيبَاً وَهُوَ الجُلُوسُ فِى أَمَاكِنِهِمْ وَانْتِظَارِ مَجِيىءِ النَّاسِ لَهُمْ ! – وَهَذَا لَيْسَ حَرَامَاً ، وَلَيْسَ مَمْنُوعَاً ، وَلَكِنَّهُ جُزْءٌ مِنَ الدَّعْوَةِ – وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ طَرِيقَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَالَ اسْتِضْعَافِ شِيعَتِهِ ، بَلْ كَانَ يَتَحَرَّكُ عَلَى النَّاسِ فِى نَوَادِيهِمْ وَمَحَافِلِهِمْ ، (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)[1] فَإِذَا تَوَقَّفَ الحَقُّ انتَشَرَ البَاطِلُ ، وَلِكُلِّ وَقْتٍ أَذَانٌ ، وَكَذَلِكَ ظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ العَمَلَ لِهَذَا الدِّينِ مِنَ حَيْثُ الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنَ العُلَمَاءِ فَقَطْ ! وَهَذَا مُخَالِفٌ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ يَجِبُ العَمَلُ لِهَذَا الدِّينِ وَالدَّعْوَةُ إِلَيهِ مِنْ كُلِّ مُنْتَسِبٍ إِلَيْهِ بِقَدْرِ مُسْتَطَاعِهِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الجهد للدين كان عَلَى أيام النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له ترتيب غير ترتيبنا الآن ، فهناك فروق بين الجهدين ، جهد الصَّحَابَة أيام رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد موته ، وجهد ذَلِكَ الزمان ، ومن أهم تلك الفروق :

[1] (81 الإسراء)

الفرق الأول : الجهد فى زمن الصَّحَابَة انطلق من المَسْجِد لجميع بقاع الأرض ، وهذا هو الأصل ، لِذَلِكَ بارك الله فى الجهد ، أما الجهد الذى ينطلق من الجامعات والمعاهد والبيوت وغيرها من الأماكن ، فليس فيه نفس البركة ، لأن جهد النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له منطلق وهو المَسْجِد ، ولا يكون فى غيره إلا عِند الخوف كما بدأ فى دار الأرقم [1] ، فلو نجعل فى المَسَاجِد هذا ، لعادت إِلَى المَسَاجِد رسالتها الأولى من الدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى ، والعبادات والذكر والخدمة ، واستقبال وفود الإسلام وتوديعهم ، ومع هذا من تخرج من الجامعة فلا بأس ، شريطة أن يصحح نيته ، ويقوم بالدعوة عَلَى منهج النُّبُوَّة .

الفرق الثانى : كل أعمال الدين كانت أيام النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لوجه الله تَعَالَى بدون مقابل ، ليس هناك راتب للإمام الذى يصلى للناس أو خادم المَسْجِد ولا المؤذن ، لكن فى زماننا هذا الكل يطلب أجره ، حتى الإمام إذا عرض عليه راتب أكبر يترك المَسْجِد لمَسْجِد غيره ، وخدام المَسَاجِد والمؤذنون ليس عليهم هيئة السنة ، وكأن عملهم وظيفة مدنية كل ما فيها الراتب الشهرى ، أما جهد الدعوة فهو جهد الأنبياء ، نقول فيه كما قيل فى : (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) [2] .

الفرق الثالث : لم يجلس الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لينتظر النَّاس حتى يأتوا فيدعوهم ، ولا جلس الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ ينتظرون مجيء النَّاس ، بل ذهب النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لدعوة النَّاس ، فطرق عليهم بيوتهم ، وقابلهم فى الطرق ، وذهب إِلَى ناديهم وأماكن جمعهم ، وذهب لأسواقهم وتجول عليهم رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكِرَام رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ ، والآون صاحب العلم والدين ينتظر من يأتيه فى المَسْجِد ، وحول المَسْجِد الأسواق والمحال التجارية ، ولا يدخل المَسْجِد ولا يصلى فيه ، بل ربما دخل الخلاء فقط ، فالمَسْجِد لا يأتيه إلا من كان فيه الهداية ، أما العصاة ومن فى الضلال فهم بعيدون ولا يذهب إليهم أحد ، مع أنهم أولى من غيرهم ، فهم فى حاجة لمن يذهب إليهم ويأخذ بأيديهم حتى يصبح الدين فى كل النَّاس ، وإلا انحصر الدين فى المَسْجِد أو داخل البيت ، وهذا ما يرتب له أعداء الإسلام .

---

[1] (انظر مستدرك الحاكم 6129 ، جامع الأحاديث 30158)

[2] (109 ، 127 ، 145 ، 164 ، 180 الشعراء)

الفرق الرابع : علم الصَّحَابَة أن مسئولية الدين ليست عَلَى النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحده وضعت عَلَى تلك الأمة كاملة بعد وفاة رَسُول ها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أخبر الله اعالى بذَلِكَ فى قرآنه فى حياة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَالَ تعَالَى للنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتباعه من بعده : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[1] ، أما باقى الأمم فبموت نبيها يموت الدين فى النَّاس تدريجيا ، ونحن اليوم لم نستقبل تلك المسئولية بالقدر المطلوب والتضحية التى تستلزم لهذا العصر وفتنه .

الفرق الخامس : تحرك الصَّحَابَة رضى الله تَعَالَى عنهم فى العالم ، وحركتهم حطمت أعتى قوى الباطل فى وقتهم لأنهم صاروا كما ينبغى وضحوا التضحية المطلوبة منهم ، فكانت حركتهم مثل الصاروخ الذى ضرب فى صخرة ففتتها ، لكن فى زماننا هذا تركنا الحركة للدين ، وتركنا الجهد والتضحية بالمال والنفس والوقت ، وأصبحنا متثاقلين ، ودخل حب الدنيا فى قلوبنا وكرهنا الموت ، فتقاعسنا عن المكرمات ، وأصبحنا نحن الذين نتحطم أمام قوى الباطل ، وتنتقص أرض الإسلام وتنهب فى كل مكان لتركنا التضحية لدين الله تَعَالَى ، ولكن لو تحركنا وخرجنا للناس فإن حركة المؤمنين مثل حركة الماء الجارى المتدفق من الجبل ، يحطم الصخور ويساوى الأرض ، ويستفيد منه الزرع والشجر ، وتظهر بسببه البساتين والثمار ، ولكن لو وقف هذا الماء وحبس ولم يتحرك لأصبح ماءا راكدا ، وتظهر فيه الجراثيم والأمراض والأوساخ ، وهكذا لو بقى المسلمون فى بيوتهم ، واكتفوا بما هم فيه لظهر الفساد والأمراض التى لم تكن من قبل ولزادت الفتنة .)[2]

---

[1] (108 يوسف)

[2] لسان الدعوة : (219)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ صَلاَحَ الحَيَاةِ بِصَلاَحِ الصَّلاَةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّلَاةَ أُمُّ العِبَادَاتِ بَعْدَ التَّوْحِيدِ فَبِصَلَاحِهَا صَلَاحُ الحَيَاةِ وَبِفَسَادِهَا فَسَادُ الحَيَاةِ ، وَإِذَا صَلُحَتِ الصَّلَاةُ صَلُحَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَبِّنَا فَتَنْصَلِحُ أَحْوَالُنَا وَيَنْصَلِحُ يَقِينُنَا وَتَنْصَلِحُ عَقِيدَتُنَا فِى اللهِ تَعَالَى . قَالَ تَعَالَى : (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) [1].

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إذا صلحت الصلاة فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ففى الصلاة هنالك تربية للجسد ، كيف تكون الجوارح خاشعة لله تَعَالَى ؟ فإذا كانت كذَلِكَ فالجسد يكون خارج المَسْجِد ومع ذَلِكَ فهو مقيد بأمر الله تَعَالَى ، العين لا تنظر إِلَى الحرام ، وهكذا كل الجوارح ،

كيف تكون صلاتنا حقيقية ؟) [2]

فَصْلٌ فِي الاعْتِصَامِ بِحَبْلِ اللهِ تَعَالَى وَالحَثِّ عَلَى الأُلْفَةِ وَالمَحَبَّةِ وَوَحْدَةِ الصَّفِّ وَالكَلِمَةِ .

وَيَجِبُ الاعْتِصَامُ بِحَبْلِ اللهِ تَعَالَى وَعَدَمِ التَّفَرُّقِ فِيهِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) [3] وَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ) [4] وَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) [5] وَلَنْ يَكُونَ هَذَا كَمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ الكِرَام إِلَّا بِالسَّيْرِ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِى كُلِّ أَحْوَالِهِمْ ، وَهُوَ مَنْهَجُ ، وَالسُّلُوكُ وَالغَايَةُ التِى رَبَّى عَلَيْهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ ، وَيَجِبُ الأُلْفَةُ وَالمَحَبَّةُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَالذِى مِنْ خِلَالِهِ تَتَوَحَّدُ الصُّفُوفُ وَالكَلِمَةُ وَنَنْتَصِرُ عَلَى الأَعْدَاءِ وَيَنْتَصِرُ بِذَلِكَ دِينُ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا

---

[1] (45 العنكبوت)
[2] لسان الدعوة : (194)
[3] (103 آل عمران)
[4] (78 الحج)
[5] (31 – 32 الروم)

وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا)[1] وَقَوْلِهِ تَعَالَى : (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)[2] ، فَبِالإِعْتِصَامِ بِحَبْلِ اللهِ تَعَالَى يَأْتِى الحُبُّ فِى اللهِ تَعَالَى وَالأُلْفَةُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَمِنْ ثَمَّ تَتَوَحَّدُ الكَلِمَةُ وَالصَّفُ وَنَجْنِى بَعْدَ ذَلِكَ مَعِيَّةَ اللهِ تَعَالَى وَالنُّصْرَةُ الغَيْبِيَّةُ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (من يسلم مع النَّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقُولُ الشهادتين ، كان الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يهتم بتعليمهم فرائض الدين والأخلاق والمعاملات مع النَّاس ، حتى يحمل كل واحد مسئولية الدعوة إِلَى اللهِ عز وجل ، حتى يحل الوفاق والمحبة ، وتأتى الألفة والترابط ، وفى ذَلِكَ يَقُولُ تَعَالَى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)[3])[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد من الألفة والمحبة ، والإتفاق فيما بينهم ، ولا يكون هذا إلا بما جاء به النَّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهى حياة لها منهج وسلوك وغاية ، كل شيء إذا أردنا أن نجمعه نحتاج لشيء آخر ، الثياب مع الثياب بالخيط ، الورق مع الورق باللاصق ، الحديد مع الحديد باللحام ، الحجر مع الحجر بالأسمنت وهكذا ، وإذا أردنا أن نجمع القلوب مع بعضها ، فبما جاء به النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ، فبالمال والمادة والحرص واتباع الهوى ، فتكون الفرقة والتباغض ، ولكن بأعمال النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تجتمع القلوب عَلَى كلمة واحدة ، هى دعوة مِنَ اللهِ وتَعَالى يَقُولُ تَعَالَى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)[5] ، فأولا العباد يرتبطون بالخالق تَعَالَى ، ثم يتحقق الإتفاق بين العباد ، والتعلق مع الله تَعَالَى بالإِيمَان به ، والتمسك بما جاء به الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبقدر هذا التعلق تتحقق الألفة فيما بين النَّاس ، فالإنسان إذا اتبع الهوى والشهرة ، وكانت حياته عَلَى أساس المال والشهوات ، فيحب المال والشهوة ، فيورثه ذَلِكَ الحقد والطمع والعداوة والبغضاء والتشتت ،

---

[1] (46 الأنفال)
[2] (159 الأنعام)
[3] (103 آل عمران)
[4] لسان الدعوة : (148)
[5] (103 آل عمران)

ولكن فى اتباع أمر الله عز وجل وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تصلح علاقتنا مع الله وفيما بيننا ، فنتعلم الإنفاق الذى به تجتمع القلوب ، والله تَعَالَى جمع بين الجنسيات بما جاء به رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بلال بن رباح الحبشى مع سلمان الفارسى مع باقى الصَّحَابَة من العرب مع سيدنا صهيب الرومى رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين ، وجمع بين القبائل مثل عَلَى رَضِىَ اللهُ عَنْهُ وعثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأبى بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، كل منهم من قبيلة كأنهم إخوة أشقاء ، وهكذا أهل مكة لما هاجروا حدث مؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وكان هناك الأوس والخزرج وبينهما حروب ، وكانت هذه الحروب تستمر حقبا من الزمان وأجيالا ، ولكن بعدما وصلت إليهم دعوة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقام الرَّسُول بالجهد ، وتحقق الإِيمَان فى قلوبهم ، وبتتبع هدى الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تحقق فى قلوبهم الصفات الإيمانية ، فتحقق بينهم الرحمة والألفة والمودة كأنهم عضو جسد واحد ، فهذه الأعضاء المختلفة ، مهمة كل منها تختلف عن الأخرى ، ولكن المهمة العامة واحدة ، فالعين تبصر والأذن تسمع والرجل تسعى واليد تبطش واللسان يتكلم ويتذوق وهكذا ... ولكن كلها متعاونة فيما بينها ، فكيف جاء التعاون مع اختلافهم ؟

حدث هذا بسبب الروح التى عملت عَلَى ارتباطهم ، وتلك الروح هى التى أوحاها الله عز وجل لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأشار إليها فى قوله تَعَالَى : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَان وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [1] ، ولو خرجت الروح لتشتت كل الأعضاء ، وهكذا اجتماع كل القلوب بين النَّاس ، بالطريقة الروحانية التى أرسل الله تَعَالَى بها نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) [2]

[1] (52 الشورى)
[2] لسان الدعوة : (181- 182 – 183)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (وبعد الهجرة ، الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام مع هذه الأعمال بالمؤاخاة بين المهجرين والأنصار ، مؤاخاة بقطع حبال الجاهلية القائمة عَلَى التعصب القبلى ، أصبح لَا إِلَهَ إِلَّا الله مُحَمَّد رَسُول اللهِ ، فمن قَالَ الشهدة فله عِند الله المقام)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الإجتماعية للأمة عَلَى منهج الله تَعَالَى لا تكون إلا بالدين ، هذا هو العلاج الصحيح ، العرب قبل الإسلام كان الإختلاف الشديد بينهم وكانت الحروب ، ولما جاء الإسلام الله ألف بينهم بالدين ، فعلينا أن نجتهد عَلَى النَّاس حتى يأتى فيهم الدين ويتحد النَّاس)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لما نجتهد لابد من الإعتصام والإتحاد ، لذَلِكَ اما توفى الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجتمع الأنصار وقالوا : منا أمير ومنكم أمير ، وأخبر عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أبا بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بذَلِكَ ، وكان عندهم الحرقة ألا يكون هناك الشتات والفرقة)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (يَقُولُ الله تَعَالَى (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَان وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[4] ، للجسد أعضاء كثيرة ، وكل تلك الأعضاء مرتبطة مع بعضهم البعض بوجود الروح فيها ، وتناسقها فى عملها ، وكما أن أعضاء الجسد مع اختلاف حركاتهم مرتبطة بالروح ، كذَلِكَ النَّاس مع اختلاف ألوانهم وطبائعهم ولغاتهم يجتمعون بالروح ، وتلك الروح هى الشيء الذى أتى به الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

[1] لسان الدعوة : (188)
[2] لسان الدعوة : (201)
[3] لسان الدعوة : (233)
[4] (52 الشورى)

فمثلا الجسد ، اللسان مختلف لونه عن العين والعين كذَلِكَ ، والقدم واليدين ، الرأس فوق والقدم تحت ، ولكن هى الروح التى جمعت بين كل هذه الأعضاء ، وإذا الحية لدغت القدم ، العين تبكى ، واللسان يصيح ، وما يقوله الطبيب الأذن تسمع ، وهذا كله من أجل الروح ، كذَلِكَ الطريقة الروحانية التى بعثها الله تَعَالَى عَلَى سيدنا مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هى جمع كل النَّاس مع اختلاف ألوانهم وطبائعهم ، حيث يَقُولُ : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا)[1] وتلك الروح هى الدين الذى جمع بين القلوب فكأنهم جسد واحد ، مثل القدم إذا تعثرت كل البدن لا يتهمه ، بل يساعده هذه الرجل عَلَى القيام ، كذَلِكَ بطريقة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نتهم الآخرين عِند التقصير ، ولكن تساعد ، وكيف هذه الحياة المباركة تاتى فى حياة النَّاس ؟ عندما تكون فى حياتنا نحن ، الله تَعَالَى يجعلنا سببا لهداية النَّاس ، وطريقة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإيثار والألفة والمحبة وخدمة النَّاس بماله ونفسه وبدون مقابل ، فتأتى المحبة وهدى النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤلف بين القلوب)[2]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد لهذه الأمة أمة الإسلام أمة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لابد أن نسير مثلهم ، فلابد من الإجتماعية فيما بيننا ، فنجتمع لأمر الله تَعَالَى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)[3] ، فلابد بين أهل الدين وخاصة أهل الدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى أن يكون بيننا اجتماعية ، فتؤثر هذه الإجتماعية فى العالم كله ، لكن كيف تأتى هذه الإجتماعية فينا ؟ تأتى هذه بأن نحسن الظن ، ولا نسيء لأحد ، ولا نتجسس عَلَى أحد ، ولا نذكر أحدا بسوء ، وهكذا يَقُولُ الله تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا)[4] ، فهنا لا نظن بالشخص السوء)[5]

---

[1] (52 الشورى)
[2] لسان الدعوة : (345)
[3] (103 آل عمران)
[4] (12 الحجرات)
[5] لسان الدعوة : (433)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد أن نحفظ المحبة بيننا ، أيها الأحباب الكِرَام ! إن مكانى عِند الله تَعَالَى هو بسبب المحبة التى بيننا ، لأن شر النَّاس من يتقيه النَّاس مخافة شره)[1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ المَقْصِد مِنَ الصِّفَاتِ السِّتِّ .

وَاعْلَمْ أَنَّ المَقْصِدَ العَامَ مِنَ السِّتِّ صِفَاتٍ هُوَ أَنْ تَنْصَلِحَ أَحْوَالُنَا فِي الأَعْمَالِ كُلها ، كَمَا انْصَلَحَتْ أَحْوَالُ الصَّحَابَةِ بِالمَسْجِدِ ، وَلَمَّا جَاءَتْ فِيهِمُ الصَّلَاحِيَّةُ وَالاسْتِعْدَادُ لِحَمْلِ أَمَانَةِ الدِّينِ قَامُوا عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَكَمُلَ الدِّينُ فِي عَهْدِهِمْ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ { الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعرض نفسه عَلَى العشائر ، والقبائل ، والبطون ، ويقُولُ : مَنْ يُؤْوِينى من يمنعنى حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالاَتِ رَبِّي وَلَهُ الجَنَّة ؟[2] ولما جاهد النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى مكة ولم يأذن الله تَعَالَى أن تفتح مكة ، أمره بالهجرة إِلَى المدينة ، فلما هاجر إِلَى المدينة بنى المَسْجِد وربى الصَّحَابَة تربية إيمانية ، ثم نزلت الأحكام تباعا ، فحرمت الخمر ، ونزلت آيات الحجاب ، ومن قبلها تحريم الربا ، فنفهم من هذا أننا لابد أن نبدأ من المَسْجِد ، بالصفات الإيمانية التى عرفناها عن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الأجلاء رضى الله تَعَالَى عنهم ، واختصرت من العلماء المشايخ فى الصفات الستة ، حتى تنصلح أحوالنا فى الأعمال كلها ، كما انصلحت أحوالهم بالمَسْجِد ، ولما جاءت فيهم الصلاحية والاستعداد لحمل امانة الدين قاموا عَلَى الدين كله ، وكمل الدين فى عهد النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنزل اللهُ سُبحَانَهُ : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)[3] ، فصار الدين كاملا وصالحا ليوم القيامة ، ولكل زمان ومكان }[4]

---

[1] لسان الدعوة : (435)

[2] (صحيح بن حبان 7012 ، مسند أحمد 14653 ، السنن الكبرى للبيهقى 16997 ، 18191 ، 16333 ، الكل بلفظ من ينصرنى)

[3] (3 المائدة)

[4] لسان الدعوة : (196)

فَصْلٌ فِى ذكر شمولية الدين وبيَانِ أَنَّ الصِّفَاتَ السِّتِّ لَيْسَتْ كُل الدِّينِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ السِّتِّ صِفَاتٍ لَيْسَتْ كُلَّ الدِّينِ وَلَا اسْتِبْدَالاً بِأُصُولِ الإِيمَانِ وَأَرْكَانِ الإِسْلَامِ ! بَلْ هِىَ أَهَمُّ الصِّفَاتِ التِى تَحَقَّقَتْ فِى الصَّحَابَةِ الكِرَامِ وَكَانَتْ سَبَبَاً فِى تَحْقِيقِ بِاقِى الصِّفَاتِ الإِيمَانِيَّةِ وَهِىَ التِى لَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَن يَدَعَهَا بِحَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ وَهِىَ التِى لَوْ تَحَقَّقَتْ فِينَا بِالحَقِيقَةِ يَسْهُلُ عَلَيْنَا تَحْقِيقُ بَاقِى صِفَاتِ الدِّينِ وَالقِيَامِ عَلَى شَعَائِرِهِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ { لابد أن نبدأ من المَسْجِد ، بالصفات الإيمانية التى عرفناها عن النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الأجلاء رضى الله تَعَالَى عنهم ، واختصرت من العلماء المشايخ فى الصفات الستة ، حتى تنصلح أحوالنا فى الأعمال كلها ، كما انصلحت أحوالهم بالمَسْجِد ، ولما جاءت فيهم الصلاحية والاستعداد لحمل أمانة الدين قاموا عَلَى الدين كله ، وكمل الدين فى عهد النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنزل اللهُ سُبحَانَهُ : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [1] ، فصار الدين كاملا وصالحا ليوم القيامة ، ولكل زمان ومكان [2] }

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ { علينا أن ندعوا كل النَّاس من أى بلد وفى كل مكان ، ونعلم النَّاس الصفات الستة ، وهذا الأمر ليس جديدا ، فالنَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان له ترتيب للجميع ، ومشايخنا تفكروا فى حياة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجهده ، حتى جاؤا بهذه الصفات الستة التى لابد لكل مسلم أن يتحلى بها ليرضى الله تَعَالَى عنه }[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (هكذا شجرة الدين التى تكون بنية الجهد لنشر دين الله تَعَالَى ، فالأرض هى قلوب ونفوس وعقول المُسْلِمِين ، فلابد من تهيئة تلك الأراض بالزيارات ونشر المحبة ومشاركتهم فى أفراحهم وأتراحهم ، والماء هو حلقات التعليم ، والسماد هو التضحية بالنفس والأموال والعواطف والجو المناسب لشجرة الدين هو الدعاء والبكاء أم الله تَعَالَى والتوجه إليه ، ثم يأتى الجذر من أسفل والساق من أعَلَى ، فالجذر هو كلمة التَّوْحِيد والإِيمَان ، والساق هى العبادات وهى أركان الإسلام من

---

[1] (3 المائدة)
[2] لسان الدعوة : (196)
[3] لسان الدعوة : (225)

الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وأما الأغصان والأوراق فهى المعاملات والمعاشرات وفيها الصدق وحفظ اللسان وغض البصر وغيره ، ثم تأتى الثمار والفاكهة التى نتلذذ بها وهى الإخلاص ، فهنا تأتى شجرة الدين وفيها يكون الدين الكامل فى حياتنا فتكون حياة إسلامية كاملة .) [1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ مَكَانِ تَحْصِيلِ الصِّفَاتِ الإِيمَانِيَّةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ صَنْعَةٍ مَكَانٌ مُخَصَّصٌ لِتَعَلُّمِهَا ، فَالطِّبُّ لَهُ مَكَانُهُ وَالهَندَسَةُ لَهَا مَكَانُهَا وَكَذَا الصِّفَاتِ الإِيمَانِيَّةِ لَهَا مَكَانُهَا ، وَهُوَ الذِى بَيَّنَهُ اللهُ تَعَالَى فِى قَوْلِهِ : (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ..) [2] حَيْثُ تَكُونُ بِيئَةُ الدِّينِ وَالصُّحْبَةُ الصَّالِحَةُ وَالمَنْهَجُ المُبَارَكُ تَنْزِلُ البَرَكَةُ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَتَتَحَصَّلُ عَلَى تِلْكَ الصِّفَاتِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كيف تتحق هذه الصفات الستة فينا وفى النَّاس جميعا ؟ ببيئة الدين ، وكيف تتكون بيئةالدين ؟ بالدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى ، لأن بالبيئة الصالحة أى إنسان يستطيع أن يقوم عَلَى الدين ، وبدون بيئة الدين يكون صعبا ، كيف نكزن بيئة الدين ؟ بحلقة التعليم ، فيزداد الشوق والرغبة ، ويتحمل النقص فى المال ، هذه التضحية بالمال والأوقات والتعب ، بسببها تتنزل الهداية وينتشر الدين) [3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَقْسَامِ مِن يَجْتَهِدُ لِلدِّينِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ مُجْتَهِدٍ لِلدِينِ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ، فَبَعْضُهُمْ يَعْمَلُ لِطَلَبِ الشُّهْرَةِ وَبَعْضُهُمْ لِطَلَبِ المَالِ وَبَعْضُهُمْ لِطَلَبِ المَدْحِ وَالثَّنَاءِ وَبَعْضُهُمْ بُغْيَتُهُ نَوَالٌ مِنَ النَّاسِ وَبَعْضُهُمْ لِصَدِّ النَّاسِ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَبَعْضُهُمْ مُخْلِصُونَ للهِ تَعَالَى مُتَّبِعُونَ لِآثَارِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمُ المُفْلِحُونَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

---

[1] لسان الدعوة : (441)
[2] (36 النور)
[3] لسان الدعوة : (196)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الذين يجتهدون للدين قسمان : قسم مخلصون ، وهؤلاء تأتى عليهم حالتان ، حالة المجاهدة وحالة الإبتلاء ، والقسم الثانى : أهل الأغراض ، إذا رأو الإستقبال من أهل الدعوة يدخلون فى الدعوة ، ولكن مقصدهم لتكميل أغراضهم ، وهم يكونون سببا للفتنة والتفرقة ، مثل عبد الله بن أبى بن سلول ، فى بدر الله تَعَالَى أنزل النصرة ، وفى أحد الله جاءت المجاهد ، فى بدر الصَّحَابَة كانوا فى التضرع والبكاء والكفار فى بطر وأشر ، وجاء الابتلاء عَلَى الصَّحَابَة فى أحد ، عندما خالف الرماة أمر النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجاءت الأحوا ل وشيع خبر موت النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وجاء الابتلاء ومنهم من لا يريد القتال ، ومنهم من قَالَ : الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات ، لماذا نبقى ؟ ومنهم من ثبت فى الميدان)[1]

فَصْلٌ فِي ذِكْرِ بَعْضِ مَقَاصِدِ الْخُرُوجِ الدَّعَوِيّ فِى سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى .

وَلِلْخُرُوجِ فِى سَبِيلِ اللهِ[2] عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الدَّعْوَةِ فَوَائِدَ وَمَقَاصِدَ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا :

إِقَامَةُ النَّاسِ عَلَى هَذَا الدِّينِ ، وَنَشْرِ فَضَائِلِهِ بَيْنَهُمْ ، وَعَوْدَةُ عِزِّ الأُمَّةِ وَتَطْبِيقِ الشَّرِيعَةِ ، وَاتِّحَادِ الأُمَّةِ وَتَمَاسُكِهَا ، وَنَبْذِ الفُرْقَةِ وَالاخْتِلَافِ ، وَنَشْرِ الحُبِّ وَالوَفَاءِ وَالإِئْتِلَافِ ، وَإِقَامَةِ البِيئَةِ الإِسْلَامِيَّةِ التِى تَرَبَّى فِيهَا أَصْحَابُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَتَّى تَتَحَرَّكَ الأُمَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ ، وَتَتَبَوَّأَ المَكَانَةَ التِى أَخْرَجَهَا اللهُ تَعَالَى مِنْ أَجْلِهَا ، فَيَدْخُلَ النَّاسُ جَمِيعاً فِى دِينِ اللهِ تَعَالَى أَفْوَاجاً ، وَإِقَامَةِ الحَدِّ الأَدْنَى مِنَ الإِسْلَامِ عِندَ غَيْرِ الرَّاغِبِينَ ، وَالنُّطْقِ بِالشَّهَادَةِ – عَلَى الأَقَل - مِنْ الكَافِرِينَ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ { لو سار الإنسَان وراء الشيطان فإنه يسوقه حتى يهوى به للهاوية ، نحن نخرج فى سبيل الله عز وجل مثلما ضحى النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وخرج ودعا النَّاس لله تَعَالَى ، فنحن نحاول فقط التشبه بالنَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وفى خروجنا هذا نخرج أنفسنا عن اتباع السبل ، ونعرف الطريق ، طريق النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ }[1]

---

[1] لسان الدعوة : (303)

[2] وتنبه بارك الله فيك وبلغك مناك أن الخروج فى سبيل الله الذى نعنيه ويفعله أهل التبليغ ليس المقصود به الخروج للغزو ! ولا يراد بالاستشهاد بآيات الجهاد صرفها عن معانيها الحقيقية التى نزلت فيها إِلَى هذا المعنى من الخروج الدعوى ! كلا ، بل الخروج الدعوى من معانيها من حيث العموم فلذَلِكَ ناسب الاستشهاد بها ، فتنبه .

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ { اليوم النَّاس في أمر دينهم ، أقل القليل فى كل قرية عالم واحد ، وإذا كانت القرية كبيرة يكون فيها علماء عَلَى قدر ما يسد حاجة القرية ، فمسئولية الدين ليست عَلَى العلماء فقط بل كل الأمة ، ولكن كيف تشعر الأمة وتحس باحتياجها ؟

من أجل هذا نحن نخرج فى سبيل الله تَعَالَى لنشر فضائل الأعمال فى النَّاس ، حتى يأتى فيهم الطلب للدين فى كل فرد ، الكهل عندهم والصغير يشعرون ويحسون باحتياجهم للعلم والعلماء ، وكذَلِكَ كل ما يسمعونه من العلماء يكون عندهم استعداد للعمل به }[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ { نتحرك بأمر الله تَعَالَى وندعوا فى كل مكان ، ولا يقف أمامنا شيء ، بل الله تَعَالَى هو القادر وغيره لا يقدر ، والله تَعَالَى فعال لما يريد فنتوجه إليه ، والدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى بالإهتمام والحزن عَلَى حال الأمة وما وصلت إليه ، والدعاء والبكاء مع المجاهدة بالصبر والحلم والنفقه والبذل لدين الله تَعَالَى ، نخرج وندعوا النَّاس للخروج حتى تتحرك الأمة الأسلامية ، وتتبوأ المكانة التى أخرجها الله تَعَالَى من أجلها ، فيدخل النَّاس جميعا فى دين الله تَعَالَى أفواجا }[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (يا أحباب ...

عندما ننظر إِلَى أنفسنا والى المُسْلِمِين ، لا نجد قرية واحدة يكون فيها الإسلام مائة بالمائة ، حتى إذا شكلنا جماعة وذهبنا بهم إِلَى تلك القرية ونقول لهم : افهموا الإسلام من أعمال أهل هذه القرية ، فلا ينفع ، لوجود نقص بين فى أى قرية فى العالم ، كذَلِكَ لا نجد الإسلام مائة فى المائة فى عشيرة واحدة ، والآن لا نجد الإسلام فى بيت واحد ، والآن لا نجد الإسلام مائة فى المائة فى شخص واحد ، فنحن الآن فى حاجة إِلَى جهد كثير ، فلذَلِكَ نحن نجتهد فى هذه البيئة ، حتى تكون البيئة السليمة ،

[1] لسان الدعوة : (139)
[2] لسان الدعوة : (252)
[3] لسان الدعوة : (313)

وإذا كونا بيئة الإسلام ، والإسلام جاء عمليا فى هذه البيئة فلا حاجة لكل هذه السنوات لتعلم العلم ، فتعلم العلم يكون سهل جدا) [1]

فَصْلٌ فِي وُجُوبِ القِيَامِ بِالجُهْدِ الانتِقَالى مَعَ الجُهْدِ المَقَامِىّ .

وَيَجِبُ العَمَلُ لِنَشْرِ الدِّينِ فِى المَقَامِ الذِى يَعِيشُ فِيهِ الإنسَانِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) [2] وَفِى كُلِّ مَكَانٍ يَسْتَطِيعُ التَّنَقُّلَ أَوِ الرِّحْلَةَ إِلَيْهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [3] ، وَلِفِعْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَمْرِهِ بذَلِكَ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لما كان أصحاب الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى مكة ما فتحت مكة ، ولكن لما هاجروا وتركوا مكة وجاؤوا إِلَى المدينة المنورة بعد امتثال أمر التشريع المتعلق بجهد الانتقال ، الله تَعَالَى فتح مكة لهم ، ثم كان الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخرجهم من المدينة فى جماعات ، كان الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشكلهم ويرسل السرايا وأحيانا يخرج معهم وهذا هو الجهد الانتقالى ، وبعد هذا يأتى الجهد المقامى ، وقد أحيا الجهد المقامى وهو فى المدينة المنورة حتى أصبحت المدينة المنورة مركزا لجميع النَّاس ، إن الوفود يأتون إِلَى المدينة ، ولكن هذا بعد الجهد الانتقالى ، لا أنهم مكثوا فى المدينة وجاء النَّاس إليهم ، ولكن خرجوا إِلَى جميع أنحاء العالم ، وبعد ذَلِكَ وفق الله تَعَالَى النَّاس إِلَى المدينة فتعلموا هذا الجهد وتعلموا الدين والإسلام من رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) [4]

[1] لسان الدعوة : (417)
[2] (214 الشعراء)
[3] (28 سبأ)
[4] لسان الدعوة : (415)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ الخُرُوجِ لِلدَّعْوَةِ يَكُونُ بِالتَّرْتِيبِ وَلَيْسَ بِالتَّوَاكُلِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الخُرُوجَ فِى سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى لَا يَكُونُ بِالتَّوَاكُلِ وَتَرْكِ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ وَلَا يَكُونُ بِالإِلْزَامِ لِمُدَّةٍ مُعَيَّنَةٍ أَوْ هَيْئَةٍ مُعَيَّنَةٍ أَوْ أَفْعَالٍ مُعَيَّنَةٍ ، بَلْ هِىَ بِالتَّرْتِيبِ وَبِالمَشُورَةِ بَيْنَ الإِخْوَةِ لِصَالِحِ العَامِلِينَ بِالدَّعْوَةِ وَلِلصَّالِحِ العَامِ لِانْصِلَاحِ الدَّعْوَةِ ، وَحَسَبَ مُقْتَضَيَاتِهَا وَاحْتِيَاجَاتِهَا فِى كُلِّ مَكَانٍ نَسْتَطِيعُ الوُصُولَ إِلَيْهِ ، وَهَذِهِ هِىَ مُذَاكَرَاتُ المَشَايِخِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الرابع : ومن كل هؤلاء تشكل الجماعات للدول البعيدة ولكن بمشورة المشايخ ، فترسلون عن الأحباب وأحوالهم ونفقاتهم ، ونتشاور الأفضل أين يخرجون ؟ ونكون عَلَى صلة مع بعضنا .

الخامس والأخير : هناك اجتماع فى باكستان والهند وبنجلاديش ، فترسلون الجماعات فى الإجتماعات ، وممكن إرسال الخواص من القدماء ليراعوهم ، كذَلِكَ إرسال القدماء ، ارسلوا اثنين اثنين لمدة شهرين للإقامة فى المركز أو لخدمة الإجتماع ، وهم تحت الشورى ، وهذا لا يغنى عن الخروج السنوى ، وقد نرسلهم مع جماعات إِلَى دول أخرى للصالح العام للدعوة ، وكثير من العرب يفعل ذلك

ثم علينا ثلاثة أشياء :

الأول : أن ينظر القدماء ماهى مقتضيات الدعوة الآن فى العالم ؟

الثانى : أن ينظر القدماء ما مدى استعداد كل فرد وعطائه ؟

الثالث : مَنْ مِنَ القدماء يستطيع أن يؤدى حق هذه المقتضيات ويصلح لها ؟

كل هذا بالمشورة ، ونتفكر للعالم ولدولتنا)[1]

[1] لسان الدعوة : (210)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كنا نشكل جماعة تخرج بالأقدام ، فهنا رجل قام وَقَالَ : انا مستعد لأربعة أشهر فهنا واحد قَالَ : كم معك من مال ؟ فقال : أنتم تقولون : من خزائن الله ، فهنا انا قلت : خيرا لا بأس ، وبعد التشكيل أخذته وسألته فقال : من خزائن الله ، أنا أسأل الله ، فقلت له ، أنت أولا خذ من خزائن الله تَعَالَى ، ثم أرنا كم اعطاك ؟ ثم نشكلك مع الجماعة ، لأن مثل هذا إذا خرج يصير سائل وعالة عَلَى غيره ، فنحن نفهم كيف نرتب والأمر ليس هكذا يسير) [1]

وقال أيضا (الأسباب الظاهرية وإن كانت قليلة ، ولكن الله تَعَالَى يجعل فيها الفلاح والفوز ، شريطة أن تكون بامتثال أمر الله تَعَالَى) [2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ تَرْتِيبَ أَيَّامِ الخُرُوجِ وَسِيلَةٌ لاسْتِقَامَةِ العَمَلِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ تَشْرِيعاً فِى دِينِ اللهِ تَعَالَى .

وَاعْلَمْ أَنَّ الخُرُوجَ فِى سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى لَيْسَ فِيهِ إِلْزَامٌ بِمُدَّةٍ مُعَيَّنَةٍ أَوْ طَرِيقَةٍ مُعَيَّنَةٍ ، بَلْ هَذَا كُلُّهُ بَالتَّرْتِيبِ وَالتَّنْسِيقِ وَالمَشُورَةِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ العَمَلُ ، وَلِذَلِكَ قَالَ العُلَمَاءُ: (العَمَلُ الذِى لَا يُرَتَّبُ يَضِيعُ) وَقَدْ سَارَ عَلَى هَذَا النَهْجِ كُلُّ مَشَايِخِ الإِسْلَامِ مِنْ لَدُنِ عَهْدِ النُّبُوَّةِ وَإِلَى عَصْرِنَا ، الكُلُّ يُرَتِّبُ أُمُوراً وَيَجْتَهِدُ اجْتِهَادَاتٍ لِيَقُومَ بِدَعْوَةٍ طَيِّبَةٍ ، وَلِذَلِكَ نُحَفِّزُ النَّاسَ لِلخُرُوجِ لِلتَّعَلُّمِ وَالدَّعْوَةِ لِلمُدَّةِ التِى يَتَفَرَّغُ فِيهَا مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَنَةٍ وَلَا مُشَاحَّةَ فِى ذَلِكَ وَلَا تَحْدِيد .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نجتهد لدين الله تَعَالَى ونهتم بنشر الهداية بين النَّاس و نتحرك فى سبيل الله تَعَالَى ونخرج ، والخروج فى البداية ساعتان ونصف ، ثلاثة أيام ، أربعون يوما ، وليس هذا سنة عن النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل فترة للتدريب حتى يصبح الجهد لثلث اليوم ثمانى ساعات ، وثلث الشهر ، أى عشرة أيام ، وثلث السنة أى أربعة أشهر ، لنثبت لله تَعَالَى استعدادنا للدين وتحملنا له ، ولذَلِكَ نبدأ بمدة طويلة ، مثلا بأربعة أشهر) [3]

---

[1] لسان الدعوة : (435-436)
[2] لسان الدعوة : (435-436)
[3] لسان الدعوة : (155)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد أن ننوى الجهد مثلما اجتهد النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ونتحمل فى سبيله من المشاق مثلما تحمل النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكذَلِكَ مثلما تحمل الصَّحَابَة الكِرَام رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ ، فنفوز فوزهم ويرضى الله عنا كما رضى عنهم ، لذَلِكَ لو اجتهدنا للدعوة لا ننظر للبيت ولا المحل ، ولا نترك ذَلِكَ بالكلية ، ولكن نرتب ونفكر لذَلِكَ ، وَيَجِبُ أن نرتب أولا لأربعة أشهر ، وإذا فزنا بذَلِكَ ففى كل سنة أربعون يوما ، ثم نوبة بين أهلنا ونوبة للدعوة ، ونقسم الوقت بين الدين والدنيا ، بين الدعوة والأهل ، والله يجعله سهلا ، فاللهم سهل علينا أمرك ، وسنة نبيك)[1]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (إذا أراد الإِنسَان أن يعمل عملا ما فلابد أن يتفكر فى النتيجة مثل المسافر ، فهو يعين المكان ثم يتفكر فى الوسيلة التى تقله ، جهد الدين والدعوة جهد كل مسلم ، ولكن لابد من أن نعين المقصد وهو طلب رضاء الله تَعَالَى كما قَالَ تَعَالَى : (وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ)[2] ، ولكن كيف نتحصل عَلَى مرضاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؟ الله تَعَالَى اختار لنا طريقا أخبر بها فقال : (إِنَّ الدِّينَ عِند اللَّهِ الْإِسْلَامُ)[3] ، اختار لنا الدين عَلَى طريق الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كيف تكون حياتنا حياة إسلامية صحيحة ؟ كل الأمور التى نقوم بها فى حياتنا تكون حسب أوامر الله تَعَالَى وطريق النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إذا تحقق فينا هذا فى أكلنا وشربنا وزواجنا وشغلنا فكل هذا يكون دينا ، كيف يتحقق هذا فينا وفى أزواجنا وأهلينا وجميع العالم ؟

يحتاج هذا إِلَى جهد ، فالله تَعَالَى شرح صدور العلماء فى ترتيب هذا الجهد ، عَلَى النَّاس وعَلَى أنفسنا فى تحقيق الصفات الإيمانية فينا وفى جميع النَّاس ، فهذه الصفات الإيمانية التى يتحقق بها الإستعداد لكل الدين)[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نحن نطلب منكم أيها الأحباب خمسة أمور :

---

[1] لسان الدعوة : (170)
[2] (72 التوبة)
[3] (19 آل عمران)
[4] لسان الدعوة : (192)

الأول : حينما تأتى أليكم جماعة من أى بلد خارجى – الهند أو باكستان أو بنجلاديش أو مكة ... إلخ – أن تجعلوا معهم اثنين من القدماء فى الخروج ، فيرتبوا خروجا كاملا ،

الثانى : الجماعات التى تأتى إلينا هنا – الهند وباكستان – اجعلوا اثنين من القدماء مع عشرة من الجدد لمدة أربعة أشهر ليستفيدوا ، فيصبح الجدد قدماء ويفهموا العمل إن شاء الله تَعَالَى ،

الثالث : اثنان من القدماء مع عشرة من الجدد لمدة شهر أو شهرين فى بلادكم داخلها ، أو عشرة أيام أو غيره للتمرن عَلَى الأعمال وتراعوا أحوالهم ،

الرابع : ومن كل هؤلاء تشكل الجماعات للدول البعيدة ولكن بمشورة المشايخ ، فترسلون عن الأحباب وأحوالهم ونفقاتهم ، ونتشاور الأفضل أين يخرجون ؟ ونكون عَلَى صلة مع بعضنا .

الخامس والأخير : هناك اجتماع فى باكستان والهند وبنجلاديش ، فترسلون الجماعات فى الإجتماعات ، وممكن إرسال الخواص من القدماء ليراعوهم ، كذَلِكَ إرسال القدماء ، ارسلوا اثنين اثنين لمدة شهرين للإقامة فى المركز أو لخدمة الإجتماع ، وهم تحت الشورى ، وهذا لا يغنى عن الخروج السنوى ، وقد نرسلهم مع جماعات إِلَى دول أخرى للصالح العام للدعوة ، وكثير من العرب يفعل ذَلِكَ)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لأن هذا الجهد للعمر كله ، فنحن نرتب حياتنا حتى نقوم عَلَى المجاهدة ، ولكن لابد من مدة نرتب فيها ونتدرب فيها ، أولا : حتى نقوم عَلَى المجاهدة ، ليمتحن من فى قلبه اليَقِين عَلَى الأخرة ، ومن فى قلبه الشكر عَلَى الآخرة ، ممن استجاب لدعوة الشيطان التى أوردها الله فى قرآنه حجة عَلَى عباده ، فقال : (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ

[1] لسان الدعوة : (209)

فَاسْتَجَبْتُمْ لِي)[1] ، ثانيا : لنظل عليها إِلَى أن نلقى الله تَعَالَى ، فنستعد للبذل والجهد وإِنفاق النفس والنفيس لنشر دين الله تَعَالَى فى العالم كله ، لهذا نرتب حياتنا كلها لهذا الأمر ، ونستعين بِاللهِ تَعَالَى فى ذَلِكَ ، عسى الله أن يتقبلنا)[2]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الإِنسَان لا يتحصل عَلَى معرفة الله تَعَالَى إلا بالمجاهدة ، كل شيء يعرف ويتحصل عليه فى ميدانه ، فعلينا أن ننوى ونخرج فى سبيل الله تَعَالَى ، ونرتب حياتنا عَلَى هذا العمل ، ونخرج أولا أربعة أشهر ، ونرتب حتى نخرج كل سنة أربعين يوما ، أو شهرا ، أى مدة نتدرب فيها ، نحاول أن نعيش السنة ، ونعرف الدين ونحياهما ، لأن عامة الصَّحَابَة لاضى الله عنهم كانوا هكذا نصف النهار للكسب والنصف الآخر للدين ، ونصف الليل للأهل والنصف الآخر للمَسْجِد)[3]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فالخروج مثلا فى سبيل الله بغير ترتيب ، هو امتثال أمر ومخالفة أمر آخر ، والمطلوب أن يكون الإمتثال لجميع الأوامر فى وقت واحد ، فغن أوامر الله تَعَالَى كثيرة ، وامتثال أمر واحد وترك أمر آخر لا يناسب)[4]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نحن إذا كنا فى الدعوة والدعاء .. الدعوة والدعاء .. الدعوة والدعوة والدعاء .. يأتى الخير فى الأمة ولكن لابد من الترتيب ، أربعة أشهر خروج ، وثمانية أشهر فى حياتنا الكسبية فمتثل أوامر الله تَعَالَى كلها ولا نعطل البعض بسبب البعض)[5]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ولابد من النظام فى حياة الْمُسْلِم وخصوصا الداعى ، وإِذا حدث ذَلِكَ فإن الهه تَعَالَى يجعل فى حياتنا البركة ، والبركة معناها أن الله تَعَالَى يقضى حوائجنا فى أوقات قليلة وبإِمكانات بسيطة)[6]

---

[1] (22 إبراهيم)
[2] لسان الدعوة : (322)
[3] لسان الدعوة : (329)
[4] لسان الدعوة : (387)
[5] لسان الدعوة : (389)
[6] لسان الدعوة : (390)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ العَمَلَ الدَّعَوِىَّ الصَحِيحَ .

وَالعَمَلُ الدَّعَوِيُّ الصَّحِيحُ يَنْطَلِقُ مِنَ المَسْجِدِ كَمَا كَانَ الحَالُ فِى المَدِينَةِ وَرُبَّمَا انطَلَقَ مِنَ البُيُوتِ سِرَّاً فِى حَالِ الضَّعْفِ وَالاضْطِهَادِ ، وَفِى المَسْجِدِ لَابُدَّ مِنَ القِيَامِ بِأَعْمَالِ مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ العِلْمِ وَالعَمَلِ وَالخِدْمَةِ وَالعِبَادَاتِ وَالذِّكْرِ لِيَكُونَ العَمَلُ صَحِيحَاً وَنَافِعَاً .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الدعوة أولا كانت لأهل مكة فما استجابوا فهاجر إِلَى المدينة ، وأول شىء أسس مسجده بعد مَسْجِد قباء ، ثم جعل فيه الأعمال ، هكذا جميع مساجد العالم هم فروع للمَسْجِد الحرام والمَسْجِد النبوى ، هكذا نحن نعمر مساجدنا ونقوم بدعوة النَّاس لله تَعَالَى فى المَسْجِد ، إن الكبرياء لله تَعَالَى والفلاح والنجاح بيد الله تَعَالَى وعَلَى طريق النَّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إذا النَّاس فهموا هذا ، يأتى الاستعداد فيهم للاشتغال تحت أوامر الله تَعَالَى ويراعون الحلال والحرام ، فيأتى نداء " الله أكبر " من جميع المخلوقات ، فى الدنيا نحن نفهم أن كل كبير محتاج إِلَى صغير ، ولكن الله أكبر ، ولَا إِلَهَ إِلَّا الله معناه لا معبود بحق إلا الله ، إذا أراد العزة لإنسان لا يستطيع أى مخلوق أن يذل هذا الإِنسَان ، إذا نحن نقوم بالأعمال فى المَسْجِد ، ونتذاكر فى فرعون وقارون وهامان فنعرف ماذا فعل الله لكل من تجبر وتكبر ورفض نداء الأنبياء ؟) [1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ المَقْصِدَ مِنَ الخُرُوجِ وَالغَايَةِ مِنْهُ .

وَالغَايَةُ مِنَ الخُرُوجِ كَمَا أَسْلَفْنَا إِعَادَةَ الحَيَاةِ الإِسْلَامِيَّةِ الكَامِلَةِ كَمَا كَانَتْ عَلَى عَهْدِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى مُعْتَقَدِهِ وَعِبَادَتِهِ وَمُعَامَلَاتِهِ وَمُعَاشَرَاتِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَسُلُوكِهِ ، كَمَا قَالَ : (مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي) [2]. وَلإِحْيَاءِ جُهْدِ الحَرَكَةِ لِنَشْرِ الدِّينِ الذِى انْدَثَرَ مُعْظَمُهُ فِى عَصْرِنَا .

---

[1] لسان الدعوة : (326 - 327)
[2] (الترمذى 2641)

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (لابد من الإستعداد لإنفاق الوقت والمال مع بذل الطاقة لنشر دين الله تَعَالَى ، حتى يحى فينا وفى النَّاس جميعا والى يوم القيامة والله يجعلنا سببا فى ذَلِكَ)[1]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (ما اجتمعنا فى هذا المكان إلا ليأتى فينا الدين ، وحتى يأتى فينا فكر الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[2]

وقَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (الجهد للدين فى سبيل الله تَعَالَى بالأموال والأنفس ، ويكون أحيانا بالهجرة وأحيانا بالنصرة ، ولابد من بيئة الدعوة وهى بيئة إحياء الإيمَان والأعمال الصالحة ، لذَلِكَ بيئة الدعوة وأعمالها لابد أن تكون فى كل بيت ، حلقة التعليم والدعاء وحفظ القرآن والإيثار ، والصَّحَابَة فى المدينة تمرنوا فى المَسْجِد عَلَى قوة الإيمَان ، وقوة العبادة وحسن المعاشرة والمعاملة والأخلاق ، فالنَّاس عندما جاءوا إِلَى المدينة تأثروا)[3]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ المَنْهَجِ النَّبَوِيِّ الرَّبَّانِى الصَحِيحِ فِى الدَّعْوَةِ ، وَمُقْتَضَيَاتِهَا .

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ لِيُعْطِيَهُمُ الجَنَّةَ مُقَابِلاً ، وَلَا مُشْتَرٍ فِى الحَقِيقَةِ إِلَّا اللهُ تَعَالَى ! فَهُوَ الخَالِقُ المُتَفَضِّلُ عَلَيْكَ أَوَلاً بِخَلْقِكَ مِنَ العَدَمِ وَامْتَنَّ عَلَيْكَ بِكُلِّ النِّعَمِ ، ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْكَ شِرَاءَ تِلْكَ السِّلْعَةَ التى مَنَحَكَ إِيَّاهَا بِالجَنَّةِ ! فَهَلْ تَبْخَلُ بِالسِّلْعَةِ عَلَى صَاحِبِهَا ؟! لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ أُغْلِقَ عَقْلُهُ وَأُوصِدَ بَابُ قَلْبِهِ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ شُعَاعٌ مِنْ نُورٍ ، فَمَنْ يُرِيدُ العَمَلَ لِهَذَا الدِّينِ يَعْلَمُ أَنَّ العَمَلَ لَيْسَ لِسَاعَةٍ وَلَا لِيَوْمٍ وَلَا لِشَهْرٍ وَلَا لِعَامٍ بَلْ لِطُولِ العُمُرِ وَبِكُلِّ المَالِ ، فَلَا مَلَامَ عَلَى أَهْلِ الدَّعْوَةِ لِخُرُوجِهِمْ أَيَّامَاً ذَوَاتِ العَدَدِ لِلتَّعَلُّمِ وَلِلدَّعْوَةِ إِذْ هَذِهِ حِيلَةُ المُقِلِّ وَإِلَّا فَالكُلُّ مُقَصِّرٌ وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى العَفْوَ عَنِ الزَّلَّاتِ .

---

[1] لسان الدعوة : (222)
[2] لسان الدعوة : (294)
[3] لسان الدعوة : (381)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله اشترانا ليس أربعة أشهر ولا لشهرين ولكن اشترانا لطول العمر حيث يَقُولُ سبحانه : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّة يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [1]

الله تَعَالَى اشترانا لأى شيء ؟

لصالح النَّاس ولإقامة عبوديته وذَلِكَ بدعوة النَّاس إِلَى اللهِ تَعَالَى ،

وهناك مقتضيات لهذه الدعوة ، فمن مقتضياتها :

أنه لما جاءت الهجرة فهاجر الصَّحَابَة ، ولما تصلب الأمر للنصرة ، فهم ناصروا الدين ، ولما صار عليهم أن يقتلوا فهم قتلوا سبعين رجلا فى بدر ، ولما كان الأمر أن يدافعوا حتى يقتلوا فهم قتلوا فى أحد ، ولما كان من المقتضيات ترك مشاغلهم الكسبية فهم تركوها وذَلِكَ فى غزوة تبوك ، فتركوا الثمار والنخيل والأشجار مع حاجتهم ولبوا أمر الله تَعَالَى ، فصاروا منصورين مِنَ اللهِ تَعَالَى ، لكن نحن الآن لا نأخذ بترتيب الله ورَسُوله لنا ، نحن الأن نقول : لماذا لا تقاتل ؟

الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يرسل الوفود والسرايا ويوصيهم بثلاث وصايا :

الأولى : ادعوهم إِلَى كلمة التَّوْحِيد أى أسلم تسلم ، فكانوا يدعون النَّاس إِلَى التَّوْحِيد ، فإن أسلموا فدماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا ، لكن لو لم يقبلوا كلمة التَّوْحِيد فهنا ،

الوصية الثانية : أن يدفعوا الجزية ، ويكونوا رعايا لكم ، ثم بالمعايشة هم ينظرون للإسلام فعندهم الوقت حتى يشاهدوا المُسْلِمِين وحياتهم فيؤمنوا ، فهنا كأنها دعوة تفصيلية لأن المُسْلِمِين يقيمون بين أظهرهم ويفتحون الدكاكين ، ويعملون فى التجارة

[1] (111 التوبة)

ويجعلون المَسَاجِد ، ولا يهدمون كنائسهم ولا يقتلون الرهبان ولا يأخذون النساء ، فهؤلاء النَّاس ينظرون لتلك الأخلاق العالية ، والمعاشرة الطيبة ، والمعاملة الحسنة فهم يتأثرون منهم ويدخلون الإسلام ، لكن لو ما قبلوا ذَلِكَ هنا ،

الوصية الثالثة : القتال ، وهنا دون تخريب أو تدمير أو إيذاء يقع بالضعفاء أو تحميل النَّاس فوق ما لا يطيقون ،

فنحن لم نبلغ دعوتنا للناس قولا وعملا مثلما فعل الصَّحَابَة الكِرَام رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ ، فلابد أن نجتهد فى المُسْلِمِين حتى تصبح معاشراتهم ومعاملاتهم إسلامية ، وغير المُسْلِمِين إذا نظروا بأعينهم إِلَى تلك المعاشرات وتلك المعاملات ، فهنا يتأثرون فيدخلون فى دين الله أفواجا)[1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ مَنْهَجِ الأَنْبِيَاءِ فِى نَشْرِ الدِّينِ وَتَمْكِينِهِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ بِالدَّعْوَةِ وَلَيْسَ بِالْمُلْكِ وَالمَالِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ بِالدَّعْوَةِ انْتَشَرَ الدِّينُ فِى مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا وَلَيْسَ بِالْمُلْكِ وَالمَالِ ، فَقَدْ عُرِضَ عَلَى النَّبِيِّ الكَرِيمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُلْكَ فِى بِدَايَةِ دَعْوَتِهِ فَأَبَاهُ وَعُرِضَ عَلَيْهِ المَالُ فَأَبَاهُ وَقَالَ بِلِسَانِ الحَالِ (اقْبَلُوا مِنِّى الكَلِمَةَ أَوَّلاً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَتَفَاوَضُ) وَلَوْ كَانَ اللهُ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّ المُلْكَ أَوِ المَالَ سَبَبٌ لإِقَامَةِ الدِّينِ لأَمْرِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبُولِ ذَلِكَ الأَمْرَ حِينَمَا عُرِضَ عَلَيْهِ ، وَنَحْنُ نَرَى مَا حَدَثَ لِهِرَقْلُ عَظِيمِ الرُّومِ حِينَمَا قَالَ مُصَدِّقاً لِلرَسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجُ وَلَكِنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ وَإِنْ يَكُ مَا قُلْتُ حَقًّا فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ وَلَوْ أَرْجُو أَنْ أَخْلُصَ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمَيْهِ) فَجمَعَ حَاشِيَتَهُ وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الاسْلَامُ فَأَبَوْا وَنَفَرُوا ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ لَهُمْ إِقْنَاعاً فَارْتَدَّ عَلَى عَقْبِهِ ، وَنَرَى النَّجَاشِيَّ وَمَعَ أَنَّهُ أَسْلَمَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُؤَثِرَ عَلَى قَوْمِهِ مَعَ أَنَّ المُلْكَ وَالمَالَ فِى يَدِهِ وَرَهْنَ إِشَارَتِهِ ، وَهَكَذَا . وَلِذَلِكَ دَعْوَةُ الأَنْبِيَاءِ تَأْتِى مِنَ القَاعِدَةِ إِلَى القِمَّةِ ، فَإِذَا أَصْبَحَ المُجْتَمَعُ إِسْلَامِيًّا صَيَّرَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ حَاكِماً مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا لَمْ تَكُنِ القَاعِدَةُ الشَّعْبِيَّةُ مُعْتَقِدَةً ذَلِكَ فَلَنْ يَثْبُتَ مُلْكُ المَلِكِ وَإِنْ كَانَ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ . وَمَا حَدَثَ أَمَامَنَا فِى كَشْمِير مِنْ إِقَامَةِ

---
[1] لسان الدعوة : (205)

الحُكْمِ الشَّرْعِيِّ ثُمَّ سُقُوطِهِ عَلَى يَدِ الرَّعِيَّةِ لَيْسَ بِبَعِيدٍ !!! ، وَلَا شَكَّ أَنْ اللهُ يَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ هُوَ أَصْلُ القَاعِدَةِ بَلْ حَالَةٌ مِنْ حَالَاتِهَا وَلَمْ تَحْدُثُ عَلَى أَرْضِ الوَاقِعِ فِى التَّارِيخِ كَثِيراً أَمَّا أَصْلُهَا فَمَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ . وَقَدْ حَدَثَتْ فِى التَّارِيخِ بِعَدَدِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُصْلِحِينَ إِلَّا قَلِيلاً .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (كل شىء من هذه الأشياء يأتى بالدعوة ، والمقصود رضوان الله تَعَالَى والجهد للدين ، وكل شىء فى الدنيا بسبب المال والقوة ، ولكن الدين لا يكون بسبب القوة والمال ، ومن المصيبة ولابتلاء أن بعض أهل الدين يزعمون أن الدين يأتى بالقوة والمال ، فالدين لا يساق عَلَى الله هوانا ، بل يذهب لباق الأرض بالجهد والمشقة والتضحية والإنفاق ، وأهل الدنيا لأنهم أرادوا الفلاح ، فهم يحبون المال ، ولكن أهل الدين لا يحتاجون لهذا ، وأهل الدنيا يريدون المنافع ، وهم يحتاجون للدين ، والدين فيه منافع ، ولكن تلك المنافع غير مشاهدة ، لكن آثار المال والقوة مشاهدة ، لكنها مثل السراب فى الصحراء ، فتراه مثل الماء الذى يطفىء الظمأ لكن ما إن تذهب إليه حتى لا تجده شيئا ، فهذا حال أهل الدنيا الذين يظنون الفلاح والنجاح فى القوة والمال ، وفى هذا يقُولُ تعَالَى : (أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا)[1] ، فهو يجتهد للنجاح عَلَى الأسباب ، تاركا أمر الله تَعَالَى ، وفى الآخرة لا يجد إلا الخسران ، مع أن النجاح فى الدين ، لكن نجاح وفوز الدين غير مشاهد للناس إلا بنور الإيمَان فى صدور المؤمنين ، فكأنه يرى ما فوق السماء وما تحت الثرى ، وبنور القلب نرى الصالح النافع ونرى الفاسد الضار)[2]

فَصْلٌ جَامِعٌ فِى بَيَانِ الأُصُولِ الخَمْسَةِ لِلحَيَاةِ الإِسْلَامِيَّةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لِصَلَاحِ الحَيَاةِ أُصُولاً خَمْسَةً لَابُدَّ مِنْهَا ، فَإِنْ وُجِدَتْ وَإِلَّا فَلَا : هِىَ الإِيمَانِيَّاتُ : وَهِىَ العَقِيدَةُ الصَّافِيَةُ النَّقِيَّةُ عَلَى مَنْهَجِ الجَمَاعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَتْبَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِحْسَانٍ ، وَكَذَلِكَ العِبَادَاتُ : وَتَشْتَمِلُ كُلُّ أَمْرٍ أَوْ نَهْىٍ وَرَدَ عَنِ اللهِ

---

[1] (39 النور)

[2] لسان الدعوة : (169 - 170)

تَعَالَى أَوْ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَذَلِكَ المُعَامَلَاتُ ، وَالمُعَاشَرَاتُ ، وَالأَخْلَاقُ : وَهُمْ تَرْجَمَةٌ لِحَيَاةِ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَهْلِهِ وَجِيرَانِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَحْبَابِهِ وَأَعْوَانِهِ وَأَعْدَاءِهِ .

قال الشيخ إنعام الحسن الكاندهلوى رحمه الله (نلتزم بخمسة أصول للحياة الإسلامية :

الأصل الأول : الإيمانيات ، يعنى تصحيح اليَقِين .

الأصل الثانى : العبادات ، وتكون عَلَى النهج الصحيح نهج النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الأصل الثالث : المعاملات ، وتكون بتصحيح الصلاة بين النَّاس .

الأصل الرابع : المعاشرات ، بحياة العائلة أى الكف عن أذى النَّاس .

الأصل الخامس : الأخلاقيات ، أى نفع النَّاس تكون غاية الحياة .) [1]

وقال الشيخ مُحَمَّد عمر البالمبورى رحمه الله (أما سير الإنسان عَلَى منهج الله تَعَالَى وسنة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو الصراط المستقيم ، فيكون بالقصد والإعتدال فى الحاجات البشرية ، وهناك سبل كثيرة ليست عَلَى مراد الله تَعَالَى ولا هدى نبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكن الله عز وجل اختار لنبيه وأمته سبيلا فقَالَ تَعَالَى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) [2] ، وقوله : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) [3] ، وهذا الصراط لا يكون إلا بمراعاة حياة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وجعلها تحكم حياتنا ، فتشربها أنفسنا ، ونحيا بها فى خمسة أمور : (الإيمانيات ، والعبادات ، والمعاشرات ، والمعاملات ، والأخلاق) . فنؤمن بِاللهِ تَعَالَى إيمانا لا يلحقه شك فى وعد أو وعيد أو إخبار عن نفسه أو غيره ، وتكون العبادة مع الإخلاص ، والدعوة مع التضحية والبذل والإنفاق ، مع كبت

[1] لسان الدعوة : (54)
[2] (108 يوسف)
[3] (153 الأنعام)

الشهوات ، واجتناب المحرمات ، والقيام بالواجبات ، وذَلِكَ مع بذل المال والنفس فى إعلاء كلمة الله تَعَالَى ، فهذا هو الصراط المستقيم ، والشيطان لعنه الله يقف أمام ذَلِكَ الصراط فيَقُولُ : (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) [1] ، ولو سار الإِنسَان وراء الشيطان فإنه يسوقه حتى يهوى به للهاوية) [2]

وقال الشيخ إنعام الحسن الكاندهلوى رحمه الله (إن الحياة الإسلامية تقوم عَلَى خمسة أصول وهى :

1 – تصحيح الإعتقاد (الإيمانيات) : وهذا الإعتقاد لا يصلح ولا يتم إلا بتصحيح الإِيمَان بما أمرنا الله تَعَالَى به فى قوله تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ ورَسُوله وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) [3] ، فنتيقن عَلَى الله تَعَالَى وأنه الفاعل لما يريد وأنه النافع والضار ، يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحد من خلقه وهو الصمد ، ونحقق الإتباع الكامل للنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى حياتنا ، ونتيقن عَلَى كتاب ربنا فنخرج اليَقِين عَلَى سائر العلوم إذا خالفت ما فى كتاب الله تَعَالَى ، ونؤمن بوجود الملائكة وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، وموكلون بخدمة العالم الغيبى ، ونتيقن عَلَى الإخرة وأنها نعيم دائم للمؤمنين وجحيم عَلَى الكافرين ...

2 – تصحيح العبادات : وهو تعلم العبادات حتى نعبد الله تَعَالَى عَلَى بصيرة ، وهو إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت .

وهنا العبادات نوعان : -

مالية : زكاة وحج ، ونبذل فيهما المال ليخرج حب المال من النفس .

---

[1] (16 الأعراف)

[2] لسان الدعوة : (137- 138)

[3] (126 النساء)

نفسية : صلاة وصيام ، ونبذل فيهما النفس ليخرج حب الشهوات من النفس ، وهذا هو البر كما فى قوله تَعَالَى : (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِي ينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ...)[1] ،

3 – تصحيح المعاملات : وهى تصحيح الصلات بين النَّاس ، لأن المعاملات هى وجه العملة الآخر مع العبادات ، لأن العبادات إصلاح للداخل ، والمعاملات إصلاح الخارج ، وتصحيح المعاملات بإعطاء النَّاس حقوقهم ، ونسأل نحن حقنا مِنَ اللهِ تَعَالَى ، لذَلِكَ يَقُولُ فضيلة الشيخ مُحَمَّد يوسف رحمه الله : يدخل الدين فى حياة النَّاس عن طريق العبادات ، ويخرج الدين من حياة النَّاس عن طريق المعاملات ، فيا من يتقى الله فى العبادات ، اتق الله فى المعاملات ، لذَلِكَ يَقُولُ تَعَالَى : (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا)[2] .

4 – تصحيح المعاشرات : وهنا حياة الأسرة ، أى الكف عن أذى النَّاس كأنهم أسرته ، فيكون سهل العشرة ، ولذَلِكَ فعَلَى معاشرات الصَّحَابَة قام الدين ، فالأنصار كانوا أعداء ، فأصبحوا بفضل الله تَعَالَى إخوانا ، وكان فى معاشرات النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ البساطة والحياء ، دون تكبر أو تكلف ، وكانت معاشراتهم تقوم عَلَى العدل والإحسان والإيثار :

1) العدل : إعطاء الحق لصاحبه كما هو ، وهذا أقل القليل ،

2) الإحسان : إعطاء الحق لصاحبه مع زيادته بالمحبة ،

3) الإيثار : إعطاء الحق لصاحبه مع حقى وأكون فرحا (وهنا تقديم الغير عَلَى النفس) ،

---

[1] (177 البقرة)
[2] (177 البقرة)

وفيها قوله تَعَالَى : (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاس وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [1] ، فالأخوة هنا والطاعة عالمية ، ولذَلِكَ لابد للمسلم أن يكون سهلا ، لينا ، ذلولا ، حسن الخلق .

لذَلِكَ يَقُولُ تَعَالَى : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [2] ، فلما نزلت هذه الأية قَالَ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (ما هذا ياجبريل ؟ قَالَ : إن الله أمرك أن تعفوا عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتعطى من حرمك) .

5 – تصحيح الأخلاقيات : وهنا نفع النَّاس تكون غاية ، ويكون هذا بالإكرام والرحمة ، مع الصبر عَلَى النَّاس ، لتصبح نفسى سمحة ولا تخذلنى نفسى ، قَالَ تَعَالَى : (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) [3] .) [4]

فَصْلٌ جَامِعٌ فِى بَيَانِ مَقَاصِدِ الدَّعْوَةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلدَّعْوَةِ مَقَاصِدَ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ وَالعِبَادَةِ للهِ رَبِّ العَبِيدِ وَتَحْقِيقِ الاتِّبَاعِ لِلرَسُولِ المُطَاعِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَإِحْيَاءُ جُهْدِ الحَرَكَةِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى ذَلِكَ لَيْلاً وَنَهَاراً سِرَّاً وَجِهَاراً .

قال الشيخ فريد العراقى رحمه الله (من مقاصد الدعوة :

1 – تحقيق العبودية الكاملة لله تَعَالَى ، فى كل الأرض ، وفى كل الخلق ، والى يوم القيامة ، حتى لا يبقى واحد فى الأرض لا يوحد الله تَعَالَى .

2 - تحقيق الإتباع الكامل للنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حتى لا يبقى واحد تاركا لسنة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

---

[1] (134آل عمران)
[2] (199 الأعراف)
[3] (34 - 35 فصلت)
[4] لسان الدعوة : (137- 138)

3 – التذكير بالموت والآخرة .

4- تحمل وتحميل مسئولية الدعوة إِلَى اللهِ تعَالَى لكل الخلق ، فى كل الأرض ، والى يوم القيامة)[1]

فَصْلٌ فِي تَحْقِيقِ العُبُودِيةِ الكَامِلَةِ للهِ تَعَالَى .

وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُحَقِّق العُبُودِيَّةَ للهِ تَعَالَى تَحْقِيقاً كَامِلاً لِأَنَّهَا المَقْصِدَ الأَسَاسِيَّ الذِى خَلَقَ اللهُ تَعَالَى الإِنسَانَ مِنْ أَجْلِهِ ، قَالَ تَعَالَى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[2] وَالعِبَادَةُ هِىَ كُلُّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ تَعَالَى وَيَرْضَاهُ مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ وَالتُّرُوكِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ وَالبَرَاءَةَ مِمَّا يُنَافِي ذَلِكَ وَيُضَادَّهُ .

قال الشيخ فريد العراقى رحمه الله (1 – تحقيق العبودية الكاملة لله تعَالَى ، فى كل الأرض ، وفى كل الخلق ، والى يوم القيامة ، حتى لا يبقى واحد فى الأرض لا يوحد الله تعَالَى . لذَلِكَ يَقُولُ الله تعَالَى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُول إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)[3] ،

ومظاهر العبودية ثلاثة :

الأول : تقديم أمر الله تعَالَى عَلَى كل أمر .

الثانى : تقديم طاعة الله تعَالَى عَلَى كل طاعة .

الثالث : تقديم محبة الله تعَالَى عَلَى كل محبة .

[1] لسان الدعوة : (65)
[2] (56 الذاريت)
[3] (25 الأنبياء)

وهذا كله يتطلب من المُسْلِمِ أن يعبد الله ويعبد النَّاس لله ، حتى يتصف الجميع بصفة العبودية ، كما فى قوله تَعَالَى فى سورة الفاتحة : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[1] ، بصيغة الجمع ، ولهذا يتطلب من المُسْلِمِ كذَلِكَ الحركة عَلَى كل النَّاس ، فإن لم يستطع ، فلابد أن تكون هذه نيته ، ويبذل لذَلِكَ جهده عَلَى قدر طاقته ، والنَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يخرج من الجزيرة العربية ولكن نيته شملت العالمين)[2]

فَصْلٌ فِي تَحْقِيقِ الاتِّبَاعِ الكَامِلِ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَيَجِبُ تَحْقِيقُ الاتِّبَاعِ الكَامِلِ لِلرَّسُولِ الخَاتَمِ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ حَيَاتِهِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِتَعَلُّمِ طَرِيقَتِهِ وَالعَيْشِ بِهَا وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهَا ، قَالَ تَعَالَى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ)[3] وَقَالَ : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)[4] وَقَالَ : (وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[5] وَقَالَ : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[6] وَمِنْ طَاعَتِهِ تَعَالَى مَحَبَّتِهِ وَتَقْدِيمِهِ عَلَى النَّفْسِ وَالأَهْلِ وَالمَالِ وَالوَلَدِ .

قال الشيخ فريد العراقى رحمه الله (2 - تحقيق الإتباع الكامل للنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حتى لا يبقى واحد تاركا لسنة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . كذَلِكَ يقُولُ الله تعَالَى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ)[7] ، وقد ضرب الصَّحَابَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أروع الأمثلة فى طاعة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومن ذَلِكَ قصة طلحة بن البراء رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، عندما جاء – وهو غلامٌ حَدَثٌ ليبايع النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فسأله النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائلا : (

---

[1] (5 الفاتحة)
[2] لسان الدعوة : (65)
[3] (21 الأحزاب ، 6 الممتحنة)
[4] (31 آل عمران)
[5] (158 الأعراف)
[6] (63 النور)
[7] (22 النساء)

تحبنى يا طلحة ؟ قَالَ : نعم يا رَسُول الله ! قَالَ : اذهب فاقتل أباك ، فخرج مسرعا ليفعل ، فناداه النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : إنى لم أبعث بقطيعة رحم [1] ، ولكنى أحببت ألا يكون فى إيمانك ريبة) [2] ، واتباع النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجب أن يكون مقرونا بمحبته ، فالاتباع دليل المحبة ، فمن ادعى محبة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يتبعه ، كان فعله مثل فعل أبى طالب عم النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلم تنقذه محبة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون اتباعه من النار ، ومن ادعى اتباع النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون حبه ، كان فعله فعل المنافقين الذين كانوا يصلون خلف النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويخرجون معه ولم يحبوه ، وقد أخبرنا الله تَعَالَى فى كتابه أنهم فى الدرك الأسفل من النار يوم القيامة ، ومنهم عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين .

وعَلَى هذا لابد للمسلم أن يتحقق فيه المحبة الكاملة والاتباع الكامل للنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى سيرته وسريرته وصورته ، ويتحقق اتباع النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأربعة أمور :

أولها : تعلم السنة , وثانيها : تطبيقها فى جميع نواحى الحياة ، وثالثها : دعوة النَّاس إليها ، ورابعها : دعاء الله تَعَالَى – مع الإلحاح – أن يرزقنا حسن اتباع النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .) [3]

فَصْلٌ فِي التَّذْكِيرِ بِالْمَوْتِ وَالْأَخِرَةِ .

وَيَجِبُ الإِيمَانُ بِحَقِيقَةِ المَوْتِ وَأَنْ نَسْتَعِدَّ لَهُ وَنَعْمَلَ لِلِقَاءِ اللهِ تَعَالَى ، وَنُؤْمِنَ بِالقَبْرِ وَمَا فِيهِ وَمَا بَعْدَهُ وَبِمَا صَحَّتْ بِهِ الأَحَادِيثُ فِي عَالَمِ الغَيْبِ ، وَأَنْ نُذَكِّرَ أَنْفُسَنَا بِذَلِكَ حَتَّى نَكُونَ عَلَى أُهْبَةِ الاسْتِعْدَادِ ، قَالَ تَعَالَى : (فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [4] وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ) [1]

---

[1] (أبو داود 3159)

[2] (سيرة بن هشام)

[3] لسان الدعوة : (66)

[4] (175 آل عمران)

قال الشيخ فريد العراقى رحمه الله (3 – التذكير بالموت والآخرة . فنستعد للموت وما بعده والقبر وما فيه ، لِذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى مخاطبا نبيه موسى عليه السلام : (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ، إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ، فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى)[2] ، والموت ليس نهاية ، ولكنه بداية الحياة الحقيقية ، قَالَ تَعَالَى : (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) أى الحياة الحقيقية (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[3] ، وكذَلِكَ ذكر النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى مواطن كثيرة بالموت والقبر وما فيه فعن أبى هريرة رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلاَّ عَجْبَ الذَّنبِ مِنْهُ خُلِقَ وَمِنه يُرَكَّبُ)[4] ، وَقَالَ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ)[5] .)[6]

فَصْلٌ فِي تَحَمُّلِ وَتَحْمِيلِ مَسْئُولِيَّةِ الدَّعْوَةِ .

وَيَجِبُ الدَّعْوَةُ إِلَى هَذَا الدِّينِ العَظِيمِ وَتَذْكِيرِ النَّاسِ بِمَا عَلَيْهِمْ مِنَ الوَاجِبِ تِجَاهَهُ وَالعَمَلَ مِنْ أَجْلِهِ وَالقِيَام بِهِ فِى الأُمَّةِ لِيَنَالُوا خَيْرِيَّةَ هَذِهِ الأُمَّة ، وَأَنَّ ذَلِكَ سَبَبُ عِزِّهَا وَشَرَفِهَا وَكَرَامَتِهَا . وَلَا تَكُونُ الدَّعْوَةُ مِنَ الدَّاعِى إِلَّا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ فَلَا تَصِحُّ دَعْوَةٌ مِنْ جَاهِلٍ ، بَلْ وَلَا تُقْبَلُ إِنْ تَعَمَّدَ الجَهْلَ ، وَلَا يَخْلُوا مُسْلِمٌ مِنْ بَصِيرَةٍ فِى مَسْأَلَةٍ وَلَا يَخْلُوا مُحِيطُهُ مِنْ مُقَصِّرٍ فِى تِلْكَ المَسْأَلَةِ فَلَا يَسْقُطُ عَنْهُ الحُكْمُ .

قال الشيخ فريد العراقى رحمه الله (4 - تحمل وتحميل مسئولية الدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى لكل الخلق ، فى كل الأرض ، والى يوم القيامة . إذ قَالَ تَعَالَى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[7]

---

[1] (الجامع الصحيح للترمذي 2307 , السنن الصغرى للنسائي 1824)
[2] (14 – 16 طه)
[3] (64 العنكبوت)
[4] (مسلم 7604 ، صحيح بن حبان 3138 ، كلاهما بلفظ وَفِيهِ يُرَكَّبُ)
[5] (متفق عليه ، البخارى (1306 ، 1307) ، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم للحميدى 3189 ، تغليق التعليق 1372 ، سنن النسائى 1308 ، مسند أحمد: 25458)
[6] لسان الدعوة : (67)
[7] (108 يوسف)

، (وَمَنِ اتَّبَعَنِي) هو كل من رضى بِاللهِ ربا وبالإسلام دينا ، وبِمُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيا ورَسُول ا ، سواء أكان رجلا أو امرأة غنيا أو فقيرا ، حاكما أو محكوم ، قارئا أو أميا ، مثقفا أو غير مثقف ... والله تَعَالَى لم يشترط للدعوة إليه إلا البصيرة ، حتى لا يَقُولُ أحد : لابد من المال والسلطان حتى أقوم للدين ، فقيام الدين لا يحتاج إِلَى المال والسلطان ، إنما المال والسلطان يحتاجان إِلَى الدين ، والمقصود بالبصيرة المطلوبة للدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى ، العلم واليَقِين بما يدعوا إليه .

وبصيرة كل داع إِلَى اللهِ تَعَالَى تتلخص فى أربعة أمور (عَلَى الأقل) :

أ – أن يعلم يقينا أن له ربا يستحق أن يعبد ،

ب – أن يعلم يقينا أن الله تَعَالَى قد بعث رَسُول ا يستحق أن يطاع ،

ج – أن يعلم يقينا أن بعد الموت حياة يجب أن يستعد لها ،

د – أن يعلم يقينا أن له دينا يستحق أن يبلغ فى كل الأرض ، إِلَى كل الخلق ، والى يوم القيامة) [1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ الصِّفَاتَ السِّتَّ لَيْسَتْ كُلَّ الدِّينِ ، بَلْ هِيَ أَهَمُّ مَسَائِلِهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الصِّفَاتَ السِّتِّ لَيْسَتْ كُلَّ الدِّينِ ، بَلْ هِيَ انْتِخَابٌ لِأَهَمِّ القَوَاعِدَ الأُصُولِيَّةَ التِى انْتَشَرَتْ أَضْدَادُهَا فِى وَقْتِنَا المُعَاصِرُ ، فَأَرَادَ المَشَايِخُ العَوْدَ بِالأُمَّةِ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِقَامَةِ التَّوْحِيدِ الكَامِلِ فِى الأَرْضِ وَالعِلْمِ بِالدِّينِ وَالعَمَلِ بِهِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَالصَّبْرِ عَلَى الأَذَى فِيهِ . فَانْتَخَبَ مِنْ مَسَائِلِ الشَّرِيعَةِ تِلْكَ الصِّفَاتِ ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنَّ الصِّفَاتَ السِّتَّ تَشْمَلُ كُلَّ الدِّينِ أَوْ يُسْتَغْنَى بِهَا عَنْ أَرْكَانِ الاسْلَامِ أَوْ أَرْكَانِ الإِيمَانِ ! هَذَا مَحْضُ افْتِرَاءٍ وَكَذِبٍ عَلَى أَهْلِ التَبْلِيغِ جَزَاهُمُ اللهُ خَيْرَاً .

[1] لسان الدعوة : (67)

قال الشيخ الدكتور مُحَمَّد عَلَى شرقاوى حفظه الله (وقد جمع المشايخ هذه الصفات وقالوا عنها كلاما طيبا ، وهو : هذه الصفات الستة ليست كل الدين ، ولا هى بدل أصول الإسلام الخمسة ، لأن الدين كله هو ما جاء فى القرآن والحديث ، ولكن بهذه الصفات الستة يأتى فى النَّاس الطلب الصادق والشوق والرغبة للسير عَلَى الدين ، كما أن هذه الصفات مطلوبة من كل مسلم ، ولا يَجُوزُ التفريط فيها ، وليس فى هذه الصفات الستة مثلا الحج لأنه لمن استطاع إليه سبيلا ، وليس فيها الزكاة لأنه ليس كل النَّاس عندهم النصاب ليخرجوا زكاتهم ، ولا الصيام لأن كثير من النَّاس مرضى وعجائز وأصحاب أعذار ...ولكن فى الصفات الستة لابد للجميع من اليَقِين ، وطاعة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والكل يصلى ولو عَلَى فراش المرض أو السفر أو العجز وكبر السن ، ولابد من تعلم العلم الذى به أعرف عبادة ربى ، وعندى الذكر والأدعية المسنونة ، ولابد بين المُسْلِمِين من الإكرام للألفة ، وضرورى الإخلاص وتصحيح النية ، وتحمل مسئولية نيابة النُّبُوَّة وهى الدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى) [1]

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (أوامر اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منتشرة فى القرآن والأحاديث ، مثلا أمر الزكاة ، وأمر الصلاة والحج ، وأمر الإِنسَان للزوجة وأمر السكنى للزوجة ، وأمر الصدقات ، وهكذا الأوامر منتشرة ولكن ما هو الترتيب لامتثال أوامر اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؟ أى أمر تقدم وأى أمر تؤخر ؟ ليس من قبلنا نبين أن هذا الأمر مقدم وأن هذا الأمر مؤخر ، بل نفرق بامتثال أوامر الله تَعَالَى وفقا لما جاء فى حياة الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

ترتيب أوامر الله تَعَالَى ، ننظر كيف فعلها النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فإذا صلى العبد حسب لفظ القرآن هذا الأمر : (أقيموا الصلاة) ، فإقامة الصلاة فقط من هذا الأمر ، فلذالك أولا يسجد ثم يركع ثم يقوم ، وهكذا لا تصح صلاته ، ولو امتثل أمر الله تَعَالَى (أقيموا الصلاة) ولكنه خالف ترتيب الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن صلاته لا تقبل ، إذا كان الواحد يَقُولُ إن الله تَعَالَى أمرنا بالصيام والصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع ، لذَلِكَ أنا لا آكل ولا أشرب ليلا ، وهذا

[1] لسان الدعوة : (196 – 197)

لا يصح صومه لأنه لو صام وأقام أمر الله فقد خالف ترتيب الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فالإمتثال لأوامر الله تَعَالَى يجب أن يكون باتباع ترتيب الرَّسُول صلى الله عليه وأى أمر مؤخر ...) [1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ونحن لما نتكلم عن الصفات السته هى ليست من عندنا وليست من جيوبنا كما يظن البعض ، بل هى فى كتاب الله تَعَالَى فى معرض ذكر قصة موسى عليه السلام ، فالله تَعَالَى قَالَ له : (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) [2] فهذا توحيد ، (فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) [3] فهنا الصلاة ، (فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى) [4] هذا هو العلم الذى يأتى به الوحى ، وَقَالَ (وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي) [5] فهنا الذكر ، (فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ) [6] فلا يعذبهم لكرامتهم عِند الله فهنا الإكرام ، (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا) [7] فهنا الأخلاق ، وكان الإخلاص فى جميع الأنبياء وقد شهد الله عز وجل لهم بهذا ، وكَذَلِكَ الدعوة وفيها يَقُولُ تَعَالَى : (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ أَنَّهُ طَغَى) [8] وهذه الستة فى قصة موسى عليه السلام فى سورة طه ، هذه الصفات الستة ليست كل الدين ، بل بسببها يأتى عِند الإِنسَان الإستعداد لتقبل الدين والصلاحية لتحمل مسؤولية نيابة النُّبُوَّة) [9]

فَصْلٌ فِي تَوضِيحِ مَعنَى الصِّفَاتِ السِّتِّ وَالهَدَفُ مِنهَا .

وَلِلصِّفَاتِ السِّتِّ مَعَانِىَ سَامِيَةٍ وَغَايَاتٍ نَبِيلَةٍ أَجْمَلَهَا وَلَخَّصَهَا العَلَّامَةُ مُحَمَّد إِلْيَاسُ الكَانْدَهْلَوِىُّ فِى كَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ ، لَا تَحْتَمِلُ اسْتِدْرَاكَاً وَلَعَلَّهَا كَانَتْ إِلْهَامَاً مِنَ اللهِ تَعَالَى . فَرَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَنَوَّرَ مَرْقَدَهُ . الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ ، وَهِىَ إِفْرَادُ المَعْبُودِ بِالعُبُودِيَّةِ ، وَأعْتِقَادُ وَحْدَتِهِ ذَاتَاً وَصِفَاتَاً وَأَعْمَالَاً لِمُعَالَجَةِ الشِّرْكِ فِى العَقَائِدِ وَالنِّيَّاتِ ، بِالتَّوَجُّهِ لِلمَخْلُوقِ ، وَسُؤَالِ الأَمْوَاتِ وَكَذَلِكَ الطَّاعَة ،

---

[1] لسان الدعوة : (409 – 410)
[2] (14 طه)
[3] (14 طه)
[4] (13 طه)
[5] (42 طه)
[6] (47 طه)
[7] (44 طه)
[8] (43 طه)
[9] لسان الدعوة : (422)

وَأَعْظَمُ الطَّاعَةِ إِقَامَةُ الصَّلَاةِ وَهِىَ الصِّفَةُ الثَّانِيَةُ لِعِلَاجِ المَعْصِيَةِ ، وَكَذَلِكَ العِلْمُ وَهُوَ عِلْمُ الحَالِ وَأَوَّلُهُ مَعْرِفَةُ فَضَائِلِ الأَعْمَالِ لِتَتَعَلَّقَ بِهِ النَّفْسُ وَتَرْغَبَ فِى عَمَلِهِ لِعِلَاجِ الجَهْلِ بِعِلْمِ الدِّينِ ، وَالذِّكْرِ ، وَهِىَ مَعَ العِلْمِ لِيَذْهَبَ الجَهْلَ عَنِ الأُمَّةِ . لِعِلَاجِ الغَفْلَةِ ، وَهُوَ غَفْلَةُ جَمِيعِ النَّاسِ بِالبُعْدِ عَنِ اللهِ تَعَالَى وَمَعْرِفَتِهِ ، وَكَذَلِكَ إِكْرَامِ المُسْلِمِين وَأَدَاءِ حُقُوقِهِمْ . لِعِلَاجِ تَفَرُّقِ الأُمَّةِ وَفَسَادِ مُعَامَلَاتِهَا ، وَكَذَلِكَ تَصْحِيحُ النِّيَّةِ وَإِخْلَاصِهَا لِلهِ تَعَالَى . لِعِلَاجِ الرِّيَاءِ وَالعُجْبِ وَالسُّمْعَةِ ، وَكَذَلِكَ الخُرُوجُ فِى سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى بِالمَالِ وَالنَّفْسِ .لِعِلَاجِ حُبُّ العَيْشِ وَالدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةِ المَوْتِ ، كُلُّ مَا سَبَقَ إِجْمَالاً غَيْرَ تَفْصِيلَاتٍ عِندَ كُلِّ عَالِمٍ وَدَاعِيَةٍ ، وَالتُّرَاثُ الاسْلَامِىُّ يَمْتَلِىُء بِتَفْسِيرَاتٍ وَشُرُوحَاتٍ لِتِلْكَ المَسَائِلِ .

قال الشيخ الدكتور مُحَمَّد عَلَى شرقاوى حفظه الله (أعطى رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النُّبُوَّة ، وقام عَلَى الدعوة ، فأدخل الله تَعَالَى نور الإيمَان فى قلوب الصَّحَابَة ، فتبدلت أحوالهم وعواطفهم من الدنيا إِلَى الآخرة ، وجاء عَلَى الصَّحَابَة الأحوال والشدائد ، وكان القرآن ينزل وفيه قصص الأنبياء مع أممهم ، فرسخ فى صدور الصَّحَابَة اليَقِين عَلَى الله تَعَالَى ، والتوجه إليه ، ومع شدة الأحوال وجههم النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، يارَسُول الله ! آلدهر كله هكذا يارَسُول الله ؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (صَبرًا آلَ يَاسِرٍ ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الجَنَّة)[1] ومع هذه الأحوال كانت طاعة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقدمة عَلَى أنفسهم ، ثم كرم الله تَعَالَى نبيه فصعد إِلَى السموات حتى سدرة المنتهى ، وجاء بالصلاة ، فحملوا حوائجهم عَلَى الصلوات ، وكانت الصلاة هدية السماء للصحابة ، وجاءت الهجرة وكانت النصرة وحدثت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، ثم نزلت الأحكام فعلم الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ أمر الله تَعَالَى ، وصفت أنفسهم وقدم كل منهم أخاه عَلَى نفسه بإكرامه مع عفتهم جميعا ، فأخلصوا لله تَعَالَى ، وفى مَسْجِد النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدأت الدعوة الحقيقية ، فأرسل النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوفود والسرايا ، هنا الصَّحَابَة رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ شهد الله تَعَالَى لهم بالرضوان بسبب صفاتهم ، وقد جمع المشايخ هذه الصفات وقالوا عنها كلاما طيبا ، وهو : هذه الصفات الستة ليست كل الدين ، ولا هى بدل أصول الإسلام

---

[1] (مستدرك الحاكم 5646 , معجم الطبراني الأوسط 1508)

الخمسة ، لأن الدين كله هو ما جاء فى القرآن والحديث ، ولكن بهذه الصفات الستة يأتى فى النَّاس الطلب الصادق والشوق والرغبة للسير عَلَى الدين ، كما أن هذه الصفات مطلوبة من كل مسلم ، ولا يَجُوزُ التفريط فيها ، وليس فى هذه الصفات الستة مثلا الحج لأنه لمن استطاع إليه سبيلا ، وليس فيها الزكاة لأنه ليس كل النَّاس عندهم النصاب ليخرجوا زكاتهم ، ولا الصيام لأن كثير من النَّاس مرضى وعجائز وأصحاب أعذار ... ولكن فى الصفات الستة لابد للجميع من اليَقِين ، وطاعة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والكل يصلى ولو عَلَى فراش المرض أو السفر أو العجز وكبر السن ، ولابد من تعلم العلم الذى به أعرف عبادة ربى ، وعندى الذكر والأدعية المسنونة ، ولابد بين المُسْلِمِين من الإكرام للألفة ، وضرورى الإخلاص وتصحيح النية ، وتحمل مسئولية نيابة النُّبُوَّة وهى الدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى ، ومقصد آخر لتلك الصفات هو جمع الأمة عَلَى فكر النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دون اختلافات لا فى المذاهب ولا بين العلماء ،

فالكلمة الطيبة " لَا إِلَهَ إِلَّا الله مُحَمَّد رَسُول اللهِ " ، ومقصدها ومعناها ليس فيه جدال .

لذَلِكَ يَقُولُ الشيخ إلياس رحمه الله : إن الأمة لما تركت جهد الدعوة سقطت فى أمراض عدة وخطيرة ، ولكل مرض علاج له ،

المرض الأول : الشرك فى العقائد والنيات ، بالتوجه للمخلوق ، وسؤال الأموات ،

العلاج : الكلمة الطيبة ، وهى إفراد المعبود بالعبودية ، واعتقاد وحدته ذاتا وصفاتا وأعمالا .

المرض الثانى : المعصية ، فسقطت الأمة فى المعصية وتركت العبادات ،

العلاج : الطاعة ، وأعظم الطاعة إقامة الصلاة وهى الصفة الثانية .

المرض الثالث : الجهل بعلم الدين ، وهذا الجهل كان فى كل طبقات الأمة ،

العلاج :العلم وهو علم الحال وأوله معرفة فضائل الأعمال لتتعلق به النفس وترغب فى عمله .

المرض الرابع : الغفلة ، وهو غفلة جميع النَّاس بالبعد عن الله تَعَالَى ومعرفته ،

العلاج : الذكر ، وهى مع العلم ليذهب عغلة الجهل عن الأمة .

المرض الخامس : تفرق الأمة وفساد معاملاتها ،

العلاج : إكرام المُسْلِمِين وأداء حقوقهم .

المرض السادس : الرياء والعجب والسمعة ، مثل أول من تسعر بهم جهنم العالم ... ،

العلاج : تصحيح النية وإخلاصها لله تَعَالَى .

المرض السابع : حب العيش والدنيا وكراهية الموت ،

العلاج : الخروج فى سبيل الله تَعَالَى بالمال والنفس .

ولكل صفة من هذه الصفات طريقة للحصول عليها ، ففى الصلاة مثلا نحن نصلى وندعوا النَّاس إِلَى الصلاة ، ونسأل الله تَعَالَى أن يفتح علينا من أسرارها ، ثم نجلس فى خلواتنا نتفكر فى عظمة الصلاة وقدرها ، وهكذا مع كل صفة .

كذَلِكَ كل صفة لها مقصد : -

فمقصد كلمة التَّوْحِيد أن نبدل ثلاثة أشياء : -

الأول : نبدل اليَقِين : من اليَقِين عَلَى الأشياء وجميع أنواع قوات الأرض ، إِلَى اليَقِين عَلَى الله تَعَالى

الثانى : نبدل العواطف: من الدنيا إِلَى الآخرة ، ومن شوق الأشياء إِلَى الشوق للجنة ،

الثالث : نبدل الطريقة : من طريقة الأغيار والسبل إِلَى طريقة خير العباد رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ومقصد الصلاة ذات الخشوع والخضوع : كيف نستفيد من قدرة الله تَعَالَى وخزائنه الغيبية ؟ وكيف تكون حياتنا خارج الصلاة كداخل الصلاة ؟

ومقصد العلم : معرفة علم الحال ، أى ماذا يريد الله تَعَالَى منى فى كل وقت وعَلَى أية حال ؟

ومقصد الذكر : كيف يأتى فى قلوبنا عظمة الله تَعَالَى وخشيته ؟

ومقصد إكرام المُسْلِمِين : كيف تأتى المحبة فيما بيننا ونؤدى حقوق غيرنا علينا ؟

ومقصد الإخلاص : هو عمل كل شيء ابتغاء وجه الله تَعَالَى ، لتقبل الأعمال .

ومقصد الدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى ، أربعة أمور هى :

الأول : تحقيق العبودية الكاملة عَلَى مستوى جميع النَّاس وفى كل مكان والى يوم القيامة .

الثانى : تحقيق الإتباع للنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مستوى جميع النَّاس وفى كل مكان والى يوم القيامة .

الثالث : تحمل وتحميل المسئولية فى نيابة النُّبُوَّة عَلَى كل مسلم ومسلمة لهداية البشر.

الرابع : كيف يأتى عندنا الإستعداد لما بعد الموت ؟ فنستعد للموت وما بعده والقبر وما فيه)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ونحن لما نتكلم عن الصفات الستة هى ليست من عندنا وليست من جيوبنا كما يظن البعض ، بل هى فى كتاب الله تَعَالَى فى معرض ذكر قصة موسى عليه السلام ، فالله تَعَالَى قَالَ له : (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا)[2] فهذا توحيد ، (فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)[3] فهنا الصلاة ، (فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى)[1] هذا هو العلم الذى يأتى به الوحى ، وقَالَ (

[1] لسان الدعوة : (196 – 197 – 198)
[2] (14 طه)
[3] (14 طه)

وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي) [2] فهنا الذكر ، (فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ) [3] فلا يعذبهم لكرامتهم عِند الله فهنا الإكرام ، (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا) [4] فهنا الأخلاق ، وكان الإخلاص فى جميع الأنبياء وقد شهد الله عز وجل لهم بهذا ، وكذَلِكَ الدعوة وفيها يَقُولُ تَعَالَى : (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ أَنَّهُ طَغَى) [5] وهذه الستة فى قصة موسى عليه السلام فى سورة طه ، هذه الصفات الستة ليست كل الدين ، بل بسببها يأتى عِند الإِنسَان الإستعداد لتقبل الدين والصلاحية لتحمل مسؤولية نيابة النُّبُوَّة) [6]

فَصْلٌ فِي ذِكْرِ طَرَفٍ مِن فُتُوحَاتِ أَهْلِ التَّبْلِيغ والدَّعْوَةِ فِى العَالَمِ .

قَدْ فَتَحَ اللهُ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الأُمَّةَ فِى هَذَا العَصْرِ بِهَذَا المَنْهَجِ الذِى جَدَّدَ اللهُ تَعَالَى بِهِ الإِسْلَامَ فِى كُلِّ بُقْعَةٍ مِنْ بِقَاعِ الأَرْضِ ، فَفِى كُلِّ مَكَانٍ تَرى أَثَرًا لِدَعْوَتِهِم ، وَفِى كُلِّ مَنْهَجٍ مِنَ المَنَاهِجِ الاسْلَامِيَّةِ الحَالِيَّةِ مَنْ تَرَبَّى فِى التَبْلِيغِ قَبْلَ أَنْ يَسْلُكَ ذَلِكَ المَنْهَجَ ، فَفَضْلُ مَنْهَجِ التَبْلِيغِ عَلَى المَنَاهِجِ الأُخْرَى بَيِّنٌ وَوَاضِحٌ ، وَقَدْ هَدَى اللهُ تَعَالَى عَلَى أَيْدِيهِمُ المَلَايِينَ وَأَسْلَمَ عَلَى أَيْدِيهِمُ الآلافُ وَبُنِيَتْ آلافُ المَسَاجِدِ فِى بِلَادِ الغَرْبِ وَظَهَرَ الزِّيُّ الاسْلَامِىُّ فِى بِلَادِ الالْحَادِ وَالشِّرْكِ ، فِى الوَقْتِ الذِى لَمْ يَكُنْ يَجْرُؤُ أَحَدٌ أَنْ يَجْهَرَ بِدِينِهِ أَوْ يَتَجَاهَرَ بِعِبَادَتِهِ صَلَّى الأَحْبَابُ صَلَاتَهُمْ جَمَاعَةً فِى مَطَارِ رُوسْيَا دَوْلَةَ الشِّرْكِ وَالإِلْحَادِ وَالشُّيُوعِيَّةِ . وَمَا هُوَ إِلَّا تَوْفِيقُ اللهِ تَعَالَى لَهُمْ وَنُصْرَتِهِ الغَيْبِيَّةَ ، وَإِنْ رُحْتُ أَعَدِّدُ نَفْعَهُمْ لِلأُمَّةِ لَاحْتَجْتُ لِمُجَلَّدَاتٍ وَلَكِنْ بِالإِشَارَةِ يَفْهَمُ اللبِيبُ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فى أى منطقة يكون الجهد عَلَى النهج النبوى فى أى جماعة لو أخذوا هذا الجهد ، فالله تَعَالَى ينزل عليهم الرحمة والأمن والأمان ، والراحة والمحبة ، وأنا سأبين لكم أحوال جماعة فى أفريقيا :

---

[1] (13 طه)
[2] (42 طه)
[3] (47 طه)
[4] (44 طه)
[5] (43 طه)
[6] لسان الدعوة : (422)

يسكن فى أفريقيا الأبيض والأسود ، وليس بينهم المحبة فهناك عنصرية وكره ، حتى أن مساجدهم قد افترقت فهناك مساجد البيض ومساجد السود ، وهكذا أئمة المَسَاجِد حتى مقابرهم ، فالى هذا البلد ذهبت جماعة من الهند لجهد الدعوة وتبليغ دين الله تَعَالَى ، فبدءوا الجهد ، وتدريجيا النَّاس البيض والسود جاءوا فى مساجدهم عِند بعضهم البعض ، بعد الاجتهاد قليلا تشكل جماعة عددها خمس وثلاثون رجلا فيهم الأسود والأبيض ، فلما انتقلت هذه الجماعة من منطقة إِلَى منطقة ، ومن بلد إِلَى بلد ، فاجتماعهم هذا تعجب منه أهل اوروبا ، حتى أَنَّهُ بعد الرجوع فى مقامهم ، اجتهدوا معا البيض والسود ، واجتمعوا سويا فى الطعام والشراب والمنام ، يوما وهم جالسون عَلَى السفرة فأتى السياح من أهل أوروبا ، ويريدون أخذ صورة لهم فمنهتهم الجماعة ، قَالَ السائح أنا لا أريد صورة وجوهكم وثيابكم ، ولكن أريد أن أصور هذا الجمع بين الأبيض والأسود ، لأن هذا المنظر سبب العجب والحيرة ليس لى فقط بل لكل العالم لأن رئيسهم ما جمعهم سويا حتى قتل بسبب هذا الأمر ، فأى طريقة عندكم لهذا الإجتماع ، حتى أصبحوا جميعا فى هذا الإجتماع ؟ فقام واحد من الأفارقة من أحباب الجماعة فقال : نحن نعمل فى عمل الدعوة بالمحبة ، ونجلس فى التعليم الإجتماعى ، ونطبخ الطعام ، ونجتمع عَلَى مائدة واحدة حتى النوم ففى مكان واحد ، ولأول مرة أرى فيها المحبة الصادقة ، حتى أنى أشرب سؤر أخى من الإناء .

فتعجب النَّاس وسألوا ما هى تلك الطريقة التى جمعتم بها النَّاس لنأخذها ؟ فقالوا لهم طريقة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..... بعد إكمال المدة ، إذا رجعت هذه الجماعة لمقامهم ففى المَسْجِد موجود الأبيض والأسود ، وتجمع النَّاس عليهم ينظرون لهذا المنظر ، فيهم الملاحدة والكفرة والمسيحيون وقد شكلنا جماعات كثيرة من البيض لهذه المنطقة ليرتبوا لهم ، فناصروهم وزاد الجهد فيهم ، حتى أقاموا كتاتيب للدرس للأطفال ، حتى صار منهم الحفاظ) [1]

[1] لسان الدعوة : (115)

وقالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الإيمَان عظيم جدا جدا وغال جدا ، فإن ذرة واحدة منه تجعل صاحبها لا يخلد فى النار ، ولهذا إذا كان الإيمَان قويا فيجعل الإنسَان يستطيع القيام بالعبادات وإذا زاد عن ذَلِكَ استطاع أن يصلح معاملاته ، وإذا زاد أكثر استطاع الإنسَان أن يصلح معاشراته وأخلاقه)[1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ سِرّ نَجَاحِ أَهْلِ التَّبْلِيغِ وَالدَّعْوَةِ .

وَسِرُّ نَجَاحِهِمْ بَارَكَ اللهُ فِيهِمْ وَفِى جُهُودِهِمْ أَنَّهُمْ مُتَوَاضِعُونَ لِكُلِّ النَّاسِ ، بُسَطَاءَ لَيِّنُونَ فِى التَّعَامُلِ مَعَ كُلِّ الخَلْقِ الكَافِرِ قَبْلَ الْمُسْلِمِ ، تَرَى البَسْمَةَ تَعْلُوا وُجُوهَهُمْ فِي نَفْسِ الوَقْتِ الذِى فِيهِ الحُرْقَةُ تَأْكُلُ قُلُوبَهُمْ ، يَذْهَبُونَ إِلَى النَّاسِ فِى مَقَارِّهِمْ وَكَأَنَّهُمْ الْمُحْتَاجُونَ – وَهُمْ كَذَلِكَ فِعْلَاً- يَدْعُونَهُمْ بِأَرْفَقِ عِبَارَةٍ وَأَبَشِّ وَجْهٍ وَأَلْيَنِ كَفٍ فَإِنْ أَجَابُوهُمْ حَمَدُوا اللهَ تَعَالَى وَإِلَّا كَانَ لَهُمْ فِيهِمُ العَوْدَةُ ثُمَّ العَوْدَةُ ثُمَّ العَوْدَةُ وَلَا يَمَلُّوا مِنْ ذَلِكَ وَاتَّهَمُوا نِيَّاتِ أَنْفُسِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ تَقْصِيرِهِمْ وَمِنْ ذُنُوبِهِمْ ، وَيَتَمَيَّزُ عَمَلُهُمْ أَنَّهُ قَائِمٌ فِى وَحْدَةِ البِنَاءِ الأُولَى وَهِيَ الفَرْدُ ، فَفَرْدٌ مَعَ فَرْدٍ يُكَوِنُوا جَمَاعَةً وَجَمَاعَةً وَجَمَاعَةً[2] يُكَوِّنُوا أُمَّةً تَخْرُج لِلنَّاسِ ، قَالَ تَعَالَى : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ..)[3]

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ذات يوم جاء رجل ثرى للشيخ مُحَمَّد يوسف رحمه الله وَقَالَ له : جهدكم هذا فى أهل ميوات وهم بسطاء فقراء ، فكيف يؤثرون فى بقية العالم ؟ مع أن فى العالم شخصيات كبيرة ، وقد أقاموا مؤسسات كبرى ولم ينجحوا فكيف جهدك ينجح ؟

قال الشيخ مُحَمَّد يوسف له : " فى العالم شخصيات عظيمة أنشأوا مؤسسات كبرى ، وبعضهم واجه الفشل ، وذَلِكَ بسبب التكلفة فى حياتهم ودعوتهم ، فبنوا المبانى واحتجبوا عن النَّاس ، وقاموا بنصحهم دون أن ينظروا لأنفسهم ، فجاء ضدهم من يخالفهم ، أما نحن فنسير بالهدوء والبساطة وعدم التكلف ، ونسير مع جميع طبقات الأمة ، فلا ينظر إلينا أحد ولا يخالفنا ،

---

[1] لسان الدعوة : (395)

2 أعنى بجماعة مجموعة من الرجال ، أو فريقا أو طايفة أو رهط . فتنبه .

[3] (110 آل عمران)

فهذا جهدنا – وسط الباطل الذى استشرى – مثل الحشرة التى تأكل فى أصول الجدار ، ولا يرى أحد عملها ، لكن قوائم البيت بعدها لا تحتمل السقف ، فيقع جدار الباطل ، والكفر والشرك بإذن الله ")[1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ رُوحَ العَمَلِ فِى البُكَاءِ وَالتَّضَرُّعِ .

وَرُوحُ عَمَلِ التَّبْلِيغِ فِي البُكَاءِ لِلهِ تَعَالَى وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ وَالانطِرَاحِ عَلَى أَعْتَابِهِ ، فَبِغَيْرِ ذَلِكَ لَا يَكُونُ لَهُمْ أَثَرٌ وَلَا لِجُهْدِهِمْ نَتِيجَةٌ وَلَا لِدَعْوَتِهِمْ فَائِدَةٌ .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ (أرض الدعوة : الفقراء والبسطاء فهم خدام النُّبُوَّة ، وعلينا بالبكاء فهو علاج كل شيء ، فنحاول أن نبكى بين يدى ربنا لعله يتقبل منا . الشيخ مُحَمَّد يوسف يَقُولُ : الذى يجتهد فى النهار ولا يقوم ويبكى فى الليل مثل الجسد بغير روح ، فروح العمل البكاء والتضرع وبه تنصلح أحوالنا)[2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ مَاهِيَّةِ أُصُولِ جُهْدِ التَّبْلِيغِ وَالدَّعْوَةِ ، وَبَيَانِ مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي القُرُونِ الثَّلاثَةِ المُفَضَّلَةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْهَجَ السَّلَفِ الصَّالِحِ الذِى مَدَحَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى قَوْلِهِ : (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)[3] وَأَمَرَ بِاتِّبَاعِهِمْ عَلَى آثَارِهِمْ فَقَالَ : (فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)[4] هُوَ الدَّعْوَةُ مَعَ العِلْمِ وَالذِّكْرِ وَالعَمَلِ ، ثَلَاثَتُهُمْ مَعاً ، فَإِذَا أَرَدْنَا النُّصْرَةَ التِى نَصَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِهَا وَالمَدَدَ الذِى أَمَدَّهُمُ الله تَعَالَى بِهِ عَلَيْنَا أَنْ نَسِيرَ عَلَى النَّهْجِ الذِى سَارُوا عَلَيْهِ وَهُوَ تَطْبِيقُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِتَقْدِيمِ فَهْمِهِمْ عَلَى مَنْ تَبِعَهُمْ ، وَهَذَا المَنْهَجَ هُوَ الذِى يَسِيرُ عَلَيْهِ أَهْلُ الدَّعْوَةِ وَالتَّبْلِيغِ ، مُنْذُ هَذِهِ الصَّحْوَةِ المُبَارَكَةِ ، فَلَيْسَ لَهُمْ أُصُولٌ يُخَالِفُونَ بِهَا مَنْهَجَ السَّلَفَ الصَالِحِ بَلْ أُصُولُهُمْ مُسْتَنْبَطَةٌ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَحَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ الكِرَامِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ .

---

[1] لسان الدعوة : (98)

[2] لسان الدعوة : (273)

[3] (اللؤلؤ والمرجان 1646 ، مجمع الزوائد 16405)

[4] (أبو داود 4607 , الجامع الصحيح للترمذي 2676)

(طلب الشيخ عمر رحمه الله من الشيخ مُحَمَّد يوسف رحمه الله أن يؤلف كتابا فى أصول الدعوة حتى لا يختلف القدماء فى الأصول ، فقال الشيخ مُحَمَّد يوسف رحمه الله :

أولا : ليس فى جهد الدعوة أصول ليس فيها استثناء ، بسبب الأحوال والأحداث المختلفة ، وهذه الاستثناءات بالمشورة ، فلا ينفع أن نبين أصولا ثابتة مثل الحجارة .... قبول الإكرام مثلا ، لا نقول من الأصول عدم قبول الطعام لأننا خرجنا بنفقاتنا ، ولكن باعتبار الحال فى كل منطقة ، فهنا نقبل وهنا لا نقبل ، وكلاهما من الأصول .

ثانيا : الأصول فى الدعوة مستنبطة من الكتاب والسنة وحياة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته ، ولحل هذه المشكلة قد مِنَ اللهِ تَعَالَى عَلَى أن صنفت كتاب حياة الصَّحَابَة فى ثلاث مجلدات ، فإذا قرآناها جيدا بالتوجه ، فالله تَعَالَى يفهمنا الأصل المطلوب فى كل منطقة أو فى أى حال ، وجميع مشاكلنا فى الدعوة حلها فى حياة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ)[1]

وقالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ عِند شرحه لحديث " خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ "[2] (هنا ذكر الزمان وأراد به أعمال ذَلِكَ القرن وصفات من فيه ، ففى عهد النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : دعوة وعلم وذكر ، وهذا كان عَلَى أتم درجة ، ومن قام عَلَى تمامها فهو فى وقت الخير ولو عاش فى بيئة الفتن ، ثم جاء وقت كان فيه العلم والذكر هما الأصل ، والدعوة تابع لهما ، أى أمر مهمل غير مقدم فى الأمة ، ثم جاء وقت كان الذكر هو الأصل والعلم والدعوة تبعا ، فنشأت جماعات الذكر ، وترك العلم وأهملت الدعوة ، فلو أردنا خير القرون فعلينا أن نقدم الدعوة مع العلم والذكر ، وهذه الثلاثة نجعلهم أصلا ، فيكون زماننا تبعا لخير القرون)[3]

---

[1] لسان الدعوة : (99)

[2] (مسند البزار 4508 ، أسنى المطالب 628 ، البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير 658/9 وعزاه للصحيحين ، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير 2130)

[3] لسان الدعوة : (100)

فَصْلٌ فِي وُجوبِ طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِى السَّرَّاءِ والضَّرَّاء .

وَيَجِبُ عَلَيْنَا طَاعَةَ اللهِ تَعَالَى فِى كُلِّ أَحَوِلنَا ، لِأَنَّهُ أَمَرنَا بِذَلِكَ ابْتِدَاءاً وَلِأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ العِبَادَةَ إِلَّا هُوَ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فى الدنيا عَلَى الإنسَان حالتان : حالة مشقة وحالة الراحة ، فالإنسان مطالب بالتمسك بأمر الله عَلَى هذه الأحوال ، فالإنسان عِند الأحوال يمتثل أمر الله تَعَالَى ويتوجه إليه ويدعوه ، عِند ذَلِكَ الله تَعَالَى يستجيب له)[1]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ القِيَامَ بِالدَّعْوَةِ سَبَبٌ مِنَ أَسْبَابِ الرَّحْمَةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ القِيَامَ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ سَبَبٌ عَظِيمٌ مِنْ أَسْبَابِ نُزُولِ الرَّحْمَةِ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَلَا شَكَّ فِى أَنَّ الرَّحْمَةَ فِى طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى وَبِالدَّعْوَةِ تَنْتَشِرُ طَاعَتُهُ بَيْنَ النَّاسِ فَتَزْدَادُ الرَّحْمَةُ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فإذا نحن نقوم عَلَى جهد النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الله تَعَالَى يرحم الخلق ، يَقُولُ تَعَالَى : (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ ورَسُوله أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[2] ، أَنَّهُ (عَزيزٌ) عَلَى كل مخلوق و (حَكِيمٌ) ، لماذا ؟ لأنه تأتى فى بعض الأحيان الأحوال موافقة ، فهذه رحمة مِنَ اللهِ تَعَالَى يعلمها هو ، فعلينا أن نجعل مقصد حياتنا هذا العمل وهو الدعوة حتى يرحم الله تَعَالَى أولادنا وآباءنا وأزواجنا وكل النَّاس)[3]

---

[1] لسان الدعوة : (285)

[2] (71 التوبة)

[3] لسان الدعوة : (280)

فَصْلٌ فِي ذِكْرِ بَعْضِ مِن فَوَائِدِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَثِمَارِهَا .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ فَوَائِدِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى تَحْقِيقُ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى فِي أَمْرِهِ بِهَا وَنَشْرُ الرَّحْمَةِ بَيْنَ النَّاسِ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالْمَعْذِرَةُ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَالقِيَامُ بِالْمَسْئُولِيَّةِ وَنِيَابَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَيْلُ حُبِّ اللهِ تَعَالَى وَتَحْقِيقُ اليَقِينُ عَلَى اللهِ تَعَالَى .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فهذه الدعوة رحمة للعالمين ، وهذه الدعوة تخرجنا من الظلمات إِلَى النور ، وكذَلِكَ تؤلف بين القلوب ، كما ترون فى الهند والباكستان فى الخروج ، بعضهم من تونس والجزائر والمغرب ومصر والسودان ومن بلاد الهند والسنغال ، من بلاد شتى ، جاءوا من بلاد بعيدة ، وأنفقوا أموالهم حبا فى الله تعَالَى وفى الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما جاء فى الحديث القدسى : (وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ)[1] ، وكذَلِكَ هذه الدعوة ترفع من الذلة إِلَى العزة ، أصحاب النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا فى الذلة ، فالله تعَالَى أعزهم ورفعهم ، بالدعوة نميز بين الباطل والحق)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ثمرة الدعوة إِلَى اللهِ تَعَالَى ، يأتى قوة فى اليَقِين وهذا ثمرته الإخلاص ، ويأتى الإخلاص باستحضار عظمة الله تعَالَى والخوف مِنَ اللهِ تَعَالَى ، وذَلِكَ يأتى فى بيئة الدعوة ، فهذه البيئة مثل ماء الإِيمَان)[3]

فَصْلٌ فِي مُرَاقَبَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَذِكْرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ) .

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَسْمَعُ وَيَرَى ، فَيَسْمَعُ كُلَّ مَخْلُوقَاتِهِ سِرِّهِمْ وَعَلاَنِيَتِهِمْ وَيَرَى أَفْعَالَهُمْ وَيَعْلَمُ مَا يَدُورُ فِي صُدُورِهِمْ وَخَائِنَةِ أَعْيُنِهِم وَيُجِيبُ دَعَاءَهُمْ وَيَنْصُرُ مَظْلُومِهُمْ وَيَرْزُقُهُمْ جَمِيعاً وَيَكْلأُهُمْ بِعَينِهِ كُلُّ ذَلِكَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ وَلاَ يَخْتَلِطُ عَلَيهِ شَيْئَيْنَ أَبَدَاً ، وَحَاشَ لِلهِ تَعَالَى ذَلِكَ ! فَمَنْ كَانَتْ صِفَاتُهُ كَذَلِكَ وَجَبَتْ مُرَاقَبَتُهُ فِي كُلِّ الأَحْوَالِ وَالانْصِيَاعِ لِكُلِّ أَوَامِرِهِ وَخَوْفِ عِقَابِهِ وَالرَّجَاءِ فِي رَحْمَتِهِ .

[1] (موطأ مالك 2744 ، 3507 ، والترمذى ، مسند أحمد 22083 ، شعب الإِيمَان للبيهقى 8579 ، السنن الكبرى للبيهقى 19740 ، ولم أقف عليه فى الترمذى)
[2] لسان الدعوة : (253)
[3] لسان الدعوة : (256)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الإنسَان لا يستطيع أن يرى ويتكلم ويسمع كل شيء فى وقت واحد ، والله تَعَالَى قادر فى وقت واحد أن يرى كل شيء ويسمع أصوات كل المخلوقات فى وقت واحد - الله تَعَالَى عظيم - فى السر والعلانية ، ويوم القيامة يحاسب كل مخلوق ويعلمه ما قَالَ وما تحدث ، فالإنسان نظره محدود ، ولكن الله تَعَالَى يرى كل شيء قريبا أو بعيدا ، حتى هذه الآلات المخترعة لا تستطيع أن تعطينا أكثر من ستة أميال تحت الأرض ، وإذا نحن نستحضر هذه العظمة وهى أن الله تَعَالَى يرى ، لا نستطيع أن نعصى الله تَعَالَى ، مثل الإنسَان الذى يخلوا بامرأة فى غرفة ، ولكن فيها طفل صغير يراه !! ، فالذى يخاف من الطفل فكيف لو استحضرنا عظمة الله تَعَالَى ؟ كيف نعصى الله ؟) [1]

فَصْلٌ فِي ذِكْرِ صُوَرٍ مِنَ العِبَادَاتِ وَبَيَانِ آثَارِهَا .

وَاعْلَمْ أَنَّ الفَلَاحَ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالإِطْمِئْنَانِ وَالسَّعَادَةَ وَالاسْتِجَابَةَ لِلْدُّعَاءِ وَالمَعِيَّةَ مِنَ اللهِ تَعَالَى كُلُّ ذَلِكَ مِنْ آثَارِ العَمَلِ الصَّالِحِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قارون وفرعون والنمرود كانوا يرون النفع فى الأشياء ، فهم اختاروا طريق الأشياء ، وما رأوا المضرة فى نقصان الأعمال ، كما أن الله تَعَالَى جعل فى الأشياء خاصية كذَلِكَ الأعمال ، النار تحرق ، السكين يقطع ، هذه صفات الأشياء وأثرها ، كما أن الصلاة لها أثر ، فما أثرها ؟ الفلاح . والأثر الثانى : (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) [2] ، وهكذا فى ذكر الله تَعَالَى الأثر هو الإطمئنان ، كذَلِكَ فى الدعاء ، الأثر فى الدعاء الإستجابة ، هكذا النَّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين لنا دعاء الدين : (اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِواكَ) [3] ، إذن لكل شيء أثر ، الصوم أثره التقوى ، وما هو أثر التقوى ؟ إذا جاءت القوى فى الإنسَان الله تَعَالَى يقضى حاجاته ، كذَلِكَ التقوى فى الإنسَان تجنبه من الوقوع فى الحرام وتجعل له مخرجا ، كذَلِكَ بالتقوى الله تَعَالَى ييسر أموره ، وبالتقوى الله تَعَالَى ينزل عليه البركة ، هكذا

[1] لسان الدعوة : (292)

[2] (45 العنكبوت)

[3] (الترمذى 3563 ، مسند البزار 563 ، مسند أحمد 1319 ، مستدرك الحاكم 1973)

بالتقوى الله تَعَالَى ينصر الإنسَان ، وبالتقوى معية الله تَعَالَى تكون مع الإنسَان لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)[1] ، وإذا كانت التقوى مع الإنسَان الله تَعَالَى ينصره ويعينه)[2]

فَصْلٌ فِي بَيَانِ حُسْنِ الخَاتِمَةِ وَأَنَّ كُلاً يُبْعَثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يَعْمَلُ الإِنسَانُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا ، وَقَدْ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا وَذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ مُخْلِصاً مِنْ قَلْبِهِ . وَلَكِنْ مِن رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَعَادَتِهِ فِي خَلْقِهِ أَن جَعَلَ مَنْ عَاشَ عَلَى شَيْءٍ مَاتَ عَلَيهِ وَمَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بُعِثَ عَلَيهِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نحن لا نعرف متى يفاجئنا نهاية عمرنا ؟ فلابد أن ننتبه إِلَى حسن خاتمتنا حتى يكون آخر نفس لنا له قيمة عِند الله تَعَالَى ، فيَقُولُ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله دَخَلَ الجَنَّةَ)[3] ، فكيف نهتم ليختم لنا بخير ؟ وما بالنا لو جاء آخر نفس مع آخر كلمة بسؤ – والعياذ بِاللهِ – فكيف حال النَّاس اليوم ؟ فلابد من الإستعداد لإِنفاق الوقت والمال مع بذل الطاقة لالنشر دين الله تَعَالَى ، حتى يحى الدين فينا وفى النَّاس جميعا والى يوم القيامة والله تَعَالَى يجعلنا سببا فى ذَلِكَ)[4]

---

[1] (36 التوبة)
[2] لسان الدعوة : (337)
[3] (أبو داود 3118 ، والحاكم 1299 ، 1842 ، شعب الإيمان 93)
[4] لسان الدعوة : (222)

فَصْلٌ جَامِعٌ لِبَيَانِ مَادَةِ الكَمَالِ البَشَرِيِّ ، وَالمُقَارَنَةِ بِبَاقِى المَخْلُوقَاتِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الصِّفَةَ التِى تُمَيِّزُ الإِنسَانَ عَلَى بَاقِى المَخْلُوقَاتِ لَيْسَ هِىَ التَّكَاثُرُ أَوِ البِنَاءُ أَو الحَضَارَةُ أَو المُلْكُ أَو السِّيَاسَة أَو القُوَّةُ أَو غَيْر ذَلِكَ ! بَلْ هِىَ حَمْلُ أَمَانَةِ هَذَا الدِّينِ وَطَاعَةِ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، وَ العَمَلُ فِى نِيَابَةِ النُّبُوَّةِ وَجُهْدِ الدَّعْوَةِ وَالإِيمَانِ وَاليَقِينِ ، بِذَلِكَ يُحَصِّلُ الإِنسَانُ مَا خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ أَجْلِهِ . فَلَابُدَّ أَنْ لَا يَكُونَ شَاغِلُ الإِنسَانِ الأَوَّل فِى غَيرِ هَذَا الهَدَف .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الإنسان ليس فيه الكمال كما يظن ، وبنظرة إِلَى شعبة من شعب الحياة فى بعض الطيور والحيوان ، ونقارنها ببعض ما عِند الإنسان لنرى مدى إحكام البشر ومدى إحكام الطيور والحيوانات التى سقط عنها التكليف :

بناء السكن ليس من كمال الإنسان ، لأن الطائر يبنى بيته ، ويبحث الطائر عن الحشائش ويرتبها فى بيته ، والحشائش الخربة يتركها ويرمى بها ، ويجهز غرفا صغيرة فى داخل العش لصغاره ، ويبنى بيته فى الأسقف ويعرف كيف يثبته ولا يقع فهذه هندسة .

كذَلِكَ بناء البدروم ، وهو السكن تحت الأرض فليس من كمال الإنسان ،

لأن الفأرة تصنع مكانها تحت الأرض وتجعل لها طريقا ومكانا ، وكذَلِكَ النمل يكون تحت الأرض بالآلاف ، وترتب الطعام وتخزنه بطريقة تجعله لا يفسد ، وهناك أنواع من الحيوانات تعيش تحت الأرض وتبنى أنفاقا وطرقا ولها مدخل ومخرج إذا جاءها عدو مثل الضب فى جزيرة العرب .

كذَلِكَ الإنسان اكتشف الكهرباء ، وأوصل الأسلاك ، وليس هذا من كمال الإنسان ، لأن طائرا صغيرا اسمه " بيا " فى الهند ودول شرق آسيا يصنع بيته ويضع فيه النور ولكن كيف ؟ عندنا صراصير صغيرة تطير وتخرج ومضات نور وترونها ليلا ، فهذا الطائر يأخذ هذه الصراصير ويربطها عَلَى حواف العش ، فمن ينظر يجد الباب وكأن عليه لمبات فى سلك منظوم تضىء وتطفىء ، وإذا مات هذا الصرصور الصغير فينطفىء ، هنا يرمى به ويأتى بواحد آخر وهكذا .

كذَلِكَ نظام الحكومة ليس من كمال الإنسَان ، لأن النحل عندهم الملكة ، والجنود والشغالات ، وهناك عمل دائب ، صنع النحل وبناء الخلايا ، وتجهيز غذاء الملكات ، وكيف يطير النحل بعيدا لأخذ رحيق الثمار والورود ؟ والنحلة التى تأتى برحيق غير طيب ، يأتى الجلادون بين يدى الملكة ويقتلونها ، وعندهم أيضا الإنتخاب ، فالأصلح هو الذى يتصدر ويمسك الملك والكل يعمل . ولكن عندنا يَقُولُ : (أنا خير من يمثلكم) والله تَعَالَى يَقُولُ : (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ اعْلَمْ بِمَنِ اتَّقَى) [1] ، وإِذا نجح يأتى فيه العجب والكبر ، وهذا العجب بين الديوك حينما يدخلونها معركة ، فالديك الذى يفوز يرفع عنقه ، ويعجب بنفسه ، ويفرد جناحه ، ويمشى متبخترا ، ويظن أَنَّهُ أكبر من كل شيء ، كما يتصور الإِنسَان أَنَّهُ بشييد المبانى والمساكن ، أو باكتشاف الكهرباء أو الطب أو الحكومة يتصور أَنَّهُ فى درجة الكمال والرقى والقوة والفوز .

الخلاصة هنا ، أن هذه الأشياء ليس فيها الكمال البشرى الذى ينشده البشر ، بل الكمال فى الإِنسَان – بعد قضاء هذه الحوائج فى الكون وتعميره – أن يتخلق بخلق يرضاه الله تَعَالَى ، ويسير حسب مرضاته لينال معيته فيصبح أهلا لخلافته فى الأرض ، لأن الأكل والشرب والبناء وقضاء ضروريات الحياة فهى من صفات الحيوانية ، لكن أحكام الطعام وسقيا الماء ومساعدة الآخرين فى حاجاتهم فهى صفات الخلافة ، لأنه نائب فى تطبيق احكام الله تَعَالَى وفيها الرحمة عَلَى العباد والشفقة بهم ، والرأفة عليهم ، والعفو والمغفرة ، وإِطعام الطعام وستر عورات النَّاس مع الإِحسان فهنا مظهر من مظاهر صفات الله تَعَالَى العليا فى كونه .

ولحصول هذه الصفات فينا لابد من العمل فى نيابة النُّبُوَّة وجهد الدعوة وجهد الإِيمَان واليَقِين ، فاختيار هذا الجهد ليكون عملى فى المقام هو نيابة الأنبياء ، ونشره فى كل مكان والسير به هو نيابة سيد الأنبياء سيدنا مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) [2]

---

[1] (32 النجم)
[2] لسان الدعوة : (439- 440)

فَصْلٌ جَامِعٌ لِبَيَانِ الطَّرِيقِ الصَحِيح لِلتَّوَصُّلِ لِلكَّمَالِ الإنسَانِىّ المَنشُودِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لِكَىْ تَصِلَ إِلَى الكَمَالِ البَشَرِيِّ المَنْشُودِ - تَقْرِيباً - لَابُدَّ مِنْ سُلُوكِ نَفْسِ الطَّرِيقِ الذِى سَارَ عَلَيْهِ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ الكِرَام ، بِتَعَلُّمِ الإِيمَان وَالأَخْلَاقِ الإِسْلَامِيَّةِ ثُمَّ تَعَلُّمِ الأَحْكَامِ مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً وَالعَمَلَ بِمَا تَعْلَم وَالقِيَامُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، كُلُّ ذَلِكَ مُلْتَزِماً بِالتَّدَرُّجِ حَسْبَ طَاقَتِكَ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (هذه الدعوة الإسلامية عَلَى رأس كل مكلف من أمة النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكن حتى يتحمل الإنسَان هذا الجهد فلابد من التربية والتدرج ، ولابد من التعاهد والملاحظة ، حتى تأتى الثمرة ، فهنا الإنسَان مثل الأرض – كما قلنا – ولابد للأرض أن تنبت حتى يظهر الجهد والنتيجة ، لذَلِكَ الدين مثل الشجرة ، أى شجرة الدين بفوائدها ومنافعها ، وهى لا تنبت إلا بالهدوء ، والدين فى حياتنا لابد أن يأتى بالهدوء ، فهنا ننظر إِلَى أول شىء تحتاجه الشجرة التربة ، فلابد لهذه التربة أن تهيأ حتى تستقبل البذور فنعطيها السبخ حتى تقوى وتشرب الماء لتأخذ كفايتها ، وتكون الأرض آنذاك صالحة لاستقبال البذرة ، وبعد البذرة نسقيها الماء ثم نعطيها السماد ، ونراعى الزراعة الصيفية والزراعة الشتوية ، بعد فترة تبدأ زراعة الأشجار والنخيل فى الظهور فيظهر أول شىء الساق ، ثم أغصان ومنها أوراق ، وبعد ذَلِكَ ثمار الفاكهة المتنوعة ، هكذا شجرة الدين التى تكون بنية الجهد لنشر دين الله تَعَالَى ، فالأرض هى قلوب ونفوس وعقول المُسْلِمِين ، فلابد من تهيئة تلك الأراض بالزيارات ونشر المحبة ومشاركتهم فى أفراحهم وأتراحهم ، والماء هو حلقات التعليم ، والسماد هو التضحية بالنفس والأموال والعواطف والجو المناسب لشجرة الدين هو الدعاء والبكاء أم الله تَعَالَى والتوجه إليه ، ثم يأتى الجذر من أسفل والساق من أعلَى ، فالجذر هو كلمة التَّوْحِيد والإِيمَان ، والساق هى العبادات وهى أركان الإسلام من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وأما الأغصان والأوراق فهى المعاملات والمعاشرات وفيها الصدق وحفظ اللسان وغض البصر وغيره ، ثم تأتى الثمار والفاكهة التى نتلذذ بها وهى الإخلاص ، فهنا تأتى شجرة الدين وفيها يكون الدين الكامل فى حياتنا فتكون حياة إسلامية كاملة .) [1]

[1] لسان الدعوة : (441)

فَصْلٌ فِى بَيَانِ أَنَّ النَّفْسَ سِلْعَةٌ وَثَمَنُهَا الجَنَّة .

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ الجَنَّة مُقَابِلاً لِعَمَلِ الإنسَان فِى هَذِهِ الدُّنْيَا ، وَلَا نَعْنِى أَنَّهَا ثَمَنُ قِيمَةٍ ! لَكِنْ هِىَ جَزَاءٌ بِإحْسَانٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَفَضْلٍ . وَسَمَّاهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِلْعَةً وَوَصَفَهَا بِأَنَّهَا غَالِيَةٌ ، فَمَنْ أَرَادَهَا فَلْيَدْفَعْ ثَمَنَهَا ، وَثَمَنُهَا هُوَ النَّفْسُ وَالمَالُ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لو أراد الإنسان أن يبيع نفسه ، فليس هناك من يشترى إلا الله تَعَالَى ، وجعل الله تَعَالَى الثمن الجَنَّة ، والله عزوجل صمد لا يحتاج لأحد ، ولكنه يشترى حتى يمن عَلَى عباده ، فعلينا أن نفهم كيف ننفق النفس والمال ؟ فالذى ينفق النفس فى موضع لا يحبه الله تَعَالَى فهو جاهل ، أما من يؤمن بِاللهِ تَعَالَى ورَسُوله ولا يبالى بنفسه وماله فى مقابلة أوامر الله تَعَالَى ، فهنا الله تَعَالَى يبشرنا فيَقُولُ : (فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[1] ، فلو أنفقنا النفس لله تَعَالَى ، فالله عزوجل يوفى لنا موعده)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قال رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (... وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ)[3] ، شريطة أن يكون التواضع ليس فيه رياء ، لأن الله تَعَالَى اشترى منا أموالنا وأنفسنا وجعل الثمن الجَنَّة ، وهذا وعد الله تَعَالَى فى كتابه ، يَقُولُ تَعَالَى : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّة يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ[4])[5]

---

[1] (111 التوبة)
[2] لسان الدعوة : (223)
[3] (مسلم 6757 ، مسند أحمد 9008 ، شعب الإيمان 3138)
[4] (111 التوبة)
[5] لسان الدعوة : (227)

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللّٰهُ (أخبر الله عز وجل أَنَّهُ اشترانا ، ونحن بعنا لربنا مقابل الجَنَّة)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللّٰهُ (الله تَعَالَى اشترانا وليس لنا مشتر غيره تَعَالَى ، فكذَلِكَ نحن لا نبيع أنفسنا لغير الله تَعَالَى ، لأنه أخبر أَنَّهُ اشترانا فقال : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ)[2] ، فعلينا أن نبيع لله تَعَالَى أنفسنا وأموالنا ونوفى بالشروط حتى يوفى الله تَعَالَى بالموعود ، ونجعل الدعوة مقصد حياتنا عسى الله تَعَالَى أن يتقبل منا جميعا)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللّٰهُ (يقُولُ ربنا عز وجل فى كتابه : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّة يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ)[4] ، الله تَعَالَى اشترى من المؤمنين النفس والمال مقابل الجَنَّة ، إذا كانت التضحية بالنفس مطلوبة نضحى بالنفس ، وإذا كانت المطالبة بالتضحية بالمال تكون التضحية بالمال ، حتى الله تَعَالَى يوفى وعده ، فالله تَعَالَى اشترى منا النفس والمال مقابل الجَنَّة)[5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللّٰهُ (لذَلِكَ علينا أن نتخذ هذا العمل مقصد حياتنا ، لأن الله تَعَالَى اشترى منا النفس والمال ، ونحن لابد أن ننفق المال والنفس ، فإن كان للدين فلنا الشرف والفوز فى الدنيا والآخرة ، وإن كان للدنيا فالخسران المبين ، والصَّحَابَة رضى الله تَعَالَى عنهم تحركوا للدين ، مع أن تحركهم قبل الإسلام كان للدنيا فى رحلة الشتاء والصيف ، ولكن لما جاءت المسئولية تحرك الصَّحَابَة رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُمْ للدين وقدموه عَلَى حاجات الدنيا ، فانتشروا فى بقاع الأرض وقبورهم تشهد عليهم ، فهل نعزم أن نخرج وأكفاننا معنا ، فإما ينتشر الدين أو نموت فى سبيل الله ؟)[6]

---

[1] لسان الدعوة : (228)
[2] (111 التوبة)
[3] لسان الدعوة : (262)
[4] (111 التوبة)
[5] لسان الدعوة : (310)
[6] لسان الدعوة : (425)

فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَقْسَامِ الفَاسِدِينَ الضَّالِّينَ ، وَكَيْفِيَّةِ التَّعَامُلِ مَعَهُمْ .

وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ مِنْهُمُ الْمُسْلِمِ وَالكَافِرُ وَكُلٌّ عَلَى مَرَاتِبَ مُخْتَلِفَةٌ فَالْمُسْلِمُ لَهُ دَرَجَاتٌ وَالكَافِرُ لَهُ دَرَكَاتٌ ، وَالفَاسِدِينَ الكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَلَى أَصْنَافٍ ثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ مَنْ يُعَانِدُ وَيُكَابِرُ وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَالِمُ وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَلِّمُ . وَلِلجَمِيعِ عَلَيْنَا الدَّعْوَة ، حَتَّى يَكُونُوا مُسْلِمِينَ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (والفاسدون الضالون عَلَى ثلاثة أقسام :

قسم يهتدى مثل سيدنا عكرمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وقسم يظلون عَلَى ضلالهم كما هم ولكن لا يمنعون الدعوة مثل أبى طالب ، وقسم يمنعون الدعاة ، فالله تَعَالَى يهلكهم مثل أبى لهب ، فعلينا أن ندعوا كل النَّاس من أى بلد وفى كل مكان)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (والدعاة المخلصون يتحصلون عَلَى مَعِيَّةِ الله تَعَالَى ، ولو قاموا بالدعوة كما ينبغى ، فالكفار يأتى عليهم أحوال ثلاثة:

الأولى : أن يهتدوا مثل عكرمة رضى الله عنه ،

الثانية : أن يصغروا فيعطوا الجزية للمسلمين وهم صاغرون ،

الثالثة : أن يدمرهم اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مثل أبى جهل)[2]

فَصْلٌ فِي ذِكْرِالإِنسَانِ وَرِحْلَةَ البَحْثِ عَنْ السَّعادَةِ وإِصْلَاحِ الحَيَاةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الإِنسَان لِيُسْعِدَهُ وَيُنَعِّمَهُ بِهَذِهِ النِّعَمِ ، وَجَعَلَ لَهُ دُسْتُوراً يَسِيرُ عَلَيهِ لِيَنْعَمَ بِحَيَاتِهِ ، وَلَيستِ السَّعَادَةُ فِيمَا يَرَاهُ الإِنْسَان سَعَادَةً بَلْ السَّعَادَةُ كُلُّ السَّعَادَة فِيمَا يَرَاهُ الشَّرْعُ سَعَادَةً ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِن زِينَةِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا مَعَ وُجُودِ الدِّينِ يَكُونُ سَبَبَاً لِلسَّعَادَةِ وَكُلَّ شَيْءٍ مِنْ زُخْرُفِهَا وَزِينَتِهَا مَعَ عَدَمِ وُجُودِ الدِّينِ يَكُونُ سَبَبَاً لِلتَّعَاسَةِ وَالضَّنك .

[1] لسان الدعوة : (224)
[2] لسان الدعوة : (256)

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لذَلِكَ أهل العلوم الحديثة يحققون كل الأشياء اليوم من معرفة الذرة إِلَى مشى الإِنسَان عَلَى المجرة ، بل سافر الإِنسَان بالفعل إِلَى القمر ، ولكنهم ما حققوا للإنسان أن يمشى عَلَى الأرض كما يحب الله تَعَالَى له ؟ وكيف يتعلق بخالقه ؟ لكنهم فقط يبحثون عن أسرار العين والأنف ، إِلَى عير ذَلِكَ من أعضاء الإِنسَان ، ولكن كيف يستعمل هذه الجوارح كما يحب الله تَعَالَى ؟ هذا هو الأساس . بهذه البحوث والتحقيقات انحطت قيمة الإِنسَان لتحديد نسل الإِنسَان ، لأنه صار عالة عليهم ، لأنهم يفهمون أنهم بتقليل البشر تصلح الحياة ، مع أن صلاح الحياة ليس عَلَى ما نهوى أو نظن ، بل صلاح الحياة كلها فى الطريق الذى اختاره الله تَعَالَى لعباده ، إصلاحها أو فسادها عَلَى الإِنسَان ، أما الأشياء فهى مستعملة تحت تصرف الإِنسَان ، فالسكين إذا جاء به الرجل الصالح فيكرم به صاحبه ، ويقطع له به فواكه ، وإِذا جاء به الظالم فهو يقتل به أخاه ويأخذ ماله ، لِذَلِكَ كيف نكون فى الدنيا عَلَى ما يحب الله تَعَالَى لنا وما يحبه لنا رَسُولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

لذَلِكَ قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ أَجْمَعَ الْمَالَ ، وَأَكُونُ مِنَ التاجرين ، وَلَكِنْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ : سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) [1] .) [2]

فَصْلٌ فِي ذِكْرِ بَعْضِ أَسْبَابِ الهِدَايَةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُجَاهَدَةَ فِى اللهِ وَالإِنَابَةُ إِلَيهِ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الهِدَايَةِ فِى هَذِهِ الدُّنْيَا . وَكَذَا بِالدُّعَاءِ وَالإِلْحَاحِ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَإِخْلَاصِ النِّيَّةِ .

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (قمت أقرأ القرآن حتى فتح الله تَعَالَى عَلَى بشيئين من أسباب الهداية وهما : المجاهدة والإنابة ، يَقُولُ الله تَعَالَى : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) [1] ، ويَقُولُ سبحانه : (اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) [2]) [3]

---

[1] (مرسلا عن أبى مسلم وليس مرفوعا ، البغوى فى شرح السنة 4036 بلفظ (وَأَكُونُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ) ، أبو نعيم فى الحلية 2/ 131)

[2] لسان الدعوة : (237 – 238)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (متى يجعل الله تَعَالَى الهداية للإنسان ؟ عندما يستعمل الإِنسَان هذا الإختيار فى طاعة الله تَعَالَى ، فالله تَعَالَى يهديه ، ولكن من سنة الله تَعَالَى أن جعل ترتيبا للهداية ، فالله تَعَالَى جعل الهداية بالمجاهدة والإنابة ، إذا اختار الإِنسَان هذا الترتيب ، الله تَعَالَى وعده الهداية ، والله تَعَالَى لا يخلف الميعاد ، وإذا تحصل الإِنسَان عَلَى الهداية ، يفوز ويفلح فى الدارين ، ويجعله بالهداية سببا لهداية النَّاس ، والله تَعَالَى يجعل أصحاب الهداية يخرجون النَّاس الذين عندهم مثقال ذرة من الإِيمَان من النار ، ومن يكون عَلَى الهداية يكون فى الفوز والفلاح فى أية حالة ، ولو يكون فى السجن ، مثل سيدنا يوسف عليه السلام ، فالذى يختار المجاهدة والإنابة يتحصل عَلَى الهداية)[4]

فَصْلٌ فِي ذِكْرِ دُرَرٍ مِنَ مِشْكَاةِ الشَّيخِ مُحَمَّد عُمَرَ رَحِمَهُ اللهُ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنُ أَنَّى وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا وَكَانَ أَسْرَعَ النَّاسِ لِقَبُولِهَا وَتنفِيذِهَا ، وَحَسْبُكَ مِنَ الحِكْمَةِ فَائِدَتُهَا وَغُضَّ الطَّرْفَ عَن قَائِلِهَا ، فَإِلَيكَ جوَاهِرَاً وَدُرَرَاً أَينَعَتْ فِي بُسْتَانِ شَيْخِنَا مُحَمَّدُ عُمَر رَحِمَهُ اللهُ ، انتَخَبْتُهَا لَكَ مِن طَيَّاتِ كَلَامِهِ ، وَهِيَ جُمَلَاً قَلِيلَةٌ مَبْنَاهَا تَشْتَمِلُ عَلَى عَلَى مَعَانٍ كَثِيرَةٍ ، وَصَدَقَ اللهُ العَظِيمُ حِينَ قَالَ : (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)[5].

قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فى عهد النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : دعوة وعلم وذكر ، وهذا كان عَلَى أتم درجة ، ومن قام عَلَى تمامها فهو فى وقت الخير ولو عاش فى بيئة الفتن .... فلو أردنا خير القرون فعلينا أن نقدم الدعوة مع العلم والذكر ، وهذه الثلاثة نجعلهم أصلا ، فيكون زماننا تبعا لخير القرون)[6]

---

[1] (69 العنكبوت)
[2] (13 الشورى)
[3] لسان الدعوة : (260)
[4] لسان الدعوة : (275)
[5] (269 البقرة)
[6] لسان الدعوة : (100)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فالله تَعَالَى ربط الأحوال بالعمل لا بالأشياء ، فصلاح الأحوال بصلاح الأعمال وصلاح الأعمال بصلاح اليقين) [1]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (التمتع بقليل الدنيا ، يورث الإنسَان التمتع بكثير النعم فى الآخرة ، والدين تضحيات ومجاهدة ولكن بعد ذَلِكَ حياة طيبة) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (حب الدنيا رأس كل خطيئة ، ولكن لو دخلت عظمة الله فى القلب فلا يهمه شىء) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (بحسن المعاشرة تجتمع القلوب ، وهى أحسن صفة بعد الإيمَان) [4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الأموال والأشياء فى الدنيا تزيد وتنقص ، ولكن خزائن الله مالها من نفاد) [5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الضر فى الدنيا مؤكد ، أما النفع فمظنون) [6]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (بالإيمَان يتبين للعبد منافع الأعمال الصالحة ، فيحرص عليها ويقترب منها ، وبالإيمَان يتبين للعبد مضار الأعمال السيئة ، فينفر منها ويبتعد عنها) [7]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الإنسَان الذى يسير بهواه مخالفا أمر الله ، لابد أن يعرف أن نهايته سيئة) [8]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (بقدر ما يكون اليَقِين فى قلوبنا ، بقدر ما يظهر الله تَعَالَى النصرة الغيبية فى الدنيا قبل الآخرة) [1]

---

[1] لسان الدعوة : (136)
[2] لسان الدعوة : (143)
[3] لسان الدعوة : (151)
[4] لسان الدعوة : (154)
[5] لسان الدعوة : (158)
[6] لسان الدعوة : (161)
[7] لسان الدعوة : (162)
[8] لسان الدعوة : (165)

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (لو جاءت الفتن نصبر مع التوجه وطلب الثبات حتى تأتى نصرة الله تَعَالَى)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (بنور القلب نرى الصالح النافع ، ونرى الفاسد الضار)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (النَّاس نيام إذا ناموا انتبهوا ، وإذا ما انتبهوا ندموا ، حيث لا ينفع الندم)[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (النية فى اتباع النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحدود الشرع وقيوده ، من يجاهد عَلَى خلاف مقتضيات أمر الله تَعَالَى ، فهى ليست مجاهدة ، بل مجاهله)[5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (درج درج وعَلَى الله الفرج ، فننوى العالم ولكن بهدوء)[6]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الإنابة والمجاهدة ، هما سببا الهداية)[7]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (أوامر الله تَعَالَى تتطلب منا التضحيات ، والتضحيات تتمثل فى ترك الشهوات والمحبوبات لأجل مراد وطلب الله)[8]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الدنيا كلها لا تساوى عِند الله جناح بعوضه ، وبقدر ما يجتهد الإِنسَان عليها تكون لها قيمة فى قلبه)[9]

---

1 لسان الدعوة : (166)
2 لسان الدعوة : (168)
3 لسان الدعوة : (170)
4 لسان الدعوة : (171)
5 لسان الدعوة : (179)
6 لسان الدعوة : (207)
7 لسان الدعوة : (207)
8 لسان الدعوة : (212)
9 لسان الدعوة : (237)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الترقى الحقيقى هو أن نمشى فى هذه الحياة حسب أوامر الله تَعَالَى ، وعَلَى طريق النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإذا لم يكن هكذا فإن الإنسَان ينحط إِلَى درجة الحيوانية !) [1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله تَعَالَى يعطى الدنيا للكافر للإستدراج فقط ، قَالَ تَعَالَى : (لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) [2] ، فالنَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما دعا كسرى قَالَ له فى كتابه أسلم تسلم ، رغم أَنَّهُ يملك الأرض جلها ، فالنَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم أَنَّهُ لا عنده من الدنيا) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (بغير الدين تفسد الأحوال الإنسانية ، حتى يكونوا فى مثل جهنم فى الدنيا) [4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الله تعَالَى ربط الأحوال بالأعمال ، فإذا كانت الأعمال صالحة ، تكون الأحوال صالحة ، وإذا كانت الأعمال سيئة تكون الأحوال سيئة) [5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (بنوا إسرائيل كانوا أبناء أنبياء ، لكن لما فسدت أعمالهم ، صاروا مغضوبا عليهم) [6]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (فالمعية مِنَ اللهِ تَعَالَى بقدر صفات الإِيمَان ، من الإحسان واليقين والتقوى والصبر وغيرها ، وليست المعية يقدر أعمال الإِيمَان ، لأن أعمال الإِيمَان ترتبط بالقلب وصفاته الإيمانية) [7]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نحن نجتنب الصغائر حتى لا نقع فى الكبائر) [8]

[1] لسان الدعوة : (243)
[2] (196 – 197آل عمران)
[3] لسان الدعوة : (245)
[4] لسان الدعوة : (246)
[5] لسان الدعوة : (255)
[6] لسان الدعوة : (255)
[7] لسان الدعوة : (256)
[8] لسان الدعوة : (265)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (المراد من التوبة أن يندم العبد عَلَى ما فعل ، ويتضرع إِلَى اللهِ تَعَالَى)[1]

وقال أيضا (فالعبد الذى يندم عَلَى أفعاله ويبكى عَلَى معاصيه ، هذا أحسن من العبد الذى يعمل الحسنات وهو مفتخر ، والبكاء من الله ، ليس كل واحد يستطيع أن يبكى)[2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ذات مرة رأيت بعض النَّاس يبكون عِند سماع أمر الله ، وبعضهم لا يبكى ، فالذى لا يبكى ليس عليه شيء ، والذى يبكى هذه نعمة مِنَ اللهِ)[3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (المشقة للعصاة عذاب ، والمشقة للمؤمنين مجاهدة)[4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (والأحوال إذا كانت فى الدنيا عَلَى العاصى تسمى عقوبة وعَلَى المطيع ابتلاء)[5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الذى يريد الخروج من هوى النفس ، فعليه بالشورى)[6]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (النعم الدنيوية تنفد ، والنعم الأخروية لا تنفد)[7]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كل ما يراه الإنسان فى يده ، هو ليس فى يده ، بل فى يد الله تَعَالَى)[8]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (أرض الدعوة : الفقراء والبسطاء ، فهم خدام الدعوة)[9]

---

[1] لسان الدعوة : (267)
[2] لسان الدعوة : (267)
[3] لسان الدعوة : (268)
[4] لسان الدعوة : (270)
[5] لسان الدعوة : (270)
[6] لسان الدعوة : (270)
[7] لسان الدعوة : (270)
[8] لسان الدعوة : (272)
[9] لسان الدعوة : (273)

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (القديم قديم الصفات وليس قديم الزمان) [1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (كل مصيبة قبل الموت هينة) [2]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الهداية لا تأتى إلا بالمجاهدة) [3]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (علينا أن نبكى عَلَى أنفسنا ، لأننا ما عندنا الإحساس والشعور بالرحمة عَلَى الأمة ، لا نزكى أنفسنا ولا نحتقر المُسْلِمِين ، لأننا لا نعلم من هو ولى الله ، لعل العاصى يتوب ويصير وليا من أولياء الله) [4]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (بالكلام عَلَى عظمة الله تَعَالَى وكلام الإِيمَان ، يقوى الإِيمَان) [5]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (عمل الدعوة هو الذى ينشىء الطلب عِند الرافضين أوعِند غير الطالبين ، فنذهب إليهم فينشأ فيهم الطلب) [6]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الدعوة أصل الجهاد) [7]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (المرأة لا تتحصل عَلَى الولد بدون الوجع ، وكَذَلِكَ الإِنسَان لا يتحصل عَلَى الهداية بدون المجاهدة) [8]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (يقين المشاهدات بالنظر ونحن يقيننا بالخبر) [9]

---

[1] لسان الدعوة : (297)
[2] لسان الدعوة : (308)
[3] لسان الدعوة : (327)
[4] لسان الدعوة : (328)
[5] لسان الدعوة : (340)
[6] لسان الدعوة : (376)
[7] لسان الدعوة : (381)
[8] لسان الدعوة : (387)
9 لسان الدعوة : (398)

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (ليس اليتيم من فقد الأب ، ولكن اليتيم من فقد رحمة الرب ، ولذا من نقصان العقل أن تجعل الدنيا صديقة لك)[1]

وقَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (نية الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هى التى لجميع الطبقات ولجميع النَّاس ولجميع الأزمنة إِلَى يوم القيامة)[2]

و قَالَ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ (الحماس الشديد يضر ، والهدوء الشديد كذَلِكَ يضر)[3]

[1] لسان الدعوة : (406)
[2] لسان الدعوة : (418)
[3] لسان الدعوة : (424)

الخاتمة

وَبَعْدُ :

فَقَدْ أَظْهَرْتُ – بِحَمْدِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا - مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ مُحَمَّدُ عَمَرَ البَالَمْبُورِىِّ رَحِمَهُ اللهُ مَا يَدْحَضُ شُبَهَ الْمُشَنِّعِينَ عَلَى مَنْهَجِ التَّبْلِيغِ بِشُبْهَةٍ أَوْ بِأُخْرَى ، وَيُلَبِّسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ لِإِبْعَادِ النَّاسِ عَن هَؤُلَاءِ الدُّعَاةِ ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى يُظْهِرُ الحَقَّ وَلَوْ طَالَ بُزُوغُ البَاطِلِ ، وَلَا يَثْبُتُ البَاطِلُ فِى مُوَاجَهَةِ الحَقِّ أَبَدَاً ، تِلْكَ حَقِيقَةٌ وَاقِعِيَّةٍ وَسُنَّةٍ رَبَّانِيَّةٍ ، قَالَ تَعَالَى : (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) [1] وَقَالَ تَعَالَى : (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) [2] فَالحَقُّ هُوَ الدَّلِيلُ الوَاضِحُ الذِى يُبَرِّىءُ المَظْلُومَ ، وَالبَاطِل هِىَ التُّهَمُ المُلَفَّقَةُ وَالكَلِمَاتِ المُنْكَرَةِ التِي تَرْمِي عَلَى عواهنها من غير بينة ولا برهان سوى حدثنى من أثق به وبئس مطية الرجال زعموا !! ، وإننى لعَلَى أمل فى الله تَعَالَى أن يعتبر أقوام من بنى جلدتنا ويتصدرون لنشر العلم بيننا بهذا البيان الذى لم يعُد بعده مجال للشك أو للتردد أو للتوقف فى أمر التبليغ ، والبقية ستأتى إن شاء الله عما قريب ،

وَأُوجِهُ لِعُلَمَاءِ الأُمَةِ رِسَالَةً عَاجِلَةً : (إِنْ تَوَقَّفْتُمْ عَنْ الصَّدْعِ بِالْحَقِّ بَعْدَ هَذَا البَيَانِ الوَاضِحِ ، فعَلَى الأُمَةِ نُكَبِرُ أَرْبَعاً ! إِذْ كَيْفَ تَرْجُوا صَلَاحَ الرَعِيَةِ وَعُلَمَاؤُهَا يَسْكُتُونَ عَنْ بَيَانِ الحَقِّ لِلنَاسِ ، وَأُحَذِرُكُمْ اللهَ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) [3] وَبِقَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ كَتَمَ عَلْمًا يَعْلَمُهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ) [4] وبيانِ الحَقِّ وَالذَّبِّ عَنْ أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِين مِنَ العِلْمِ)

وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يرفعَ عُلَماءَ أُمَّتِنَا وَأَنْ يَجْزِيَهُمْ عَنَّا خَيْرَ الجَزَاءِ ، وَأَنْ يَرْفَعَ الغُمَّةَ عَنْ أَهْلِ التَّبْلِيغ وَعَنْ الأُمَّة ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالقَادِرُ عَلَيْهِ ، وَأَلْتَمِسُ مِنْ إِخْوَانِى المَعْذِرَةَ عَلَى أَنْ أَقْحَمْتُ نَفْسِى بَابَ الكِتَابَةِ وَلَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا وَلَعَلَّ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنِى

[1] (81 الإسراء)
[2] (18 الأنبياء)
[3] (187 آل عمران)
[4] (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 742)

وَيُسَدِّدَ خَلَلِى وَيَجْبُرَ كَسْرِى وَيُبَلِّغَنِى مَا أَتَمَنَّى ، وَإِنِّى سَائِلٌ قَارِئًا أَنْ يَنْظُرَ فِى وَرَقَاتِى هَذِهِ بِإِنْصَافٍ وَالتِمَاسٍ لِلمَعْذِرَةِ وَاحْتِمَالِ جَرَيَانِ الخَطَإِ عَلَىَّ ، وَأَبْرَأُ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ خَطَإٍ يُخَالِفُ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ قُلْتُهُ أَوْ كَتَبْتُهُ ، وَأَرْجُوا أَن يُنَبِّهَنِى - أَخٌ كَرِيمٌ - إِلَى مَا يُصْلِحُ الزَّلَلَ وَيَسُدُّ الخَلَلَ وَيَنْشُرُ العَمَلَ ، إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَبِالإِجَابَةِ جَدِيرٌ وَهُوَ مَوْلَانَا وَنِعْمَ النَصِيرُ .

أَخُوكُمْ فِى اللهِ :

أَبُو إِلْيَاسِ طَهَ بنِ إِبْرَاهِيمَ القَلْمُوشِىّ المِصْرِىّ

قَالَ كَاتِبُهُ : أَبُو إِلْيَاسِ القَلْمُوشِىّ - غفر الله تَعَالَى لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِزَوْجِهِ وَلِوَلَدِهِ -

تَمَّ الكِتَابُ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى ، فِى يَوْمِ الأَرْبِعَاءِ الوَاقِعِ فِى الحَادِى عَشَرَ مِن شَهْرِ رَبِيعٍ الآخِرَ لِعَامِ أَلِفٍ وَأَرْبَعِمَائَةٍ وَثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ مِن هِجْرَةِ المُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ، المُوَافِقِ لِلثَّانِى مِن شَهْرِ مَايُوا (5) لِعَامِ أَلْفَينِ وَاثْنَى عَشَرَةَ (2012) مِن مِيلَادِ المَسِيحِ عَلَيهِ السَّلَامُ ، وَلَعَلَّهُ يُتْبَعُ بِشَرْحِ مَعَانِيهِ وَبَيَانِ مَغَازِيهِ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى ، ، ،

فهرس الفصول